

# التشيع العربي والتشيع الفارسي

نبيل فخر الدين رافع الحيدري



العبيكان  
Obekan

# التشيع العربي والتشيع الفارسي

دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع

نبيل فخر الدين رافع الحيدري



ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حيدري، نبيل

التشيع العربي والتشيع الفارسي. / نبيل حيدري. - الرياض، ١٤٣٧ هـ

٤٥٦ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٣-٨٧١-٣

١- الشيعة - نقد ٢- الشيعة - إيران أ. العنوان

ديوي ٢٤٧,٠٩ ١٤٣٧ / ١٠١٩

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

الناسر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

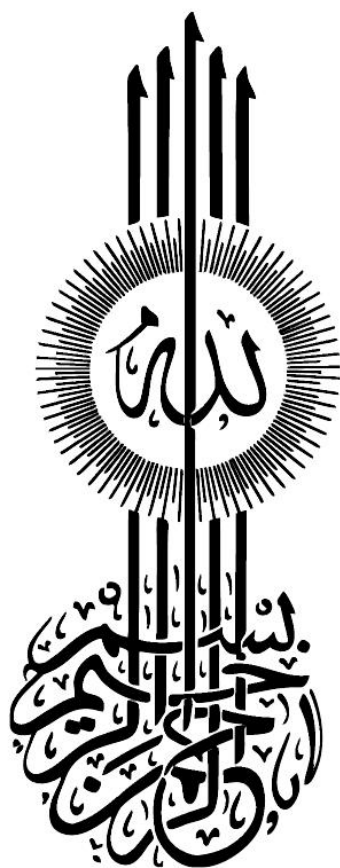
http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ - فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣ ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

جميع الحقوق محفوظة للناسر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناسر.





٧	المقدمة
١٥	الإمام علي بن أبي طالب والتشيع العربي
٢٧	ظاهرة سلمان الفارسي وبداية التشيع الفارسي
٤١	ظاهرة عبدالله بن سبأ والغلو في الإمام علي
٥١	غلاة حول أئمة أهل البيت
	شهربانو الفارسية زوجة الحسين وأم لتسعة من الأئمة.. تلاقح الدم
٦٥	الفارسي بدماء الأئمة ونظام الوراثة الإلهي
٧٩	حركات الغلو الفارسية أيام الدولة العباسية
٨٧	الدولة البويهية الفارسية وتأليف الكتب الحديثية الأربعة
١١٣	فرق الشيعة والفرقة الناجية
١٢١	الدولة العبيدية الفاطمية وطقوسها
١٢٩	الدولة الصفوية وتحالف الوعاظ مع السلاطين
١٤٣	إشكالية التوحيد والقرآن عند التشيع الفارسي
١٥٥	إشكالية النبوة عند التشيع الفارسي
١٦٥	الغلو في الأئمة (لاهوت الإمامة) عند التشيع الفارسي
٢٠١	كربلاء والمظلومية والطقوس والخطباء في التشيع الفارسي
٢٢١	التقية في التشيع الفارسي
٢٣٥	لقاء المهدي المنتظر في ادعاءات التشيع الفارسي
٢٥١	ثقافة التكفير والبغضاء واللعن في التشيع الفارسي
٢٧٧	الخميني والتشيع الفارسي بين الغلو والتكفير والتجسيم
٢٨٣	الخميني بين كشف الأسرار وولاية الفقيه



٢٩٣	..... التوحيد والقرآن في التشيع العربي
٣٠١	..... النبوة والسنة في التشيع العربي
٣٠٥	..... الإمامة في التشيع العربي
٣١٣	..... الحسين وكربلاء في التشيع العربي
٣٢١	..... الشورى وولاية الأمة في التشيع العربي
٣٢٥	..... الوحدة الإسلامية والخلفاء الراشدون في التشيع العربي
٣٤١	..... مهدي الحيدري والتشيع العربي
٣٥١	..... مؤتمر نادر شاه وشرعية الخلفاء الراشدين ورفض التكفير
٣٥٥	..... مقارنة بين المرجعية العربية والمرجعية الفارسية
٣٧١	..... خطوات من التشيع العربي في التجديد والإصلاح والوحدة
٣٨٩	..... الخاتمة
٤١٥	..... المراجع والمصادر
٤٤٩	..... المصادر غير العربية



## المقدمة

هذه الدراسة هي مختصر لمجموعة أبحاث بعضها واسعة ومتخصصة، حيث الاعتماد على مصادر كثيرة جداً، ومنها باللغة الإنكليزية للمستشرقين وبعض ممن بحث هذه الأمور وجوانبها. ثم طلب منى زملاء أعزاء أن يختصر بعض أبحاثه وتسهيل اصطلاحاته المتخصصة لتعميم الفائدة إلى من يتشوق لذلك أو يرغبه، لأنه يتناول مسألة حساسة ومهمة، وهي انحراف التشيع عن سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وقيم أهل بيت النبوة، وتحويلها إلى ثقافات عجيبة وغريبة من الكراهية والبغضاء والطقوس الغريبة في العقيدة والفقه والفكر والممارسات المنسوبة بشكل خاطئ إلى الإمام علي نفسه وأئمة أهل البيت، بينما هم من هذه الثقافة الغريبة براء، براءة الذئب من دم نبي الله يوسف بن يعقوب.

لا شك أن ذلك الانحراف لم يأت بين يوم وليلة، وإنما مرّ بأحقاب وتطورات على مراحل عدة تراكمية متواصلة لأكثر من ألف عام، وبالتدريج نالتها الكثير من التحريف والتزييف للقيم والمبادئ إلى الواقع المتردي المعاصر الذي لازالت الأمة تعانيه بشكل مأساوي في الكثير من الآثار السيئة.

نادى بعض الفقهاء العرب بمحاولات إصلاحية جادة لتطهير التشيع من بعض تلك الانحرافات وثقافة الكراهية، لكنهم واجهوا مراكز القرار والسلطة من مرجعيات فارسية وأتباعها، حتى اتهم المصلحون بشتى التهم المختلفة الشنيعة لإفشال مشاريعهم الإصلاحية. ومن أهم الفقهاء العرب المصلحين: محسن الأمين العاملي ومحمد رضا المظفر ومحمد حسين كاشف الغطاء ومهدي الحيدري ومحمد

باقر الصدر ومحمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين ومحمد جواد مغنية وهاشم معروف الحسيني وغيرهم، كما سيأتي في البحث. يكفي أن مرجعنا المعاصر محمد حسين فضل الله تعرّض لأكثر من ١٠٠ فتوى ضده من فقهاء الفرس المعاصرين بسبب سيطرة التشيع الفارسي وسطوته وهيمنته، ومهما كان من الإصلاح والتجديد عند هؤلاء الفقهاء فستبقى رواسب التشيع عندهم إلا أن يتسنى بمذهب أهل السنة، فلا يمكن أن يبقى انتماء رجل للتشيع اليوم إلا وعنده انحراف.

كما يجدر التنبيه إلى أن البحث ليس عنصرياً بتاتاً، فهو لا يقصد الإيرانيين أو الفرس أصلاً وأبداً، ولا يقصد الشعوب الإيرانية المحترمة إطلاقاً، بل هو يمدح شخصيات ورموزاً فارسية إيرانية كثيرة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: علي شريعتي ومرتضى مطهري وعبدالكريم سروش وجلال آل أحمد ومحسن كديور وغيرهم. لكن المشكلة في تأثير قيادات محددة من أصحاب القرار في السلطتين السياسية والدينية بانحرافها الشيعي في مراحلها المختلفة، ومنها مرحلة الدولة البويهية الفارسية (٩٤٦، ١٠٥٥ م)، حيث تحالفت السلطان الدينية والسياسية، وفيها حملة تشيع غرب إيران وبغداد، وفيها أيضاً ألف الفرس الكتب الحديثة الأربعة بوصفها مراجع أعلى للحديث، وكلهم (الكليني والقمي والطوسي) من الفرس الذين وضعوا من الانحرافات والبدع الكثير حتى صارت مرجعاً مقدساً ومصدرًا لكل من جاء بعدهم، وأسست الدولة الكثير من الطقوس الفارسية في الدين والعقيدة الشيعية والفكر والتراث كما سيظهر في البحث<sup>(١)</sup>.

كذلك لاحقاً كانت الدولة الصفوية (١٥٠١، ١٧٣٦ م) في زمن سطوتها وسلطتها منذ استلام الشاه إسماعيل حيدر الصفوي (١٤٧٨، ١٥٢٤ م) الحكم سنة ٩٠٧ هجرية (١٥٠١ م) وقد جمع بين السلطتين الدينية والدينية، كما نظر إليه من وعاظ السلاطين، لاسيما المجلسي معتبراً الشاه كممثل للمهدي الغائب المنتظر،

(١) راجع: بحث المرحلة البويهية الفارسية، وتأليف المراجع: الحديثية الأربع، التي صارت مرجعاً لكل ما يأتي بعدها.

وقيام الدولة الصفوية بتحويل إيران إلى دولة شيعية بالقهر والقوة والإكراه، وممارسة عقائد وفقه وثقافة وتقاليد وأعراف وطقوس غريبة كالكراهية واللعن في مواجهة الدولة العثمانية السنية، وتأسيس المجاميع الحداثية الكبرى كالبحار للمجلسي والوافي للكاشاني، برغم بعدها عن التشيع الحقيقي العربي الأصيل، ومبادئ الإمام علي وأئمة أهل البيت، وحركتهم الثقافية الفكرية العقائدية الاجتماعية السياسية<sup>(١)</sup>.

ومن هنا قد تجد بعض الفقهاء العرب، انحازوا إلى التشيع الفارسي، وهم قلة، وبعضهم تراجع بعد صدمته ورؤيته لثقافة الكراهية وبدع الطقوس، وللعنصرية ضد العرب... وعندها ندم وعاد وصار متحمساً للعروبة والوطنية والمبادئ. ومنهم أيضاً من هاجر إلى الدولة الصفوية في إيران وحجَّ إليها وأيدها واستفاد منها وحصل على مناصب ومكاسب وسلطات دنيوية: كالكركي والبهائي من علماء لبنان. بينما من الجانب الآخر تجد فرساً وأتراكاً وقوميات أخرى عارضت ونقدت ثقافات الكراهية والخرافات وبدع الدولة الصفوية وفسادها وانحرافها. علماً أن الاحترام كله للشعوب الإيرانية وجميع شعوب العالم، فكلُّها محترمة، ولها تراثها وتاريخها وثقافتها، وللشعوب الإيرانية تاريخ معروف وحضارة كبيرة، وإنما النقد لحكام ووعاظ محدودين، لكنهم نافذون ومؤثرون جداً سلطة وسطوة سياسية ودينية. ومن هنا ينبغي التمييز بين هذه الأفراد المحدودة من وعاظ السلاطين والمتنفعين ورموز التحريف، وبين عموم الشعب المحترم، الذي لا حول له ولا قوة وهو مظلوم ومقهور، وقد عانى الكثير وينتظر الخلاص من ظلمهم وجورهم.

إن الكثير من الدراسات في الموضوع يشوبها الكثير من الخلل، حيث إنها توهمت أن بداية الانحراف للتشيع هو الدولة الصفوية، وقد أَلْفُوا الكتب في ذلك، وهذا ليس صحيحاً، حيث تثبت هذه الدراسة أيضاً قبل أكثر من خمس مئة سنة كانت جذورها موجودة في الدولة البويهية الفارسية، والفقهاء الفرس الثلاثة:

(١) راجع: المرحلة الصفوية وتحالف الوعاظ مع السلاطين في تحريف المبادئ والقيم إلى الغلو والكراهية والتكفير.



الكليني والطوسي والصدوق القمي، وتأليفهم الكتب الأربعة المليئة بالغلو للأئمة والتكفير والكراهية لمخالفهم، وهي مرحلة مهمة جداً لا تقلّ عن الصفوية، حيث باتت مرجعاً استمدّ منها الصفويون ثقافة الكراهية والبدع التكفيرية. بل قبل ذلك أيضاً بثلاث مئة سنة وعصر الأئمة أنفسهم وابن سبأ في عصر الإمام علي لتسليط الضوء على نشوء ظواهر خطيرة جداً: كالتكفير والغلو ووضع اليد على بداية الانحراف وأساسه وتطوره، بل وتعامل الأئمة معه ورفضهم للغلو وللتكفير، حتى قال الإمام علي: (ياكم والغلو فينا، إنا عبيد مرزوبون، لا ننفع ولا نضر، وقد غابت دابتي فلا أعلم أين هي...) وقوله: (اللهم إني بريء إلى الله من الغلاة، اللهم اخذهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً)، (هلك في محب غال)، وغيرها<sup>(١)</sup>.

كما يدرس هذا الكتاب الفرق الشيعية الكثيرة، التي نشأت في العصور الأولى وزمن الأئمة أنفسهم من متعلقي الأئمة وأصحابهم ووكلائهم، لتلقي الضوء على اختلاف الرؤى العقائدية والأفكار المختلفة في تلك العصور، ورؤيتها المختلفة والمتعارضة للإمامة والإمام وتفرعاتها ليعطي صورة واسعة عن نظرية الإمامة، علماً أن بعض الفرق لا زالت موجودة حية مثل الزيدية والإسماعيلية وغيرها.

إنّ الفرس الذين جاؤوا إلى الكوفة وأعلنوا تشيعهم، يحملون في الواقع معهم تراثاً ضخماً في تقديس الملوك الفرس. لذلك بعد انتحاهم التشيع، قاموا بنقل هذه الثقافة من الغلو في ملوكهم إلى الغلو في الأئمة وتقديسهم، وما تفرّع عنها كالطعن في مخالفهم... ثم جاءت دول فارسية متعددة منها الدولة البويهية الفارسية، ثم الدولة الصفوية وطقوسها الدخيلة، وتأثيراتها وغيرها على مراحل متعددة متراكمة، بعضها فوق بعض، وهكذا لتكوين صورة متكاملة عن المراحل وتدرجها، وتطور الأفكار الدخيلة والعقائد الغريبة وثقافة البغضاء والكراهية واللعن وغيرها.

يرجعك هذا البحث إلى المصادر الأولية الأصلية والمراجع التاريخية المهمة، لمعرفة أن الكثير من العقائد والأفكار والطقوس لم تكن موجودة آنذاك، كما لم يكن

(١) كتاب الأمل، الطوسي، الصفحة ٥٤ نهج البلاغة الرسالة ١١٧ الصفحة ٦٧٧ البحار، ٢٥/٢٦٥.

موجوداً ثقافة الغلو والتكفير التي أسست لاحقاً لأغراض فيها جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، وغلفتها بالجانب الديني لتضيف لها قدسية وروحانية وباطنية، وتحريك الناس نحوها، بوصفها مقدساً دينياً وشرعياً، بينما لم يكن ذلك معروفاً حتى عند أصحاب التشيع: كالإمام علي نفسه، فسيرته وحركته وفكره أبعد ما يكون عن ذلك كله، وكذلك أولاده من أئمة أهل البيت.

وكلي أمل أن يفتح البحث أبواباً للحوار، والتلاقح في التجديد والتصحيح والإصلاح والوحدة والتقريب، لما هو أكبر في أفق أوسع وأرحب، لأمة أسرها الماضي ومحنه، والتاريخ وتعقيداته، وهي تتصارع في أمور تاريخية لا ثمرة فيها، وقد تعايش أصحابها باجتهادات مختلفة، ورحلوا إلى الرفيق الأعلى. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٤٣١]، وهي حقيقة قرآنية تحاكي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وغيرها، وهي تحاكي المنطق والحكمة.

إن البحث يحاول أن يدخل عمق المسألة ومن المصادر الشيعية الأساسية، وحتى المخطوطة منها للتحقيق والتدقيق، ولكنه لم يغفل أيضاً عن المصادر الأخرى، وحتى المستشرقين المتعددين الذين تناولوا جوانب من تلك الأبحاث. هذا كله برغم أن البعض ينظر نظرة خارجية لذلك، قد يقع في العديد من الأخطاء الفادحة والبعيدة عن الحقيقة تماماً، مثلاً يقول المستشرق بوكري: (عند الشيعة الإثني عشرية فإنهم يزعمون أن الثاني عشر المهدي الغائب هو علي بن محمد السمری، الذي ولد في سامراء عام ٢٥٥ هجري)<sup>(١)</sup>، ويقول علماء معروفون آخرون: (عند الشيعة الإثني عشرية فإنهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم، وهو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة، وتغيّب حين اعتقل مع أمه وغاب هناك)، وفي كليهما ما ترى من أخطاء، حيث كلاهما يتكلمان عن عقيدة الإثني عشرية في المهدي. والحقيقة أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية لا يقولون اسمه علي بن محمد

(١) بوكري، موسوعة الدراسات، المقدمة.

السمري، بل محمد بن الحسن العسكري، وكذلك لم يكن عمره تسع سنوات بل خمس سنوات، إضافة إلى أنه غاب في سامراء، ولبس الحلة إذ لم تكن الحلة موجودة آنذاك، ولم يعتقل مع أمه، وهذا مثال بسيط من عشرات الأمثلة الأخرى، التي كانت تعتمد النقل الخارجي والأخبار غير الموثوقة المرسلة دون مراجعة المصادر الشيعية المعتمدة نفسها. لكن من الجانب الآخر هما متحرران من الكثير من القيود العقيدية المتراكمة عند التشيع، فقد يكونان قادرين على النقد بشكل أكبر وأوسع، لذلك تمت الاستفادة منهما في هذا المجال بوصفه حواراً موضوعياً هادئاً وهادفاً. كما لا يخلو أحياناً الجانب العاطفي والطائفي من دراسة البعض، لمن يدخل في موضوع وهو لا يتحرر من القرارات المسبقة الجاهزة التي يعتمد عليها قبل البحث عن المصادر، والأدلة ليكون الكلام علمياً دقيقاً من مصادره الأصلية ومراجعته الحقيقية، فما أكثر النقل عن السماع، وما أقل التحقيق والتدقيق والموضوعية والحيادية. وقد كتب عن التأثير الفارسي جملة من المستشرقين، مثل فلهاوزن ودوزي وغيرهم، لذلك كان هذا البحث يذكرهم ويستشهد بأرائهم، ولا بد من الهدف النبيل السامي في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتقارب الحقيقي، بعد تنقيح التراث ومعرفة أسباب التكفير والسباب نحو ثقافة السلام والمحبة والتسامح. وما نراه من تحديات في الخلافات والصراعات الشيعية، السنية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ٣٠١].

وقال الرسول: «أيها الناس عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة»<sup>(١)</sup>، وقال «يد الله مع الجماعة»<sup>(٢)</sup>، وقال: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»<sup>(٣)</sup>.

وجاء عن الإمام علي وهو يرفض اختلاف العلماء في الفتيا وتفرق الأمة، قائلاً: (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٢٢١، ٢٢٠ رقم ٢٣١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢١٦٦)، وحسنه، بينها صحيحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/ ٣٩٠ رقم ١٨٤٤٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٦٦٧).

تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يستمع القضية بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلهم واحد ونبّيهم واحد وكتّابهم واحد، فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى. أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه...). ثم أرجع الأمة إلى القرآن والسنة والحكم إليهما في الاختلاف، وهو يوصي قبيل شهادته: (وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً، ومحمداً فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين). وهكذا تجتمع الأمة الإسلامية على هذين المحورين<sup>(١)</sup>.



(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨، ص ٤٧. الخطبة ٢٣، ص ٥١٦.





## الإمام علي بن أبي طالب والتشيع العربي

المقصود بالتشيع العربي هو تشيع الإمام علي بن أبي طالب (٥٥٩، ٦٦١ م) في عقائده وإيمانه وأخلاقه وحركته الفكرية والثقافية. الإمام علي هو الإمام العربي العدناني من هاشم صلب العرب، وهو صهر الرسول العربي وابن عمه أبي طالب الناصر والحامى للنبي. تربى الإمام على يدي النبي نفسه، مذ كان صبيًا تابعًا له، كما قال في نهج البلاغة: (ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القرية والمنزلة الخبيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني في صدره، ويكتفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، ما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا يأمرني بالاعتداء به)<sup>(١)</sup>.

فهو تلميذ النبي، ولا يمكن أن يعلو عليه أو يفصل عليه. وله مناقب جمة خصوصًا في الحروب، مثل بدر وأحد وخيبر والأحزاب، ومبته في فراش النبي عندما قصدت قريش قتله وغيرها. قال جلال الدين السيوطي: (هو أخو رسول الله بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة، والسابق إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكرين، والخطباء المعروفين، ولم يعبد الأوثان قط)<sup>(٢)</sup>.

هو الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين الأربعة، وهو الإمام الأول لمن يعتقد بالإمامة من المذاهب الشيعية المختلفة: كالإمامية الإثني عشرية مع تطور مفهوم

(١) نهج البلاغة، الخطبة الصاعقة ١٩٢، ص ٤٠٦.

(٢) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٥.

وفكرة الإمامة غيرها من المفاهيم والأفكار، التي تطورت وتغيرت مع الظروف والأحوال، مما سيظهر لاحقاً في ثنايا البحث، دون تكفير أو تفسيق للخلفاء الراشدين، أو زوجات النبي: كعائشة وحفصة، فهي عقائد غريبة ودخيلة من الفرس، وكأنها انتقام من الخليفة عمر بن الخطاب وإدخالهم الإسلام.

كان الإمام علي يمثل رمزاً للكثير من الفرق والشخصيات على مر التاريخ، وأن السنة أحبه، ويعدون أنفسهم شيعة علي<sup>(١)</sup>.

ورجوع فقهاء السنة إليه، كذلك المتصوفة يرجعون إليه كرائد لهم<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بن حنبل: (ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي)<sup>(٣)</sup>.

وقال الخليل الفراهيدي: (استغناؤه عن الكل واحتياجهم إليه دليل كونه إماماً لهم)<sup>(٤)</sup>.

وجاء عن الخليفة عمر بن الخطاب قوله: (لولا علي لهلك عمر)<sup>(٥)</sup> (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>(٦)</sup>.

حيث كان الإمام علي وزيراً ومستشاراً له في مختلف القضايا، بل حتى استشارته للخروج للفرس أو الروم قام بإسداء نصيحته الرائعة لعمر، قائلاً: (إنك متى تسر إلى

(١) ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة، ص ٩٢.

(٢) عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام، ص ٤٣.

(٣) أحمد بن حنبل، المسند، باب فضائل علي.

(٤) العقاد، عبقرية الإمام، ص ١٣٨.

(٥) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ١٦٢)، وأحمد بن عبد الكريم الغزي في الجدل الحثيث في بيان ما ليس بحديث (رقم ٤٠٢). وانظر: فتح القدير للمناوي (٤/ ٤٧٠).

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢/ ٦٤٧ رقم ١١٠٠)، ولفظه: عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وانظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ١٦٢)، وغريب الحديث (٢/ ٦٤٩)، وابن الجوزي في غريب الحديث (٢/ ١٠٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٣)، وفتح القدير للمناوي (٤/ ٤٧٠).

وانظر أيضاً: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٤٩.

هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنبك، لا تكن للمسلمين كائفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه. فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين<sup>(١)</sup>.

فالإمام يطلب من الخليفة عدم الخروج للحرب بنفسه حفاظاً عليه، لأنه المرجع الذي يرجعون إليه، والملاذ الذي يلوذون به، ثم بعث ابنه الحسن في قيادة أوائل الحملات تأييداً للخليفة الفاروق. بعد شهادة الخليفة الثاني على يد المجوسي أبي لؤلؤة، وقف الإمام علي عند قبر الخليفة حزيناً راثياً بأعظم رثاء خالد، ذاكراً مناقبه وفضله وعظمته، قائلاً: (فقد قوم الأود، وداوى العمد، وخلف الفتنة، وأقام السنة، وذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي فيها الضال، ولا يستيقن المهتدي)<sup>(٢)</sup>. وهذا القول بعد شهادة الفاروق فهل يعقل قائلها الإمام تقية؟ كما ادعاها البعض.

وقالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وزوج النبي: (علي أعلم الناس بالسنة). وهذا يشير إلى معارفه وعلومه خصوصاً السنة لقربه من الرسول حتى صار مرجعاً علمياً للخلفاء والصحابة، بل والفرق المختلفة، فيقول البعض: (ولعلّ علياً فرّض إمامته العلمية واعترف له بذلك معظم الفرق الإسلامية، فمهما اختلفوا في شخصه بالنسبة للإمامة السياسية، فإنهم قد اتفقوا تقريباً على إمامته في مجال الدين والعلم، فهو الإمام بلا تعقيب ولا تذليل)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن أبي الحديد: إن علياً كان أباً لعلم الكلام، ونسب العقاد فقه أبي حنيفة وفقه مالك إلى سلسلة ترجع إليه، وأرجع أحمد أمين أسس علم النحو إليه، كما قال عامر الشعبي: (تكلم أمير المؤمنين بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن،

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤، ص ٢٥٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨، ص ٤٧٨.

(٣) العقاد، عبقرية الإمام، ص ١٣٨.



ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاة، فقال: (إلهي كفا بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفا بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب)، وأما اللاتي في الحكمة، فقال: (قيمة كل امرئ ما يُحسّنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه)، وأما اللاتي في الأدب فقال: (امنن على من شئت تكن أميره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره) وقال محمد عبده: (فهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه، ولم يدع للفكر مجالاً إلا أجابه)<sup>(١)</sup>.

عالم الاجتماع العراقي علي الوردي يشرح ظروف وأسباب فضائله ومناقبه، وحب الناس له من الناحية الاجتماعية، قائلاً: (إن علياً بدأ سيرته الاجتماعية وهو محاط بهالة من الأحاديث النبوية المشيدة بفضله، وشاء الله أن ينهض علي لمكافحة قريش، ولمقاومة نزعتها الطبقية في الإسلام، فأصبحت ذكراه من جراء ذلك ملجأً روحياً لكل من يشكو من الظلم أو الاستعباد، وهذا أدى بدوره إلى انهماك الناس في حب علي والإشادة بفضله)<sup>(٢)</sup>.

وقال طه حسين: (كان الفرق بين علي ومعاوية عظيماً في السيرة والسياسة، فقد كان علي مؤمناً بالخلافة، ويرى أن من الحق عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس، أما معاوية فإنه لا يجد في ذلك بأساً ولا ناعاً، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، وكان الزاهدون يجدون عند علي ما يحبون)<sup>(٣)</sup>.

ويقول العقاد: (إن اسم علي قد أصبح علماً يلتف عليه كل مغصوب، وصيحة ينادي بها كل طالب حق، حتى قامت باسمه الدول بعد موته، فإنها الدعوة المرادفة لكلمة الإصلاح)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن أبي الحديد، مقدمة نهج البلاغة، محمد عبده، مقدمة نهج البلاغة.

(٢) علي الوردي، وعاظ السلاطين، ص ٢٤٧.

(٣) فيليب حتى، تاريخ طه حسين، علي وبنوه، ص ٥٩.

(٤) العقاد، عبقرية الإمام، ص ١٤٩.

وعرف الإمام علي بزهده وورعه، ومساعدته الفقراء والمحتاجين، وسعيه لتحقيق العدالة الاجتماعية، حتى اشتهر قوله: (إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)، (يا دنيا قد طَلَّقْتَ ثَلَاثًا لا رجعة فيها)، (أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الحياة، أو أكون أسوة لهم في خشونة العيش، ولعلّ في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشعب، أو لا طمع له بالقرص)، (ألا وإن إمامكم قد اكتفي من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرًا، ولا ادخرت من غنائمها وفراً)، (لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولو كانت عليّ خاصّة)، (أنا لكم وزير خير مني أمير). وقد عاتب بشدّة واليه على البصرة عثمان بن حنيف، لأنّه حضر مأدبة للأغنياء دون الفقراء، قائلاً: (وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعو)، كما عاتب الخليفة آنذاك، لأنّه فضّله على يهودي عندما وقفا للقضاء، لأنّ عليّاً أراد القضاء عادلاً نزيهاً<sup>(١)</sup>.

لذلك كان الإمام علي في أقواله وأفعاله وسيرته يمثل التشيع السني الأصيل، فالإمام علي هو أصله ومنبعه، بينما التشيع الفارسي ما أسسه الفرس لاحقاً، خصوصاً الفرس الذين دخلوا الكوفة حاملين تراثاً في تقديس الملك: كإله فوق البشر، لا يخطئ، ولا يستشير، ولا يسأل عما يفعل، ثم مراحل المتلاحقة كمرحلة الدولة البويهية (٩٤٦، ١٠٥٥ م)، وتأليف المراجع الحديثية الأولى، أي الكتب الأربعة ما يعادل الصحاح عند السنة، لتكون مرجعاً لما بعدها، ومن ثم أيضاً الدولة الصفوية منذ استلام الشاه إسماعيل الصفوي الحكم في سنة ١٥٠١ م متأخرة جداً، أي بعد أكثر من ثمان مئة وأربعين سنة بعد وفاة الإمام علي (ت ٤٠ هجرية). ويُعدّ هذا دخيلاً عليه مغايراً له في المبادئ والقيم والأخلاق. ولأن الإمام عليّاً كان عربياً، والدولتين البويهية ثم الصفوية وأمثالهما هي دول الفرس، ويظهر فيها دور الفرس الأساس والمنهجي والكبير في الانحراف والتغيير.

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي.

والملاحظ تاريخياً أنّ حقبة حكم الإمام علي، كانت مليئة بالفتن والحروب، خصوصاً بين المسلمين أنفسهم، والجدل حول شخصيته بين الغلو مثل ابن سبأ وغيره، ومن الجانب المقابل تكفيره ولعنه، حتى قتله من قبل الخوارج، وهم أكثر الناس سجوداً وصلاةً وقياماً، حتى عرفوا بـ(ذوي الجباه السود)، لكثرة سجودهم وعبادتهم. الخوارج خاطبوا الإمام قائلين: (قاتله الله كافراً ما أفقهه). فوثب أصحاب علي ليقتلوه، فرفض الإمام قائلًا: (إنما هو سبّ بسبّ، أو عفو عن ذنب)، هكذا تعامل الإمام مع الخوارج، الذين كانوا من جماعته، بل من ضمن جيشه الذي يقاتل به خصومه، ثم خرجوا عليه حرباً وتكفيراً ولعناً، تقرباً لله تعالى<sup>(١)</sup>.

الإمام علي لم يتعامل إلا بوصفه بشراً بكل معنى الكلمة، وهو يقول بلسان عربي مبين: (أنا واحد منكم، لي ما لكم، وعليّ ما عليكم)، (لست بفوق أن أخطئ)، وكان يستشير قومه ويغيّر رأيه، بل قال بصراحة: إن الوحي قد انتهى بعد وفاة الرسول، (وختم به الوحي). كما تحدث عن منزلته من رسول الله بتشبيهه بلاغى عربي: (أنا عبد من عبيد محمد)، برغم أن العبادة لله وحده، لكنه تشبيه بالمجاز وقوله: (أين عبادتي من عبادة محمد...)، (لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل لأمه). وإذا افتقد الإمام دابته أو جاريته يبحث عنها ولا يعلم، ولم يدع العصمة أبداً، وهو يقول: (فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنني لست بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره)، ولا يعلم الغيب حيث قال مراراً (لا يعلم الغيب إلا الله)<sup>(٢)</sup>.

ولا يؤمن الإمام بتكفير من لا يؤمن به، وهكذا تعامل حتى مع أشد الناس عليه وهم الخوارج، الذين كفّروه وكفّروا من لم يكفّره، وخرجوا عليه، وقاتلوه في معركة النهروان، وصاروا قطاع طريق، يقتلون من لا يكفّره، لكن منطق علي بن أبي طالب عندما يخاطب زعيم الخوارج قائلًا: (من علمكم قتل الناس على آرائهم؟)

(١) خطب الإمام علي حول الخوارج.

(٢) من حوارات الإمام علي مع الخوارج.



يجيبه الخارجي: (أنا لا أؤمن بما تقول، ولا أصلي خلفك). فيجيبه الإمام علي: (لَكَ كل ذلك)، أي هذه حقوقك الطبيعية، ثم يضيف الإمام قائلاً: (ولك أكثر من ذلك). إذن يعلمه الإمام حقوقاً إضافية للخوارج على الإمام، لا يعرفها الخارجي أصلاً. ولكن الحد الفاصل هو قوله: (ولكن بيني وبينك ظلم الناس وقتلهم)، فما دمت لا تعتدي على الآخرين فحقوقك مصونة... كما سيأتي في البحث لاحقاً<sup>(١)</sup>.

ولابد من نافلة القول التأكيد أن لا تنافي بين الإسلام والعروبة، فقد ذكرت في القرآن والسنة، وقد نزل القرآن على العرب وباللغة العربية، جاء في القرآن: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، بل شرح الله لماذا لم يجعله أعجمياً، لأن الأعاجم لن يؤمنوا به، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩].

وافتخر النبي مراراً بأنه عربي قرشي، وأنه يحب العرب لثلاث، لأن الله اختارهم لرسالته (خير أمة)، ولأن القرآن نزل بلغتهم، ولأن العربية هي لغة أهل الجنة، كما افتخر مراراً أهل البيت بذلك، ولا مانع عقلاً أن يمدح المرء قومه وعشيرته ووطنه ولغته، لكن التعصب المحذور هو أن يجعل المرء شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وهي مسألة أخرى خارجة عن البحث والموضوع.

إن التشيع العربي يرى في الخلفاء الراشدين صورة رائعة عن الإخلاص والقيم الإسلامية والتعايش البناء والوحدة الإسلامية بأنصع صورها، وأبهى حقائقها. كان أبو بكر الصديق ليناً متواضعاً، فقد كان صاحب النبي في الغار، كما قال الله تعالى: ﴿ثَانِيكُنِ إِذْ هُما فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكُمَا عَلَى اللَّهِ مُعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

(١) حوار الإمام علي مع زعيم الخوارج قبل النهروان.

وهو أول من أسلم من الرجال، وهو من أشرف قريش، وهو الذي أنفق كل ما يملك عندما طلب النبي النفقة، وقد أعتق سبعة كانوا يعذبون، وعلى رأسهم بلال الحبشي... ثم هو يقود الأمة في أشد الأوقات حساسية بعد وفاة رسوله، وهذا الفراغ الكبير والردة وحروبها، ليجد علياً عوناً ومستشاراً ووزيراً وعوناً في حروب الردة والحكم والقضاء ومختلف القضايا الاجتماعية والسياسية.

لما قبض أبو بكر الصديق وسجي عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض الرسول. فجاء الإمام علي مسرعاً مسترجعاً فقال: (رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله وأنيسه ومستراحه وثقت به وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً وأشدّهم لله يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله، وأحدثهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هدياً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء... فإننا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد، ولا حرمنّا أجرك ولا أضلنا بعدك)، فسكت الناس حتى قضى عليّ كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، وقالوا: (صدقت يا ختن رسول الله). كما قال جعفر الصادق: (ولدني أبو بكر مرتين)، ليجعل الأئمة من بعده كلهم من نسل أبي بكر الصديق، كما سمى الأئمة وعلى رأسهم أوله على أولاده بأبي بكر وعمر وعثمان تمجيذاً واحتراماً وتخليداً<sup>(١)</sup>.

وقد كان الخليفة عمر الفاروق يراقب بشدة كل ولاته ويحاسبهم على الصغيرة والكبيرة، حتى إنه دعا عمرو بن العاص واليه على مصر مع ابنه الذي افتخر على شخص أنه ابن الأكابر. فيطلب الخليفة القصاص من عمرو وولده. كما سافر الفاروق إلى الشام فوجد معاوية بن أبي سفيان في موكب من الحرس والحشم

(١) العقاد، عبقرية الصديق، ٤٥ الطهطاوي، أبو بكر الصديق، ٥٠، وكتب سيرة الصديق.

فغضب قائلاً: (أكسروية يا معاوية؟) فاعتذر معاوية أنه كان في ثغر بوجه العدو، ويحتاج حينها إلى مباحاتهم. وذات مرة وبينما عمر يتفقد في ليلة شاتية باردة، إذ يرى امرأة وحولها أطفالها يتلون جوعاً، وهي تضع قدرًا فيه ماء وتحتة النار، لتوهم أطفالها بالطعام، فتألم وبكى، ثم جاء إلى دار الدقيق، وحمل بنفسه حملاً إليها، رافضاً غيره حملة، وهو يعتذر منها. وروي عنه آخر حياته قوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين)، وما أقرب به لقول علي: (إن الله فرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سألهم عن ذلك). فكلا الخليفين يريد العدالة وإزاحة الفقر. وعندما جاؤا بغنائم فارس إلى عمر وكشف عنها، فرأى فيها الجواهر الكبيرة واللؤلؤ والذهب والفضة وغيرها، عندها أجهد بالبكاء، لورعه وخوفه من الله تعالى، بينما غيره من الملوك كان يفرح ويبتهج ويأمر بالأفراح والطبول<sup>(١)</sup>.

وأما عثمان ذو النورين فقد عرف بالكرم والجود والحياء الشديد، وقد أنفق أمواله في سبيل الله تعالى، وقد جمع القرآن الكريم وهو إنجاز عظيم، وقد مدحه الإمام علي مراراً منها: (إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله، وشيعة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينال)<sup>(٢)</sup>.

وبعث الإمام ولديه الحسنين دفاعاً عنه في أيام الفتنة ومحاصرة بيت الخليفة. وكان عثمان ورعاً مخلصاً، لكن الناس قارنوه بعمر بن الخطاب، وهنا يأتي قول علي لعمر: (أتعبت من يأتي بعدك يا عمر)، وحقاً كان عمر بن الخطاب نسخة فريدة غير قابلة للتقليد، لذلك قام الإمام علي بالوقوف على قبر عمر بعد شهادته على يدي المجوسي الفارسي أبي لؤلؤة لكي يرثيه رثاءً عظيماً خالداً، كما مرّ سابقاً<sup>(٣)</sup>.

(١) بشير، الفاروق، ٦٥ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢ / ١٨٤، وكتب سيرة الفاروق.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٤، ص ٣٠٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨، ص ٤٧٨.



وكان بينهم اجتهادات مختلفة في حدود الفهم والوعي للشريعة، ولكل خصوصيته بوصفه بشراً وعقله وفهمه واجتهاده، مثل سنة عمر في توزيع الأموال، بينما كان أبو بكر يرى المساواة والعدالة بين الناس، رافضاً التمييز المالي بينهم، قائلاً: (أما ما ذكرت من السوابق والقدم والفضل، فإنما ذلك ثوابه على الله عز وجل، وهذا معاش، فالأسوة خير من الأثرة)، لكن عمر رأى رأياً آخر، وشعاره: (لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه)، وكذا رأى عثمان، بينما كان علي يرى رأي أبي بكر في اجتهاده والمساواة في العطاء، والفروق بينهم تكون في الثواب عند الله، وليس العطايا. ولا غضاضة في ذلك، فكلها تتحرك في الاجتهاد ضمن الفهم للشريعة والواقع والمصلحة من باب الحديث النبوي المعروف «اختلاف أصحابي رحمة»<sup>(١)</sup>.

كما كان الفقهاء الأربعة يختلفون مع الصادق وبن أنفسهم من المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، علماً أنهم جميعاً كانوا يحبون النبي وأهل بيته.

أبو حنيفة النعمان كان هواه علوياً ثورياً، وتأيده لثورة زيد واضحاً، فقال الزمخشري: (وكان أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصره زيد بن علي، وحمل الأموال إليه والخروج معه)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: (وكان أبو حنيفة يعظم أهل البيت كثيراً، ويتقرب بالإنفاق على المستترين منهم والظاهرين، حتى قيل: إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم، وكان يحض أصحابه على ذلك)<sup>(٣)</sup>.

وعندما ثار محمد بن عبد الله الحسني على المنصور في المدينة فإن أبا حنيفة قد بايعه، وظل على بيعته حتى بعد وفاته لا اعتقاده بأنه من أهل البيت، الذين هم أولى من المنصور، كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني وغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الألباني في صفة الصلاة (ص ٤٩): واه جداً.

(٢) الزمخشري، الكشف، ١ / ٤٦.

(٣) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ٧٢.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٢٤٧.



ويذكر أن أبا حنيفة قد كتب إلى إبراهيم أخي محمد يشير إليه بقصد الكوفة سرًا، لأن في الكوفة من يستطيع قتل المنصور، لكن المنصور حصل على الكتاب فبعث إلى أبي حنيفة ثم سقاه سُمًّا مميتًا، كما يذكر أبو الفرج الأصفهاني وغيره. ويقول الخطيب البغدادي: إن أبا حنيفة أفتى بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله الحسني لحرب المنصور، مما تسببت هذه الفتوى في سُمِّ المنصور له. فكان أبو حنيفة يدعو جهارًا للثورة على المنصور، حتى قال له زفر بن الهاذل: (ما أنت بمته حتى تضع الحبال في أعناقنا). وعرض عليه منصب القضاء مرتين، فرفضه مرة أيام ابن هبيرة، فأبى وضرب لذلك بالسوط، ومرة أراد المنصور فرفض، وقال: (لو هددتني أن تغرقني في الفرات أو أن ألي الحكم لا اخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون من يكرمهم، فلا أصلح لك)، فحبسه المنصور في السجن. وما أقربه إلى موسى الكاظم الذي عارض هارون الرشيد، فعاش في السجن سنين طوال حتى استشهد، فكلاهما من أنصار المظلومين، ولم يساويا على حساب المبادئ.

وأما مالك بن أنس إمام المدينة المنورة، فقد درس عند الإمام جعفر الصادق، وقد أفتى بمساندة محمد الحسني وثورته ضد المنصور، مما جعل الأخير يضربه بالسياط، كما ذكر ابن حجر.

وأما الشافعي فأشعاره أشهر من أن تذكر في محبة أهل البيت حتى قال:

يا آل بيت رسول الله حبكم      فرض من الله في القرآن أنزله  
كفاكم من عظيم الشأن أنكم      من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وديوانه فيه الكثير كما لا يخفي.

وأما أحمد بن حنبل فقد ذكر في مسنده فضائل جمّة عن علي كما مرّ آنفًا... حيث يظهر أنّ جميعهم يحبون أهل البيت كما يحبون الصحابة، وخصوصًا الخلفاء

الراشدين، وهذا ما يجعل التشيع العربي متحدًا مع التسنن المحمدي في آفاق وحدوية منفتحة، يجمعها المحبة دون بغضاء أو تكفير أو سب أو لعان، كما يظهر في البحث أيضًا<sup>(١)</sup>.



---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٩ ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٧٧، تاريخ الطبري، ٢/ ٦٩٢، محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٣١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٧٤، الصلابي، سيرة عثمان، ابن الجوزي، التبصرة، ١/ ٤٧٧، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣/ ٣٩٨، ابن حجر، الإصابة، ٤/ ١٦٩.

## ظاهرة سلمان الفارسي بداية التشيع الفارسي

أحيط سلمان الفارسي بهالة كبيرة جدًا من القدسية والغلو وعلم الغيب والمعجزات والكرامات والأسرار في التشيع الفارسي بظاهرة عجيبة جدًا غريبة تمامًا، ليكون محور التشيع الفارسي (سلمان الفارسي وقومه، أي الفرس) ومبادئه: كالغلو في الأئمة، والتكفير للخلفاء، وردة الأمة، كما سيأتي لاحقًا. ولم أجد من يدرس ويحلل تلك الظاهرة العجيبة، وينقدها نقدًا علميًا أبدًا.

فقد جاء في الروايات الغريبة المنسوبة للأئمة منها قولهم: (إن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا)، فصار سلمان باب الله ومحور الإيمان، الذي يتحقق بمعرفته، ويحصل الكفر بمجرد إنكاره أو التشكيك به. كما روي منسوبًا للرسول قوله: «ومن جفاه فقد جفاني، ومن آذاه فقد آذاني»<sup>(١)</sup>، فلا يجوز حتى مجرد جفائه، فإنه جفاء للنبي نفسه. وقول النبي «سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، يمنح الحكمة، ويأتي البرهان»<sup>(٢)</sup>، «سلمان منا أهل البيت»<sup>(٣)</sup>، وأن الله أمر رسوله بحب سلمان، ونزول آيات في حق سلمان، وأن جبرائيل إذا نزل إلى النبي أمره بأن يبلغ سلمان سلامًا خاصًا من الله تعالى، وأن يطلعه دومًا على علم المنايا وعلم البلايا وغيرهما. وفي روايات كثيرة أن الملائكة تحدث سلمان، فقد روي: «يبعث الله

---

(١) حسين نوري الطبرسي، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان.

(٢) حسين نوري الطبرسي، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢١٢ رقم ٦٠٤٠)، والحاكم في المستدرک (٣/ ٥٩٨ رقم ٦٥٤١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٣٢٩)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٨/ ١٧٦ رقم ٣٧٠٤): ضعيف جدًا.

إليه ملكاً ينقر في أذنه، يقول: كيت وكيت»<sup>(١)</sup>، (عن الحسن عن منصور قال: قلت للصادق: أكان سلمان محدثاً؟ قال: نعم. قلت: من يحدثه؟ قال: ملك كريم. قلت: إذا كان سلمان كذا فصحابة أي شيء هو؟ قال: أقبل على شأنك)، وفي الروايات أيضاً معرفته علوم الأولين والآخرين والأنبياء جميعاً، مثل الأحاديث المنسوبة للنبي نفسه «سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر»<sup>(٢)</sup>، «فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطلع على علم البلايا والمنايا والأنساب، وفصل الخطاب..»<sup>(٣)</sup>، «أصبحت يا سلمان عتبة علمنا، ومعدن سرنا، ومجمع أمرنا ونهينا، وفيك نبأ علم التأويل والتنزيل، وباطن السر، وسر السر، فبوركت أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وحيًا وميتًا»<sup>(٤)</sup>، وقد أدرك العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزف، وقد أخبر سلمان عن الغيب والمستقبل حتى مصارع الشهداء في كربلاء، وعن أمر الخوارج...

وعن الصادق: (كان الرسول وأمير المؤمنين يحدثان سلمان بما لا يحتمله غيره، من مخزون علم الله، ومكنونه). واعتبره الصادق خيرًا من لقمان الحكيم، واعتبره الباقر من المتوسمين، فهو يعلم الغيب، وقد أكل وهو في الدنيا من تحف الجنة، وكانت الجنة تشتاق إليه<sup>(٥)</sup>.

ويأتيه الأمر الوحي: (يا سلمان، إئت منزل فاطمة بنت محمد، فإنها إليك مشتاقة، تريد أن تتحفك بتحفة قد أتحفت بها من الجنة..)، وعلمته فاطمة بعض

(١) حسين نوري الطبرسي، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان.

(٢) أخرجه موقوفًا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن الأعرابي في معجمه (رقم ٣٩١)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٣٨، ٢٤٠) رقم ١٤٩٢٥ إلى الطبراني والبخاري، ثم قال: وفي إسنادهما من لم أعرفهم.

(٣) حسين نوري الطبرسي، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان.

(٤) حسين نوري الطبرسي، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان.

(٥) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان». أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ١٦٥ رقم ٢٧٨٠)، والحاكم (٣/ ١٣٧ رقم ٤٦٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والترمذي (٥/ ٦٦٧ رقم ٣٧٩٧)، وحسنه، وكذا حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٤٧٨).



الأدعية الخاصة الغريبة جداً، مخصوصة له لعلمه بالغيب، وتحمله فهمها وتطبيقها، دون أحد آخر إطلاقاً..

وقصة إسلامه أغرب من الخيال في تحولاتها واتصالها بالغيب، وتحوله إلى الأديان، مروراً بالعبودية، وهو الوحيد الذي حافظ على إيمانه بعد النبي، دون تردد وشك، لإيمانه بعلي بن أبي طالب، وقصصه مع فاطمة الزهراء، وزعامة خلافه للخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان، لصالح علي، وهو الوحيد الذي رأى سوق القوم لعلي بالقوة والحب، ليباع الخليفة الأول، ولم يتأثر قائلاً: (لو شاء علي أن يطبق السموات على الأرض لفعل)، وكيف أنه وصل من الأسرار ما لم يصله غير الأئمة، وعند موته في العراق، فقد جاءه علي، وقد طويت له الأرض من المدينة ليغسله ويكفنه ويصلي عليه، بقصة غريبة عجيبة، وحياته تتجاوز ٣٥٠ عاماً مليئة بالمعجزات والكرامات والخوارق والغيب<sup>(١)</sup>.

فعن إسلامه سئل الإمام موسى الكاظم، فقال: (نعم حدثني أبي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وأباذر وجماعة من قریش كانوا مجتمعين عند قبر النبي، فسأل علي سلمان: (يا أبا عبد الله ألا تخبرنا بمبدأ أمرك؟) فقال سلمان: (والله يا أمير المؤمنين لو أن غيرك سألني ما أخبرته، أنا كنت رجلاً من شيراز من أبناء الدهاقين، وكنت عزيزاً على والدي، فبينما أنا سائر مع أبي في عيد لهم إذ أنا بصومعة، وإذ فيها رجل ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله.. فلم يهتني طعام ولا شراب، فقالت لي أمي: يا بني ما لك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس؟ فكابرتها حتى سكتت، فلما انصرفت إلى منزلي، إذ أنا بكتاب معلق في السقف، فقلت لأمي: ما هذا (الكتاب)؟ فقالت: يا روزبه إن هذا الكتاب لما رجعنا من عيدنا رأيناه معلقاً، فلا تقرب ذلك المكان، فإنك إن قربته قتلك أبوك،

(١) الكليني، الكافي، ٤/ ٢٧٦/ المجلسي، البحار، ٢٢/ ٣٤٨، سليم بن قيس الهلالي، ص ١٤٣، القمي، إكمال الدين، ١/ ١٦١، جعفر التستري، المقابس، ص ١٤/ النيسابوري، روضة الواعظين، ٢/ ٢٧٥، الطبرسي، مجمع البيان، ٨/ ٣٢٨، كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان، عباس القمي، سفينة البحار، ١/ ٦٤٧، رجال الكشي، ص ١٥.



قال: فجاهدتها حتى جن الليل ونام أبي وأمي، فقممت وأخذت الكتاب، فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من الله إلى آدم أنه خالق من صلبه نبياً يقال له: محمد، يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن عبادة الأوثان، يا روزبه أنت وصي عيسى، فأمن واترك المجوسية)، قال: فصعقت صعقة وزادني شدة، قال: فعلم أبي وأمي بذلك، فأخذوني وجعلوني في بئر عميقة، وقالوا لي: إن رجعت وإلا قتلناك، فقلت لهم: افعلوا بي ما شئتم، وما كنت أعرف العربية قبل قراءة ذلك الكتاب، وقال: فبقيت في البئر فجعلوا يدلون إليّ أقراصاً صغاراً. (قال فلما طال أمري رفعت يدي إلى السماء وقلت: يا رب إنك أحببت محمداً ووصيه علياً، إلهي فبحق وسيلته عجل فرجي، وأرحني مما أنا فيه، فأتاني آت، عليه ثياب بيض، فقال لي: قم يا روزبه، فأخذ بيدي، وأتى بي إلى الصومعة، وأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف علي الديراني فقال لي: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فأصعدني إليه وخدمته حولين كاملين، فلما حضرته الوفاة قال لي: إني ميت، فقلت له: فعلى من تخلفني؟ فقال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه إلا راهباً بأنطاكية، فإذا لقيته فاقرئه مني السلام وادفع إليه هذا اللوح، وناولني لوحاً، فلما مات غسلته وكفنته ودفنته وأخذت اللوح وسرت به إلى أنطاكية، وأتيت الصومعة، وأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف علي الديراني فقال لي: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إليه وخدمته حولين كاملين، فلما حضرته الوفاة قال لي: إني ميت، فقلت: على من تخلفني؟ فقال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه إلا راهباً بالإسكندرية، فإذا أتيته فاقرئه مني السلام وادفع إليه هذا اللوح، فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته وأخذت اللوح وأتيت الصومعة، وأنشأت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روح الله، وأن محمداً حبيب الله، فأشرف علي الديراني فقال لي: أنت روزبه؟ فقلت: نعم، فقال: اصعد، فصعدت إليه وخدمته حولين كاملين، فلما حضرته الوفاة قال لي: إني ميت، فقلت: على من تخلفني؟ فقال: لا أعرف أحداً يقول بمقالتي هذه في الدنيا، وإن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد حانت ولادته، فإن أتيته فاقرئه مني

السلام وادفع إليه هذا اللوح، قال: فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته، وأخذت اللوح وخرجت، فصحبت قومًا فقلت لهم: يا قوم اكفوني الطعام والشراب، وأكفيكم الخدمة. قالوا: نعم، قال: فلما أرادوا أن يأكلوا شدوا على شاة فقتلوها بالضرب، ثم جعلوا بعضها كبابًا وبعضها شواء، فامتنعت من الأكل، فقالوا: كل، فقلت: إني غلام ديراني وإن الديرانين لا يأكلون اللحم، فضربوني وكادوا يقتلونني، فقال بعضهم: امسكوا عنه حتى يأتيكم شرابكم، فإنه لا يشرب. فلما أتوا بالشراب، قالوا: اشرب، فقلت: إني غلام ديراني وإن الديرانين لا يشربون الخمر، فشدوا عليّ وأرادوا قتلي، فقلت لهم: يا قوم لا تضربوني ولا تقتلوني، فإني أقر لكم بالعبودية، فأقررت لواحد منهم فأخرجني وباعني بثلاث مئة درهم من رجل، قال: فسألني عن قصتي، فأخبرته وقلت له: ليس لي ذنب إلا أنني أحب محمدًا ووصيه عليًا، فقال: وإني لأبغضك وأبغض محمدًا، ثم أخرجني إلى خارج داره، وإذا رمل كثير على بابه، فقال: والله يا روزبه لئن أصبحت ولم تنقل هذا الرمل كله من هذا الموضع لأقتلنك، قال: فجعلت أحمل طول هذا الليل، فلما أجهدت في التعب رفعت يدي إلى السماء وقلت: يا رب إنك حبيت محمدًا ووصيه إليّ، فبحق وسيلته عجل فرجي، وأرحني مما أنا فيه، فبعث الله عز وجل ريحًا، فنقلت ذلك الرمل من مكانه إلى المكان الذي قاله، فلما أصبح نظر إلى الرمل، وقد نقله كله، فقال: يا روزبه أنت ساحر، وأنا لا أعلم (ساحرًا أسحر منك)، فلأخرجنك من هذه القرية لئلا تهلكها، قال: فأخرجني وباعني من امرأة سليمية، فأحبتني حبًّا كثيرًا، وكان لها حائط، فقالت: هذا الحائط لك، كل منه ما شئت وهب وتصدق. قال: فبقيت في ذلك الحائط ما شاء الله، فبينما أنا ذات يوم في ذلك الحائط، وإذا أنا بسبعة رهط قد أقبلوا، تظلمهم غمامة، فقلت في نفسي: ما هؤلاء (كلهم) أنبياء، ولكن فيهم نبي، قال: فأقبلوا حتى دخلوا الحائط والغمامة تسير معهم، فلما دخلوا إذا فيهم رسول الله وأمير المؤمنين وأبو ذر والمقداد وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة، فدخلوا الحائط، فجعلوا يتناولون من حشف النخل، ورسول الله يقول: كلوا الحشف، ولا تفسدوا على القوم شيئًا، فدخلت على مولاتي، فقلت لها: يا مولاتي هبي لي طبقًا من رطب، فقالت: لك

سنة أطباق، قال: فجئت وحملت طبقاً من رطب، فقلت في نفسي: إن كان فيهم نبي فإنه لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية، فوضعت بين يديه، فقلت: هذه صدقة، فقال رسول الله: كلوا، وأمسك رسول الله وأمير المؤمنين وعقيل بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب، وقال لزيد: مديك وكل، فقلت في نفسي: هذه علامة، فدخلت على مولاتي وقلت لها: هبي لي طبقاً آخر، فقالت: لك ستة أطباق، قال: فجئت فحملت طبقاً (آخر) من رطب فوضعت بين يديه، وقلت: هذه هدية، فمديده، وقال: بسم الله كلوا، فمد القوم جميعاً أيديهم فأكلوا، فقلت في نفسي: هذه أيضاً علامة، (قال) فيبينما أنا أدور خلفه، إذ قد حانت من النبي التفاتة، فقال: يا روزبه تطلب خاتم النبوة؟ فقلت: نعم، فكشف عن كتفيه، فإذا أنا بخاتم النبوة معجون بين كتفيه، عليه شعرات، قال: فسقطت على قدم رسول الله أقبلها، فقال (لي): يا روزبه أدخل على هذه المرأة، وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: تبيعينا هذا الغلام؟ فدخلت (عليها) وقلت لها: يا مولاتي إن محمد بن عبد الله يقول لك: تبيعينا هذا الغلام؟ فقالت: قل له: لا أبيعك إلا بأربع مئة نخلة: مئتي نخلة منها صفراء، ومئتي نخلة منها حمراء، قال: فجئت إلى النبي فأخبرته، فقال: ما أهون ما سألت، ثم قال: قم يا علي واجمع هذا النوى كله فجمعه فأخذه فغرسه، ثم قال: اسقه، فسقاه أمير المؤمنين، فما بلغ آخره حتى خرج النخل ولحق بعضه بعضاً، فقال لي أدخل إليها، وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: خذي شيئك وادفعي إلينا شيئاً، قال: فدخلت عليها وقلت ذلك لها، فخرجت ونظرت إلى النخل فقالت: والله لا أبيعك إلا بأربع مئة نخلة كلها صفراء، قال: فهبط جبرائيل ومسح جناحه على النخل فصار كله أصفر، قال: ثم قال لي: قل لها: إن محمداً يقول لك: خذي شيئك وادفعي إلينا شيئاً، فقلت لها ذلك فقالت: والله لنخلة من هذه أحب إليّ من محمد ومنك، فقلت لها: والله ليوم واحد مع محمد أحب إليّ منك ومن كل شيء أنت فيه، فأعتقني رسول الله، وسماني سلمان، ولقبني بالمحمدي، وألحقني بيته: «سلمان منا أهل البيت»<sup>(١)</sup>.

(١) الحديث تقدم تخريجه، وانظر: الكليني، الكافي، ٢١٦/١، الصفار، بصائر الدرجات، ص ٧، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص ٢١٧، المجلسي، البحار، ٣٥٠/٢٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٩/٢، عباس القمي، سفينة البحار، ٦٤٨/١، روضة الكافي، ٢٤٥/٨، رجال الكشي، ٧٠.



واضح في هذه القصة العجيبة من الغيب، والإيمان بوصاية علي بن أبي طالب، وكرامات سلمان الفارسي، ورفع منزلته وشأنه العظيم، وسمو مقامه بما يسمو كثيرًا عما يتعارف.

وقد آخى النبي بين سلمان وأبي ذر، وذكروا روايات وأحاديث فيها شرط النبي على أبي ذر: أن لا يسأل سلمان أي شيء إطلاقًا خصوصًا غيبياته، وأن لا يحق لأبي ذر في الاعتراض على سلمان لعلو منزلة سلمان، حيث وصل أعلى درجات الإيمان، وهي الدرجة العاشرة التي لم يصل إليها إلا الخواص من أعلى الرسل فقط. وأحاديث كثيرة وبدرجة عالية من البغضاء ضد الصحابة وتكفيرهم وردة الأمة منها، (كان الصحابة والناس أهل ردة، إلا ثلاثة: المقداد وأبو ذر وسلمان. وكل أصابه الشك سوى سلمان)، أي سلمان الوحيد الذي لم يرده الشك، واعتبر سلمان مصدرًا لروايات الغلو جدًا والتكفير العالية، ضد الخلفاء وزوجات النبي والأمة، حتى اعتبر مصدرًا للتصدي لما سموه ظلم آل البيت. فقد نقلوا روايات ينقلها سلمان حصراً: أن أول من بايع أبا بكر هو إبليس، ثم جمع أبالسته انتقامًا من الدين من خلال أبي بكر وعمر. وقال سلمان: إن عمر بن الخطاب قد أجبر عليًا على البيعة، وهدّده بالقتل، وهاجم بيت فاطمة، وعلي في الدار موجود لا يحرك ساكنًا، وأسقط محسنًا ابنه، وأمر عمر قنفذًا بضرب فاطمة بالسوط، ثم أحرق الدار على علي وفاطمة وبني هاشم في البيت... فيما هو أقرب إلى قصص الخرافات. فعن سلمان الفارسي قام عمر، وقال لأبي بكر: (ما يجلسك فوق المنبر، وهذا، علي، جالس محارب لا يقوم فيبايعك؟ أفتأمر به فنضرب عنقه)، وبايع علي والحبل في عنقه، وينادي: يا **أَبْنُ أُمِّ** **إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي** [الأعراف: ١٥٠]، وأما سلمان فقد بايع أبا بكر ولكن بعد بيعة علي لأبي بكر، وهو، سلمان، يقول لأبي بكر: (تبًا لكم سائر الدهر، وإن عليكم جميع ذنوب الأمة إلى يوم القيامة، ومثل عذابهم جميعًا، وأشهد أني قرأت في بعض الكتب المنزلة: أنك باسمك ونسبك وصدقتك باب من أبواب جهنم)...

ونقلوا أيضًا روايات أنه لم يدخل أحد الإسلام بعقله سوى سلمان، الذي خرج من بلاده بحثًا عن الحقيقة، وبقيَ على ثباته حتى وفاته، دون أدنى شك أو ريبة<sup>(١)</sup>.

وحين توفي سلمان تولى غسله وتجهيزه، والصلاة عليه ودفنه، علي بنفسه، وقد جاء بالمعجزة والغيب، كما يزعمون، من المدينة إلى المدائن من أجل ذلك، حيث طويت له الأرض بلحظات. وهذه القضية لم تنقل شبيهة لها لأي من الأصحاب إطلاقًا لخصوصية المتميز سلمان الرفيعة جدًا، وارتفاع قدره الغيبي.

وقد نظم أبو الفضل التميمي هذه الحادثة؛ فقال:

سمعت مني يسيرًا من عجائبه	وكل أمر عليٍّ لم يزل عجباً
أدرت في ليلة سار الوصي إلى	أرض المدائن لما أن لها طلباً
فألحد الطهر سلماناً، وعاد إلى	عراص يثرب والإصباح ما قرباً
كأصف لم تقل أنت بلى	أنا بحيدر غال أورد الكذباً

عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير المدائن في زمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وذلك أنه قد ولاه المدائن عمر بن الخطاب، فقام إلى أن ولي الأمر علي بن أبي طالب، قال الأصبغ: فأتيته يوماً زائرًا، وقد مرض مرضه الذي مات فيه، قال: فلم أزل أعوده في مرضه حتى اشتد به وأيقن بالموت. قال فالتفت إليّ، وقال: يا أصبغ عهدي بالرسول وقد أردفني يوماً وراءه، فالتفت إليّ وقال: لي يا سلمان سيكلمك ميت إذا دنت وفاتك، وقد انتهيت أن أدري وفاتي دنت أم لا. فقال: الأصبغ ماذا تأمرني به يا سلمان؟ قال له: يا أخي تخرج وتأتيني بسرير وتفرش عليه ما يفرش للموتى، ثم تحملني بين أربعة، فتأتون بي إلى المقبرة. فقال الأصبغ: حبًا وكرامة. قال فخرجت مسرعًا، وغبت ساعة وأتيته بسرير، وفرشت عليه ما يفرش للموتى، ثم أتيته بقوم حملوه، حتى أتوا به إلى المقبرة، فلما وضعوه فيها قال لهم: يا قوم استقبلوا بوجهي القبلة. فلما استقبل القبلة بوجهه،

(١) كتاب نفس الرحمن في فضائل سلمان، وكذلك المصادر السابقة.



نادى بعلو صوته: السلام عليكم يا أهل عرصة البلاد، السلام عليكم يا محتجين من الدنيا. قال: فلم يجبه أحد. فنادى ثانية: السلام عليكم يا من جعلت المنايا لهم غذاء، السلام عليكم يا من جعلت الأرض عليهم غطاء، السلام عليكم يا من لقوا أعمالهم في دار الدنيا، السلام عليكم يا منتظرين النفخة الأولى، سألتكم بالله العظيم والنبي الكريم ووصيه علي، إلا أجابني منكم مجيب. فأنا سلمان الفارسي. قيل لي: يا سلمان إذا دنت وفاتك سيكلمك ميت، وقد اشتفيت أن أدري دنت وفاتي أم لا؟ فلما سكت سلمان من كلامه، فإذا هو بميت قد نطق من قبره، وهو يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البناء والفناء، المشتغلون بعرصة الدنيا، ها نحن لكلامك مستمعون، ولجوابك مسرعون. فسل عما بدا لك، يرحمك الله تعالى. قال سلمان: أيها الناطق.

حتى قضية وفاته جعلت فيها المعجزات بحديث الموتى معه، ثم مجيء علي من المدينة إلى المدائن بطرفة عين، لتغسيله وتكفينه والصلاة عليه، وهي جزء من غلو التشيع الفارسي، وتقديس الفرس، ودورهم في تأسيس هذا التشيع المليء بالغلو والغيبيات والخرافات.

وُنُقِلَتْ قصص كثيرة بين فاطمة الزهراء وبين سلمان، حيث كان يدخل بيتها دون وجود أحد أو محرم كما يسمى في الفقه، ويأتيه الوحي بالذهاب لها ويراهما في البيت، وماذا تعمل، ويصفه كواحد منهم، واختصاصه بها واختصاصها به في قصص وروايات كثيرة. وحين زفاف فاطمة، ركبت فاطمة بغلة النبي الشهباء، واختص النبي سلمان أن يقودها، والنبي نفسه يسوقها. وكذلك قصة درع فاطمة مع شمعون اليهودي وحواراته في مظلوميته ضد الخلفاء وضد أمهات المؤمنين عائشة وحفصة.

ونقلت عن سلمان معجزات وكرامات، وكتب منها كتاب حديث الجاثليق وغيره من مختصاته. برغم أن التحقيق يثبت أن كل ذلك من صنع الفرس لرجالهم وطريقتهم في الغلو والتعظيم لأفرادهم، بينما كان سلمان حقيقة صحابياً جليلاً لا

يعلم الغيب، وليس له من المعجزات شيء، وحتى عمره عادي جداً لم يتجاوز المتعارف والمبالغة بقصصه، بما هو بعيد كل البعد عن الحقيقة، وهي روايات غريبة شاذة، ولم تنقل لعل مع رجل آخر غير سلمان أصلاً، بل لم تحصل لرسول الله أن طويت له الأرض لتطوى له الأرض، فيصل على صحابي مات في الآفاق، أو غير ذلك من الخرافات والأساطير، لأنها ببساطة أساطير وخرافات أنشأها التشيع الفارسي، وبطلها الأول (سلمان الفارسي) في الغلو والتقدس وتأسيس التشيع الفارسي، إضافة إلى كونها تنافي القرآن وروحه ومبادئه كلياً.

ثم صنعت روايات كاذبة في الفرس باعتبارهم قوم سلمان الذي أعطي ما لم يعطه أحد من الصحابة: غلواً وتقديساً وعلماً بالغيب. مثل روايات «لو كان العلم في الثريا لتناوله قوم من فارس أو قوم سلمان»<sup>(١)</sup>، وفي مديح كبير عن الغيب والمستقبل وظهور المهدي المنتظر وناصره، فقد روي منسوباً عن النبي: «هذا وقومه»، ووضع يده على سلمان. بل حتى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، وضع النبي يده على سلمان، وقال: «هذا وقومه»<sup>(٢)</sup>... حيث ثبت الوضع فيها، وأن الواضعين لهذه الروايات هم من الفرس الغلاة، كما هو التحقيق في علم الرجال وسند الروايات<sup>(٣)</sup>.

ويكفي التأمل في كتاب (نفس الرحمن في فضائل سلمان)، حيث يقول الطبرسي: إن سلمان الفارسي من أوصياء عيسى، قال الطبرسي: (كان اسم سلمان روزبه بن خشبوزان، وما سجد قط لمطلع الشمس، وإنما كان يسجد لله عز وجل،

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (رقم ٢٥٤٦)، ولفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجع، حتى سألت ثلاثاً، وفيها سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لئاله رجال أو رجل من هؤلاء».

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٢٦٠)، وصححه ابن حبان في صحيحه (١٦ / ٦٢ رقم ٧١٢٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ١٣ رقم ١٠١٧).

(٣) المصادر السابقة.

وكانت القبلة التي أمر بالصلاة إليها شرقية، وكان أبواه يظنان أنه إنما يسجد لـ (مطلع) الشمس كهيئتهم، وكان سلمان وصي وصي عيسى، في أداء ما حمل إلى من انتهت إليه الوصية من المعصومين، وهو أبي، وقد ذكر قوم أن أبي هو أبو طالب، وإنما اشتبه الأمر به، لأن أمير المؤمنين سئل عن آخر أوصياء عيسى؟ فقال: أبي، فصحفه الناس وقالوا: أبي) وادعاء الطبرسي أن سلمان الفارسي قابل عيسى ابن مريم مع الفاصل الزمني الكبير بينهما، فيقول الفقيه الطبرسي: (تبعه سلمان، فقال له: ما تريد؟ قال: أنا رجل كنت أخدم العلماء من أبناء حوارى عيسى. فقالوا لي: إنه يظهر نبي يثرب في هذه السنة المقبلة، فخرجت في طلبه، فأردت أن أسألك، أصدقوني؟ قال: نعم صدقوك، منزله اليوم مكة وستلقاه، فإذا لقيته فأقرأه السلام عني كثيرًا، قال: فلما أسلم سلمان ولقي رسول الله فحدثه حديثه، قال له النبي: «ذاك أخي عيسى». وادعائه أن سلمان باب الله في الأرض، ومنكره كافر، فينقل الطبرسي عن أمير المؤمنين أنه قال لأبي ذر: (إن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا ومن أنكره كان كافرًا، وإن سلمان منا أهل البيت) وينقل الطبرسي عن زرارة قال: (سمعت أبا عبد الله يقول: أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت، بلغ من علمه أنه مرّ برجل في رهط، فقال له: يا عبد الله تب إلى الله عز وجل من الذي عملت به في بطن بيتك البارحة، قال: ثم مضى، فقال له القوم: لقد رماك سلمان بأمر فما دفعته عن نفسك؟ قال: إنه أخبرني بأمر ما اطلع عليه إلا الله وأنا، وأخبر آخر بمثله وزاد في آخره: إن الرجل كان أبا بكر) وادعى كذلك أن سلمان الفارسي يعلم الاسم الأعظم، عن أبي بصير، قال: (سمعت أبا عبد الله يقول: سلمان علم الاسم الأعظم وعن المفيد في الاختصاص، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عن ابن أبي الخطاب، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال: (سمعتة يقول: إن سلمان علم الاسم الأعظم)، ظهر لك إن مقام المحدثية مقام عظيم)<sup>(١)</sup>.

وقد وردت زيارات كثيرة لسلمان مروية عن فقهاء الشيعة كالطوسي في التهذيب وابن طاوس في مصباح الزائر، وعباس القمي في كتابه (مفاتيح الجنان)

(١) القمي، المقالات والفرق، ٥٨، ٦٣، الطوسي، الغيبة، ٢٥٦.



وغيرها من كتب الزيارات والأدعية الكثيرة وقد جاء فيها السلام عليك يا من خالف حزب الشيطان، السلام عليك يا من نابذ عبدة الأوثان، السلام عليك يا من تبع الوصي زوج سيدة النسوان، السلام عليك يا من جاهد في الله مرتين مع النبي والوصي أبي السبطين.

السلام عليك يا من صدق فكذبه أقوام، السلام عليك يا من قال له سيد الخلق من الإنس والجان: أنت منا أهل البيت، لا يدانك إنسان، السلام عليك يا من تولى أمره عند وفاته أبو الحسنين، السلام عليك يا من جوزيت عنه بكل إحسان، السلام عليك فقد دنت بخير الأديان.

أتيتك يا أبا عبدالله زائراً قاضياً فيك حق الإمام، وشاكراً لبلائك في الإسلام، فأسأل الله الذي خصك بصدق الدين ومتابعة الخيرين الفاضلين، أن يحيني حياتك، وأن يميّتي مماتك، ويحشرنني في محشرك، على إنكار ما أنكرت، ومناظرة من نابذت، والرد على من خالفت، ألا لعنة الله على الظالمين من الأولين والآخرين، فكن يا أبا عبدالله شاهداً لي بهذه الزيارة عند إمامي وإمامك.

وفي زيارة أخرى إذا وقفت على القبر فاستقبل القبلة، وقل: السلام على رسول الله محمد بن عبدالله خاتم النبيين، السلام على أمير المؤمنين سيد الوصيين، السلام على الأئمة الراشدين، السلام على الملائكة المقربين.

ثم ضع يدك اليسرى عليه، وقل: السلام عليك يا صاحب رسول الله الأمين، السلام عليك يا ولي أمير المؤمنين، السلام عليك يا مودع أسرار السادات الميامين، السلام عليك يا بقية الله من البررة الماضين، السلام عليك يا أبا عبدالله ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنك أطعت الله كما أمرك، واتبعت الرسول كما ندبك، وتوليت خليفته كما ألزمتك، ودعوت إلى الائتام بذريته كما وقفك، وعلمت الحق يقيناً فاعتقدته كما ألهمك.

أشهد أنك باب وصي المصطفى، وطريق حجة الله المرتضى، وأمين الله فيما استودعت من علوم الأصفياء، أشهد أنك من أهل بيت النبي والنجباء المختارين لنصر الوصي.

أشهد أنك صاحب العاشرة والبراهين والدلائل القاهرة... لعن الله من جحد حقك، وخط من قدرك، لعن الله من آذاك في مواليك، ولعن الله من أعتك في أهل بيت نبيك، لعن الله من لامك في ساداتك، لعن الله عدو آل محمد من الجن والإنس من الأولين والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الأليم.

فإذا أردت الانصراف فودعه، وقل: السلام عليك يا صاحب رسول الله، وصفي أمير المؤمنين، ووليه الناصح الأمين، كنت لله ناصراً، وعلى دينه محافظاً، عن النبي وللوصي محامياً، فجزاك الله عن دينه وعن أوليائه خير الجزاء، أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام، آمنا بالله وبرسوله واتبعنا الرسول فاكتمنا مع الشاهدين. ثم قبله وانصرف<sup>(١)</sup>.

وهي أول ظاهرة في التقديس والغلو والغيب، وتحويل الدين إلى مجموعة من الخرافات الفارسية.. في التشيع الفارسي، وذلك عندما دخل العرب بإسلامهم وخليفتهم الخطاب لإرغام الفرس وقلاعهم، للتنازل عن كبرياء حضارتها وخطرة كسراها، ومن هنا جعلت منزلة سلمان انتقاماً من العرب، وابن الخطاب... وقد نقل تراث كبير في أقوال سلمان ضد الخلفاء وتكفيرهم وردتهم، فعن سلمان عن علي: (إن الناس كلهم قد ارتدوا إلا أربعة)، وأول الأربعة الذين لم يرتدوا عن الدين، هو سلمان. بل هو الوحيد من هؤلاء الأربعة الذي لم يصبه شك ولا ريبة في الإمام علي، كما روى سلمان نفسه هكذا. كما رويت علاقة سلمان بفاطمة الزهراء ووقوفه إلى جانب علي والزهراء ضد الخليفة عمر بن الخطاب، وما سموه اغتصاب الخلافة، وكأنه تعويض عن الخلافة الفارسية الكسروية المسلوبة<sup>(٢)</sup>.

(١) القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٦٤، ابن طاوس، مفتاح الزائر، ص، المجلسي، البحار، ١٠٢ / ٢٩١، ومختلف كتب الأدعية والزيارات.

(٢) المجلسي، البحار، ٣١٢ / ٨، الطبرسي، الاحتجاج، ٤٣ / ٢، الكليني، الكافي، ٤٥٠ / ١.



لا شك في دور الفرس في العديد من الفرق، بل دور سلمان الفارسي خاصة والغلو فيه وحوله، حتى ربط الكثير بين أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير وفرقهم جميعاً، وإيمانهم بسلمان الفارسي كالباب إلى الرسول، وظهوره مع محمد حتى قال سعد القمي: (وإن كل من كان من الأوائل مثل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير، هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الاسم، وأن المعنى واحد وهو سلمان الفارسي، وهو باب الرسول الذي يظهر مع محمد في كل صورة ظهر، وهو رسول محمد، ومتصل به، ومحمد هو الرب)، ويضيف القمي شارحاً أسباب ذلك وعلاقتهم بالمجوسية: (إنهم أظهروا دعوة التشيع واستبطنوا المجوسية، فزعموا أن سلمان هو الرب، وأنّ محمداً هو الداعي له، وأن سلمان لم يزل يظهر نفسه لكل أهل دين، وذهبوا في جميع الأشياء مذهب المجوس)، كما يؤكد ذلك أيضاً الطوسي شيخهم في سلمان ودوره وأهميته والغلو فيه. كذلك كان الغلو الواضح في سلمان عند الفرق الشيعية العلوية والنصيرية والإسماعيلية وعلى الإلهية والإمامية الإثنا عشرية (من التشيع الفارسي)، وغيرهم إلى يومنا هذا<sup>(١)</sup>.



(١) القمي، المقالات، ص ٥٨، الطوسي، الغيبة، ص ٢٥٦.

## ظاهرة عبدالله بن سبأ، والغلو في الإمام علي

في عصر الأئمة برز الغلاة الذين غالوا في الأئمة إلى درجة الألوهية..

في عهد أولهم الإمام علي بن أبي طالب، ظهرت شخصية مهمة جداً وأثارت جدلاً كبيراً في التاريخ وبين المؤرخين والمحققين، وهو عبدالله بن سبأ الذي غالى في الإمام علي إلى درجة فوق البشر، وأعطاه المنزلة الإلهية، وكل صفات الإله وتجلياته، وهو يقول لعلي: (وأنت أنت)، يعني أنه الله تعالى، ثم قال بتكفير من يختلف معه مهما كان، ومنهم الخلفاء الراشدون الثلاث: أبو بكر وعمر وعثمان بقوله وادعائه زوراً<sup>(١)</sup>.

وفي الوقت الذي ينفي بعض المتأخرين من الشيعة الفرس خصوصاً مرتضى العسكري، الذي ألف كتاباً خاصاً (عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى)، ومن تبعه في نكران أصل وجود ابن سبأ، مدّعياً جزافاً عدم وجوده أصلاً في المصادر الشيعية القديمة، وادعاء عدم وجود فقيه شيعي واحد يؤمن به، بل مجرد رواية واحدة للطبري عن سيف بن عمر حصراً<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة عكس ذلك تماماً، فإن القدماء من الشيعة جميعهم يتسلمون عليه: وجوداً وتأثيراً وأهمية، وحتى كبار رجال وفقهاء وأئمة الشيعة آنذاك أجمعوا على كون عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية، حيث ذكروه في كتبهم، وتسالموا عليه كما تسالموا على غلوه وفرقة وتأثيره.

(١) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٤٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥.

(٢) راجع: كتاب (عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى) لمرتضى العسكري.

كما وردت روايات كثيرة جداً عن الأئمة مثل علي بن أبي طالب والحسين والباقر والصادق والسجاد وغيرهم، تحدثت عن عبدالله بن سبأ وعقائده الفاسدة وفرقة الضالة التكفيرية، منها:

عن أبي جعفر الباقر: (أن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله، تعالى عن ذلك، فبلغ ذلك أمير المؤمنين، فدعاه وسأله، فأقر بذلك، وقال: نعم أنت هو، وقد كان قد ألقى في روعي أنت الله وأني نبي، فقال أمير المؤمنين: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا، ثكلتك أمك وتب، فأبى، فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: (إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه، ويلقي في روعه ذلك)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبدالله الصادق أنه قال: (لعن الله عبدالله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبداً لله طائغاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم)، وعن الصادق أيضاً: (لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، لعنه الله)، وقال أيضاً: (إنه لما ادعى ابن سبأ ذلك، استتابه أمير المؤمنين، فأبى أن يتوب، فأحرقه بالنار)، وهناك روايات أخرى كثيرة جداً<sup>(٢)</sup>.

كما تحدث عن ابن سبأ، فقهاء شيعة كبار، فقد قال الصدوق القمي (ت ٣٨١هـ) أحد أعمدة تأسيس الفقه في القرن الثالث الهجري وصاحب الكتاب الثاني من المصادر الحديثية (من لا يحضره الفقيه) راوياً عن الإمام علي: (إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء، وينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله عز وجل بكل مكان؟ قال: بلى، قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: أو ما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فمن أين يطلب الرزق إلا موضعه؟ وموضعه، الرزق، ما وعد الله عز وجل السماء).

(١) الكشي، معجم رجال الحديث، ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

ويذكر الصدوق القمي في الكتاب نفسه، موقف ابن سبأ، وهو يعترض على علي لرفع اليدين إلى السماء في أثناء الدعاء<sup>(١)</sup>.

وأما الفقيه أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في كتابه تهذيب الأحكام (وهو المصدر المهم من أهم الكتب الحديثية الأربعة المعتمدة عند جميع الفقهاء)، فقد قال: (إن ابن سبأ كافر، وأظهر الغلو) (عبدالله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو)<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب تنقيح المقال قال المحقق الفقيه الشيعي عبدالله المامقاني: (عبدالله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو)، وقال: (غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين بالنار، وكان يزعم أن علياً إله، وأنه نبي)<sup>(٣)</sup>.

وقال الفقيه سعد بن عبدالله القمي (ت ٣٠١ هـ) في معرض كلامه عن السبئية: (السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، مثل عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني، وعبدالله ابن خرسى وابن أسود، وهما من أجل أصحابه، وكان ابن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم)، وقال: (إن السبئية قالوا للذي نعه (أي علي بن أبي طالب): كذبت ياعدو الله لو جئتنا والله بدماعه خربة، فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وإنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض. ثم مضوا)<sup>(٤)</sup>.

وقال الفقيه نعمة الله الجزائري صاحب المقام والحظوة في الدولة الصفوية: (قال عبدالله بن سبأ لعلي: أنت الإله حقاً، فنفاه علي إلى المدائن، وقيل: إنه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون، وفي موسى مثل ما قال في علي)<sup>(٥)</sup>.

(١) القمي، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٢٩.

(٢) الطوسي، تهذيب الأحكام، ٢/ ٣٢٢.

(٣) المامقاني، تنقيح المقال، ٢/ ١٨٣.

(٤) سعد القمي، فرق الشيعة، ٢٢.

(٥) الجزائري، النوار النعمانية، ٢/ ٢٣٤.



أورد الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ) في كتابه (مسائل الإمامة) ما يلي: (و فرقة زعموا أن علياً حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان عبدالله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً.. وسكن المدائن)<sup>(١)</sup>.

ويتحدث الفقيه الشيعي الحسن النوبختي (ت ٣١٠هـ) في كتابه فرق الشيعة عن أخبار ابن سبأ فيذكر أنه لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض<sup>(٢)</sup>.

كما يقول الفقيه النوبختي في الكتاب نفسه: (وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي أن عبدالله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصياً بعد موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه. عبدالله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابه، وتبرأ منهم، وقال إن علياً أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه، يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعو إلى حبكم، أهل البيت، وإلى ولايتكم، والبراءة من أعدائكم، فسيره إلى المدائن)<sup>(٣)</sup>.

وروى الفقيه الشيعي الكشي (ت ٣٤٠هـ) في كتابه الرجال بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: (إن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله تعالى). وينقل الكشي أقوالاً مشابهاً عن الأئمة جعفر الصادق وعلي بن الحسين تلحن فيها عبدالله بن سبأ في الكتاب نفسه، ويروي الكشي أيضاً بسنده إلى أبي جعفر (أنه بلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك، وقال: نعم أنت هو، وقد كان

(١) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص ٢٣.

(٢) الحسن النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق.

ألقي في روعي أنك أنت الله، وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا، ثكلتك أمك وتب. فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار، والصواب أنه نفاه بالمدائن... (وقول الكشي: (عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة، وأن علياً هو الله، فاستتابه ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه بالنار في جملة سبعين رجلاً)<sup>(١)</sup>.

وكذلك الفقيه محمد المفيد (ت ٤١٣ هـ) في كتاب شرح عقائد الصدوق عند ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام، يقصد السبئية، الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار<sup>(٢)</sup>.

ويرى محمد المرتضى الزبيدي (ت ٨٤٠ هـ)، وهو من أئمة الشيعة الزيدية، (أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة)، حيث لا تؤمن الزيدية وهي من الفرق الشيعية المهمة بالنص على الإمامة، بل شروطاً موضوعية للإمام<sup>(٣)</sup>.

ويرى محمد علي الأردبيلي (ت ١١٠٠ هـ) من علماء الشيعة الإمامية في كتابه المهم جامع الرواة: أن ابن سبأ غال ملعون يزعم ألوهية علي ونبوته<sup>(٤)</sup>.

كذلك قال كثير منهم أبو الحسن بن محمد طاهر الأصفهاني (ت ١١٣٨ هـ) في مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن<sup>(٥)</sup>.

كذلك أورد الخوانساري في كتابه روضات الجنات ذكر ابن سبأ عنده على لسان جعفر الصادق، الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير<sup>(٦)</sup>.

(١) الكشي، معرفة أخبار الرجال، ص ٧٨.

(٢) المفيد، شرح العقائد، ص ٢٥٧.

(٣) محمد المرتضى، تاج العروس، ص ٥-٦.

(٤) الأردبيلي، جامع الرواة ١/ ٤٨٥.

(٥) محمد طاهر الأصفهاني، مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن، ص ٦٢.

(٦) الخوانساري، روضات الجنات، ١٣/ ١٤١.

وقال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) (ابن سبأ غال ملعون حرقه أمير المؤمنين بالنار، كان يزعم أن علياً إله، وأنه نبي، لعنه الله)<sup>(١)</sup>.

كما نقل ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) في مناقب آل أبي طالب عبدالله بن سبأ الذي اشتهر بالغلو في الإمام علي وتأليه. وقال يوسف البحراني (وابن سبأ هو الذي كان يزعم أن أمير المؤمنين إله، فاستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه)<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) في شرح نهج البلاغة ما نصه: (فلما قتل أمير المؤمنين أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه).

وأضاف ابن أبي الحديد قائلاً: (إن عبدالله بن سبأ قام إلى علي وهو يخطب، فقال له: (أنت أنت)، وجعل يكررها، فقال له، علي، : (ويلك من أنا؟)، فقال: (أنت الله)، فأمر علي بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على نفس رأيه)<sup>(٣)</sup>.

وذكر المؤرخ الشيعي محمد بن خاوند في كتابه (روضة الصفا): (أن عبدالله ابن سبأ تظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه، وقال: إن الأمة ظلمت علياً، وغصبت حقه، حق الخلافة، والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاصדתه، فتأثر كثير بأقواله وآرائه)<sup>(٤)</sup>.

يقول أبو حاتم أحمد الرازي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: (إن عبدالله بن سبأ ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله، وأنه يحيي الموتى، وادعوا غيبته بعد موته)<sup>(٥)</sup>.

كما ذكر في تاريخ الطبري على لسان أبي مخنف، لوط بن يحيى، (ت ١٥٧هـ) وهو يصف معقل بن قيس الرياحي الذي كلفه المغيرة بن شعبة والي معاوية على

(١) الحلي، الخلاصة، ص ٢، الرجال، ص ٢٣٧.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/ ٢٢٧، يوسف البحراني، الحقائق الناضرة، ٨/ ٥١١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ٢/ ٩٩.

(٤) محمد بن خاوند، روضة الصفا، ص ١٠.

(٥) الرازي، الزينة، ص ٣٠٥.

الكوفة بقتال المستورد بن علفة الخارجي وأصحابه، فيصفه بأنه من السبئية المفترين الكذابين، واعتمد الشكاكون في رواية الطبري واعتمادها على أبي مخنف الضعيف، لكن هنالك العشرات من الروايات الشيعية التي لا تمر بأبي مخنف أصلاً وأبداً، وغير ذلك كثير جداً<sup>(١)</sup>.

أما بعض المتأخرين فقد أنكر وجوده مثل طه حسين، الذي شكك بدور كبير عظيم له قادر على صنع هذه الفتن الكبيرة في كتبه كمثل (الفتنة الكبرى) و(علي وبنوه)، ويقول: (إنه كان من اليسير على ولادة عثمان وعماله أن يتبعوا هذا الطارئ) كما خلط طه حسين بين ابن السوداء وتوهمه ابن سبأ، بينما عمار بن ياسر كان يلقب بابن السوداء. أخذه منه بعض المستشرقين مثل دوزي وفلهاوزن وغيرهما، وكذلك أحمد محمود صبحي وكامل مصطفى الشبيبي. كما اقتبسها كذلك (مرتضى العسكري) في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى)<sup>(٢)</sup>.

كان يطلق على عمار بن ياسر بابن السوداء، فلا معنى لقول طه حسين: أن ابن السوداء هو ابن سبأ، الذي ادخره البعض لإدخال عنصر خارجي، يكون له الدور التاريخي الكبير في الأحداث. وهذا خلط واضح بين ابن سبأ وبين ابن السوداء. ولقد ادعى الشبيبي وعلي الوردي أن الأمويين قد روجوا لابن سبأ في أغراضهم. بينما نرى قد ذكره غير الأمويين في مجامعهم، وأطبقوا على غلوه وأتباعه، فلم يكن التفسير الأموي مقبولاً.

وقال أحمد أمين: إن ابن سبأ أول من دعا إلى تأليه علي. وتكونت فرقة الغلاة تقول بالوهمية علي<sup>(٣)</sup>.

لذلك فإن التشكيك في وجود ابن سبأ هي من أوهام المتأخرين، وهي لا تصمد أبداً أمام حقائق التاريخ وإجماع القدماء، خصوصاً فقهاء الشيعة القدماء.

(١) الطبري، التاريخ، ١٩٣/٥.

(٢) طه حسين، علي وبنوه، ص ٩٣، الفتنة الكبرى، ٩٩/٢.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٧٦.



ومن هنا يبطل كون الروايات تعتمد على شخص واحد هو سيف ابن عمر، الذي يروي الموضوعات بقول ابن حبان والحاكم وابن عدي وابن معين وأبو حاتم وأبو داود والسيوطي.. ولكن التوهم بأن المرجع الوحيد هو الطبري في تاريخه واعتماده على سيف بن عمر فقط، وهي دعوى طه حسين وعبدالحسين الأميني في غديره والعسكري، حيث قال الطبري: (كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم أيام عثمان، ثم تنقل في البلدان، وقال لكل نبي وصي، وعلي وصي محمد) لكن الطبري ليس المصدر الوحيد، كما هو الملاحظ في عشرات المصادر أعلاه، التي لم تمر بسيف بن عمر أصلاً، ولها طرق أخرى كثيرة ومتنوعة ومتعددة.

كما أن الدور الذي قام به يختلف باختلاف المصادر، لكن جميع المصادر المهمة أعلاه وغيرها تتفق على وجود ابن سبأ، ودوره الكبير في الغلو في الإمام علي، ورفع له الألوهية، سواء كانت تلك المصادر القديمة سنية أم شيعية.

ويبدو اعتماد الرافضين كطه حسين وعلي الوردي وكامل الشيببي ومرتضى العسكري مرددين نفس ما قاله طه حسين، الذي شكك أولاً بالدور الكبير المفترض له، وقيامه بكل تلك الفتن، واختراق المسلمين، وما قام به: كالمعجزات الخارقة لفرد عادي وخداعهم، كأنهم قمة البلاهة وعدم اعتراض عثمان عليه، ثم الاعتماد في سند الروايات لتاريخ الطبري على سيف بن عمر فقط وهو ضعيف، ثم نكران وجوده بحرب (صفين)، حيث قال طه حسين: (الغريب أن هؤلاء المؤرخين قد نسوا السبئية نسياناً تاماً حين رووا صفين). كذلك قال المستشرقون برنارد لويس وفلهوزن وفريدليندر وكايتاني ودوزي بالتشكيك به، وقد اتفق علي الوردي وكامل الشيببي أن المقصود بابن السوداء عمار بن ياسر، الذي اعتبروه من الثائرين على الخليفة الثالث عثمان بقولهم، وهو يلتقي مع رأي الإسفرايني وابن طاهر البغدادي، وقال المسعودي: كيف يسكت عنه معاوية ولكل هذه الشبهات جواب. فقد كانت

المحنة آنذاك كبيرة وأحداثها جساماً وأمورها عظيمة، لذلك أغفل المهم لوجود الأهم<sup>(١)</sup>.

قال محمد فريد وجدي: (غلا ابن سبأ في علي أنه الله، وادعى أن علياً لم يمت، وهو المهدي المنتظر، وكان أول من قال بوصاية علي لمحمد). ويشبهها أحمد أمين ومحمد بن يحيى والزركلي وأحمد عطية الله... وإن من أهم أدوار ابن سبأ هو الغلو في علي والمجيء بفكرة الوصاية واعتبار الخلفاء الراشدين الثلاث مغتصبين لحق علي في الخلافة عن الرسول، ثم القول بالرجعة، وقال محمد أبو زهرة: (وكان الطاغوت الأكبر عبدالله بن سبأ الذي دعا إلى ولاية علي ووصايته والي الرجعة) وأن الإمام علي نفسه رفضها ورفض ابن سبأ وأراد حرقه ثم طرده<sup>(٢)</sup>.

يقول علي سامي النشار: (لقد دخل بعض أحبار اليهود وكهانهم في الإسلام، واخترعوا فكرة الإمام المعصوم وخاتم الأوصياء، منتهزين إبعاد علي عن الخلافة، وتقدموا إلى العالم الإسلامي بهذه الفكرة... إن كتب العقائد تكاد تجمع على أن عبدالله بن سبأ هو أول من دعا إلى فكرة القداسة، التي نسبت لعلي، ولم تظهر فكرة الحق الإلهي في الخلافة في عهد أبي بكر وعمر قبل عبدالله بن سبأ، الذي يمثل تياراً باطنياً). ويقول عبدالله بن القصيمي: (إن ابن سبأ هو أساس المذهب، والحجر الأساس في بنائه)<sup>(٣)</sup>.

(١) رجال ابن داود، ٢/ ٢٥٤، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٧٦، ابن حجر، لسان الميزان، ٣/ ١٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٥، الأميني، الغدير، ٨/ ٦٨، أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، ص ٣٧، الوائلي، هوية التشيع، ص ١٣٦، المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٣٠، محمد بن يحيى، التمهيد والبيان، ص ٩٦، كامل الشيبلي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص ٨٤، طه حسين، علي وبنوه، ص ٩٣، طه حسين، الفتنة الكبرى، ص ١٣١ تنقيح المقال، ٢/ ١٨٤، كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ٤٢ محمد علي كرد، خطط الشام، ٦/ ٢٥١ يوليوس فلهوزن، الشيعة والخوارج، برنارد لويس، أصول الإسماعيلية، أبو الحسن المالطي، الرد على أهل الأهواء والبدع.

Bernard Lewis, The Arabs in the History,  
Donaldson, The Shi'ate Religion  
Nicholson, Literary History of the Arabs.

(٢) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ٥/ ٧.

(٣) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ٢٨، الصراع بين الإسلام والوثنية، ٩٧.

والملاحظ في التحقيق أيضاً التشابه بين عمار بن ياسر وبين ابن سبأ في مخالفتها لسياسة عثمان بن عفان، وكلاهما يلقبان بابن السوداء، فقال الوردى: (كان العرب يطلقون على عمار بن ياسر بابن سمية وابن المتكأ وابن السوداء)، وكان عمار أبوه يمانياً، أي من سبأ، لأن نسبهم يرجع إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهكذا استعمل القرآن الكريم في قصة الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، أي من اليمن كذلك، يُعدُّ عماراً من حواربي علي بن أبي طالب، وقد كان يحمل راية شديدة في التحريض ووقائع الحال، حتى قيل: إن عماراً ذهب إلى مصر يحرض الناس على عثمان، كما ورد أن القادمين من مصر كان لهم دور كبير في مقتل عثمان، وما أقربه إلى دور ابن سبأ في مصر، وعرف بالغلو في علي حتى روي أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، قال عمار: هو علي بن أبي طالب. وتأثير ابن سبأ على أبي ذر ليثور على عثمان. وكل ذلك التقارب لا يثبت بحال أنها شخص واحد، كما توهم البعض للعارف المحقق والمدقق، كما بحث في محله، والنتيجة لا شك في وجود ابن سبأ ودوره وغلوه. فلم يقل عمار ما قاله ابن سبأ بالوهية علي إطلاقاً، كما لم يمكن لابن سبأ التأثير على أبي ذر، بل كان عمار قريباً منه.

**الخلاصة:** هناك إذن إجماع من المتقدمين وخصوصاً فقهاء الشيعة والكتب الأربعة وكتب الرجال والتهذيب على وجود ابن سبأ، وكونه حقيقة لا مرية فيها، ودوره في الغلو في الإمام علي بن أبي طالب.



## غلاة حول أئمة أهل البيت

من أخطر الآفات في دراسة المذاهب والفرق والملل هو الغلو والتقديس العالي، وما يتبعها ويتفرع عنها، بل ورد النهي عن الغلو في القرآن الكريم، فقال الله تعالى لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وكلاهما تنهيان نهياً شديداً عن الغلو في الدين، كما ورد أيضاً أن هذه الأمة تمر بها مرت به الأمم السابقة، حذو النعل بالنعل، ومنها الغلو، كما يكشف الواقع عن حصول الغلو وانتشاره.

وقد وردت تحاذير نبوية كثيرة ضد الغلو، منها مجيء رجل إلى الرسول قائلاً: (السلام عليك يا ربي). فأجابه الرسول غاضباً: (مالك؟! لعنك الله. ربي وربك هو الله، علمتُك جباناً في الحرب، لثيماً في السلم). وروي قول النبي يخاطب علياً: (هلك فيك اثنان: محب غال، ومبغض قال)، كما قال علي نفسه: (هلك في: اثنان محب غال، ومبغض قال). ونقل لنا التاريخ صوراً من الغلو في علي، فمثلاً بينما يخطب علي يوم الجمعة على منبر الكوفة، وهو يخطب من خطب الملاحم، فقام رجل قائلاً: (أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو). لكن الإمام علياً أظهر رفضه الكامل لذلك الغلو، ودعاه إلى التوبة والاستغفار<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٤/٥، نهج البلاغة، قصار الكلمات، ١١٧ وأيضاً ص ٤٦٩، تفسير العياشي، ٩/١.



ولقد كان في العصور المختلفة لأئمة أهل بيت النبي فيما بعد الإمام علي أيضًا، رجال وفرق وحواش للأئمة، قد وضعوا أحاديث كثيرة مكذوبة، فيها من الغلو في الإمام علي وأهل بيته، والتكفير والبغضاء. وهذا ينافي مبادئ القرآن الكريم، وينافي أيضًا نهج الأئمة، وهم يقولون: (ما أتاكم عنا من حديث لا يصدقك كتاب الله فهو باطل)، وفي روايات أخرى: (أنه زخرف)، و(إنهم لم يقولوه)، و(إن ضربوا به عرض الجدار)، وغير ذلك من الأحاديث في رفض ما خالف القرآن الكريم لكثرة الوضاعين<sup>(١)</sup>.

أيام الإمام علي كما ظهر، كانت السبئية وظاهرة الغلو في الإمام علي. كان هنالك العديد ممن رأى في الإمام علي أنه الإله الخالق والمدبر، والعياذ بالله، كما يظهر في روايات كثيرة، منها القصة المشهورة مع قنبر خادم علي، إذ جاء قنبر إلى علي، وقال: (إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم)، قال علي: (أدخلهم)، فدخلوا عليه فسألهم علي: (ما تقولون؟) قالوا: (نقول: إنك ربنا، وأنت الذي خلقتنا، وأنت الذي رزقتنا)، فقال: (ويلكم لا تفعلوا، إنما أنا مخلوق مثلكم). ولكنهم رفضوا، ولم تنفع معهم الحوارات، حتى أوقد النار ورماهم فيها، وهو يقول:

إني إذا أبصرت شيئاً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً<sup>(٢)</sup>

ثم ناداه أحدهم وهو يحترق: (لا يحرق بالنار إلا الله). كما ذكرت أيضًا لقنبر كرامات ومنازل سامية عالية جدًا. برغم أن هذه الروايات لا تشير إلى ابن سبأ، لكن تشير إلى ظاهرة من الفرس القادمين للكوفة، وهم يحملون تراثًا في تقديس السلطان والشاه كالإله وتقديسه. وقد أحرق الإمام بعضهم، لكن بعضهم بقي حيًا كما بقي ابن سبأ حتى بعد وفاة علي. قال ابن سبأ: (إن عليًا حي ولم يمت، وهو مع كل سحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه). فقيل: من المقتول؟ فقال: (شيطان بصورة علي)، وكانوا عندما يسمعون صوت الرعد فيسلمون عليه، لأنهم يتوهمونه

(١) الكليني، الكافي، ٦٩/١، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١١١/٢٧، الخوئي، مصباح الفقاهة، ٤٥٣/٣.

(٢) خرجه ابن الأعرابي في معجمه (رقم ٦٧)، والدينوري في المجالسة (رقم ١٠٦٥)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٧٠/١٢): وهذا سند حسن.

صوت إلههم المدعو عليًا. وكانت السبئية قد انقسمت إلى فرق متعددة، تؤمن بعدم وفاة الإمام وبقائه وخلوده وتصرفه بالكون... وكلهم غلاة، أعطوا عليًا صفة الإله الخالق المدبر<sup>(١)</sup>.

كما تكونت فرق مختلفة: بعضها للحسن وذريته، وبعضها للحسين وذريته، وبعضها مثل فرقة الكيسانية المؤمنة بابن الإمام علي، وهو محمد ابن الحنفية أخو الحسن والحسين من أبيه فقط لا أمه، وقد قالوا في ابن الحنفية من الغلو وعلم الأسرار والغيب لدرجة الألوهية، وبعضهم ادعوا النبوة فيه...، وكانت من هذه الفرق الكثيرة والمتنوعة بعضها فيه الغلو في الأئمة والتكفير لمن سمي مخالفينهم النواصب كما سيأتي<sup>(٢)</sup>.

ولقد استطاع جماعة من الوضاعين التقرب من الأئمة، لا سيما الباقر والصادق، ونقلوا كميات كبيرة من الأحاديث الكاذبة عن الباقر والصادق، فامتألت الكتب الحديثية والمصادر الروائية منها، لدرجة شكوى أصحاب بعض الأئمة (امتألت كتبنا بأحاديثهم)، وقد كثر الكذب عليهم من أصحابهم، حتى قال الصادق: (إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه)... وأجابهم الأئمة بموازين ومعايير موضوعية، لتنقيحها كعرضها على القرآن الكريم وسنة الرسول، والتنقيح في الأحاديث والتثبت من ناقلها والتعقل في نقلها وغيره، كما سيأتي لاحقًا في هذا الكتاب.

الملاحظ أيام الأئمة: الباقر والصادق والكاظم والرضا وغيرهم انتشار الكفر والغلو والبدع في فرق وشخصيات شيعية كثيرة. فقد اشتهر محمد بن مقلاص الأسدي أبو زينب والمغيرة بن سعيد وبزيع بن موسى الحائك وبشار الشعيري ومعمر بن خيثم والسري وحمة اليزيدي وصائد الهندي وبيان بن سمعان التميمي

(١) المفيد، الاختصاص، ص ٧٧، الخوئي، معجم رجال الحديث، قنبر، ٩٦٦٠، الكليني، الكافي، ٦/٧، الطوسي، التهذيب، ٧٤٧/٥، القمي، من لا يحضره الفقيه، ٣/٢١٣، الكشي، الرجال، قنبر، ص ٢١.

(٢) راجع: النوبختي، فرق الشيعة، القمي فرق الشيعة وبقية كتب الرجال.

والحرث الشامي وعبدالله بن الحرث وغيرهم كثير بالغلو والبدع. كان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمّر بن خيثم وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الكفر والإلحاد والغلو في الأئمة، فقد ادعى بشار أن علياً هو الله، وقال بالتناسخ. حمزة البديري المنحدر من الكيسانية، كان من الغلاة في محمد الباقر، وادعى أنه يأتيه الباقر كل يوم، فقال الباقر (كذب، عليه لعنة الله) وكذلك سأل الصادق زرارة (أخبرني عن حمزة، ألا زال يقول: إن أبي يأتيه؟) قال: نعم، فقال: (كذب والله). ثم تفرع عن البديري شخصان: صائد وبيان، وفرقتان لهما، حتى راسل بيان الإمام الباقر، لكي يقر بنبوته: (أسلم تسلم، وترتق في سلم، وتنج وتغنم، فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة، وما على الرسول إلا البلاغ، وقد أعذر من أنذر). وقد كذب بيان على السجاد والباقر كثيراً، ونسب لهما ما تبرءا منه، حتى قالوا: (إن البيانية زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة، حتى انتهت إلى علي، ثم دارت إلى محمد ابن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم، ثم حلت من بعده إلى بيان بن سمعان، وادعوا بذلك ألوهية بيان بن سمعان)، كذلك كان المغيرة بن سعيد زمن الباقر والصادق، وادعى أفضلية الإمام على جميع الأنبياء والرسل، وادعى أنه رسول من الله ويأتيه الوحي، وكان له من الأتباع ما يجعل فرقته تستمر حتى بعد وفاته طويلاً<sup>(١)</sup>.

وينقل الفقيه الرجالي الشيعي طه نجف (أن جعفر بن محمد كان رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، ولكن اكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون، يقولون: حدثنا جعفر بن محمد بأحاديث منكرة، كلها كذب، يستأكلون بها الناس: كالفضل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضاعين، حتى نسبوا إليه أن معركة الإمام تكفي عن الصلاة والصيام، وإن علياً في السحاب يطير مع الريح، وأن الله إله في السماء، والإمام إله في الأرض)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشي، الرجال، ص ٣٦، الخوئي، الرجال، ١٨ / ٢٧٦، القهباي، الرجال، ٣ / ٢٣٦، الفروي، جامع الرواة، ٢ / ٢٤٧، البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٣٥، النوبختي، فرق الشيعة، ص ٣٥.

(٢) طه نجف، إتقان المقال في علم الرجال، ص ٣٦٨.



وبعد دخول الفرس إلى التشيع، فإنهم أخذوا عاداتهم وعقائدهم وصفات التقديس لملوكهم وأدخلوها في التشيع، حيث جعلوا التقديس نحو الأئمة، كما كان في ملوكهم. وقال بعضهم: إن الأئمة آلهة أو أنبياء ورسول، وهم الذين يتكلمون بالأظلة، وفي التناسخ في الأرواح، وهم أهل القول بالدور في هذه الدار، وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها، والأبدان هي الجنات وهي النار، وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسانية المنعمة في حياتهم، ومعذبون في الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس، حيث ينتقلون من بدن إلى بدن معذبون فيها، هكذا أبد الأبدان، فهي جنتهم ونارهم، فلا قيامة ولا بعث، ولا جنة ولا نار غير هذا، على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم، ومعصيتهم لهم، فإنما تسقط الأبدان وتخرّب، إذ هي مساكنهم، فتتلاشى الأبدان وتفتنى، وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب، فهذا معنى الرجعة عندهم.

كان بشار الشعيري من الغلاة القائلين بألوهية الأئمة، وادعى أن عليًا هو الله، بينما محمد هو عبده. وقد لعنه الإمام جعفر الصادق مرارًا وتكرارًا، وقال له: (اخرج عني لعنك الله، والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبدًا)، وكان بشار من الذين يبدو الحمق فيه، حيث روى عن الصادق قوله لمرزان وهو جار لبشار في الكوفة، أن يقول لبشار عند ذهابه للكوفة: (يا كافر، يا فاسق، يا مشرك: أنا بريء منك). يقول مرزان: إنه ذهب إلى الكوفة، وبلغ بشارًا رسالة الصادق. فأجابه بشار فرحًا: (وقد ذكرني سيدي؟! قال مرزان: (نعم ذكرك بهذا)، فقال بشار: (جزاك الله خيرًا)<sup>(١)</sup>.

وأما معمر بن خيثم فقد أحل جميع المحرمات، وأما حمزة فقد ادعى: أن أبا جعفر يأتيه بالوحي كل ليلة، وأما بيان فقد ادعى النبوة، وكذلك ادعى النبوة المغيرة

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٣٥، القمي، الفرق، ص ٥٥، المجلسي، البحار، ٥٢ / ٢٩٦، الحسيني، الموضوعات، ص ١٤٩، الكشي، الرجال، ٢٥، الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ٢٩٣.



ابن سعيد، وكان كثير الأتباع من جمهرة الشيعة، لأنه استعمل السحر والشعوذة... وهؤلاء نقلوا روايات كثيرة جاءت في الكتب الفارسية الحديثية المعتمدة. عن الإمام علي الرضا: (كان بيان يكذب على علي بن الحسين، وكان المغيرة يكذب على محمد الباقر، وكان محمد بن فرات يكذب على موسى الكاظم، وكان أبو الخطاب يكذب على جعفر الصادق)، وعن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٣١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢﴾، قال الصادق: هم سبعة: المغيرة بن سعيد وبيان و صائد و حمزة بن عمارة البربري والحارث الشامي وعبد الله بن عمرو بن الحارث وأبو الخطاب<sup>(١)</sup>.

كما تؤكد الروايات أن المغيرة وبياناً وصائداً وعمر النبطي والمفضل قد وضعوا آلاف الروايات المكذوبة. عن المغيرة قوله: (وضعت في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث)، وقد امتلأت كتب الأئمة بأحاديثهم الموضوعة.

فعن الصادق: (كان المغيرة يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة فيدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه... إنه كان يكذب على أبي، فأذاقه الله حر الحديد، ولقد كان يتردد على يهودية كان يتعلم منها السحر والشعوذة والمخاريق... فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، فإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبتنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله من براءة، وإنا لमितون مقبورون، منشورون مبعوثون، موقوفون مسؤولون)، هذا وقد شبهه الباقر ببلعم بن باعوراء، فقرأ الآية ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، معتبراً المغيرة مصداقاً لها<sup>(٢)</sup>.

(١) المصادر السابقة.

(٢) الكشي، الرجال، ص ٢٥٦، الحسني، الموضوعات، ص ١٤٩.

ومنهم أبو الخطاب محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، وكان يكذب على الصادق، وقد استحلوا جميع المحارم، وقالوا: من عرف الإمام، حلّ له كل شيء كان حرم عليه. فبلغ أمره جعفر بن محمد، فلم يقدر عليه بأكثر من أن لعنه، وتبرأ منه ومن جميع أصحابه، فعرفهم ذلك، وكتب إلى البلدان بالبراءة منه، وباللعنة عليه، وعظم أمره على أبي عبد الله. وعن موسى بن جعفر قال: (كان أبو الخطاب ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبي، سلبه الله الإيمان. وعن أبي عبد الله وذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة، فقال: (لا تقاعدوهم، ولا تواكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا توارثوهم). ودعا عليهم الصادق ولعنهم، وقال الصادق: (لعن الله أبا الخطاب، ولعن الله من قاتل معه، ولعن الله من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم). وقال أيضاً: (على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب، غدواً وعشيا). وإن الإمام الرضا قد رفض أكثر الأحاديث المنسوبة لجده الصادق قائلاً: (إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله، لعن الله أبا الخطاب! وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإننا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن و موافقة السنة، إننا عن الله وعن رسوله نحدث، ولا نقول: قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إن كلام آخرنا مثل كلام أولنا، وكلام أولنا مصادق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه)<sup>(١)</sup>.

ومن أصحاب الصادق، المفضل بن عمر الذي قال بالتفويض وعقائد أخرى في الغلو، وله كتاب مشهور باسمه، ملئ بالغلو والتفويض، وقدرة الأئمة وعلومهم الغريبة والعجيبة في علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وكذلك التصرف بالناس والكون والحيوانات والجن... وأن الله قد فوّض إلى الأئمة الخلق والرزق والتقدير والحكم في الدين والدنيا والآخرة، بلا تدخل منه أصلاً، وهي من نظريات الغلو

(١) الخوئي، معجم رجال الحديث، ٢٧٦/١٨، المامقاني، تنقيح المقال، ٢٣٦/٣، أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ٢٨٣/٢.

الواسعة، التي لا زالت في عقيدة الكثيرين من التشيع الفارسي المعاصر. لذلك ورد لعن كثير من الصادق للمفضل، وللنظرية التي تبناها آخرون بعد المفضل أيضًا، ونسب بعضهم كتاب المفضل للإمام الصادق نفسه. وقال النجاشي: (المفضل فاسد المذهب مضطرب الرواية، لا يعبأ به) وقال ابن الغضائري: (ضعيف غال، يضع الحديث، متهافت، لا يجوز أن يكتب حديثه، ولا يعول عليه). وقال له الصادق: (يا كافر، يا مشرك، لعنك الله). وسئل الصادق: (إن المفضل يقول عنكم: تقدرون أرزاق العباد). فقال الصادق: (والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري... لعنة الله عليه، وبرئ الله منه، وبرئ رسوله منه). وغيرهم حيث كذب هشام بن الحكم، الذي لقب بشيطان الطاق، بينما سماه الفرس بمؤمن الطاق، وورد لعنه من الإمام والبراءة منه، وكذلك قصة جابر الجعفي<sup>(١)</sup>.

لقد غالى في الإمام الكاظم صاحبه محمد بن بشير، الذي لعنه الكاظم، قائلا: (ملعون واقفي مشعوذ مغال). وغالى في الرضا يونس بن ظبيان ومحمد بن فرات، حيث كذب ابن الفرات على الرضا، حتى قال عنه الرضا: (آذاني محمد بن الفرات، آذاه الله، وأذاقه حرّ الحديد، آذاني لعنه الله، وما كذب علينا خطّابي بمثل ما كذب محمد بن الفرات، وما من أحد يكذب علينا، إلاّ ويذيقه الله حرّ الحديد)، كما غالى في الجواد أبو هارون موسى المكفوف وغالى في الهادي أمثال عروة بن يحيى وفارس بن حاتم القزويني ومحمد بن نصير الفهري النميري، الذي ادعى ألوهية الهادي، وأنه رسوله ونبيه المبعوث لهم، وغالى في العسكري أحمد بن محمد بن سيار وابن حسكة القمي. أحد الأصحاب كتب إلى الحسن العسكري: (جعلت فداك يا سيدي، إنّ علي بن حسكة القمي يدعي أنه من أوليائك، وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك. ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة، فيما يدعي من النيابة والنبوة، فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصوم والصلاة والحج، وذكر جميع شرائع الدين:

(١) الكشي، الرجال، ص ٢٩٦، القمي، الكنى والألقاب، ١/ ٦٤، الخوئي، معجم الرجال، ١٤/ ٢٤٩، الحسن، الموضوعات، ص ١٥٠.



أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال إليه ناس كثير، فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة). قال: فكتب الحسن العسكري: (كذب ابن حسكة، عليه لعنة الله، ومحسبك أني لا أعرفه في موالي ما له لعنة الله، فوالله ما بعث الله محمدًا والأنبياء من قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية، وما دعا محمد إلا إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله، لا نشرك به شيئًا، إن أطعناه رحمنا، وأن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة، بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك، فاهجروهم لعنهم الله، وأجئوهم إلى أضيق الطريق). وقد تأسست من ابن حسكة القمي فرقة فارسية أساسها من القميين، عرفت بأفكار الغلو أعلاه<sup>(١)</sup>.

ومن الغلاة في عصر المهدي المنتظر وأوائل غيبته، وما أطلق عليه لاحقًا بالغيبة الصغرى، هو محمد بن علي الشلمغاني، وكان وكيلًا للحسين بن روح الوكيل المعروف للمهدي، وقال بالحلول: (إن روح رسول الله انتقلت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وروح أمير المؤمنين انتقلت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين ابن روح، وروح فاطمة الزهراء انتقلت إلى أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري). إلى غير ذلك مما نسب إليه من المقالات المختلفة. ويدعي الرواة أنه قد خرج توقيع من الإمام المهدي سنة ٣١٢ يقول فيه: (إن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني قد ارتد عن الإسلام، وألحد في دين الله، وادّعى ما كفر معه بالخالق، وافتري كذبًا وزورًا، وقال بهتانًا وإثماً عظيمًا، وإننا قد برئنا إلى الله، وإلي رسوله منه، ولعنا، عليه لعائن الله من الظاهر والباطن، في السر والعلن، وفي كل وقت، وعلى كل حال، وعلى من شايعه وتابعه، ومن بلغه هذا القول منا، وأقام على موالاته). ومنهم الحسين ابن منصور الحلاج أحد أركان الصوفية، والذي لعب دورًا بارزًا، وأصبح من أبرز شيوخ المتصوفة في عصره، القائلين بالحلول والكشف. وهو القائل:

(١) الكشي، الرجال، ص ٢٩٧، التفريشي، نقد الرجال، ٥/ ٢٣٧، التستري، قاموس الرجال، ١/ ٤٠١، الطوسي، الاستبصار، ١/ ٢٣٧، المجلسي، البحار، ٥٢/ ٣١، الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٢٩٤.



سبحان من أظهرَ ناسوته سرَّ سَنَا لاهوته الثَّاقِبِ  
ثم بدا لخلقه ظاهراً في صورة الأكل والشاربِ  
حتى لقد عاينه خلقه كلحظةٍ الحاجبِ بالحاجِبِ

وقد رفض الصلاة والصوم والحج بطقوسها، وفَسَّرَ آدم بالنبي محمد (آدم على هذه الصورة هو أول المخلوقات، وهو نفسه محمد الذي سبق اسمه القلم، وسبق وجوده كل شيء حتى القلم). وآمن بالحلل في تشبيهه بالخمرة في الزلال قائلاً:

خرجت روحك في روعي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

وقد عدّه المستشرقون وجماعة من الكتاب من متصوفة الشيعة. كما توهّموا التصوف من ثمرات التشيع لعلي والأئمة من بنيهِ. من هنا تظهر شخصيات مثل الحلاج والنميري والشلمغاني في تراحم السفارة للمهدي المنتظر والنيابة عنه والاستفادة من ذلك بالأموال التي تجبى أو السلطة والنفوذ والسيطرة<sup>(١)</sup>.

لا شك في دور الفرس في العديد من الفرق، بل دور سلمان الفارسي والغلو فيه وحوله، حتى ربط الكثير بين أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير وفرقهم جميعاً وإيمانهم بسلمان الفارسي كالباب إلى الرسول وظهوره مع محمد، حتى قال سعد القمي: (وإن كل من كان من الأوائل مثل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الاسم، وأن المعنى واحد، وهو سلمان الفارسي، وهو

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٩، طياسين الحلاج، عبدالرحمن بدوي، شطحات الصوفية، البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد ٨/ ١٤١، ابن الجوزي، المنتظم، ٣٥٤/ ١٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١٣/ ١٤، راجع: كتابي عن المهدي المنتظر، كذلك فرق الشيعة، للتوبختي، وكتاب المقالات والفرق، لسعد القمي، وكتب الملل والنحل، لسبحاني والبغدادي والشهرستاني، وكتب الرجال: كالكشي والطوسي والمامقاني والخوئي والبيهقي.

Snir, A Study of Elgey of al.Hallag

باب الرسول الذي يظهر مع محمد في كل صورة ظهر، وهو رسول محمد ومتصل به، ومحمد هو الرب). ويضيف القمي شارحاً أسباب ذلك وعلاقتهم بالمجوسية (إنهم أظهروا دعوة التشيع واستبطنوا المجوسية، فزعموا أن سلمان هو الرب، وأنّ محمداً هو الداعي له، وأن سلمان لم يزل يظهر نفسه لكل أهل دين، وذهبوا في جميع الأشياء مذهب المجوس)، كما يؤكد ذلك أيضاً الطوسي شيخهم كما يسمّى<sup>(١)</sup>.

وفي تاريخ الأئمة يبرز دور الإمام علي بن موسى الرضا، الذي عاش ودفن في إيران، وأمه فارسية من إيران، ينقلون قصصاً كثيرة في فضلها ومنزلتها وغيباتها، حتى روي أن أمها رأت في المنام الرسول يقول: يا حميدة هبي نجمة لابنك موسى، ليلد منها خير أهل الأرض، وفي رواية: فلا تلبث عنده إلا قليلاً، حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها، ونقلوا قصصاً في اختيارها من بين الجواري، وأنها لم تشعر بالحمل، وهي تسمع التسبيح والتحميد والتمجيد من بطنها، ولما ولدته وضع يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، وهو يقرأ القرآن. وقصص كثيرة. والرضا حصل على ولاية العهد من المأمون حصراً، ولم يحصل إمام على ذلك، وعاش في طوس بإيران، وهي أساس الغلو والتكفير، ودقّت الطبول له، ولا زالت إلى يومنا. علماً أن المأمون أمه إيرانية، وليست عربية كالأمين، فأمه زبيدة. وفي هذه الحقبة يبرز دور التأثير للمعتزلة في تطور الفكر الشيعي والاحتجاجات، حتى مع المأمون على الإمامة والولاية ومفرداتها.

برغم أن التحقيق يثبت أن الرضا لم يحصل على ولاية العهد، وحتى وفاته كانت غامضة، حتى ادعى البعض سمّ المأمون له، عن طريق بنته زوجة الرضا نفسه. وقد كان المأمون ظالماً حتى أنه حارب أخاه الأمين، وقتله سنة ١٩٨ هـ. وكان الغلو في الإمام ومعجزاته وكراماته قد بلغ الآفاق، وتجد الكم الهائل من الكتب مثل كتاب القمي (عيون أخبار الرضا)، حيث ينقل مثلاً عن إسراء النبي ومعرجه عندما ناداه الله تعالى بعد اختيار محمد: (ثم اطلعت فاخترت علياً، وجعلته وصيك

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٢٥٦، القمي، المقالات، ص ٥٨.

وخليفتك وزوج ابنتك، وأبا ذريتك، وشققت له اسمًا من أسمائي، فأنا العلي الأعلى، وهو علي، وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبل كان عندي من المقربين، ولو أن عبدًا عبدني حتى ينقطع، ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحدًا لولايتكم ما أسكنته فسيح جنتي، ولا أظللته تحت عرشي، يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربي. فقال عز وجل: ارفع رأسك. فرفعت رأسي، فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد ابن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن القائم في وسطهم، كأنه كوكب دري، قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى، أبو بكر وعمر، طرين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذ أشد من فتنة العجل والسمري). وهو واضح في الغلو وكذلك الانتقام من الخليفتين، وتصوير انتقام المهدي في تربية ثقافة البغضاء والتكفير وغيره كثير<sup>(١)</sup>.

ولما عوتب بعض أصحاب الأئمة في غلوهم في الأئمة، قالوا: (نحن نكذب له لا عليه)، ولقد دسوا مئات الأحاديث في سب ولعن الخلفاء الراشدين، وبعض زوجات النبي الكريم، خصوصًا عائشة والغلو في الأئمة. يقول هاشم معروف الحسني: (دسوا بين مروياتهم مئات الأحاديث في شتم الخلفاء الراشدين والصحابة، وفي إعطاء الأئمة صفة الخالق المدبر، والمتكل على ولاية علي بن أبي طالب وبنيه، وظلت هذه الموضوعات تعصف في الأذهان، وتعبث في الأفكار والعقول، حتى يومنا هذا). من الجانب المقابل رفضوا الروايات لمجرد طريقها عن طريق السنة وتسميتهم بالمخالفين أو العامة تقية عن الصادق: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم)، (ما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالقوهم، فما هم من الحنفية على شيء). وقال الحر العاملي: (وقد أمرنا

(١) القمي الصدوق، عيون أخبار الرضا ١/ ٦٠.



الأئمة باجتنب طريقة العامة). وحاشا للإمام من قول ذلك، وهذا مما حرمهم من تراث كبير بأسلوب غير علمي لا موضوعي، بل مجرد نقلها عن طريقهم، وهذا جعل حاجزاً كبيراً للتفريق بين المذهبين، ولمجرد نقلها عن طريقهم تعدُّ مرفوضة، وحرماناً من تراث ضخم يمكن أن يجمع ويوحد، ويكون أقرب إلى الصحة، إذ اجتمعت الأمة عليه أحياناً. ومن السهولة مناقشة الرواية سنداً ودلالة، فنقلوها وضاعون، ومدلولها تمت مناقشته أعلاه. ومن أهم الأمور الأخرى، تعارضه مع القرآن الكريم ومبادئه وروحه ومقاصده، بل آيات محددة بعينها صريحة واضحة. وعن الصادق والباقر وغيرهما من أئمة أهل البيت: (لقد رووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله)، (ما عارض كتاب الله فهو زخرف، اضربوا به عرض الجدار)، (لا تقبلوا منا ما خالف كلام الله)، (لا تقبلوا عنا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة)، (لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله، الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده ناصيتنا)، (إنّ فيهم من يكذب حتّى إنّ الشيطان ليحتار في كذبه)... وهذا هو معيار للأحاديث ورفض الغلو الذي يعارض القرآن الكريم، وسيرة الرسول، وروح الدين الحنيف، والعقل السليم... وستأتي مع مناقشات أخرى لاحقاً<sup>(١)</sup>.



(١) التستري، الأخبار الدخيلة، ص ٢١٦، الحسني، الموضوعات، ١٥١-١٥٢، رجال الكشي، ٢٩٧، الحر العاملي، الوسائل، ٣٠/٢٥٩.





## شهربانو الفارسية زوجة الإمام الحسين، وأم لتسعة أئمة من الإثنى عشر إماماً...

### تلاقح الدم الفارسي بدماء الأئمة، ونظام الوراثة الإلهي

حكمت الأسرة الساسانية إيران وأقاليم أخرى تتبعها لمدة تتجاوز الأربعة قرون (٢٢٤، ٦٤١م) حين أسقطها الفتح الإسلامي، وأجبرهم على دخول الإسلام عنوة. وكانت الدولة الساسانية تعتمد على الدعوة الدينية المجوسية الزرادشتية منذ إعلان أردشير من بابك، لتعود القومية الفارسية، وتميزها على الأقوام الأخرى، والطبقية في توزيع المجتمع، حيث كان رجال الدين الزرادشت طبقة متميزة ثرية جداً، وباتوا من الملاكين الكبار، متحالفين مع الملوك الأكاسرة ضد الفلاحين والفقراء والكسبة البسطاء. وهنالك الطبقة الصارمة، حيث طبقة العظماء والنبلاء، وطبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين، وطبقة العوام كالعبيد. ويمنع اندماج طبقة بالأخرى، وهناك رجال الدين الزرادشت، يمنعون ذلك بفتاواهم، ويأمرون الناس بوجوب طاعة رجل واحد (الملك الكسروي) طاعة مطلقة عمياء، فكان الشاه (الملك الكسروي) كالإله في التقديس وتكفير من يخالفه. كانوا يعتقدون أن ملوكهم منحدرين من الإله صلباً من صلب، واحداً بعد الآخر في الوراثة الإلهية عن طريق الأبناء، في اختيار إلهي أزلي قبل الخلق، فهي نور بعد نور من النور الإلهي، النازل إلى الملوك ملكاً بعد آخر في الوراثة المختارة قبل الخلق، ليكون (سلطان الله وظله في الأرض)، فالخروج عليه خروج على الإرادة الإلهية، لأن حق (شاهنشاه) ملك الملوك (حق إلهي مقدس)، فيكون طاعته واجبة مطلقاً، فهي الوحيدة التي تمتلك النور الإلهي والحق الإلهي، الذي ينتقل في أصلاها وراثياً من الآباء إلى الأبناء.

كان من الصعب على الغطرسية الفارسية وجبروت كسرى ونظرتهم الاستعلائية على العرب: أن يروا ملكهم يحطمه العرب، ويزيلون دينهم، ويأسرون نساءهم، ويحطمون عرش الملوكية: قطعة قطعة، وتزول أسطورتهم، مما جعل خضوعهم للدين ظاهرياً، ولكن الانتقام بأسلوب مدروس في الغلو في الأئمة وتلاقح دمائهم مع الأئمة والتكفير لمخالفاتهم. ولما لم يكن للنبي أولاد، ربما أراد الله أن لا يقدّسوا في أمهم، فجاء الفرس إلى ابن عمه وصهره، فجعل التقديس لفاطمة وعلي في الولاية الإلهية، التي كان يعطيها الفرس لملوكهم في تاريخهم وحضارتهم.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إننا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس). كما هو واضح من مصادر تاريخية كثيرة<sup>(١)</sup>.

نقل لنا التشيع الفارسي في طريقته لربط التشيع والأئمة أنفسهم بالفرس قصة زواج الإمام الحسين، الذي بدوره تميز عن كل الأئمة بثورته، حتى الحسن أخاه الأكبر، الذي كان إماماً عليه قبل وصول الحسين للإمامة، فالحسن صالح معاوية نفسه، وكان الصلح نافذاً حتى على أخيه الحسين طيلة حياة الحسن، بل بعد وفاته، وصار الحسين صاحب القرار في الاستمرار بالصلح لعشر سنوات، حتى وفاة معاوية مما يجعل الصلح مبدأ سليماً.

أما قصة زواج الحسين مع شهربانو ابنة الملك يزدرج آخر الملوكية الكسروية. شهربانو بنت يزدرج بن شهربار بن كسرى، حيث يتلاقح دم أهل بيت النبوة مع الملوكية الفارسية، ليولد الإمام علي السجاد، المشهور بـ(زين العابدين). والنتيجة كل الأئمة التسعة من ذرية الحسين. فيكون الدم الفارسي والأصل الفارسي،

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٧/١، المقرئ، الخطط، ٣٦٢/٢، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٧٧، الثعالبي، غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٧٥، فلوتن، السيادة العربية، ص ٧٦.

وعندها ترجع للفارسية تفاخرها وأعرافها ونزعاتها للمجد والقمة في السلطة الإلهية المزعومة، ويتلاقح الديني بالمجد الفارسي وتراثه.

يقول الكليني في الكافي عن الباقر: (لما قدمت بنت يزجرد على عمر بن الخطاب، أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته. فلما نظر إليها عمر، غطت وجهها، وقالت باللغة الفارسية: (أف بيروج بادا هرمز)، فظن عمر وهي تتكلم، أنها تشتمه، فأوضح له أمير المؤمنين مرادها. ليس ذلك لك، خيرها رجلاً من المسلمين، وأحسبها بفيئته. فخيرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين. فسألها أمير المؤمنين: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه. فقال لها أمير المؤمنين: بل شهربانو، ثم قال للحسين: يا أبا عبدالله لتلدن لك منها خير أهل الأرض، فولدت علي بن الحسين). وكان يقال لعلي بن الحسين: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب بني هاشم، وخيرة الله من العجم فارس. وقال أبو الأسود الدؤلي:

وإن وليدًا بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام

وفي رواية المفيد: أن عمر بن الخطاب أراد بيعها، فقال له أمير المؤمنين: (إن بنات الملوك لا تباع، ولو كن كفارًا، ولكن اعرض عليها أن تختار أحدًا لنفسها، فمن اختارته فزوجها منه، واحسب ذلك من عطائه). فخيرها فاخترت الحسين، فتزوجها وأمره أمير المؤمنين بحفظها والإحسان إليها، وقال له كما يروى: (يا أبا عبدالله لتلدن لك خير أهل الأرض)، فأولدها علياً زين العابدين. وكان يقول له الحسين: (أنت ابن الخيرتين)، فخيرته من العرب، بنو هاشم، ومن العجم الفرس<sup>(١)</sup>.

المجلسي في بحاره بعد نقل أخبار حول زواج الحسين: أن والدته الإمام هي بنت يزجرد التي جيء بها أسيرة في زمان الخليفة عمر، وقد أعجب بها الإمام الحسين، وتزوجها، فولد له منها ابن واحد، هو الإمام السجاد<sup>(٢)</sup>.

(١) الكليني، الكافي، ١/ ٥٣٠، الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٠٦.

(٢) المجلسي، البحار، ١١/ ٤.



واضح فيها التقديس لشخصيتها، وكيف أشرق المسجد بضياء نورها،  
والتوهين في عمر، والتمجيد بعلي، لإنقاذها من الخليفة، وجعله في مقابلة الخليفة،  
والتنبؤ بعاقبتها من الحسين، وهو زين العابدين...

بعض الروايات تقول: إنهم كانوا ثلاث سبايا من بنات كسرى، وتزوجوا  
ثلاثة من أبناء الخلفاء، وهم عبدالله بن عمر، والحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد  
ابن أبي بكر، فمنها صار القاسم وعلي زين العابدين وسالم أبناء خالة، فالقاسم بن  
محمد بن أبي بكر وعلي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسالم بن  
عبدالله بن عمر بن الخطاب، هم أبناء ثلاث أخوات أميرات.

وفي بعض الروايات: (ثم جاء فتح فارس في معركة القادسية، فأُسِرَ ليزدجرد  
أربع بنات، كانت إحداهن من نصيب الإمام الحسين، فأنجبت له الإمام علي زين  
العابدين، وهي (شاهزنان)، والثانية (شهربانويه)، تزوجها محمد بن أبي بكر فولدت  
له القاسم، وتوفيت شاهزنان أم الإمام علي زين العابدين فقامت بتربيته خالته  
شهربانويه زوجة محمد بن أبي بكر، فأنزلها الإمام علي زين العابدين بمنزلة أمه، فعلى  
هذا يكون القاسم بن محمد والإمام علي زين العابدين أبناء خالة. وكان للقاسم ابنة  
اسمها أم فروة تزوجها الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين، فولدت له الإمام  
جعفر الصادق، فيكون محمد بن أبي بكر جد الإمام جعفر الصادق لأمه، مع العلم  
أن أمها هي ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر شقيق محمد. وتكون ذرية محمد بن أبي بكر  
موصولة الرحم بذرية رسول الله).

نقل عن علي بن الحسين: أنا ابن الخيرتين، لأن ملوك العجم خيرهم.

ونقلوا عن الإمام الحسين في عاشوراء قوله: (خيرة الله من الخلق أبي بعد  
جدي، فأنا ابن الخيرتين)، ثم أضافوا لها إضافات طويلة منها:

خيرة الله من الخلق أبي	بعد جدّي وأنا ابن الخيرين
عبدالله غلاما يافعاً	وقريش يعبدون الوثنيين

يعبدون اللات والعزى معا      وعليّ طاف نحو الحرمين  
والدي حيدر وأمي فاطمٌ      وأنا الكوكب وابن الفرقدين

ويقصد الخيرتين: العرب والفرس. لكن الغريب هو نقل الفرس لذلك عن الحسين نفسه، مما يجعله واهياً، لأن الحسين لم يلد من العجم، فأبوه لم يتزوج فارسية أبداً، ولم ينقل ذلك حتى الفرس أنفسهم، مما يزيد من ضعفها<sup>(١)</sup>.

وترد عليها المناقشات الكبيرة والأسئلة المختلفة، مثل: من الذي أعطى الحسين ابن علي ابنة يزدجرد، التي هي من سبي الفرس، وزوجها فولدت له زين العابدين، إن صحت الرواية. وإن كنت لا أرى ذلك، ولكن لو سلّمنا ذلك، فإنها أعطيت من الخليفة الفاروق نفسه، فله فضل على زواج الحسين، فهل يعقل أن يكون جزاء الفاروق بعد ذلك اللعن والسب والشتم بأفزع الصفات.

والعرب لا تجعل للعجم ميزة أو كرامة، خاصة وإن كانوا ملوكاً، ولو اعتدوا بالملك فضيلة لوجب أن يفضلوا قحطان على عدنان، ولكن ليس ذلك عندهم شيء يعتد به، ولم يثبت، وبعض الفقهاء الفرس يقولون: جمع علي بن الحسين بين النبوة (من رسول الله) والملك أي (كسرى)، وليس ذلك بشيء عند العرب، ولا أهل البيت أنفسهم، كما يظهر من حياتهم وأفكارهم وسيرتهم وأقوالهم.

وكان علي بن الحسين يوم الطف مريضاً، ومن ثم لم يقاتل، حتى زعم بعضهم أنه كان صغيراً جداً، قال الزبير بن بكار: كان عمره يوم عاشوراء ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفي سنة ٩٥ هـ..

يتضح مما تقدم أن هذه الرواية كذلك متداولة عند الفرس، ولكن لنرى ضعفها الواضح والتهافت.

الملاحظ هو أن خلافة عمر بن الخطاب كانت بعد وفاة أبي بكر في ١٣ هـ / ١٤ هـ، واستمرت حوالي عشر سنوات، وكانت وفاته عندئذ بحدود سنة

(١) المجلسي المصدر السابق وغيره.

٢٣ هـ، وفي خلافته كانت معركتان مهمتان ضد الامبراطورية الفارسية: معركة القادسية وكانت في سنة ١٥ هـ، ومعركة النهاوند في حدود سنة ٢٠ هـ.

كما كان عبدالله بن عمر في حوالي ٣٠ سنة من عمره، أي في أول خلافة أبيه، فقد ولد قبل البعثة بحوالي سنتين، أي في الفترة ٢٣ هـ، ٣٥ هـ.

لم نعهد له ذكرًا مهمًا في مصادرهم عن هذا الزواج. أما محمد بن أبي بكر فعمره آنذاك لا يزيد عن ٥ سنوات في أول خلافة عمر بن الخطاب، فقد ولد في سنة ١٠ هـ أي أن عمره لن يتجاوز ٧ سنوات وقت معركة القادسية.

وكان عمر الحسين بن علي يقارب ١٠ سنوات في أول خلافة عمر بعد أن كان مولده في سنة ٤ هـ، أي أن عمره لن يتجاوز ١٥ سنة وقت معركة القادسية، فالتشكيك في القصة له مجال واسع ومن جهة أخرى، نعلم أن علي بن الحسين ولد عام ٣٨ هـ، أي بعد عشرين عامًا من زواج أمه من الإمام الحسين.

وقد صرحت هذه القصة بأن (شهربانو) كانت من أسرى فتح المدائن، وأن عمر كان ينوي قتلها، ولكن الإمام علي هو الذي أنجاها من الموت، وواضح جدًا أن واضعي هذه القصة هم من أنصار الشعوية الإيرانية، وأنهم أرادوا من ذلك أظهار أن عليًا كان يساند الساسانيين، ويدافع عنهم، وذلك في مقابل عمر الذي كان عدوهم، لأنه هازم جيوشهم.

غير أن هؤلاء غفلوا تمامًا أنهم حينما أرادوا أثبات أن الإمام السجاد هو حفيد يزددجرد وأمّه (شهربانو)، أوقعوا أنفسهم في إشكال تاريخي مهم، وهو لزوم أن يكون الحسين تزوج في ١٨ هـ (حينها كان عمره ١٥ سنة)، بينما الإمام علي بن الحسين ولد عام ٣٨ هـ، ومن المعروف أنه لم يولد له من (شهربانو) سوى السجاد، وهذا يعني أنها لم تلد من الإمام الحسين إلا بعد مضي عشرين عامًا. غير أن المجلسي عندما تنبه إلى هذه المشكلة بالرواية، حاول ترقيعها بالقول: إنه ليس من المستبعد أن تكون كلمة (عمر) الواردة في الرواية تصحيفًا لكلمة عثمان، فيكون الزواج قد تم في عهد عثمان، وليس في عهد عمر.



والواقع: أن هذه المحاولة، لو فرض قبولها، فإنها سوف تحل أشكال التفاوت الكبير بين وقت الزواج ووقت الولادة، ولكن إشكالا آخر أكثر تعقيداً سوف يظهر للعيان فيه، وهو طول المدة الزمنية بين انكسار جيش يزدجرد وبين أسر بناته. هذا مضافاً إلى أن الرواية تضمنت التصريح بأن الأسرى هم أسرى (المدائن)، فهل يقول المجلسي أنها مصحفة أيضاً؟ إنها محاولة بائسة واهية.

ويسوق المجلسي روايته حول اسمها (شهربانو)، وكذلك القصة الكاملة: يطرح اسم أم الإمام، وهل هي سلامة أو خولة أو غزالة أو شاه زنان أو..... فيقول: إنهم جاءوا ببنت يزدجرد إلى المدينة، وما أن وقعت عينها على عمر حتى غضبت، وسبت عمر فسبها هو أيضاً، وأمر أن تباع شأن سائر الأسرى، فاعترضه أمير المؤمنين بالقول: إن بنات الملوك لا تباع ولا تشتري وإن كانوا كفاراً، وأشار عليه بأن يزوجه رجلاً من المسلمين، ويدفع صداقها من بيت المال. وفي ذيل الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق يمكن ملاحظة الحوار التالي بين الإمام علي وابنة يزدجرد:

فقال (جه نام داري أي كنيزك)؟ يعني ما اسمك يا صبية؟

قالت: جهان شاه، فقال: بل شهر بانويه. قالت: تلك أختي. قال: (راست كفتي) أي صدقت<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الراوي لهذه الرواية لم يكن يعلم أن الإمام علي حتى لو افترضنا أنه تحدث معها الفارسية، إلا أن اللغة التي كان سيحدث بها لم تكن مفهومة عند بنت يزدجرد، وذلك لأن علياً يتحدث باللهجة الفارسية الدرية، وهي لهجة محلية لأهالي خراسان، بينما كانت بنت يزدجرد تتحدث باللغة البهلوية الساسانية، هذا أولاً. وثانياً عبارة (أي كنيزك) الواردة في الرواية من الواضح إنها من الاصطلاحات الرائجة في زمان الراوي لا في زمان الحدث، إضافة إلى أن الإمام علياً كان يخاطبها

(١) المصدر المجلسي وغيره أعلاه.



بالفارسية، بينما هي تجيب بالعربية برغم عدم معرفتها بالعربية، فهذا من التناقض الفاضح الواضح.

وجاء ذكر القصة في اليعقوبي: (كانت أمه بنت يزدجرد كسرى، وذلك أن عمر بن الخطاب لما أتى بابنتي يزدجرد، وهب إحداها للحسين بن علي فسمّاها غزالة) وغيره.

وفي الروايات ضعف سندي واضح وجلي، فقد كانت رواية الكافي في سندها إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي، وهو مطعون فيه وضعيف ومتّهم في علم الرجال، حيث قال النجاشي: (كان ضعيفاً في حديثه متّهماً)، وقال الحلي في كتابه (الخلاصة) في الضعفاء: (كان ضعيفاً في حديثه، متّهماً في دينه، وفي مذهبه ارتفاع، وأمره مختلط، لا أعمل على شيء مما يرويه)، كما اعتبره الطوسي ضعيفاً في فهرسته، وكذلك جاء في سندها عمرو بن شمر، وهو كذلك، فقال النجاشي: (ضعيف جداً زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي، وينسب بعضها إليه، والأمر ملتبس)، وكذلك اعتبره الحلي من الضعفاء، وقال: (لا أعتمد على شيء من مروياته)، وأمثالهم في سند الروايات فضلاً عما عرفته من مناقشة متنها أعلاه، وقد شكك في القصة أمثال إدوارد براون وكريستن سن وغيرهم في تحقيقاتهم<sup>(١)</sup>.

والسؤال المهم: لماذا اختاروا الحسين دون الحسن؟ لأنهم نفذوا من خلال المذهب الشيعي الفارسي، أي الإمامة تنتقل في ولد الإمام الحسين معتقدات الشيعة الاثني عشرية، لكي يكون كسرى مصاهراً له، بينما الحسن صالح معاوية، وأبطل نظرياتهم، ولا علاقة له بالشهادة وكر بلاء وطقوسها.

وهناك أيضاً اختيار الحسن العسكري وتزويجه من بنت كسرى أيضاً برواية أشبه بالخيال، لأنهم لا يريدون انقراض جيل الأسرة الساسانية، وهي تضع له شجرة ترجع بنسبه إلى بهرام، والي ذلك يشير الشاعر الفردوسي في (شاه نامه) نقلاً

(١) التستري، الأخبار الدخيلة، ص ٢١٦، الحسني، الموضوعات، ١٥١-١٥٢، رجال الكشي، ٢٩٧، الحر العاملي، الوسائل، ٣٠/٢٥٩، الحلي، الضعفاء، ص ٢٤١.

عن رستم أنه كتب رسالة إلى أخيه تطرق فيها إلى انقراض السلالة الساسانية وهيمنة العرب على إيران يقول:

من هذا العالم إلى أربع مئة سنة لاحقة لن يرى العالم مثل هذه النطفة.<sup>(١)</sup>

وهكذا أرادوا استمرار النطفة عبر ترقيع سلسلة الارتباط النسبي بحلقة ارتباط سببي مصاهرة رسول الله. وهكذا يتحقق الغرض من الوصل بين السلسلة السلطانية الساسانية والسلسلة الإمامية الشيعية. والجلال الأيزدي بالنور المحمدي:

وان غلاما بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام

هذا هو التشيع الفارسي، وهو تركيب يلاحق بين السلطة الإسلامية والوراثة الدينية مع السلطة الفارسية بين كسرى وهاشم. ومن خلال السرد نجد أن هذه الرواية باطلة من كل النواحي، وإنما أريد بها امتداد كسرى مع أهل البيت واندماجه بهم، فيتلاقح الدم، وتتمادى الوراثة، وتخلق بسماء الغيب، أضف إلى ذلك البغضاء لأهل البيت مع الخليفة عمر، والانتقام من أصحاب القادسية برغم أنه يجافي الحقيقة، بل توجه أهل البيت وسيرتهم عكسها تماماً.

وفي ذلك أهداف كبرى للتشيع الفارسي:

١. إظهار عمر بمنزلة العدو رقم واحد لعل: وشجب مناوءته لحامل لواء الإسلام، والحلقة الأولى في سلسلة أهل البيت، وذلك انتقاماً من دور عمر البارز في القضاء على الدولة الساسانية وتقويض وجودها.

٢. إلقاء تبعة انقراض الدولة الساسانية على عمر لا على الإسلام.

٣. تلقين الناس على أن خلافة عمر تعادي السلطنة الساسانية، أما الشيعة الإمامية فكانت بمنزلة المدافع عنها، لأنها ستكون فارسية شعبية بامتياز، لا عربية مبدئية.

(١) فردوسي، شاهنامه، الملحمة الشعرية الكاملة.

٤. أن يزدجرد آخر الأكاسرة الساسانيين كان قد انكسر بواسطة عمر، وأن النبي هو الذي أعاد له شأنه ومكانته المرموقة بالمجتمع الإيراني، وذلك من خلال إدخاله في بيت النبي، عبر أكذوبة الزواج، ليصبح أحد طرفي السلسلة وطرفها الآخر هو النبوة.

٥. استمرار الإمامة من الإمام السجاد إلى الإمام المهدي، عند الشيعة، يعكس استمرار السلطة الساسانية.

٦. النور المحمدي المنبلج من النور الإلهي يمتزج مع المجد الفارسي المستمد من أهوار مزادا.

٧. إن عمر يكون هو الذي حرم السلالة الساسانية من أحقية الحكم كما أنه حرم السلالة المحمدية من حق الخلافة.

وهكذا ربطت فارس والتشيع الفارسي هذه الزيجة، التي ثبت بطلانها، لأهدافها في إضفاء طابع ديني على الشعوبية والتفرقة، فتكون طابعاً روحياً ومسحة قدسية في العائلة الساسانية الفارسية وربطها بآل بيت النبي.

يقول المستشرق كنت كوينو: (ربط الفرس عقيدتهم التقديسية في ملوكهم الساسانيين بعقائد الشيعة الإمامية في مسألة الإمامة بزواج الإمام الحسين مع شهربانو بنت يزدجرد الساساني، وهكذا استمرت العقيدة الفارسية الساسانية في عقيدة الإمامة في ولد الحسين)، ويؤيده ادوارد براون قائلاً: (وأنا أعتقد أن الحق مع كوينو في قوله: إن الإيرانيين كانوا يرون أن الملوكية هي الحق السماوي، بل هي الموهبة الإلهية وقد أودعت عند الساسانيين الحاكمين وأسرهم، وقد كان لهذه العقيدة آثار عظيمة في مختلف أدوار التاريخ الإيراني، ومنها عقيدة الشيعة في مودة أهل البيت، فهي من آثار العقيدة الساسانية الملوكية... وكان السبب في تدمير الفرس من شخصية الخليفة عمر بن الخطاب بالخصوص أنه المحطّم للإمبراطورية الفارسية العظمى، لذلك ظهر الفرس بثوب المذهب الشيعي، حيث زواج الحسين

ببنت يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين، فلهم الحق الوحيد، الفرس، بتمثيل الحكم الإلهي، لأن العرق الفاضل النجيب قد اختلط بين كسرى وبين هاشم، فلا يحق لغيرهم كالإمامية والإسماعيلية نيابة تلك الوراثة الإلهية).

فتكون عقيدة الولاية الإلهية من صنع الفرس وتراثهم في ملوكهم الساسانيين، لأنهم كانوا يدعون دومًا مقامًا سماويًا ومنصبًا إلهيًا، اختصوا به دون غيرهم، ولا يمكن لأمة خصوصًا الأمة المستعيلة ذات تاريخ طويل أن تتنازل بسهولة ويسر عن تاريخها وعقائدها تحت أمة تصفها بأسوأ الصفات من أعراب البادية والجهل والجراد لذلك تجد احتفالاتها بالنار وأعيادها المجوسية وآخر أربعاء من السنة الشمسية الفارسية واعتقادات كثيرة من آثار وبقايا المجوسية وأسماء كسرى وغيره حافلة كبيرة جليلة خصوصًا في أماكن ما يسمى بالعتبات المقدسة. والمرء يجد الأئمة أنفسهم لا يعرفون عن هذا الغلو الفظيع والغريب، وكانت حياتهم سهلة واضحة بسيطة بعيدة عن كل أنواع الغلو.

يؤكد برويز صانعي على ترابط التشيع بالفكر الفارسي الآري الإيراني، فيقول: (إن الإمام الحسين اختار ابنة آخر ملك إيراني زوجة له، فكان ابنه علي بن الحسين ثم أبناؤه الأئمة كلهم من أبناء ملوك الإيرانيين، ومن هنا رضي بهم الفرس أئمة وسادة وقادة، بهم يتولون، ومن أعدائهم يتبرءون، وهم بهذه العقيدة بالإمامة يكونون قد احتفظوا بحكومتهم الإيرانية الملوكية الساسانية الوراثة)، وغيره من المفكرين الإيرانيين.

يؤكد المؤرخ الإيراني سعيد نفيسي في كتابه (تاريخ إيران الاجتماعي) (أن يزدجرد الثالث لم تكن له أصلاً بنت باسم «شهربانو» حتى تأسر في المدائن، وتؤخذ لعمر، لكي تتزوج بالإمام الحسين، وتكون أمًّا للإمام السجاد<sup>(١)</sup>).

(١) سعيد النفيسي، تاريخ إيران الاجتماعي، ١ / ١٣، برويز صانعي، قانون وشخصيات، ص ١٥٧، تاريخ أدبيات، ١ / ١٩٥، جلال إيزدي، المجد الإلهي.



كما أن يزدجرد في حقبة خلافة عمر كان عمره خمسة عشر عامًا، فكيف تسنى أن يكون له بنت بعمر الزواج؟

وقال المسعودي في مروج الذهب: إن يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو آخر ملوك الساسانية، كان ملكه إلى أن قتل بمرو من بلاد خراسان، وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. وقتل يزدجرد، وله خمس وثلاثون سنة، وخلف من الولد بهرام، فيروز، ومن النساء: أدرك وشاهين و مردآوند<sup>(١)</sup>.

ان هذه القصة بقدر ما هي موضوعية وضعيفة من الناحية العلمية والتاريخية، إلا أنها من الناحية السياسية كانت صالحة لتحقيق أهداف الشعوبية التي سعت إلى حماية هويتها القومية من الانقراض والذوبان في الهوية الإسلامية. كما أن هذه الأسطورة تكشف لنا عن مدى الاختراق الذي أحدثته الحركة الشعوبية ووليدتها الحركة الصفوية في المذهب الشيعي. ولذلك فقد أصبح ضروريًا التدقيق والتحقيق في الروايات والأحاديث المدسوسة، التي هي مع الأسف تشكل اليوم جزءًا كبيرًا ومؤثرًا من التراث السائد.

والتاريخ يقول العكس، فعندما يريد الإمام الحسين الزواج، فكان يسأل كما سأل أبوه علي بن أبي طالب، عندما سأل أخاه عقيلًا، وكان عارفًا بأنساب العرب، (أخي عقيل هب لي امرأة من بطون العرب)، ولم يقل من بطون فارس.

ويذهب البعض من الفقهاء العرب أن الحسين تزوج أم ولد من بني تميم العربية.

المشكلة أيضًا في الاتجاه الفارسي أنه يناقض القرآن ومبادئ العمل الصالح، لا النسب والعائلية والوراثة الفارسية: كمجد كسروي، بل قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٣١٠.

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴿١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ورد عن النبي قوله لفاطمة: «يا فاطمة اعلمي ما شئت، فإني والله لا أغني عنك من الله شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وجمعه بني عبدالمطلب محذراً من استغلال النسب، وقائلاً: (تأتون يوم القيامة بأعمالكم، لا أنسابكم وأحسابكم). وغيره من القيم والمبادئ، ومقياس العمل الصالح لا النسب والحسب، مجرداً عن العمل الصالح، لذلك يقرن القرآن الإيمان بالعمل الصالح، وترتيب آثاره عليهما: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]<sup>(٢)</sup>.

فضلاً عن ثقافة الأحقاد والبغضاء والكراهية، التي تزرعها ضد الخلفاء الراشدين والسنة وعموم المسلمين والسواد العام للأمة، وهي ثقافة مرفوضة ديناً وعقلاً، وهي تعارض سيرة الرسول وآل البيت أنفسهم في التشيع العربي، كما يظهر في ثنايا البحث.



(١) عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل {وأندر عشيرتك الأقربين} قال: «يا معشر قريش» أو كلمة نحوها «اشترُوا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سألني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً». أخرجه البخاري (٤/٦-٧ رقم ٢٧٥٣)، ومسلم (١/١٩٢ رقم ٢٠٦).

(٢) الآيات التي تربط الإيمان بالعمل الصالح كثيرة جداً منها: الآية ٣ من سورة الدهر، الآيات ٢٥ و ٨٢ و ٢٧٧ من سورة البقرة، الآية ٥٧ من سورة آل عمران، الآيات ٥٧ و ١٢٢ و ١٧٣ من سورة النساء، والآيات ٩ و ٩٣ سورة المائدة، والآية ٤٢ من سورة الأعراف، والآيات ٤ و ٩ من سورة يونس، وغيرها كثير.



## حركات الغلو الفارسية أيام الدولة العباسية

اشتهرت في العصرين السابقين الخلافة الراشدة والدولة الأموية فرق الغلو العديدة: كالسبئية والكيسانية والمغيرية والبيانية والمنصورية وغيرها، مما عرف بالغلو والتطرف. ولا يخفي الدور الفارسي في حركتها وتبنيها ودعمها، حيث نمت من غير العرب الموالي الفرس. ونشأت فيها عقائد غريبة مثل ادعاء الألوهية، وزعم النبوة وتأسيس عقائد غريبة: كالرجعة والحلول والتناسخ والإباحية والبداء وغيرها، مثل اعتماد الإيمان على معرفة الإمام بعنوان: (من عرف الإمام فليفعل ما يشاء)، وانتقال الزعامة من العرب للفرس ومعتقداتهم القديمة خصوصاً المجوسية في تقديس الملك: كإله منصوب لا يجوز الاعتراض عليه، وطاعته طاعة مطلقة إلهية واجبة، حيث يكفر من يخالفها بزعمهم، لكن الأئمة من آل البيت رفضوهم ولعنوهم وكفروهم، وأخرجوهم من الدين وطردهم<sup>(١)</sup>.

إن تلك الحركات لم تكن تنمو بشكل كبير، لأن الدولة والجيش كانا قويين، هذا بينما في بداية العصر العباسي وضعف الجيش، ثم توغل الفرس وازدياد الاختلاط والاحتكاك والتلاقح والامتزاج، ثقافياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً، لذلك كان

---

(١) الثعالبي، غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٧٤، فلهاورزن، أحزاب المعارضة، ص ٢٤٠، ابن حزم، الفصل في الملل، ١١٥ / ٢، مقالات الإسلاميين، ٥ / ١، الجاحظ، الحيوان، ٦ / ٣٩٠، تاريخ الطبري، ٥ / ٢٧٧، كريستيسن، تاريخ إيران، ص ٧٧، العقد الفريد، ٢ / ٤٠٥، النوبختي، فرق الشيعة، ص ٣٥، الأصفهاني، الأغاني، ١١ / ٧٠.



للحركات والفرق المغالية في العصر العباسي دور مهم وفاعل، بل لا زالت الكثير من أفكارها وعقائدها مهيمنة في التشيع الفارسي<sup>(١)</sup>.

برغم أن الحركة العباسية هي عربية القيادة والإدارة والتنظيم، لكن الحركات الفارسية الغالية استطاعت التغلغل والنفوذ والنمو والتأثير.

ومن هذه الحركات الفارسية المغالية هي البخداشية القادمة من خراسان بإيران، وزعيمها عمار بن يزيد الملقب بخداش، وقالوا: (إن لقبه يعني خدشه في الدين، أي هدمه للإسلام). وكان بكير بن ماهان قد أرسل عماراً إلى خراسان عام ٧٣٦ م للدعوة إلى العباسيين، لكنه بدأ يدعو للغلو بمبادئ فيها من العقيدة الفارسية المجوسية، وفيها الباطنية والخرمية، (وفيها المزدكية مع المجوسية). وقد أباح بخداش الزواج المحرم، ودعا الناس إلى نفسه مدعيًا أن الإمامة الإلهية قد حلت فيه، حيث فيه روح الله، وجعلته محيطًا بجميع الأسرار الإلهية. وعندها بات زعيمًا نافذًا. له المريدون والأنصار في خراسان وغيرها. يقول الطبري: (إن بخداش أظهر دين الخرامية، ورخص لبعضهم في نساء بعض...)، لذلك تبرأ منه محمد بن علي العباسي، وأرسل رسالتين إلى الدعاة العباسيين يعلن براءته منه، وجاء فيها: (وإنني أشهد الله الذي يحفظ ما تلفظ به العباد من زكي القول وخبيثه، أني أبرأ من بخداش، وممن كان على رأيه، ودان بدينه، وأمركم أن لا تقبلوا من أحد ممن آتاكم عني قولاً ولا رسالة، تخالف كتاب الله وسنة رسوله)... وخاتمة بخداش أن قبض عليه أسد القسري، وقام بصلبه<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك الحركات والفرق الفارسية هي الراوندية، لزعيمها عبدالله الراوندي، وهي ترى الإمامة بعد أبي هاشم إلى أولاده بالوصية، وزعمت أن روح عيسى ابن مريم

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١٦/٢، الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٥٩، الشيباني، الصلة بين التشيع، ص ١٣٥، الفرق بين الفرق، البغدادي، ص ٢٣٥، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٦٧، الرازي، الزينة، ص ٢٩٨، النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤٢.

(٢) الطبري، التاريخ، أخبار العباس وأولاده، ١٥٨٨/٢.

قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب، ثم إلى أئمتهم واحداً بعد آخر، حيث ادعوا وصول الإمامة إلى الألوهية واستحلالها المحرمات، ثم ادعوا ذلك في أبي جعفر المنصور، ودعوا إلى عبادته، وقالوا: إنه الله الذي يطعم ويشرب ويسقي ويميت ويحيي. أمّا الخليفة أبو العباس عبدالله بن محمد عند تأسيس الخلافة العباسية عام ٧٤٩ م أعلن بشكل صريح وواضح في جامع الكوفة: أن الدولة تسير على كتاب الله المجيد وسنة نبيه الكريم، ورفض أنواع الغلو والتطرف، كما صرح كذلك برفض السبئية وأمثالها، وجاء فيها أيضاً: (الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، فكرّمه وشرّفه وعظّمه، واختاره لنا، وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه ومحضه، والقوام عليه، والذاين عنه، والمناصرين له... وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منافشاهت وجوههم. يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، فأنتم أسعد الناس عندنا، وأكرمهم علينا، وقد زدكم في أعطياتكم مئة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح والثائر).. ثم تحرك الفرس والموالي ضده على أساس أن الشرعية الإلهية ليست في بنى العباس، بل آل علي بن أبي طالب، وهي ردة فعل على رفض الخليفة العباسي لغلوهم وتطرفهم. وهنا قامت الراوندية بتمردات على العباسيين في خراسان وبقية مدن إيران، لكن السفاح العباسي قد حاول القضاء عليهم، وإنهاء تمرداتهم إلى حد كبير، لكن أنشطتهم الجديدة جاءت تحت عباءة أبي جعفر المنصور، وادعوا معجزاته وإحاطاته بشتى العلوم الإلهية وبربوبيته، وادعوا أن أبا مسلم الخراساني هو نبيه. أما المنصور فقد هادنهم أول الأمر قبل أن تكبر شوكتهم، قائلاً: (دعهم يدخلون النار في طاعتنا). وفي ذلك إقرار بدخولهم النار لأفكارهم المتطرفة برغم أنها لم تشكل في بداياتها خطراً حقيقياً على الدولة. ثم زادت شوكتهم وأتباعهم، حتى هجموا على المنصور وأرادوا قتله عام ٧٥٨ م، فألقى القبض على ٢٠٠ منهم، ثم سجنوا، ولكنهم في السجن تمردوا وكسروا أبواب السجن برغم قتل المنصور إلى أكثر من ٦٠٠ منهم، مما جعلهم يتفرقون ويتشتتون إلى فرق متعددة<sup>(١)</sup>.

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٧، الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٢٠١، تاريخ الطبري، ٣/ ٤١٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٧/ ٣٦٢، نظام الملك، سياستنامه، ص ٢٦٢، ابن الجوزي، تليس إبليس، ص ١٠٣، السمعاني، الأنساب، ص ٧٢، المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١٥.

ومن الحركات والفرق الفارسية أيضًا الخرمية، وهي كلمة فارسية تعني (دين اللذة)، وقد كانت المزدكية الناشئة من الزرادشتية تسمى في العصر الساساني بالخرمية. وكانت الخرمية تنادي بالإباحة الجنسية، وإسقاط التكليف، واستعمال العنف. وكانت عنصرية تكره العرب وتمجد الفرس بشكل علني قوي وكانت ترغب بالرجوع للديانة الفارسية المجوسية القديمة، كما تدعو إلى هدم الكعبة المشرفة.

قال المقدسي: (إن الخرمية فرقة إيرانية ثنوية تختفي تحت برقع إسلامي) وقال السمعاني: (ولما كان أكثر القتال والمخالفة للخرمية إنما يقع بسبب حلية النساء وإباحة الأموال وجعل الناس شركة فيهما. وادّعت الخرمية أن النبوة مستمرة في زعمائها، حيث حلت فيهم الروح الإلهية بالتناسخ، وأن معرفة زعيمهم تغني عن الصلاة والصيام وجميع التكليف).

يقول ابن الجوزي: إنهم أرادوا إعادة أمجاد الفرس وعقائدهم وإبطال الإسلام، كذلك يذكر الطبري: أن الخرمية أرادت إرجاع ملة المجوس، وكذلك المسعودي يرى أنهم ينتظرون عودة الملك الفارسي فيهم وقلع الإسلام، ويذكر المقرئ: أنهم أرادوا الكيد للإسلام بمحاربته. وكان الخرمية يعدون دينهم الأبيض بينما يعدون الأسود هو دين العرب والإسلام، وأقر زعماءهم بسعيهم لأخذ الحكم من العرب إلى الفرس وأمجادهم التاريخية<sup>(١)</sup>.

وأيضًا من الحركات والفرق الفارسية المغالية كانت الراوندية الخرمية بخراسان متمردة على الدولة العباسية، وحركة بهافريد الزرادشتية في نيسابور عام ٧٤٧ م وباذغيس الزرادشتية عام ٧٦٧ م وأيضا حركة سنباذ في خراسان عام ٧٥٤ م. بهافريد حاول تعديل الزرادشتية لتناغم الإسلام بالتوفيق بينهما، لتكون أكثر انتشارًا وقبولاً حتى بين المسلمين، وقال البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: (إن تعاليم بهافريد على ضلالتها لكنها تبقى خيرًا من تعاليم زرادشت نفسه)،

(١) التاريخ الإسلامي، ص ٢١٦، ابن النديم، الفهرست، ص ٤٤٩، الشهرستاني، الملل والنحل، ٢٤٩/١، المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/١٤، السمعاني، كتاب الأنساب، ص ٧٢.



وهكذا دخل المجوس والموالي الفرس فيها خصوصاً ممن ادعى دخوله الإسلام ظاهراً. أما سنباذ فقد عارض الإسلام بمزدكية خرمية جديدة تجعل الغلو بصبغة دينية إسلامية ورفع شعارات متعددة مغرية، ثم بدأ يبشّر الفرس بأن حكم العرب زواله قريب، وأن دولة المجوس آتية قريباً لا محالة، كما بشر بهدم الكعبة المشرفة. ثم استبدل الكعبة بالشمس قبله للصلاة، وهي رمز للديانة المجوسية، وقد جذب الغلاة والفرس نحوه. ادعى السنباذ أن أبا مسلم الخراساني لم يمت، بل تحول إلى حمامة بيضاء واختفى، ليعود في المستقبل في عنوان (الرجعة) لاحقاً. بدأت حركة سنباذ في مدينة نيسابور الإيرانية، وزعامتها وعناصرها من الفرس، ثم قام بقتل والي نيسابور، ثم الاستيلاء على الخزائن المالية، وتقدم نحو الري (طهران)، ثم اتجه إلى العراق لإنهاء الدولة العباسية وهو يدعو للزحف نحو الحجاز وهدم الكعبة، لكن أبا جعفر المنصور قد هيأ جيشاً كبيراً بقيادة القائد العربي جهور بن مرار العجلي، ولاقاه بين الري وهمدان، مما أدى إلى هزيمة سنباذ إلى طبرستان التي مات فيها، ومقتل أكثر من ستين ألفاً من جيش سنباذ<sup>(١)</sup>.

بعد حركة سنباذ قامت حركتان فارسيتان مغاليتان في خراسان، هما حركة إسحاق الترك (١٣٧، ١٤٠ هـ)، وحركة استاذسير عام ٧٦٧م، وكلاهما يدعوان إلى البهافريدية (الزرادشتية المعدلة). الأولى قضى عليها والي خراسان خالد الهذلي بسهولة، لكن الثانية سيطرت على خراسان، وكان من جيشها ثلاثون ألفاً مما حدا بالمنصور أن يرسل ولده المهدي وجيشاً كبيراً بقيادة قائد عربي هو خازم التميمي الذي حاصرهم ولاحقهم حتى الجبال، فقتلهم وقضى عليهم. ثم حركة المقنع الخراساني عام ٧٧٥م في خراسان لتمتد إلى ما وراء النهر وكش وبخارى، حين ارتد أميرها بونيات في السنة الأولى لحكم المهدي العباسي. المقنع من الفرقة الزرامية المؤمنة بإمامة أبي مسلم الخراساني وحلول روح الله فيه، ثم قالت: إن المقنع هو إله، وادعت أن معرفة الإمام تغني عن الطاعات والعبادات، فأسقطت التكاليف

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٤، البيروني، الآثار الباقية، ص ٢١١، تاريخ الطبري، ١٤٠/٦، البغدادى، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٣، المسعودي، مروج الذهب، ١٨٨/٦.



من الصلاة والصيام وغيرها، وأباححت النساء وأخذ المال للأتباع والموالين. وقال المقنع بالحلل والتناسخ، وطالب بالسجود للمقنع، لأن الله قد حلّ فيه، وأمر بقتل مخالفيه، واعتبر القتل جزءاً من التبري في العقيدة، وبشر بالرجعة لنفسه بعد موته، إذ إنه رمى بنفسه في التنور، واحترق تماماً بعد أن أعطى أتباعه سماً قاتلاً يشربونه، وذلك عندما حاصره الجيش العباسي مدعيًا عودته آخر الزمان. كانت حركة عنصرية ضد العرب، واعتبرت من الحركات التمجيدية للفرس والإيرانيين وكرهه العرب والمسلمين<sup>(١)</sup>.

ثم جاءت المحمرة في جرجان عام ٧٧٨ م والخرمية في آذربيجان عام ٨٠٧ م التي مهدت لحركة خطيرة جدًا هي حركة بابك الخرمي، ثم حركات أخرى في قم وأصفهان وهمدان وغيرها من الفرق الفارسية المغالية. حركة بابك الخرمي كانت خطيرة ومهمة أيام المأمون والمعتصم العباسيين. وكانت مسلحة ومنظمة (سيبلغ بابك بنفسه وبكم أمرًا لم يبلغ به أحد، وأنه سوف يملك الأرض ويقتل الجبابرة ويردّ المزدكية ويعزّز ذليلكم ويرفع وضيعكم). هذا وقد ترأس بابك الخرمية بعد وفاة زعيمها جاويدان ورشّحته زوجة جاويدان للقيادة قائلة: إن روح جاويدان قد حلت في بابك بعد وفاة الأول، واتبعه الأتباع زعيمًا روحياً وسياسياً كاملاً، ثم ادعى بابك أنه من نسل فاطمة الزهراء، ليوصل نسله بالرسول، وربط نفسه بأبي مسلم الخراساني، وتكونت العلاقة الوثيقة بين الفاطميين والخرميين واعتماد النزعة الفارسية، حتى حصل على تأييد الأمراء الإيرانيين كأمر طبرستان وغيره. وهي تدعو إلى الحلل والرجعة وإسقاط التكاليف، فمعرفة الإمام تغني عن ذلك وتدعو للحرب استيلاءً على المال والنساء، وتحالفوا مع البيزنطيين، ولذلك قال المسعودي: (هدف بابك هو إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها...)، واستمرت الحركة (٢٠٠هـ، ٢٢٢هـ)، وشملت آذربيجان وأرمينيا والجبال وبعض مناطق الجزيرة وغيرها،

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٣، النسخي، تاريخ البخاري، ص ٦٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٦/٢، تاريخ الطبري، ٤٨٤/٣.

ولم يستطع المأمون القضاء عليهم، حيث توفي ٢١٨ هـ فقام المعتصم بحملة واسعة عليهم بقيادة القائد الأفشين، وحاصرهم في الجبال، فهرب بابك إلى أرمينيا، ليلقي القبض عليه من قبل سهل بن سنباط الأرميني، وبعثه إلى سامراء ليعدم هناك، وعرض رأسه ببغداد<sup>(١)</sup>.

هذه أمثلة مختارة لبعض حركات الغلو الفارسية أيام الدولة العباسية، لطعنها وإسقاطها، وإعادة أمجاد الفارسية المجوسية بأحقاد واضحة ضد العرب والإسلام.



(١) المسعودي، مروج الذهب، ١٦٨/٢، تاريخ الطبري، ٤٨٩/٣، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٥.



## الدولة البويهية الفارسية وتأليف الكتب الحديثية الأربعة

من أخطر المراحل التاريخية في انحراف التشيع العربي وتأسيس التشيع الفارسي هي الدولة البويهية ودورها الكبير جداً. والبويهيون فرس من الديلم شمال الغرب الإيراني، ينتسبون إلى ملكهم بن يزدجرد الفارسي، وقد حكمت في غرب إيران، ثم حكمت العراق في القرن الرابع الهجري، أي ٩٣٢، ١٠٥٦م لحقبة تزيد على قرن ونصف، حيث كانت بغداد على مذهب السنة والجماعة، سوى منطقة ربض الكرخ، لكن البويهيين استطاعوا بوسائلهم المختلفة تشييع بغداد، وتحويلها إلى مذهبهم الشيعي، وطقوسهم في الغلو في الأئمة والتكفير للمخالفين وغير ذلك. استولى البويهيون الشيعة على معظم أملاك الدولة العباسية في إيران والعراق، وتحكموا في الخلافة العباسية ردحاً من الزمن، حتى صاروا الحاكمين الفاعلين، وبات الخليفة العباسي بوصفه رمزاً شرفياً، لا سلطة، ولا نفوذ له عليهم، حتى إنه سمع بالرسائل الولائية بين البويهيين والحكام الفاطميين ضد الحكام العباسيين، ولم يقدر على تحريك أو تغيير ضدهم. وفي زمن آل بويه بات فقهاء قم ذوي السلطة والسطوة وادعوا علاقاتهم بالمهدي الغائب ونوابه الخاصين، مثل الصدوق القمي علي بن الحسين بن بابويه، (وكان شيخ القميين وزعيمهم)، وابنه محمد صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه)، وتحالفهم مع ملوك بني بويه ودعمهم في التأليف والنشر والنفوذ، وانعكس ذلك على العراق. كان شيعة العراق يسكنون عادة في منطقتين الكوفة، وغرب بغداد (ربض الكرخ) عند السوق الذي بناه الخليفة العباسي أبو



جعفر المنصور عام ١٥٧ هجرية وغرب الكرخ منطقة مسجد براثا. المسجد الذي روي في أسطورة: أن الإمام علي قد أقام الصلاة فيه، وهو في طريقه لحرب الخوارج في النهروان. وكان مسجد براثا ومنطقته مركزاً للخلاف العنيف ومشاراً لفتن طائفية كثيرة بحكم التقديس والغلو من جانب وثقافة التكفير من جانب آخر، حتى قام الخليفة أحياناً بهدمه وأدّا للفتنة الطائفية ومركزها في جامع براثا، ثم بناه الفرس لاحقاً. كان التعايش والمحبة سائدين بين السنة والشيعة قبل مجئ البويهيين، ودخولهم بغداد عام ٣٣٤ هجرية عندما سيطروا على الحكم بعد تحولهم من الزيدية إلى الإمامية الإثنى عشرية، وقيام معز الدولة البويهى أحمد بن بويه بأمر غلمانة البويهيين بسحب الخليفة العباسي المستكفي بالله على الأرض بعد لف عمامته على رقبتة، وسوقه حافياً، وقتله بدار معز الدولة، ثم سرقه، ونهب دار الخلافة، ثم الفتنة الطائفية بين الكرخ والرصافة بوصفهم شيعة وسنة ودماء ومصائب ومجازر، في محاولات تشييع بغداد فارسياً على الطريقة البويهية الفارسية، ولو بالقوة والسيوف. ولقد ابتدع البويهيون طقوساً وبدعاً في الغلو في الأئمة والتكفير للسنة، فلقد أحدثوا بشكل واسع وكبير البكاء والنوح والمآتم، ورفع شعار الثارات من السنة في العاشر من محرم، فأعلن معز الدولة أحمد بن بويه في محرم سنة ٣٥٢ هجرية بوجوب غلق متاجر بغداد، ووقف جميع معاملات البيع والشراء في الأسواق، ووجوب خروج النساء ناشرات الشعور، مغبرات الوجوه، ولابسات السواد، لاطمات الوجوه، ينحن في الشوارع والأسواق، ولبس الرجال للسواد، وإظهارهم للأحزان مع شعارات طائفية، لتحويل بغداد إلى سواد كامل باسم الحسين المذبوح للثأر من مخالفه، وكانت الحالة من القوة والشدة ضد أى معترض أو مستنكر. ولقد كان معز الدولة من جملة الخارجين في بغداد للعزاء والنوح على الحسين بموكب مهيب حزين... وقد أمر أن يكتب على مساجد بغداد سنة ٣٥١ هـ ما صورته: (لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن منع من أن يُدفن الحسن عند قبر جدّه، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى)... وعاش السنة أياماً عصيبة سوداء مظلمة، وكأنهم فعلاً قتلوا الحسين. وهذا تزوير للتاريخ

بأبشع صورته، فقتلة الحسين معروفون ولا علاقة لهم بهؤلاء، وهم أيضاً قد ولدوا بعد الواقعة بقرون، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا نَزْرُ وَأَزْرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولا علاقة لأجدادهم أيضاً بذلك. بينما كانت بغداد قبل البويهيين زاهرة عظيمة، إذ تحولت تحولاً كبيراً، فبات الفقر والقحط والأمراض بعد القوانين الشديدة والضرائب الكبيرة، حتى فرّ الكثيرون، وهجروا موطنهم بغداد، بينما كان الحاكم يتصرف بالخزانة ويصرف أنى شاء، وكيف شاء، بلا حساب ولا عقاب، وهكذا تكونت طبقة مترفة غنية، فيها الفقهاء من وعاظ السلاطين، بينما الفقر والحرمان والجوع هو السمة الغالبة لمعظم الشعب المسحوق. أمر معز الدولة البويهي في الثامن من ذي الحجة عام ٣٥٢ هجرية بإبراز أعلى مظاهر الفرح والزينة، وفتح جميع أسواق بغداد ليلاً كأعظم عيد، وأن تضرب الطبول والدفوف والأبواق، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء والقادة وجميع المسؤولين والشرطة، احتفالاً وبهجة بـ (عيد الغدير)، وما سمي تنصيب الإمام علي أميراً للمؤمنين وخليفة للرسول الأمين؟! ولقد ادعى عضد الدولة البويهي أن قبر الإمام علي في النجف، وأبرزه للوجود، وبنى عليه مشهداً متميزاً بعد أن كان قبره مخفياً، كما قالوا. وأوصى عضد الدولة البويهي أن يدفن بعد موته شخصياً بجواره وبناء مقبرة خاصة كبيرة هناك، وهي بدعة أخرى جديدة، ومنذ ذلك اليوم الذي روج له الفرس صار الدفن هناك سنة رائجة كبيرة، وأحدثوا بدعة (مقبرة وادي السلام) لمقابر الموتى. بينما التحقيق أن علياً دفن في الكوفة، التي مات في محراب مسجدها، ولم يمت في النجف، ولا دفن فيها أصلاً، وهي من بدع البويهيين، واعترف بذلك عدد من الفقهاء العرب، لكن السطوة الفارسية تمنع ذلك الحديث، حتى إن علياً الوردی الذي طرح ذلك على فقهاء ومحققين، أجابه بعضهم بأن رأيه صائب تماماً، لكن هناك سطوة تمنع من نشر هذه الفكرة. ولقدسية الفرس إلى مقبرة (وادي السلام) في ظهر النجف قرب ادعاء مرقد الإمام علي، ذكر الكليني في الكافي أحاديث تدل على دخول المدفون فيها اللجنة، برغم الأعمال السيئة، بل أشاعوا أحاديث مضمونها نقل جثمان الشيعي أينما يموت إليها، كالمنسوب للإمام جعفر الصادق قوله: (أما إنه لا يبقى مؤمن شرق

الأرض أو غربها إلا حشر الله روحه في وادي السلام، ظهر الكوفة، أما إني كآني بهم حلق قعود يتحدثون). وصل الغرور والجبروت بعضد الدولة أن يلقب نفسه (شاهنشاه)، وتعني ملك الملوك، استعادة لمجد الإمبراطورية الفارسية، وهو أول لقب في الحكام باسم الإسلام (ملك الملوك)، وكأنه تحذ لله تعالى المالك الحقيقي، وفوق كل ملوك الدنيا، وهو ملك الملوك لا غيره. كان عضد الدولة عنيفاً في التعامل مع الخصوم والمنافسين، حتى مع أرحامه، فقد عمل على قتل ابن عمه بختيار، الذي كان حاكماً على العراق في عهد والد المعتمد نفسه، فقتله سنة ٣٦٧هـ، واستولى على مقاليد الأمور في العراق، وكان كثير الجواسيس والعيون لمتابعة أخبار الناس ومعارضة أي شخص يتفوه بكلمة ما ضده في مقهى أو زاوية، مما جعل الرعب في قلوب الناس وتصورهم: أن الحيطان تتجسس عليهم في بيوتهم، ولقد أخبر أن غلاماً له قد أخذ بطيخة فاستدعاه، ثم رفع السيف وقسم الغلام نصفين، ليملاً الرعب جميع حاشيته وأقرب مقربيه. وكان سكيراً خماراً، يحب الكأس حتى قال (مبرزات الكأس من مطلعها.. مستقيات الخمر من فاق البشر).

عضد الدولة وابن ركنها.. مالك الأملاك غلاب القدر).

وهذا يكشف عن غروره وجبروته وسكره وخمرياته، وهو أيضاً قام بتعمير مرقد الحسين في كربلاء وتشييده وتعظيمه لإقامة الزيارات والمراسيم والطقوس. كان معز الدولة البويهبي أول ملك يدفن ويبنى له مقبرة عند المشهد المزعوم لعلي، ومقبرة خاصة يكتب عليها: (هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ركن الدولة، أحب مجاورة هذا الإمام المعصوم لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وصلاته على محمد وعترته الطاهرة) بعد الصرع الذي أصابه ومات فيه. ثم أحل للفقهاء ممارسة هذه البدعة في الدفن هناك، والتجارة بالموتى كالتجارة بالأحياء، فصار طقساً ورغبة للملايين الشيعة منذ ذلك الوقت، وحتى يومنا هذا، حيث يجعل هذا الطقس بديلاً عن العمل الصالح وأعمال البر والخير، ونقلوا قصصاً وكرامات وعجائب، لإنقاذ أصحاب المعاصي بمجرد الدفن، فليعمل ما يشاء، ولكنه يوصي بدفنه جوار علي، ويكفي ذلك كما زعموا. كما أحدث



البويهيون بدءاً عقائدية وفقهية وثقافية كثيرة في الغلو في الأئمة، وتكفير المخالفين، ومن البدع الشهادة الثالثة للأذان بعلي بن أبي طالب برغم عدم وجود أى أثر لها في عصر الرسالة، التي ختمت وكملت بنص القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

هذه الفترة مهمة جداً خصوصاً الكتب الأربعة وأصحابها وطقوسها، حيث تأثيراتها على كل المراحل اللاحقة، لذلك سوف يتم الاستدلال مراراً بهذه الكتب في طي كل فصول هذا الكتاب لمعرفة أن ما تأسس من الغلو والتكفير والعقائد الغريبة لها جذورها في هذه الكتب الأساسية الأربعة، خصوصاً الكافي أعلاها وأعظمها. علماً أن مؤلفي هذه الكتب كانوا فرساً، جميعهم من وعاظ السلاطين في الدولة البويهية، واتخاذها التشيع الفارسي لدعم السلطة الظالمة الحاكمة آنذاك في مآربها الشخصية، وفهم ظروف الكتب الأربعة ودور الفرس الكبير في ذلك. وصل التلاقح بين السلطين الدينية والسياسية ليصل الفقيه إلى سلطة سياسية علياً، مثل أبي الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة، والصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة، والشيخ المفيد، والشريف المرتضى وغيرهم. ومن هنا الخطأ الكبير الشائع في أن الانحراف بدأ في الدولة الصفوية، كما هو المشهور، وكذلك ما ادعاه المفكر الاجتماعي علي شريعتي في كتابه القيم: (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) وغيره ممن درس مرحلة الدولة الصفوية التي لا يخفى دورها وأهميتها، وهذا ما سيتم بحثه لاحقاً. لكن ذلك فيه لبس واشتباه في تصورهم أنها خلقت تلك الأفكار. والحقيقة أنها لم تأت من فراغ أصلاً، وإنما سبقتهم الدولة البويهية والكتب الأربعة قبل خمس مئة سنة، حيث يذكرها الكليني والطوسي والقمي الصدوق وغيرهم، بل بعضها كما تمّ بحثه آنفاً في هذا الكتاب، كانت في عصور الأئمة أنفسهم كعبدالله بن سبأ والغلو

(١) الكليني، الكافي، ١/ ٤٧٣٤، البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٧٩، ابن مسكويه، تجارب الأمم، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/ ٣٣١، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٢/ ٨٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٢٤٣، ابن الجوزي، المنتظم، الدولة العباسية، محمد الخضري، الذهبي، تاريخ الإسلام، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، السيوطي، تاريخ الخلفاء، عبدالحليم عويس، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية.



زمان الإمام علي والمنسوب إلى سلمان الفارسي، وكذلك ما بعده في عصور الأئمة، وتم بحثه أعلاه بعنوان (غلاة حول الأئمة) في هذا الكتاب لتعطي صورة كاملة تستوعب كل المراحل التاريخية وجذورها وأصلها، لا انتقائية مجتزئة كما كانت أكثر البحوث المطروحة حالياً. والسبب أحياناً عدم تخصصهم في هذه الجوانب، وعدم استيعاب جميع المراحل والكتب، فإن علي شريعتي مثلاً يعترف بضعفه في الجانب العقائدي والفقهية والتاريخي، ومن هنا قد وقع بأخطاء كبيرة في ذلك، لأنها لم تكن من تخصصه، بل هو عالم اجتماع إسلامي، وأقر بأنها جوانب بعيدة عن تخصصه<sup>(١)</sup>.

وتُعدُّ هذه الحقبة البويهية الفارسية من أهم الأحقاب في تكوين العقيدة، إذ انقسمت الفرق الشيعية حول الإمام آنذاك. بعد انقسام الشيعة عند وفاة الحسن العسكري إلى أربع عشرة فرقة، أكثرها لم تؤمن بوجود مولود له لم يروه، ولم تكن أمه حاملاً، وقد ادعى جعفر بن علي الهادي، أخو الحسن العسكري، ذلك، وأخذه التركة والصلاة عليه وأكثرية الشيعة. عندها آمن البعض بانقطاع الإمامة، وبعضهم ادعى عدم موت العسكري، وبعضهم ادعى اختفاء محمد بن علي الهادي وعدم موته، وبعضهم قال بعودة بعض الأئمة الأموات، وبعض وبعض وعندها كانت الأزمة والحيرة وتفرق الشيعة فرقاً وأحزاباً وشيعاً. وقال البعض بمحمد المهدي الذي لم يره إلا أمثال حكيمه والخادم وغاب في سرداب سامراء خائفاً من المعتمد العباسي، ونقلوا كرامات ومعجزات وغيبات أسطورية، ثم وضعوا له نواباً ووكلاء خاصين، عينهم المهدي نفسه، وهنا بات الصراع على أشده في ادعاء النيابة في أكثر من ثلاثين شخصاً، منهم الشريعي والأهوازي والنميري والشلمغاني والعمرى وابنه والسمرى والنوبختي والحلاج وأبو دلف... وبعضهم يدعي المعجزات والسحر والكهانة، وكل له جماعة وأتباع وأموال، لأن النيابة تعطي السلطة والمال والمكانة، حتى نقل الفقيه النوبختي (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢٠، القمي، المقالات والفرق، ص ١٩ وغيرها من كتب الفرق والمقالات والملل والمذاهب، وكذلك كتب الرجال والتهديب.

الأمر، النيابة، إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنّا نتهارش على هذا الأمر تهارش الكلاب على الجيف). ومن هنا يظهر السؤال في بداية الغيبة الصغرى ٢٦٠ هجرية ونهايتها لتبدأ الغيبة الكبرى ٣٢٩، فإذا كانت بداية الغيبة الصغرى هي وفاة الحسن العسكري ووقوع التشيع في مشكلة الإمامة والحيرة والفوضى والانقسام. فالسؤال الأكبر هو لماذا انتهت الغيبة الصغرى بوفاة النائب الرابع علي بن محمد السمرى بعد أن ادعى رقعة من المهدي: (لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفتر). وهنا يظهر دور الدولة البويهية التي ظهرت عند بداية الغيبة الكبرى مع وعاظ السلاطين ودورهم الريادي السياسي والديني خصوصاً من أصحاب الكتب الأربعة، ودعم الدولة لهم، ولولاهم لم يكن النصر للتشيع الفارسي ليومنا هذا، ولما وانقرض كال كثير من الفرق الشيعية من أكثر من سبعين فرقة، ذكرها الفقهاء الشيعة كالنوبختي وغيره، أو باتوا ضعافاً مهمشين لكنه الحكم والسلطة وتحالف السلطتين السياسية مع الدينية في تحالف كبير مع دول داعمة كال الدولة الفاطمية ودول غربية، ثم مجيء دول أخرى كالصفوية فضلاً عن عقائد كالتيقية ومليارات الأخماس وفقهاء السلطان، ولا تغفل العوامل الأخرى ذات العلاقة من بعيد أو قريب. علماً أنهم استفادوا كثيراً من الفكر المعتزلي في التنظير للكثير من العقائد.

واشتهرت الأصول المعروفة بالأربع مئة من الفقه والحديث مجموعة من الكتب الحديثية الأربعة، لذلك قال أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: (أما ما يختص بالفقه والحديث، فكانت أصولهم أربع مئة أصل، وهي التي سمعها تلامذة الأئمة منهم، وجمعت هذه الأصول في الكتب الأربعة). كذلك قال عبد الله الغريفي: (وقد اعتمدت الأصول الأربع مئة في إنجاز موسوعات الحديث الأولى عند الشيعة، وهي الكتب الأربعة: الكافي والتهذيب والاستبصار والفقيه). وقبله قال الطبرسي: (وصنف من جوابات الإمام الصادق في المسائل أربع مئة كتاب، تسمى بالأصول الأربع مئة، رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم)، وقال الحلي: (كتبت من أجوبة مسائل جعفر بن محمد أربع مئة مصنف، سموها أصولاً)،

وقال حسين بن عبد الصمد: (قد كتبت من أجوبة مسائل الإمام الصادق فقط أربع مئة مصنف تسمى الأصول في أنواع العلوم). وقال الداماد: (المشهور أن الأصول أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف من رجال أبي عبد الله الصادق). وقال زين الدين العاملي: (استقر أمر المتقدمين على أربع مئة مصنف سموها أصولاً فكان عليها اعتمادهم)، وهكذا تتكون الكتب الأربعة بعد فقدان أكثر تلك المصادر الأخرى، لتكون المرجع الأساس لكل من بعدهم<sup>(١)</sup>.

كانت الكتب الأربعة كالصحيح الستة لدى السنة، بل امتازت عليها كثيراً: سموًا وتقديسًا خصوصًا الكافي، لادعائهم برعاية المهدي المنتظر، خصوصًا في ظل اعتبار القرآن محرفًا. وأصحاب الكتب الأربعة من الأخباريين الذين يعتمدون الحديث هو المصدر الأساس وفرق أخرى حيث يندر فيها جدًّا الحديث عن رسول الله، بل معظمها عن الصادق والباقر، ومن رواته المغالين غلوًّا لاعقليًّا فأكثرها غير صحيحة، كما حقق في محله.

قال حسين بحر العلوم: (إن الاجتهاد لدى الشيعة مرتكز على الكتب الأربعة: الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتهذيب، والاستبصار للطوسي، وهي من الأصول المسلمة كالصحيح الستة لدى العامة)<sup>(٢)</sup>.

قال الفيض الكاشاني: (إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها)<sup>(٣)</sup>.

يقول مرتضى مطهري: (إن أهم مصادرنا المقدسة بعد القرآن في الحديث هي الكتب الأربعة، وهي: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار)<sup>(٤)</sup>.

(١) أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ٢/ ٤٠٧، عبد الله الغريفي، التشيع، ص ٧٠، الطبرسي، أعلام الوري، ص ٦٣، الحلي، المعتبر، ١/ ٧٥، زين الدين العالبي، شرح الدراية، ص ٩٩، الداماد، التواشيع، ص ٥٢.

(٢) حسين بحر العلوم، مقدمة تلخيص الشافي، ص ٢٩.

(٣) الفيض الكاشاني، الوافي، ١/ ١١.

(٤) مرتضى مطهري، معرفة القرآن، ص ١٩.



وقال محمد جواد مغنية: (وعند الشيعة الإمامية الكتب الأربعة: الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه للكليني والصدوق والطوسي، وهذه الكتب عند الشيعة تشبه الصحاح عند السنة)<sup>(١)</sup>.

وكانت هناك إشكالات كبيرة جداً في هذه الكتب الأربعة، سواء السند الذي لم يلاحظ فيه المشيخة والسند والتوثيق، بل أصحاب الكتب واحترامهم للتقديس، حيث عدم التحقيق فضلاً عن المتن وإشكالياته الكبيرة من تعارضه مع القرآن ومبادئه والسنة الصحيحة، فضلاً عن تعارضه فيما بينه من تناقضات الأحاديث وتهافتها.

#### الكتب الأربعة، ومؤلفوها الثلاث:

أولاً: محمد بن يعقوب الكليني، (مجهول الولادة، ت ٣٢٩ هجرية)، وله أهم كتاب وهو (الكافي). عاش الكليني في حقبة البويهيين الشيعة، وانتهت إليه رئاسة فقهاء الشيعة أيام المقتدر، فصار من وعاظ السلاطين. ونقلت قصة عن رؤية المهدي المنتظر في المنام قوله: (الكافي كاف لشيعتنا)، كما في مقدمة الكافي، وروضات الجنات للخوانساري، وكتاب الشيعة لمحمد صادق الصدر، وقد استغرق الكليني عشرين سنة في جمع كتاب الكافي الذي يضم ثلاثة أقسام هي الأصول والفروع والروضة.

هذا الحديث المنسوب: (الكافي كاف لشيعتنا) يعنى غياب العقل وتحجيره، أي أنه يكفي للشيعة الاعتماد على كتاب الكافي فقط لأهميته القصوى، ومن هنا حمل الفقهاء قدسية مطلقة لكتاب الكافي وكانت له حجية تمنع أي فقيه من مناقشة أي رواية لأوقات طويلة لا اعتقادهم إمضاء الإمام المهدي لكل كتابه برغم إرسال أكثر مرويائه، فلم يتجرأ الكثير على مجرد مناقشة حديث واحد متوهمين عناية المهدي به<sup>(٢)</sup>.

قال الكليني في مقدمة كتابه الكافي: (وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فنون علم الدين، ما يكفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه

(١) محمد جواد مغنية، الوحدة الإسلامية، ص ٢٦١.

(٢) حسين بن علي، مقدمة الكافي، ص ٢٦، المجلسي، مقدمة الكافي، ص ٢٣، محمد صادق الصدر، الشيعة، ص ٢٢.



من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين)، وقال المجلسي: (الكافي أضبط الأصول وأجمعها، وأحسن مؤلفات الفرقة الناجية، وأعظمها)<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن أكبر الغفاري: (اتفقت الإمامية على صحة ما في الكافي... الكافي من كتب الأصول التي صنفت في عهد الأئمة المعصومين... فقد أمضى عشرين سنة في شأن تصنيف الكافي،... حيث كان يتحرى الدقة والضبط في الرجال، والأسانيد، والمتون، والطرق... ودقته في نقل الأسانيد والطرق المتعددة من غير خلط أو التباس، لهذا أصبح المرجع الأول للطائفة وحقاً إنه لم يصنف مثله، والذين جاؤوا بعده فهم عيال عليه. لا يزال الكافي يحتل الصدارة الأولى من بين الكتب الحديثية والفقهية عند الشيعة الإمامية، فهو المصدر الأساس والمعين الذي لا تنضب مناهله، ولا يمل منه طالبه، وهو المرجع الذي لا يستغني عنه الفقيه، ولا العالم، ولا المعلم، ولا المتعلم، ولا الخطيب، ولا الأديب. فمنذ أحد عشر قرناً وإلى الآن اتكأ الفقه الشيعي الإمامي على هذا المصدر، لما فيه من تراث أهل البيت، ولكونه أصح الكتب الأربعة، وأكثرها فائدة، وأفضلها من حيث الشمولية والترتيب والتقسيم، وأن مصنفه جمع بين الأصول والفروع والآثار والسنن)<sup>(٢)</sup>.

كما قال عبدالحسين شرف الدين: (وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة، التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها)<sup>(٣)</sup>.

وقال الفيض الكاشاني بعد الشناء على الكتب الأربعة: (والكافي أشرفها وأعظمها وأوثقها وأتمها وأجمعها)<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليني، الكافي، المقدمة، ص ٢٣، المجلسي، مقدمة الكافي، ص ٢٨.

(٢) علي بن أكبر الغفاري، مقدمة الكافي، ص ٧.

(٣) عبدالحسين شرف الدين، المراجعات، ص ١١٠.

(٤) الفيض الكاشاني، مقدمة الكافي، ص ٩.

وقال الطبرسي: (الكافي بين الكتب الأربعة كالشمس بين النجوم، وإذا تأمل المنصف استغنى عن ملاحظة حال آحاد رجال السند المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها)<sup>(١)</sup>.

وقال الحر العاملي: (الفائدة السادسة في صحة المعتمدة في تأليف هذا الكتاب وتوافرها وصحة نسبتها وثبوت أحاديثها عن الأئمة)<sup>(٢)</sup>.

وقال آغا بزرك الطهراني: (هو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليها، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول)<sup>(٣)</sup>.

وقال عباس القمي: (وهو، الكافي، أجل الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامية، والذي لم يعمل للإمامية مثله)<sup>(٤)</sup>.

وقال محمد أمين الاستربادي: (سمعنا عن مشائخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه)<sup>(٥)</sup>.

وقد وصل تقديس الكليني لدرجة قول محمد تقي المجلسي: (والحق إنه لم يكن مثله فيما رأينا في علمائنا، وكل من يتدبر في أخباره، وترتيب كتابه، يعرف أنه كان مؤيداً من عند الله تبارك وتعالى)<sup>(٦)</sup>.

وهكذا كان ولا زال التقديس للكليني والكافي عند فقهاء قم والفرس عمومًا برغم استعمال التقية للتمويه.

(١) الطبرسي، مستدرك الوسائل، ٣/ ٥٣٢.

(٢) الحر العاملي، خاتمة المستدرك، ص ٢٢.

(٣) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٧/ ٢٤٥.

(٤) عباس القمي، الكنى والألقاب، ٣/ ٩٨.

(٥) الاستربادي، شرح أصول الكافي، ٢/ ٥٣.

(٦) المجلسي، مرآة العقول، ٣/ ٦٥.

هنالك شروح عديدة للكافي، منها مرآة العقول للمجلسي الذي وجد الكثير مما لا يقبله عاقل أو قارئ للقرآن، حيث أقر المجلسي بأن الكثير من أحاديثه غير صحيحة، وتصل إلى حد الثلثين بقوله ولا يمكن قبولها<sup>(١)</sup>.

والكافي يشتمل على ١٦ ألف حديث ومئة وتسعة وتسعين حديثاً، وأكثرها عن الصادق ثم ابنه الباقر، والتحقيق أن الصحيح فيه قليل جداً، وأكثره ضعيف، كما يقول العلامة المحقق والفقيه العربي هاشم معروف الحسني في كتابيه الموضوعات ودراسات في الكافي، وأن فيها تعارضات وتهاجمات كثيرة عجيبة غريبة. ولكن التيار الإخباري السائد آنذاك الذي يرى تحريف القرآن، ولا يؤمن بالعقل كمصدر للتشريع بناءً على الأحاديث والروايات والعواطف في شخصية الكليني، لأنه قال في مقدمته: أنه حجة فيما بينه وبين الله. ووعاظ السلاطين جعلوه مقدساً (اعتبروه نوعاً من المقطوع به عن المعصوم)، كما يقول هاشم معروف الحسني. وأي مقدس وهو يمتلي بالخرافة والدجل والكراهية والتناقض<sup>(٢)</sup>.

كان الوضع الاجتماعي والسياسي زمن الكليني قلقاً مريباً وانتشرت الأفكار والعقائد والمذاهب: كالحلول والتناسخ حتى ما عرف بالزندقة والكفر والإلحاد: كظاهرتي الشلمغاني والحلاج، فأعدم الأول في ٣٠٩، والثاني عام ٣٢٢، والدولة غير مستقرة فكانت الفرصة رائعة للكليني، ووضع كتابه الكافي لتحالفه مع السلطان واستغلاله الزمان والمكان. والكليني فارسي من مدينة كلين الإيرانية القريبة من مدينتي قم وطهران الإيرانيتين، والمحسوبة على ضواحيها وتوابعها، قد عاصر الكليني الغيبة الصغرى، وادعاء وجود نواب المهدي الخاصين والمباشرين، كما يقال: فلماذا لم يعرض كتابه على نواب الإمام أصلاً، والمفروض يوصلوه للمهدي نفسه ما داموا يتصلون مباشرة به، ويرجعون الوصولات وإجابة الأسئلة من الشيعة كما زعموا، وإن كنا نشك بكل ذلك، والشك فيهم وفي دورهم... وهذا

(١) المجلسي، المصدر السابق.

(٢) هاشم معروف الحسني، الموضوعات في الآثار والأخبار، ص ٥٦، كذلك تحقيقه حول الكافي.



السؤال الكبير الذي ينبغي طرحه وتجد جوابه بين ثنايا الكتاب. عرض الكليني كتابه الكافي على فقهاء قم، بينما المفروض أن يعرضه على المهدي أو نوابه الخاصين المتصلين مباشرة بالمهدي كما يزعم، وهذا لم يحدث أصلاً، بل عرضه على علماء من قم، وما أدراك ما قم وما علمائها؟! فإنها أساس التشيع الفارسي الحاكم منذ الدولة البويهية، بل حتى اليوم، فالقميون يشكلون دوراً كبيراً في مراجعهم وحوزاتهم وكتبهم وثقافتهم ومبشرهم في أنحاء العالم في تأصيل التشيع الفارسي وإلغاء التشيع العربي<sup>(١)</sup>.

بينما يقول الخونساري في روضات الجنات: إن أكثر الكافي غير صحيح، ويبقى فقط ٥٠٧٢ فقط، بينما يرى آخرون لا يتجاوز الصحيح ٣٠٠ حديثاً فقط من مجموع أكثر من ١٦ ألف حديث<sup>(٢)</sup>.

لقد نقل الكافي عن الغلاة والمنحرفين والوضاعين والضعاف، ولم يراع الموازين الموضوعية في الحديث: كمعارضته للقرآن وسيرة النبي وسيرة أهل البيت. فقد روى الكليني عن أحمد بن أبي زاهر الأشعري المطعون فيه عند رجال الشيعة وانحرافه واضح، وأحمد بن مهران الذي ضعفه الحلي في خلاصته وابن الغضائري ولم يوثق، ويوسف بن ظبيان وكان من الغلاة الوضاعين المعروفين، وكان يدعي أن الرضا هو الله، وهو من قال بنبوة أبي الخطاب، فلعله الرضا ألف لعنة، وعلي بن حسان وهو من الغلاة الوضاعين، وله تفسير باطني غريب للقرآن، يدل على فساد عقيدته، وعلي بن أسباط المقرئ وهو فطحى المذهب، وعبدالرحمن بن كثير المغالي الوضاع، والعجيب أن الكليني قد أكثر من رواياته في الغلو، ومحمد بن الحسين الصائغ وهو من الضعاف الغلاة، كما قال النجاشي والحلي، وعلي بن حمزة البطائني الذي قال عنه الكشي: إنه كذاب متهم ملعون، وعمر بن شمر من الوضاعين، قال

(١) الحسني، دراسات، ١٣٨، الحسني، الموضوعات، ٤٤، النوبختي، فرق الشيعة، ٢١، القمي، المقالات، ٤٤، المجلسي، البحار، ٦٧/٢٥، محسن الفيض الكاشاني، الصافي، ٤/١، الخونساري، روضات الجنات، ص ٥٥٣، مقدمة الكافي الحائري، منتهي المقال، ١٨٩/٢.

(٢) الخونساري، روضات الجنات، ص ٤٤٥.



الحلي: (إني لا أعتد على شيء مما يرويه)، وصالح بن عقبة بن سمعان من الغلاة  
الوضاعين، كما قال التفريشي، ومحمد بن جمهور البصري، الذي كان مستحلاً  
للمحرمات، ومحمد بن سليمان المتهم بالغلو والوضع والانحراف، وسليم بن  
قيس وهو صاحب الكتاب المشبوه باسمه، ولا شك أنه موضوع، فلم يظهر إلا في  
القرن الرابع، وهو ملئ بالغلو والتكفير والبذاءة، وفيه أن الأئمة ثلاثة عشر، وأن  
محمد بن أبي بكر نصح أباه، بينما كان عمره سنتين ومات الصديق، فكيف يعظ من  
هذا سنه، والواضح أن الشخص سليم غير موجود إطلاقاً، وليس له دور في كل  
الوقائع التاريخية، وهو مختلق وكتابه من الموضوعات رغم شهرته في إيران، وطباعته  
مراراً وتكراراً، واعتماد الفقهاء الفرس في قم والنجف عليه كثيراً، حتى روي عن  
الصادق: (ليس من شيعتنا من ليس عنده كتاب سليم بن قيس).

وقد كتبت بحثاً كاملاً مستقلاً في الرد عليه. وأما المفضل بن عمر من الغلاة،  
حتى نص النجاشي فيه: (كان فاسد المذهب، مضطرب الرواية)، وسماه الصادق:  
كافراً مشركاً لغلوه وكفره، ومما قاله المفضل: إن الأئمة ترزق العباد. وغيره من  
صفات الله... برغم اعتماد الفقهاء الفرس عليه وشهرته وكتبه. والمنهل بن جميل من  
الغلاة. وغيرهم كثير ممن اعتمد عليهم الكليني في كتابه الكافي، المليء بالخرافات  
والغلو والتكفير. مثلاً قصة الحمار الذي يتكلم، كما روى الكليني، (روي عن أمير  
المؤمنين قال: إن ذلك الحمار كلم رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمي، إن أبي حدثني  
عن أبيه عن جدّه عن أبيه: أنه كان مع نوح في السفينة، فقام إليه نوح فمسح على  
كتفه، ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد  
لله الذي جعلني هذا الحمار).

وروي عن الإمام الصادق: أن أبا ذر أسلم من خلال نبوءة ذئب جاءه، وأبلغه  
أن الله بعث نبياً إلى أهل مكة فكذبوه وشتموه، فاستعلم أبو ذر ما قاله الذئب،  
فوجده صحيحاً. عن الصادق أن أحد أصحابه سأله عن الوزغ، فقال: رجس، وهو  
مسوخ كله، فإذا قتلته فاغتسل. وأردف الصادق بقوله: إن أبي كان قاعداً في الحجر،

ومعه رجل يحدثه، فإذا هو بوزغ يولول بلسانه، فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ قال: لا علم لي بما يقول، قال: إنه يقول: والله لئن ذكرت عثمان بشتيمة لاشتمن عليًا، حتى يقوم من ههنا. وقال أبي: ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ وزغًا، وقال: إن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغًا، فذهب من بين يدي من كان عنده، وكان عنده ولده، فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم، فلم يدروا كيف يصنعون، ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعًا فيصنعوه كهيئة الرجل، ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد، ثم لفوه في الأكفان، فلم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده.

وروي عن الإمام الباقر أنه قال: إن لله عز وجل ديكرًا جلالة في الأرض السابعة، وعنقه مثبتة تحت العرش، وجناحاه في الهواء، وأنه في نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل يضرب بجناحيه، ويصيح: (سبح قدوس، ربنا الله الملك الحق المبين، فلا إله غيره رب الملائكة والروح)، فتضرب الديكة بأجنحتها، وتصيح. وروي عن الباقر أيضًا قوله: كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفار، ويكثر الكفار في أعين المسلمين، فشد عليه جبرائيل بالسيف فهرب منه، وهو يقول: يا جبرائيل إني مؤجل، إني مؤجل. حتى وقع في البحر. فسأل زارة الإمام الباقر: لأي شيء كان يخاف وهو مؤجل؟ فأجاب الباقر: يقطع بعض أطرافه<sup>(١)</sup>.

**الثاني: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥، ٤٦٠ هجرية) وهو فارسي من مدينة طوس الإيرانية، وله كتابان مهمان من الكتب الحديثية الأربعة: (تهذيب الأحكام) في مجلدين وفيه ١٣٥٩٠ حديثًا، وكتاب آخر هو (الاستبصار)، وفيه ٥٥١١ حديثًا. قال الطوسي في أول الفهرس: (وإني لا أضمن الاستيفاء، لأن تصانيف أصحابنا وأصولهم لا تكاد تنضبط لكثرة انتشار أصحابنا في البلدان). وهذا اعتراف خطير برغم قربه من عصرهم.**

(١) الحسن في كتابيه: الموضوعات ودراسات، كتب الرجال والتهذيب لاسيما المامقاني والخوئي والطوسي والنجاشي، وكذلك الكتب أعلاه من الحلي والخونساري مغنية والصدر مع مراجعة روايات الكافي نفسه والمصادر السابقة.

والعجيب أن الطوسي كان كثير الخلط والاشتباه، ويناقض نفسه مرارًا وتكرارًا.

وأما في كتاباته المتعددة، فإنها أكثر من أن تحصى، وكأنها لرجال مختلفين تمامًا، وفي المسألة الواحدة تتناقض آراؤه، واعترف بذلك كبار رجالات الشيعة، وبعضهم برر ذلك بكثرة مؤلفاته والتزاماته، والعجيب أيضًا في تهافت منهجيته بينما تراه إخباريًا تارة، لكنه أصولي تارة أخرى، لذلك انتقده كثيرًا محمد بن أحمد بن إدريس، وبين تناقضاته وتهافتاته. ولولا أنه كان واعظًا للسلطان الذي عينه مدرسًا للكلام، وجعل له المنزلة الخاصة، لما صار ذا شأن عظيم.

وقد درس الطوسي عند محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ومحمد بن أحمد القمي المعروف بابن شاذان، وعلي بن الحسين المعروف بالسيّد المرتضى، والحسن بن محمد الفحام، وأحمد بن علي النجاشي، وعلي بن أحمد القمي، وتأثر بهم كثيرًا وأخذ عنهم. وكان الغلو به عظيمًا لدرجة اعتباره من الفرس أنه مؤسس الحوزة العلمية، فإن الحوزة لم تكن معروفة آنذاك، بل كان واعظًا للسلطان الخليفة وموقعه ببغداد، وقوله بطاعة السلطان ومبايعته، واستلامه كرسي من الخليفة القائم بأمر الله عبدالله بن القادر بالله أحمد، الذي أسند إليه كرسي الكلام والإفادة، وهكذا لقبه البعض بواعظ السلطان وفتاواه الجاهزة لصالحه. كانت الدولة قد أعطته ألقابًا: كزعيم للشيعة برغم طائفيته وفتاواه ضد السنة، مما جعل فتنة طائفية تؤدي إلى حرق كرسيه ومكتبته بسبب طائفيته وتبعيته للسلطان. كان أستاذه محمد المفيد أعظم من الطوسي بكثير وقد نقد قم والفرس، وله أكثر من مئتي كتاب لكنه لا يُعدُّ رئيسًا، بل مرؤوسًا لطريقة الفرس في تعظيم أشخاصهم، وتقليل قيمة العرب، وكان الغلو بالطوسي كبيرًا لدرجة نفوذه لأكثر من مئة عام، حيث وضعت له قدسية، وقد ادعى رؤيته للإمام علي، وأنه أيد كل ما جاء في كتابه الهداية... حتى تجاوزها العلامة العربي ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هجرية)، ليوضح



الكثير من أخطاء الطوسي وتهافتاته وتناقضاته في كتابه السرائر، مما فتح باباً للاجتهاد وحركة العقل<sup>(١)</sup>.

واضح التخطي وعدم الانضباط في أقوال (شيخ الطائفة) الطوسي، قال محمد مهدي بحر العلوم في رجاله: (إن شيخ الطائفة الطوسي قد يضعف الرجل في موضع، ويوثقه في آخر، وآراؤه في هذا وغيره لا تكاد تنضبط)<sup>(٢)</sup>.

كما يقول الحر العاملي: (يقول شيخ الطائفة الطوسي: هذا ضعيف، لأن راويه فلان ضعيف، ثم نراه يعمل برواية ذلك الراوي بعينه، بل برواية من هو أضعف منه في مواضع لا تحصى، وكثيراً ما يضعف الحديث بأنه مرسل، ثم يستدل بالحديث المرسل، بل كثيراً ما يعمل بالمراسيل وبرواية الضعفاء، ويرد المسند ورواية الثقات)<sup>(٣)</sup>.

كما قال بعضهم عن الطوسي أيضاً: (كان هذا الشيخ المطلق رئيس مذهب الحق وإماماً في الفقه والحديث، إلا أنه كان كثير الاختلاف في الأقوال، وقد وقع له خبط عظيم في كتابة الأخبار في تحمله للاحتتمالات البعيدة والتوجهات غير السديدة. وكانت له خيالات مختلفة في الأصول، ففي المبسوط والخلاف: مجتهد صرف، وأصولي بحث، بل ربما سلك مسلك العمل بالقياس والاستحسان في كثير من مسائلهما، كما لا يخفى على من أرخى عنان النظر في مجالهما، وفي كتاب النهاية سلك مسلك الأخباري الصرف، بحيث إنه لا يتجاوز فيها مضامين الأخبار ولم يتعد مناطق الآثار)<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع: مقدمتي: الاستبصار والتهذيب، وكذلك السرائر لابن إدريس الحلي وحياة الطوسي وابن إدريس، وأيضاً محمد باقر الصدر في كتابه (المعالم الجديدة). الأصفهاني، روضات الجنات، ٣/ ٥٨٠، جواد علي، المهدي المنتظر، ص ٣٤.

Brocelmann, Geschichte, 21, 207.

Modarrissi, Hossien Tradition and Survival: A Bibliographic Survey of Early Shi'ite Literature

Ronaldson, Shi'a Doctrine.

Donaldson, The Shi'a Religion.

(٢) محمد مهدي بحر العلوم، الرجال، ٤/ ٧٨.

(٣) الحر العاملي، مستدرک الوسائل، ٢/ ١١١.

(٤) البحراني، حركة العقل، ص ٧.



قال الخوئي: (إن الشيخ الطوسي كان يكثر عليه الخطأ، فقد كان يذكر شخصاً واحداً في باب واحد مرتين، أو يترجم شخصاً واحداً في فهرسته مرتين، وأما خطأه في كتابيه التهذيب والاستبصار فكثير)<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الهدى الكلّباسي في كتابه سماء المقال في علم الرجال عن كتب الشيخ الطوسي: (وبالجملة فالأغلاط فيها لا تحصى، بل عن بعض السادة من متأخري المحدثين، أنه أفرد كتاباً في توضيحها وإحصائها)<sup>(٢)</sup>.

أقول: هذا نزر يسير في حال شيخ الطائفة، فلك أن تعرف حال غيره.

وأما حال كتب شيخ الطائفة الطوسي، مثل كتاب التهذيب، فقالوا الكثير عنه:

قال هاشم معروف الحسني: (إن التهذيب للشيخ الطوسي يشتمل على أحاديث كثيرة دخلتها بعض الزيادات)<sup>(٣)</sup>.

قال يوسف البحراني في حدائقه: (إنه لا يخفى على من راجع التهذيب، وتدبر أخباره ما وقع للشيخ من التحريف والتصحيف في الأخبار: سنداً ومتناً، وقلما يخلو حديث من أحاديثه من علة في سند أو متن)<sup>(٤)</sup>.

قال فقيه معاصر: (إن الشيخ، الطوسي، دأبه في التهذيبين على الجمع بين الأحاديث المختلفة، مهما أمكن لدفع شبهة كثرة التعارض في أحاديث أهل البيت، التي أدت بأحد الأشراف إلى الخروج من المذهب، كما صرح بذلك في مقدمة الكتابين).

وأما نور الدين الموسوي العاملي في حاشيته، وهو يرد على قول لأمين الأستربادي، فقد قال: (وكان المصنف لم يكن في حال اليقظة لما نظر إلى كتاب

(١) الخوئي، معجم رجال الحديث، ٩٧ / ١.

(٢) الكلّباسي سماء الهداية، ص ٢٣٤.

(٣) محمد مهدي بحر العلوم، الرجال، ٧٨ / ٤.

(٤) يوسف البحراني، الحدائق الناضرة، ٢٨٧ / ٤.

الاستبصار، وهذا الاختلاف الواقع بين الأحاديث والأكثر موافق لمذاهب العامة وليس للجمع بين أغلبها سبيل<sup>(١)</sup>.

للطوسي كتب أخرى، وهي النهاية والمبسوط والخلاف وعدة الأصول والرجال والفهرست وتمهيد الأصول والتبيان، وهي ليست بأحسن حالاً من الكتابين الأولين، وتحتاج إلى نقد مفصل، يتناولها كتابي الخاص (دراسة في الحديث والمحدثين).

الثالث: محمد بن بابويه الصدوق القمي (ت ٣٨١ هجرية)، وله كتاب (من لا يحضره الفقيه). عاصر أباه المعروف بابن بابويه القمي، الذي ينقل الفرس قصة لقائه بالحسين بن روح، وهو السفير الثالث للمهدي المنتظر في العراق، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود، يسأله أن يوصل له رقعة إلى المهدي المنتظر يسأل فيها الولد. فكتب المهدي الغائب إليه: (قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين). وهكذا كانت هذه القصة مدعاة لتقديس وسطة القمي الذي جاء بدعاء المهدي كما يدّعي، وسوف نرى كم لقصة المهدي المنتظر من أثر، والرد على كل مزاحم أو منافس أوناقد.

ولد القمي في مدينة قم الفارسية، ولكن لم يذكر لنا المؤرخون تاريخ ولادته، كانت بنو بويه عائلة قمية معروفة. له كتب عدة تزيد على المئتين، لكن أهمها (من لا يحضره الفقيه)، الذي يعد من المراجع الأصلية، بل من الكتب الحديثية الأربعة.

ادعى القمي أن جميع ما أورده في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، هو مستخرج من كتب مشهورة معروفة، وطرقه إليها معهود في فهرس الكتب التي رواها عن مشايخه وأسلافه. لكن الكثير أنكر ذلك من أصحاب الرجال: كالمامقاني والكشي والخوئي قائلين: إن القمي لم يرجع إلى الكتب نفسها، حتى قالوا: (وأما طريقه إلى أرباب الكتب فهي مجهولة تماماً)، لذلك لا يعلم والحال هذه أي منها كان صحيحاً، وأي منها غير صحيح. وقال الخوئي: إن الكتب المعروفة المعتبرة التي أخرج

(١) نور الدين الموسوي، حاشية كتاب النوبة، ص ٣١٠.

الصدوق روايات كتابه منها، ليست هي كتب من بدأ بهم السند في كتابه، وذكر جملة منهم في المشيخة، وإنما هي كتب غيرهم من الأعلام المشهورين، التي منها رسالة والده إليه، وكتاب شيخه محمد بن الحسن بن الوليد، فالروايات الموجودة في كتابه مستخرجة من هذه الكتب، وهكذا تضعف الإسناد ورجالاتها وكتبها<sup>(١)</sup>.

لقد اعتُبر القمي وكتابه (من لا يحضره الفقيه) من أهم المراجع الحديثية الأساسية. قال محمد باقر المجلسي: (الشيخ الصدوق، ثقة الإسلام، مقبول طوائف الأنام، ممدوح الخاص والعام). قال حسن الدمستاني: (ثقة الإسلام، وواحد الأعلام، خصوصاً في الحديث فإنه جهينة الأخبار، وسابق هذا المضمار، الذي لا يشق له غبار، ولا يعثر له على عثار). قال المحدث النيسابوري: (ثقة الإسلام، قدوة الأعلام، والبدر التمام، جامع السنن والآثار، في حضور سفراء الإمام). وغيره كثير<sup>(٢)</sup>.

إن كتاب الفقيه يشتمل على (٥٩٦٣) حديثاً، بيد أن قسمًا كبيرًا منها يبلغ (٢٠٥٠) حديثًا هو من المراسيل، مما يضعفها سندًا، أما أحاديثه المسندة بما فيها الضعيفة والصحيحة فهي (٣٩١٣) حديثًا، وفيه مشكلات جمة منها حذفه الإسناد مما يضعف سنده لمن يريد التحقيق في الحديث وسنده، كما قال في مقدمة كتابه (ب حذف الأسانيد، لثلاث طرقه وإن كثرت فوائده، ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه). كان تأليفه بناءً على طلب واحد من أبناء الأئمة من نسل موسى الكاظم، ليعرف الحلال والحرام مشابهاً لكتاب الرازي (من لا يحضره الطبيب)، وهنا يذكر القمي كتبًا كان يعتمد عليها مثل كتاب حريز بن عبدالله السجستاني، وكتاب عبيدالله بن علي الحلبي، وكتاب علي بن مهزيار الأهوازي، وكتاب الحسين ابن سعيد، ونوادير أحمد بن محمد بن عيسى، وكتاب نوادر الحكمة تصنيف محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري... وليس بينها ما يثيره الفرس اللاحقون بكتب

(١) مقدمة من لا يحضره الفقيه، الخوئي، معجم رجال الحديث، ١/ ٢٤.

(٢) المجلسي، معجم رجال الحديث، ١/ ٩٩، الدمستاني، تنبيهات الأديب، ص ٦٤، النيسابوري.

منسوبة للإمام علي والصادق وفاطمة، فضلاً عن الجامعة والجفر ومصحف علي ومصحف فاطمة مما يرفع القدسية المتأخرة عنه وعن مصادره<sup>(١)</sup>.

والقمي هو المشهور بفتوى سهو النبي في الصلاة للتقليل من قيمة الرسول كما سيأتي لاحقاً. وله كتب عديدة أهمها: الخصال وكمال الدين وثواب الأعمال والأُمالي وعلل الشرائع. وكلها كتب أحاديث عن أهل البيت في منهج إخباري واضح بعيداً عن النهج القرآني أو الدراسة العقلية النقدية، حيث تتعارض الروايات بشكل كبير دون منهجية فضلاً عن العقائد الغريبة. فلا شك أن الكثير من أحاديثه هي محل جدل ونقاش وتعارض وتهافت، كما سيأتي في بعض الأبحاث اللاحقة.

وهنا تكونت الكتب الحديثية المراجع الأربعة من فرس وعاظ السلاطين، ليس فيهم عربي، وقد امتلأت بالدجل والخرافات والكذب والوضع والبدع والتكفير والكرامية والغلو.

وباعتبار أن كتبه مرسله بلا إسناد، قال هاشم معروف الحسني: (عد المحدثون الإرسال من عيوب الحديث، ونص بعضهم على حرمة)<sup>(٢)</sup>.

وكان التناقض واضحاً بين أصحاب الكتب الأربعة... حتى قال نور الدين الموسوي العاملي: (رأينا الصدوق أفتى بخلاف ما في الكافي في بعض المسائل، بل أفتى بخلاف ما في من لا يحضره الفقيه في بعض مؤلفات غيره)<sup>(٣)</sup>.

وقال جعفر سبحاني: (إن جل روايات الشيخ في كتابي التهذيب والاستبصار روايات معلقة، ومثله الصدوق في الفقيه.... وأما التعليق في الكافي فقليل جداً)<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع: مكتبة كتاب (من لا يحضره الفقيه)، الخوئي، معجم رجال الحديث، ٢٤ / ١، الأصفهاني، روضات الجنات، ١٠٩ / ٦.

(٢) الحسني، الموضوعات، ص ٦٨.

(٣) نور الدين الموسوي، الحاشية، ص ٣١٠.

(٤) جعفر السبحاني، أصول الحديث، ص ٦٩.



ونقل لنا الصدوق روايات كثيرة في الغلو في الأئمة، مثلاً عن الرسول: «إن علياً عظيم عند الله، وإنه لما اهتز الباب، خير، اهتز الحصن، واهتزت السموات السبع والأرضون السبع، واهتز عرش الرحمن غضباً لعلّي»، وقول علي في وصفه قلع باب خير: (ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية)، ونقله عن النبي. (وفي ذلك اليوم لما شطر مرحب شطرين، وألقاه مجندلاً جاءه جبرائيل باسمًا متعجبًا، فقال له النبي: «مم تعجبك؟» فقال: إن الملائكة تنادي في صوامع وجوامع السماوات: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار»<sup>(١)</sup>، وأما إعجابي، فإني لما أمرت أن أدمر قوم لوط حملت مدائنهم، وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا، على ريشة من جناحي، ورفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكهم، وبكاء أطفالهم، ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر، ولم أنتقل بها، واليوم لما ضرب علي ضربته الهاشمية، وكنت أمرت أن أقبض فاضل سيفه، حتى لا يشق الأرض، فيصل الثور الحامل لها يشطره شطرين، فتقلب الأرض بأهلها، فكان فاضل سيفه علي أثقل من مدائن لوط، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء).

يقول الصدوق تعليقاً: استعظم الجاهل هذا الحديث، فاضل سيف علي أثقل من مدائن لوط على يد جبرائيل هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء، هو غلو. فقلت: يا بعيد الفكرة وجامد الفطرة، جبرائيل وميكائيل وإسرافيل خلق الله خلقوا من شعاع نور محمد وعلي، ومحمد وعلي خلقا من جلال ذي الجلال، فهم صفة الله وكلمة الله وأمر الله، وخلق الله، ولهذا قال رسول الله: لو كانت البحار مداداً والغياض أقلاماً، والسماوات صحفًا، والجن والإنس كتابًا، لنفد المداد وكلت الثقلان، أن يكتبوا معشار عشر

(١) قال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات، ص ٣٨١-٣٨٢: هذا حديث لا يصح، والمتهم به عيسى ابن مهران. قال ابن عدي: حدث بأحاديث موضوعة، وهو محترف في الرفض. وقال ابن عراق في ذخيرة الحفاظ (٥/٢٦٥٦ رقم ٦٢٠٢): وعيسى هذا أيضًا يقال له: المستعطف، كان ببغداد يحدث بالموضوعات. وانظر: اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي ١/٣٣٣، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي ص ٧٢٤-٧٢٥، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، ص ٣٧٢، كلهم حكموا عليه بالوضع.

فضائل إمام يوم الغدير، وكيف يكتبون وأنى يهتدون؟ ولقد شهد لهذا الحديث النبوي الكتاب الإلهي من قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وأكبر كلمات الله عليّ، وإليه الإشارة بقوله: (أنا كلمة الله الكبرى)، فله الفضل الذي لا يعد، والمناقب التي ليس لها حد) انتهى كلام الصدوق القمي<sup>(١)</sup>.

وهو المدعي لرؤية علي عند الممات ناقلاً قول علي: (يا حارهمدان من يمت يرني). وهو أيضاً يؤمن بتحريف القرآن: (إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان...) (٢).

وشاع الطعن بعدالة القمي الصدوق وضبطه من بعض علماء الشيعة وفقهائها، ومما ذكر عنه ما يلي، فقد قال أبو الهدى الكلباسي: (ذكر بعض علماء الرجال في حق الصدوق من أن توقف بعض في اعتبار روايته لعله لعدم ثبوت ضبطه) (٣).

وقال سليمان الماحوزي: (كان بعض مشايخنا يتوقف في وثاقة شيخنا الصدوق) (٤).

قال يوسف البحراني: (والعجب من بعض القاصرين أنه يتوقف في توثيق الشيخ الصدوق، ويقول: إنه غير ثقة، لأنه لم يصرح بتوثيقه أحد من علماء الرجال) (٥).

لا بد من التأكيد أن أصحاب الكتب الأربعة كلهم إخباريون (محدثون)، يعتمدون بشكل أساسي على الحديث الذي يغلب عليه روايات جعفر الصادق

(١) القمي، تصحيح الاعتقاد، ص ٨٣.

(٢) القمي، تصحيح الاعتقاد، ص ٩١، القمي، الأمالي، ص ٤١٥.

(٣) الكلباسي، سماء الهدى، ٢ / ٢١٠.

(٤) سليمان الماحوزي، بلغة المحدثين، ص ٤٠.

(٥) يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٣٧٤.

أولاً، ثم محمد الباقر، وليس أحاديث النبي، ولا حتى أحاديث علي بن أبي طالب، فهي قليلة جداً، وليس عندهم الاهتمام بالقرآن، بل يؤمنون بتحريف القرآن، وأن القرآن الصحيح سوف يأتي آخر الزمان عند المهدي المنتظر، كما ذكر في محله، ولم يهتموا بالتوحيد، وكان كتاب التوحيد للصدوق القمي أكثره ليس عن الله بل علي ابن أبي طالب والمغالاة فيه كما سيأتي...

كل ما جاء بعد هذه الحقبة قد اعتمد على الكتب الأربعة: بوصفها مراجع أصلية يعتمد عليها.

ومن الفقهاء المهمين الذين كانوا قريبين من السلطان، ولهم دور كبير هو محمد ابن محمد بن النعمان المعروف بـ(الشيخ المفيد ٣٣٨، ٤١٣ هجرية)، والملقب بابن المعلم، وكان أستاذاً للطوسي وغيره. من كتب المفيد: الإعلام، الإرشاد، الرسالة، المقنعة، الأمالي، وغيرها. وقد كان عضد الدولة يعود في بيته، وبينهما زيارات متواصلة، كما خصّص له ولتلامذته رواتب خاصة، كما أعطاه مسجد براهنا ببغداد. ومشكلة المفيد أنه درس عند ثلاثة من الفرس القميين كالصدوق القمي وابن قولويه القمي وأبو الحسن القمي فأخذ عنهم الغلو والتكفير والآراء الغريبة، وقام بالتنظير للتعامل مع السلطة، مما يجعله من وعاظ السلاطين. وشرح بعض كتب القميين، وروج لعقائدهم خصوصاً الصدوق القمي صاحب (من لا يحضره الفقيه). لكن المفيد شعر بخطر القميين وتدليسهم خصوصاً الأحاديث الموضوعة، مثل فضل قم في الروايات، حتى كتب رسالة بذلك، مما جعل الفرس يحاربونه، ويكتبون ضده، ولم يكن لكتبه مرتبة المراجع الحديثية الأربعة: فالفقيه العربي مرفوض عند الفقهاء الفرس. وكان من تلامذة المفيد: الشريفان الأخوان الرضي والمرتضى، وهما الفقيهان الأديبان العربيان، اللذان طرحا مشروع (الفقه الجعفري) بوصفه فقهاً خامساً موازاً للمذاهب السنية الأربعة ومحترم لها، وكانت خطوة نحو الوحدة الإسلامية في بغداد، التي تنوعت المذاهب الإسلامية لتكون بينها تعايش بناء، ولم يؤمنا بتحريف القرآن، وقد أسس المرتضى (دار العلم) ببغداد، وتهيئة المال الكبير

لها، ومكتبة كبيرة قيل: إنها حوت ثمانين ألف مجلد وتوزيع العطاء على طلابه وتهيئة السكن والطعام لهم، ليتفرغوا للعلم، حتى قال الثعالبي في يتيमितه عن المرتضى المعاصر له: (انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى الشريف المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم، وله شعر نهاية في الحسن ومؤلفاته الكثيرة). لكن الفقهاء الفرس من وعاظ سلاطين الدولة البويهية رفضوا أفكارهم الوحشية، خصوصاً تلميذه الطوسي، حيث وأدها بكل حزم، وحصلت الفتنة الطائفية، وقطع رأس الفتنة الطوسي الذي هرب إلى النجف، وعندها باتت النجف مركزاً للتشيع الفارسي كما سيأتي لاحقاً. وكانت نهاية الدولة البويهية الفارسية على يد قائد الأتراك السلاجقة السلطان طغرليک سنة ٤٤٧ هجرية، وانتهت حكومتهم، لكن تراثهم خصوصاً الكتب الحديثية الأربعة باتت كبيرة في تأثيرها الأوسع، حتى يومنا الراهن مرجعاً أساسياً وكبيراً في الفقه والعقيدة والثقافة والدين<sup>(١)</sup>.



(١) الجندي، الإمام الصادق، محمد جواد فضل الله، الإمام الصادق، الثعالبي، يتيمة الدهر، الحسني، سيرة الأئمة، الحسني، الموضوعات، الوردي، وعاظ السلاطين، ص ٣٢٤.





## فرق الشيعة والفرقة الناجية

اشتهر في كتب الحديث والروايات القديمة والحديثة، الحديث المشهور: (افترق اليهود إلى ٧١ فرقة كلها إلى النار، ولم تنج إلا فرقة واحدة، وافترق النصارى إلى ٧٢ فرقة كلها إلى النار، ولم تنج إلا فرقة واحدة، وسوف تفترق أمتي إلى ٧٣ فرقة كلها إلى النار، إلا فرقة واحدة، هي الفرقة الناجية يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وقد تباغت الكثير من الفرق الإسلامية بين أصحابها ومقلديها أنها الفرقة الوحيدة الناجية بشهادة من الحديث المذكور أعلاه، محتكرة الحق والحقيقة، وهي غافلة عن الكثير من الأسس الموضوعية والحيادية في الدراسة العلمية للمقارنة بين الفرق ونشأتها ومبادئها وعقائدها، فضلاً عن تأثرها بالفرق الأخرى وتغير عقائدها. علماً أن الحديث من أضعف الأحاديث سنداً ودلالة، كما ذكرته من قبل، لكن المسلمين قد افترقوا فعلاً إلى فرق عديدة وكثيرة ومختلفة، وبمراجعة بسيطة إلى كتب الفرق والملل والنحل، مثل كتاب (الملل والنحل) لعبدالكريم الشهرستاني (٤٧٩، ٥٤٨ هجرية)، و(الفرق بين الفرق) لعبدالقاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هجرية)، و(مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٠٣ هجرية)، و(الفصل في الملل والنحل)

---

(١) لفظ الحديث في السنن، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». أخرجه أبو داود (٣٢٣/٤ رقم ٤٥٩٨)، والترمذي (٢٥/٥ رقم ٢٦٤٠)، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٠٢ رقم ٢٠٣). وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١/٦٨، سنن ابن ماجه، ١٣٢١، الجامع الصغير، ١/١٨٤، مستدرک الحاكم، ١/١٢٨، كذلك مقدمة فرق الشيعة للنوبختي والمقالات لسعد القمي.

لابن حزم الظاهري (ت ٣٨٤)، وكتب فخر الدين الرازي وأبي المظفر الأسفرايني وجعفر السبحاني وغيرهم. بل إن الفرقة الواحدة قد تشعبت إلى ٧٣ فرقة كالشيعة حيث كتب الفقيه الشيعي الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠ هجرية) وعلى نهجه تلميذه الفقيه سعد بن عبدالله القمي كتاب (فرق الشيعة)، الذي طبع مراراً وكتب مقدمة له فقهاء شيعة مثل هبة الدين الشهرستاني مادحاً وموثقاً، كما وثقه فقهاء الشيعة في كتب رجالهم المعروفة كالطوسي في فهرسته والنجاشي في رجاله والمامقاني في رجاله وغيرهم. يقدم النوبختي كتابه (فرق الشيعة) بالحديث النبوي أعلاه حول افتراق المسلمين إلى ٧٣ فرقة، وواحدة فقط هي الناجية يوم القيامة، وهي بزعمه فرقته فقط، ويدعى حياديته الكاملة، لكن الغريب أنه يقسم الشيعة فقط إلى ٧٣ فرقة، ومنها سمى كتابه (فرق الشيعة)، ولم يسمه (فرق المسلمين)، لأنه من الإخباريين الفرس في نظريتهم باعتبار المسلمين والمؤمنين يقتصر على الشيعة فقط، فالسنة كفار برأيهم، حيث لا يؤمنون بولاية علي، ولا يتبرؤون من الخلفاء، فإن من في قلبه ذرة حب للشيخين يكون في قعر جهنم مخلداً فيها، حسب دعواهم الباطلة في (التولي والتبري)، علماً أن نوبخت عائلة فارسية والكلمة تعني (حظ جديد)، وقد كان والد المؤلف منجماً وقارئاً للكف والحظ، وقد تأثر المؤلف بذلك كثيراً لمن يراجع سيرته وكتبه<sup>(١)</sup>.

يذكر النوبختي نشوء فرقة السبئية بزعمه عبدالله بن سبأ، الذي دعا إلى ألوهية الإمام علي بن أبي طالب واستحالة موته، وهو يسمع كل نجوى، ويلمع في الظلام، ويوجد في كل مكان وزمان. كما يذكر النوبختي حوارات بين ابن سبأ والإمام نفسه، حتى أراد الإمام حرقه في النار، فقال ابن سبأ: (لا يحرق بالنار إلا الله)، ثم نفاه ولعنه وطرده من البلاد. قصة السبئية ذكرتها الكتب الشيعية القديمة بالإجماع، حتى الكتب

(١) راجع: مقدمة فرق الشيعة للنوبختي، ومقدمة المقالات لسعد القمي، وكذلك كتاب الملل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، وكتب فخر الدين الرازي وأبي المظفر الأسفرايني وجعفر السبحاني وأبو محمد اليميني وغيرهم في هذا الباب من الملل والنحل.

الأربعة، وذكرها الطوسي والمفيد والنجاشي والقمي والكليني والصدوق والمرضى والرضي والمفيد.

كما مرّ سابقاً في فصل خاص<sup>(١)</sup>.

كما يذكر النوبختي انقسام الشيعة إلى فرق أبناء الإمام علي بن أبي طالب، من الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، فمنهم من قال بإمامة محمد ابن خولة الحنفية وهم الكيسانية، واعتقادهم ببقائه حيّاً، ولم يمت ولا يزال يعيش في جبال رضوى بين مكة والمدينة، وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر يحفظانه، وللكيسانية جمهور كبير منهم المختار الثقفي حامل راية (يا لثارات الحسين)، للثار من قتلة الحسين وأصحابه. وقد أوصى ابن الحنفية إلى ابنه عبدالله أبي هاشم، وهو بدوره أوصى إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، الذي أوصى لابنه إبراهيم زعيماً وأميراً وقائداً للشيعة. لكن الباقر رد على أبي هاشم مدعيّاً إمامته محتجّاً بآيات عامة، مثل ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، لكن الكثير رفض حصر الإمامة في ذرية الحسين دون الحسن: كالزيدية والجارودية والكيسانية. فقال بعضهم: (كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن، وهما سيّد شباب أهل الجنة، وهما في الفضل سواء بل الحسن يفضل به بالكبر، وكان إماماً على أخيه)، بينما يجيب البعض من المنظرين للتشيع

(١) راجع: فصل ظاهرة عبدالله بن سبأ، في هذا الكتاب.

واضح التوثيق الكبير جداً للنوبختي ولكتابه فرق الشيعة، النوبختي: هو أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث للهجرة، ووردت ترجمته في جميع كتب الجرح والتعديل عند الشيعة، وكل منهم وثقه، وأثنى عليه.

وقال الطوسي: أبو محمد النوبختي، متكلم، فيلسوف، وكان إمامياً (شيعياً) حسن الاعتقاد ثقة... وهو من معالم العلماء، فهرست الطوسي، ص ٩٨.

قال النجاشي: الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي، المتكلم، المبرز على نظرائه في زمانه، قبل الثلاث مئة وبعد. راجع: الفهرست للنجاشي، ص ٤٧.

ويقول نور الله التستري: الحسن بن موسى من أكابر هذه الطائفة وعلماء هذه السلالة، وكان متكلماً، فيلسوفاً، إمامياً الاعتقاد. انظر: مجالس المؤمنين للتستري، ص ٧٧.



الفارسي بسبب صلح الحسن وثورة الحسين، وهذا في الواقع محل إشكال وتأمل، ولا يمكننا التسليم به.

ومن الكيسانية الشاعر كثير عزة القائل:

ألا وإن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وماء

وكذلك الشاعر إسماعيل الحميري القائل:

لقد أمسى بجانب شعب رضوى	تراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا وارت له الأرض عظاما <sup>(١)</sup>

ثم انقسمت الكيسانية إلى فرق متعددة. ومن الفرق الأخرى البيانية وادعاء بيان أنه النبي وتأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [آل عمران: ١٣٨] به نفسه، وقد رد جميع الفرائض والشرائع والسنن. ثم يذكر النوبختي فرقا شيعية قالت: إن روح الله كان في آدم، وكل الأنبياء آلهة تنتقل الروح من واحد إلى آخر، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، واستحلوا الزنا والشذوذ الجنسي، وبعضهم يعتقد أن الأئمة هي الآلهة الحقيقية على الأرض، وإبطال القيامة والبعث، واستحلوا ما حرم الله، حتى حلل البعض نكاح الأمهات والأخوات والبنات، ونشوء فرق غلو كثيرة كالغيرية أتباع المغيرة بن سعيد تلميذ الإمام الصادق، وقد دس في أحاديثه آلاف الأحاديث، ثم أسس مذهباً للغلو في الأئمة وسب الخلفاء وإباحة المحرمات، ومن الفرق المغالية الحزمونية والمزدكية والدهرية والمغيرية والخطابية، وهذه الأخيرة مثلاً

(١) راجع: كتب الملل والنحل والمذاهب والفرق من الشيعة والسنة، لا سيما فرق الشيعة للنوبختي، والمقالات لسعد القمي، والملل والنحل لجعفر السبحاني، فضلاً عن الشهرستاني والبغدادي والمامقاني.

آمنت بأن أبا الخطاب كان نبياً مرسلًا ثم ملكًا مقربًا، وقد أباح المحرمات والشذوذ كله، لكنه قوتل وجماعته قتالاً شرساً حتى قتل، وقطع رأسه، وبعث به إلى المنصور، فوضعه على باب بغداد ٣ أيام، ثم أحرقه<sup>(١)</sup>.

الملاحظ أن فكرة الأئمة الإثني عشر هي فكرة متأخرة، لم تؤمن بها أكثر الفرق سابقاً، بل حتى في عصر الأئمة الإثني عشر لم يسمعوها بها، فلذلك اقتصر وأنداك على أئمة دون وصولها إلى إثني عشر بسبب عدم ارتكازها أصلاً في ذهنهم العرفي والشرعي آنذاك، فلذلك توقفت فرق عديدة على الإمام آنذاك، ولم تنتقل إلى إمام بعده: كالناووسية التي وقفت على جعفر الصادق والواقفية على موسى الكاظم وغيرها، ومنها من قالت بإمامة أرحام الأئمة: كالسميطية المؤمنة بمحمد بن جعفر الصادق، والإسماعيلية لإسماعيل بن الصادق، والقطحية لعبدالله بن الصادق، والأحمدية لأحمد بن موسى الكاظم، ومن قال بإمامة جعفر بن علي الهادي، وكلها لم تؤمن بمحمد المهدي... ومنها من قال بإمامة أصحاب الأئمة، مثل الخطابية أصحاب أبي الخطاب، والمغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد، وهو من أصحاب الصادق، وغيرهم كثير، كما ذكر النوبختي والقمي فرقاً شيعية أخرى: كاليونسية والمباركية والممطورة والقرمطية والنميرية والنصيرية، وغيرها كثير<sup>(٢)</sup>.

يذكر النوبختي والقمي وغيرهما: أن الشيعة بعد العديد من الأئمة ينقسمون أنفسهم إلى فرق متعددة: كشيعة جعفر الصادق، الذين انقسموا بعد وفاته إلى ٦ فرق مختلفة، فرقة واحدة منها آمنت بموسى الكاظم، كما أن شيعة الحسن العسكري بعد وفاته انقسموا بدورهم أيضاً إلى ١٤ فرقة، يذكرها بالتفصيل، ولم تكن الإمامية الإثنا عشرية إلا واحدة منها فقط، وهي أقلية آمنت بوجود طفل عمره خمس

(١) راجع: فرق الشيعة للنوبختي والمقالات لسعد القمي، وكذلك: القمي، إكمال الدين، ص ٣٢، اليعقوبي، التاريخ، ٣/ ١٤٠، الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٢٦، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ١٣٠ (مع الجدل الكبير حول الكتاب وصحته ونسبته لمؤلفه، كما ذكرت، وستأتي لاحقاً أيضاً)، ابن تيمية، منهاج السنة، ٣/ ٢٣١.

(٢) راجع: المصادر آنفة الذكر.

سنوات، لم يره سوى الخادم وحكيمة ثم اختفى في السرداب، خوفاً من المعتمد العباسي... والباقون كلهم كانت لهم فرقهم المختلفة الثلاثة عشرة، وهم الأكثرية آنذاك، وهي كلها لم تؤمن بقصة محمد المهدي المنتظر<sup>(١)</sup>. الملاحظ: أن الكثير من الفرق قد اضمحلت بمرور الزمان، لكن بعضها لا زالت موجودة إلى يومنا هذا، مثل العلوية والنصيرية المغاليتين في الإمام علي إلى درجة أقرب إلى الألوهية ومبيحة المحرمات، ولا تمارس العبادات عادة وتؤمن بالتناسخ وانتقال الأرواح، وتوجد في سوريا وتركيا وإيران، والزيدية المؤمنة بزيد بن علي بن الحسين وقد أخذت أفكارها من المعتزلة، فقد درس إمامها زيد على يد أستاذه المعتزلي واصل بن عطاء، وأفكارهم فيها جانب عقلي وفقههم يميل إلى السنة، علماً ورود مدح زيد في كتب الإمامية المعتمدة مدحاً كبيراً (زيد أعلمنا وأفقهنا وأتقانا)، والزيدية تحترم الخلفاء الراشدين، ولا تكفرهم ولا تسبهم ولا تلعنهم ولا تؤمن بالعصمة، ولا تحدد الأئمة بالإسم من ذرية الحسين، بل تضع ضوابط، ومن توافرت فيه شروط يمكن أن يكون إماماً، بل آمنت بتعدد الأئمة في وقت واحد. وهنالك حوار بين زيد وأخيه الباقر يقول زيد: (ليس الإمام منا من جلس في بيته، وأرعى ستره، وثبط عن الجهاد)، ولعل دراسته عند زعماء المعتزلة جعلته قوي الحجة والأدلة. ومركز تواجدهم في اليمن وشرق أفريقيا، والإسماعيلية، وهي فرقة كبيرة آمنت بإسماعيل بن جعفر الصادق باعتباره الولد الأكبر والحريّ بها، واستدلوا بكل ما ورد رقم ٧ في القرآن على مذهبهم، كما استدل الإثنا عشرية بكل رقم ١٢ في القرآن<sup>(٢)</sup>.

علماً أن الدولة الفاطمية هي من الإسماعيلية، كما أن الإسماعيلية انقسموا إلى مذاهب متعددة، ودول مختلفة، وحكومات متعددة، ومن فرقها الآغاخانية

(١) راجع: فرق الشيعة للنوبختي، والمقالات لسعد القمي، وكذلك كتاب الملل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، وكتب فخر الدين الرازي، وأبي المظفر الأسفراييني، وجعفر السبحاني، وغيرهم في هذا الباب من الملل والنحل.  
(٢) راجع: النوبختي، فرق الشيعة، سعد القمي، المقالات والفرق، كذلك الشهرستاني في الملل والنحل، والبغدادي في الفرق بين الفرق، والسبحاني في ملله، وغيرها كذلك بحث الكيسانية.



المشهورة لزعيمها آغا خان، والدروز المؤمنة برسائل الحكمة، ولها قرآن آخر غير الموجود، وهو (المصحف المنفرد بذاته)، وتؤمن بالتناسخ والخلوة، ولا يمكن التعرف للدرزي حتى يبلغ الأربعين من شيخ العقل، ليأخذ عليه العهد والميثاق في الخلوة، وهي فرقة موجودة في سوريا ولبنان، والبهرة حيث تؤمن باستمرار وجود الإمام، وليس غيبته، فتذهب فائدته، وأصلهم في الهند، وينتشرون في شرق أفريقيا. والإمامية الإثنا عشرية وقد انقسمت إلى فرق كثيرة متعددة، منها: الإخبارية والأصولية وضراوة المعركة بينهما، وغيرها<sup>(١)</sup>.

ولا بد من معرفة أن الكثير من الفرق قد تطورت أو تأخرت متأثرة بفرق وأفكار وعقائد أخرى، فضلاً عن الظروف المحيطة بها، حيث يلاحظ تطور فكرة الإمامة والعصمة وعلم الغيب والمهدوية والبداء والتقية والغلو والتولي والتبري والتكفير وغيرها، مما يفرق بين التشيعين العربي والفارسي، وكأنهما دينان مختلفان متعارضان ويحتاج إلى مجلدات لتفصيله.

ثقافة الفرقة الناجية المنتشرة برغم أن دليلها ضعيف وواه، فهي تجعل النظرة إلى الذات مقدسة وعظيمة، وأن كل ما تحمله فرقته هو الحق كله، فيدور الحق مدارها وجوداً وعدمًا، بينما النظرة للفرق الأخرى نظرة ازدراء ورداءة في توهم أن كل ما يحملونه هو كفر وضلال وباطل برغم منافاته للعقل، ولجملة من الأدلة في القرآن والأحاديث، مثل الحديث النبوي: «الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها أنى وجدها، ولو من الكافر»<sup>(٢)</sup>. وهي دليل على الانفتاح في أخذ الحكمة لا التعصب والتوقع.

(١) راجع: كتب الإسماعيلية والزيدية لمصطفى غالب خصوصاً المفيد والمستفيد ورسالتان إسماعيليتان، والإمامة، وقائم القيامة، ومفاتيح المعرفة، وعارف تامر خصوصاً موسوعة تاريخ الإسماعيلية، وموسوعة الخلفاء الفاطميين، ومحمد أبوزهرة، وأحمد محمود صبحي وغيرهم، فضلاً عن كتابي في عقائد الدروز.

(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها». أخرجه الترمذي (٥ / ٥١ رقم ٢٦٨٧)، وضعفه بقوله: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه.

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٣٠١): ضعيف جداً.



وإذا كان الشيعة قد انقسموا إلى ٧٣ فرقة في القرن الثالث الهجري بقول الفقيهين الشيعيين: النوبختي والقمي وغيرهم، فالسؤال المطروح عندئذ: كم فرقة نشأت بعد ذلك؟ أى بعد أكثر من ألف سنة على تأليف ذلك الكتاب: (فرق الشيعة) محل بحثي الآن. وما أكثرها حقيقة خصوصاً، وقد حارب بعضهم بعضاً، وكفر بعضهم بعضاً، واستباح بعضهم بعضاً؟

لا شك أن الفرس بثقافتهم في الوراثة الملوكية، قد أدخلوا هذه العقيدة بعد انتحالههم التشيع، وإدخالهم ثقافتهم الموروثة، ومنها الوراثة فجعلوا الأئمة واحداً تلو آخر، كما كانت ملوكهم ترث الملك واحداً بعد آخر، برغم وجود الهفوات في أن يكون الإرث للحسين دون الحسن، وذلك لأمرين: أولاً: أن الحسن صالح معاوية على وثيقة تبطل أفكارهم التكفيرية والثأرية. وثانياً: أن الحسين تزوج كما ادعوا فارسية، كما ناقشتها أعلاه في فصل خاص، حيث تلاقح الدم الموروث بين بني فارس وبين الأئمة وراثة ولدًا عن أبيه من ذرية الحسين صاحب الثار، بديلاً عن الحسن المصالح والمسلم مع معاوية، ورأينا في بطلان نظرية الفرس العشائرية والصراع بين بني هاشم الأطياب الأطهار وبين بني أمية عكس ذلك، وهي نظرية باطلة من جهات كثيرة ناقشتها، ومنها صلح الحسن مع معاوية، ثم استمرار الحسين للصلح بعد وفاة الحسن عشر سنوات كاملة، حيث ثقافة الصلح والسلام خير من ثقافة الحرب والقتل والكراهية.



## الدولة العبيدية الفاطمية وطقوسها

المؤسس هو عبيدالله المهدي من نسل القدّاح الإيراني، وهو لا ينتسب إلى آل البيت، بل إلى ميمون بن ديسان الشنوي المذهب والمؤمن بإلهين: إله النور، وإله الظلمة. أطلقت الدولة العبيدية على نفسها اسم (الفاطمية)، لتظهر نفسها سلالة شيعية، تنتسب إلى فاطمة بنت النبي محمد عن طرق إسماعيل بن جعفر الصادق، وذلك لمواجهة الحملة العباسية عليهم واتهامهم. تدعي أنها فرقة إسماعيلية، وهي إحدى الفرق الشيعية المغالية، التي تؤمن بسبعة من الأئمة: آخرهم إسماعيل بن جعفر الصادق، فلا يؤمنون بالكاظم ومن بعده. حكمت تونس ومصر والشام، وعلى أحقاب في ليبيا والمغرب، ولكن ليس بشكل مباشر، وإنما عن طريق أمراء كانوا تابعين للدولة الفاطمية بشكل سياسي لا عقدي، وأجزاء محدودة من غرب الجزيرة العربية وصقلية، وكان لها نفوذ قوي في شمال السودان عبر إمارة الكنوز بين عامي ٩٠٩ و ١١٧١م.

المؤسس هو عبيدالله المهدي (٩٠٩، ٩٣٤ م) نجح صاحب دعوته في القضاء على دولة الأغالبة وحمله إلى السلطة، معتمداً في ذلك على كثرة جموع قبيلته كتامة البربرية، ثم اختطّ مدينة المهديّة بإفريقية (تونس الحالية)، وجعل منها عاصمة له، إلا أن الفاطميين وحلفاءهم بعد ذلك زحفوا إلى المشرق، وأسسوا القاهرة مع رابع خلفاء الفاطميين المعز لدين الله الفاطمي، ولم يتبق منهم في المغرب إلا القليل. استولى الفاطميون على شرق الجزائر، ثم تونس، ثم ليبيا، ثم صقلية التي بقيت في حكمهم حتى ١٠٦١م. سنة ٩٦٩م، استولى المعز (٩٥٣، ٩٧٥م) على مصر وبنى مدينة القاهرة بقيادة جوهر الصقلي.

سلك الفاطميون مسلك العباسيين عند تأسيس دولتهم فمهدوا لدولتهم بالدعوة إلى الفكرة الشيعية في مصر والمغرب واليمن، وبات لهم مؤيدون وناصرون في جميع تلك الدول، بل استطاعوا أن يستميلوا وزراء العهد الأخير للأغلبة، وكان داعي دعائها في المرحلة الأخيرة قبل قيام دولتهم أبو عبدالله علي بن حوشي الشيعي، فعمل الأخير على نشر الدعوة العبيدية في بلاد المغرب وشمال أفريقيا.

استطاع أبو عبدالله أن يحشد جيشاً من أتباعه ويواجه دولة الأغلبة في حروب امتدت حوالي خمس سنوات، حتى استطاع فيها أن يقضي تماماً على دولة الأغلبة.

وامتد نفوذ الفاطميين في ذلك الوقت إلى أكثر أجزاء بلاد المغرب، حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة غرب مدينة القيروان.

قال ابن كثير: (وقد كانت مدة ملك الفاطميين مئتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا كأمس الذهب كأن لم يغنوا فيها. وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداً، وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه: إنه المهدي، وقد راج لهذا الدعي الكذاب ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصوله، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض. ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الطاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الأمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسى، ثم ابن عمه العاضد عبدالله، وهو آخرهم، فجعلتهم أربعة عشر ملكاً ومدتهم مئتان وثمانون سنة)، ثم ذكر بدعهم وطقوسهم التي أحدثوها.

مصر التي فتحها عمرو بن العاص إلى الإسلام في عصر خلافة عمر بن الخطاب الفاروق، كانت سنية بالكامل حتى مجئ المعز لدين الله الفاطمي. برغم بناء

الجامع الأزهر وغيره، فإن جملة من الطقوس مورست، وبعضها بقي إلى يومنا وهو زيارة القبور والتقديس والندور لها والتوسل إليها واعتقاد أنها تنفع وتضر وتشفع وغير ذلك من المراقد الكثيرة المنسوبة عنها: كالحسين وزينب ونفيسة وغيرهم. وجاء صلاح الدين الأيوبي وأزاح الفاطميين، وأرجعهم إلى السنة، لكن بعض الطقوس تمارس وبعضها عفوى كطقوس رمضان والفوانيس والمأكولات حتى أكلة عاشوراء واحتفالاتها، وكأنها مقابلة للطم والأحزان التي أنشأها الفاطميون، فيقع التناقض بين الاحتفال بعاشوراء وبين تقديس الحسين المذبوح يوم عاشوراء بكر بلاء.

ذكر المقرئ في مواعظه: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن ومولد الحسين، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليالي رمضان، وغرة رمضان، وسباط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العرس، وأيام الركوبات)، ثم ذكر الطقوس التي مارسها الفاطميون آنذاك، وكيف تأثر بها المصريون واستمرت معهم، وقال: (وما زال المصريون يتذكرون موكب حصان الخليفة المهيب، الذي كان يخرج يوم المولد النبوي فيصنعون حلوى تشبه هذا الحصان)، وغيره.

دخل الفاطميون في صراع مع العباسيين للسيطرة على الشام. كما تنازعوا السيطرة على شمال إفريقية مع أمويي الأندلس، وتمكنوا من إخضاع الحجاز والحرمين ما بين سنوات ٩٦٥، ١٠٧٠ م. اتهم العباسيون الفاطميين أنهم ليسوا من نسل فاطمة الزهراء، فلا يقربون للرسول أصلاً، يقول المقرئ: (إن القادر الخليفة العباسي جمع في بغداد مجلساً من القضاة والأشراف والفقهاء، وجعلهم يكتبون محضراً يتضمن القدح في نسب الخلفاء الفاطميين وفيهم من الانتساب لعلي بن



أبي طالب، ثم كتبت نسخ من هذا المحضر فسيّرت في الآفاق)، مما جعل الفاطميين يبالغون في الطقوس والاحتفالات ومراسيمها في أهل البيت، حتى إن المعز لدين الله الفاطمي أمر أن يكتب على سائر الأماكن بمصر: (خير الناس بعد رسول الله علي بن أبي طالب) وغيره.

لقاء المعز العبيدي عندما دخل مصر واجتمع مع علمائها، والحديث الذي دار بينه وبين نقيب الأشراف السيد ابن طباطبا عندما سأل عن نسبه. وقال المعز بجوابه المشهور عندما سل سيفه، ثم قال: (هذا نسبي). ثم نثر ذهبًا، وقال: (هذا حسبي). وقد أصبحت هذه المقولة مثلاً معروفًا إلى يومنا هذا. ولو كان يعرف أن له نسبًا يصل إلى الدوحة الشريفة لأعلنها أمام الملأ. وقد قام بفضائح رهيبة منها دفن الحجاج عند زمزم، وأمره مخالفه بفعل الفاحشة فيهم، والقتل لعلماء السنة مثل أبي بكر النابلسي وابن البردون ابن خيرون وإذلالهم الفطيع.

وفي حوادث ١٨٣ هـ ضرب رجل من أهل مصر وطيف به في المدينة؛ لأنهم وجدوا عنده كتاب الموطأ للإمام مالك. وثبت في التحقيق أنهم أولاد ميمون القداح ابن ديسان اليهودي، لكنه ادعى نسبًا لآل البيت حتى يجذب الناس المحبين لأهل البيت إليه. وقد أمروا الناس بالسجود لهم كما كان الفرس يسجدون للملوكهم في تقديسهم، وكانوا يكرهون الخلفاء الراشدين وزوجات النبي عائشة وحفصة لدرجة كتابة أسمائهم عند المرافق للتخلي وقضاء الحاجة، وقاموا بالأفراح الكبيرة للمواليد خصوصًا السبعة من علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق ثم إسماعيل بن جعفر الصادق بشكل كبير وعظيم، ورفعوا الأذان بحي على خير العمل، ويقصدون بها ولاية علي، والأئمة السبعة أعلاه.

كانت طقوس عاشوراء وإظهار الأحران من بدع الفاطميين، فلم تكن موجودة أيام الأئمة، وإنما جاء بها الفاطميون والبويهيون، كما أقر الحلي وعباس القمي، وحتى اعترف بها بعض المتأخرين: كالأصفهاني والتبريزي وفضل الله. قال الحلي (إن الجلوس للتعزية لم ينقل عن أحد من الصحابة والأئمة، وأن اتخاذ مخالف

لسنة السلف). وقال الفالي الأصفهاني: (لم تعهد هذه الأمور في زمن المعصومين عليهم السلام، وهم أهل المصيبة وأولى بالتعزية على الحسين). وقال حسن مغنية: (جاء العهد البويهي في القرن الرابع الهجري فتحرق عاشوراء، وتجلى كما ينبغي حزينا في بغداد والعراق كله وخراسان وما وراء النهر والدنيا كلها، إذ أخذت تتوشح البلاد بالسواد، ويخرج الناس بأتم ما تخرج الفجيرة الحية أهلها الثكالي، وكذلك الحال في العهد الحمداني في حلب والموصل وما والاهاهم. أما في العهود الفاطمية فكانت المراسيم الحسينية في عاشوراء تخضع لمراسيم بغداد، وتقتصر على الأصول المبسطة التي تجري الآن في جميع الأقطار الإسلامية والعربية، وخاصة في العراق وإيران والهند وسوريا والحجاز، فتقام المآتم والمناحات، وتعد لتسكب العبرات، وأصبحت إقامة الشعائر الحسينية مظهرًا...) واعترف فقيه معاصر جواد التبريزي بأنها لم تكن على عهد الأئمة مفسراً ذلك بالتقية، فيقول: (كانت الشيعة على عهد الأئمة تعيش التقية، وعدم وجود الشعائر في وقتهم لعدم إمكانها، لا يدل على عدم المشروعية في هذه الأزمنة) وغيرها.

وكان العبيديون يكرهون العرب، كما قال الكثير من الباحثين، بل حتى المستشرقين مثل المستشرق نيكلسون وغيره.

كان الحكام الفاطميون بارعين في الظلم والغطرسة والترف، فنقل أن الحاكم الفاطمي كان يملك عشرة آلاف جارية وخادم، وكان عند أخته (ست الملوك) ثمانية آلاف جارية منها ألف وخمسة مئة من الفتيات البكر ولما قبض صلاح الدين الأيوبي على قصور الفاطميين عندها، وجد في القصر الكبير اثنتي عشرة ألف جارية ليس فيهم فحل سوى الخليفة وأولاده، فأطلق الأيوبي البيع فيهم لمدة عشر سنين، وهو نفسه الحاكم الفاطمي الذي يصنع له صورة لمكة والمدينة.

وقام صلاح الدين الأيوبي بالقضاء عليهم، وانقلب على الدولة الفاطمية. تولى الوزارة منذ ١١٦٩ م، وأعاد الخلافة العباسية سنة ١١٧١ م. وأعاد ذكر الخليفة العباسي. ذكرها ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، حيث قال: (وكانوا، أي

الفاطميّين، من أفسد وأفجر الحكام، حتى جاءهم صلاح الدين الأيوبي، فجعلهم أثرًا بعد عين). وهكذا انتهى عهد العبيدية، لكن طقوسها استمرت ونمت، واستحكمت حتى جاءت الدولة الصفوية، فتلاقت مع هذه الطقوس، وامتدت إلى يومنا المعاصر مع النفوذ الفارسي، وسيطرته على التشيع، ومحاربة وتسقيط كل من يقف بقوة لتصحيحها.

- لتوسيع البحث يمكنك مراجعة المصادر التالية.
  - ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٢٦٦ و ١٢/ ١٠٩.
  - ابن الجوزي، المنتظم، ٧/ ١٥.
  - حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية.
  - السيوطي، تاريخ الخلفاء.
  - اليافعي، مرآة الجنان.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميّين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، يوسف الشيخ عيد، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، جمال بدوي، الفاطمية دولة التفاريح والتباريح.

Nicholson, Literary history of the Arabs

- الحلي، المعبر، ٩٤.
- جواد التبريزي، صراط النجاة، ٥٦٢.
- حسن مغنية، آداب المنابر، ١٩٢.
- فضل الله، الندوة، ٤/ ٤٧٨.
- حسن الشيرازي، الشعائر الحسينية، ٩٨-١٠٠.
- شرف الدين، المجالس الفاخرة، ٢٧.
- المقريزي، خطط مصر، ١/ ٤٩٧، ٤/ ١٥٥، ٢/ ١٧٠.

المقرزي، المواعظ والاعتبار.  
علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع.  
تاريخ ابن خلدون.  
جورجي زيدان، التمدن الإسلامي، ١١٥/٥.  
آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١٠٨/١.  
علي الوردي، وعاظ السلاطين، ٢٨٢-٢٨٦.







## الدولة الصفوية وتحالف الوعاظ مع السلاطين

لا شك في تأثير الدولة الصفوية (١٥٠١، ١٧٣٦ م) أيام سطوتها وسلطتها منذ استلام الشاه إسماعيل حيدر الصفوي (١٤٧٨ م، ١٥٢٤ م) الحكم سنة ٩٠٧ هجرية (١٥٠١ م)، وجمعه بين السلطين الدينية والدينية، ونظر إليه بوصفه ممثلاً للمهدي المنتظر، والولي الهادي حصراً، وادعى رؤية منامات فيها المهدي المنتظر يدعوه للنصرة، ويعدّه بأن دولته موصولة بظهوره، موطئة له، حيث كان للمنمات تأثيرها الساحر آنذاك. فقد ادعى الشاه إسماعيل رؤية المهدي في طريقه إلى مكة بين النجف وبغداد، وقد ألبسه المهدي التاج الأحمر، وعلّق السيف في حمائله، قائلاً له: (اذهب فقد أذنت لك). وقال الشاه إسماعيل: إنه ظهر مصداقاً لحديث نبوي، يتنبأ برجل من خراسان من نسل النبي، وقد كوّن شجرة ونسباً إلى بيت النبوة. كما ادعى الشاه: أن الإمام علي أشار إليه في أقوال معينة، ومقالات أخرى عديدة، حيث ادعى أن لا يتحرك إلا بإذن المهدي وأوامره له شخصياً، وقد قال له: (لكل إناس دولة، ودولتنا أنتم في آخر الزمان). وقال: إنه المشار في القرآن مراراً مثل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥]، بعد تحريفها وحذف رسولاً نبياً منها، وتأويل عشرات الآيات، ثم ادعى أنه نظم اثني عشر ألف بيت شعري، ومنها:

أسرار مقام قاب قوسين	الله ومحمد وعليدر
مطلوب عبادت شريعت	مقصود حقايق حقيقت
مضمون إرادت طريقت	الله محمد وعليدر

وكذلك أيضًا:

على موسايه كوستردى عصاني      على اندردى كوكدن مصطفى

وتعني: لقد أرى علي موسى وأرسل محمدًا من السما. وواضح فيها الغلو، حيث كان يغلو بنفسه لدرجة أمره الناس بالسجود له في المساجد والأماكن العامة بوصفه خليفة الله: كآدم الذي سجدت له الملائكة، وكيوسف الذي سجد له إخوته، كما فسر الآيات في يوسف.

وقام بتحويل إيران إلى دولة شيعية بالقهر والقوة والسلطان وقيامه بإحداث نقلة جديدة في التشيع، وتحويله إلى عقائد وفقه وثقافة وتقاليد وأعراف وممارسات، لتحرفه عن (التشيع العربي) ومبادئ الإمام علي وحركته الثقافية الفكرية العقائدية الاجتماعية السياسية<sup>(١)</sup>.

كان الشاه إسماعيل يريد مواجهة الدولة العثمانية السنية، لذلك استعمل التشيع عتلة لمواجهة العثمانيين السنة، وكان يتمنى أن يغزو مكة والمدينة، وقام بمراسلات كثيرة مع ملوك البرتغال يدعوهم لغزو الجزيرة العربية، حيث إنه سوف يغزوها من

(١) براون، تاريخ الشاه إسماعيل، ص ٧٠، تاريخ الدول، ص ٣٤٤، دهخدا، لغت نامه، ٢/ ٢٥٢٧، تاريخ ابن طولون، ص ٢٤٠، كونكريك، أربعة قرون، ص ١٩، تاريخ الأدب في إيران، ص ٤٧، الزاهدي، سلسلة النسب الصفوية، ص ٣٤١، زندكاني شاه، ص ٣٠٣، الشيببي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص ٢٠٠، مخدوم، النواقض، ص ٩٨، تنكابني، قصص، ص ٢٤، مالكوم، تاريخ إيران، ص ٢١١، ابن بزاز، صفوة الصفاء، السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ص ١٧٣، آدم متز، الحضارة الإسلامية، الوردی، لمحات اجتماعية، إبراهيميان، مجموعة دراسات، التستري، مجالس المؤمنين، ص ٣١٥، اردستاني، محفل الأوصياء.

Algar, Religion and the state in Iran.

Babaie, Slaves of the Shah new elites of Safavid Iran.

Abisaab, converting Persia.

Donaldson, The Shi'as Religion.

Brown, A Literary of Persia.

Lockart, The Fall of the royal safavid rugs, 19.

Brockelman, Geschichte der Arabischen.

Hunt, The History of Iraq.

Iranian Studies, Shah Ismail.

الشرق بجيوشه الجرارة، كأنه يطمع باسترداد العرش الكسروي بالانتقام من السنة المسلمين، حيث أجبرهم الخليفة الثاني العربي على دخول الإسلام قهراً، ولا زالوا لا يريدون الإقرار بذلك، بسبب عنجهيتهم وكبريائهم في الغطسة الكسروية، وتوهم تفوق الفرس على العرب، ولا زال تراثهم الدائم يحمل كماً هائلاً من ذلك. وأوجد له شجرة عائلية تنسبه إلى الإمام موسى الكاظم، ومنها دخلوا التشيع بوصفهم ممثلين له من نسل آل البيت النبوي، وأحقيتهم في الخلافة، ووجوب الطاعة المطلقة لهم، ثم قام بتعمير قبور أهل البيت وبعض أبنائهم، حتى جاء إلى العراق، فعمر في النجف قبر الإمام علي وفي كربلاء للحسين، وكذلك الكاظم والجواد في الكاظمية ببغداد، فضلاً عن بنائه جامع الصفويين الكبير قرب الأخير... وتحول التشيع إلى دين الدولة، كما قال الورددي: (جعل إسماعيل الصفوي التشيع مذهباً حكومياً، وبهذا أضعف فيه نزعتة الشعبية القديمة)، وقد حصلت فتنة طائفية بين قم الصفوية وأصفهان السنية، لأن أصفهان كانت معروفة بحماسها لبنى أمية ومعاوية خاصة، كما ذكر المستشرق آدم متز: (إن أهالي أصفهان كانوا يغالون في حب معاوية..)، ومن انتقد معاوية بطش به الناس، وقتلوه وإن كان غريباً... ثم سيطر الصفويون بالقوة والسيف والإجبار، كما كان للطرق الصوفية دور في تخدير الجماهير لاتباعه، برغم سياساتهم الظالمة جداً<sup>(١)</sup>.

كانت إيران سنية إلى القرن العاشر الهجري، ومعظمهم من المذهب الشافعي، وقد أعلن الشاه إسماعيل بصلاة الجمعة بتبريز، وجعل نشر التشيع هدفاً أساسياً ورئيسياً للسلطة، كما أصدر حكماً إلزامياً بخطب الجمعة بالأذان الشيعي وأسماء الأئمة الإثني عشر وإعلان: (أشهد أن علياً ولي الله)، وكذلك (حي على خير العمل)، والعقوبة البالغة لمن يخالف أو يتردد... كما أنه في عام ١٥٠٨ م قام باحتلال العراق، وأقدم على مذبحه كبيرة جداً للسنة في بغداد، كما قام بهدم قبور أئمة

(١) الورددي، لمحات اجتماعية، ٥/ ٥٨، سبنسر، العراق، ص ٥١، سبوري، إيران في العصر الصفوي، ص ٢٦، نيكي، إيران، ص ١١، مجموعة دراسات، ص ٢٩، أودري، السلطة والهوية، ص ٥، أوليفر، فشل الإسلام السياسي، ص ١٧٠، خليفة، التحفة، ص ٥٩، سامي زبيدة، الإسلام والدولة والمجتمع.



السنة: كأبي حنيفة النعمان بن ثابت، وكذلك عبدالقادر الكيلاني وغيرهم، فضلاً عن ذبح الكثير من علماء أهل السنة والجماعة، إضافة إلى هجرة الكثير إلى تركيا بسبب ممارسات طائفية كثيرة، مشابهة لما قام به الصفويون في إيران لدعم تشيعهم الفارسي<sup>(١)</sup>.

بدأ إسماعيل الأول في توحيد إيران وتحويل السكان من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، الذي كان يتم كثيراً بطرق قهرية تعسفية، شملت أساليب فرض المذهب الشيعي، بوصفه ديناً رسمياً للدولة، وإجبار الناس على تغيير مذهبهم وإنشاء مكتب بعنوان الإشراف على المؤسسات الدينية والأوقاف، بغية تحويل إيران إلى المذهب الشيعي الإثني عشري وتدمير مساجد السنة، وقد لاحظ بيريس تومي السفير البرتغالي في الصين الذي زار إيران في الحقبة من ١٥١١ إلى ١٥١٢ حيث قال: (إن إسماعيل يقوم بإصلاح كنائسنا، ويدمر مساجد السنة، كما أن الصفويين تحالفوا مع أوروبا ضد الدولة العثمانية). وهذا يكشف عن تواطؤ غريب وعجيب في كشف خفايا سياسية وعقائدية في حقيقة الدولة الصفوية وتحالفاتها.

إن عالم الاجتماع الإسلامي الإيراني علي شريعتي، الذي تخرج في كلية الآداب بجامعة مشهد، ثم أوفد في بعثة إلى فرنسا، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية وتاريخ الإسلام بعد أن أمضى خمس سنوات مهمة في جامعة السوربون. وبعد عودته إلى إيران عمل مدرساً في جامعة مشهد، ثم في حسينية إرشاد بطهران كانت محاضراته مدوية بعنوان: (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) ويقول بصراحة: إن جميع الانحرافات والبدع والطقوس هي بدع ابتدعتها الدولة الصفوية نحو التخلف والرجعية والاستحمار الديني. وكذلك شرح شريعتي العلاقة بين الصفوية والمسيحية (من القضايا الواضحة وجود ارتباط وتضامن بين الصفوية والمسيحية، حيث تضامن الإثنان لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية العظمى

(١) كورال شاو، تاريخ الدولة العثمانية، ٩٤ / ١، كامل الشيبني، الطريقة الصوفية، ص ٣٧، الوردی، لمحات، ص ٥٥، مروة، التشيع، ص ٣٨.

العثمانية، التي شكلت خطرًا جديدًا على أوروبا، ولذا حاول رجال التشيع الصفوي أن يجدوا الإطار الشرعي لهذا التضامن بالتقريب بين التشيع والمسيحية، فقام الشيخ الصفوي باسترضاء المسيحيين بدعوتهم إلى الإقامة في الدولة الصفوية)، وذكر هذا التحالف وفصوله.

كتب الدكتور علي الوردي في كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) فصلاً كاملاً عنوانه (الدولة الصفوية والتشيع) ذكر تأسيسها وأثرها، قائلاً: (كان لظهور الدولة الصفوية في إيران تأثير كبير جداً من النواحي السياسية والدينية، ولم يقتصر أثرها على إيران وحدها، بل تعداها إلى العراق وتركيا وأفغانستان والهند). ويتحدث الوردي عن شخصية مؤسسها إسماعيل، فيقول: (مؤسس الدولة الصفوية هو الشاه إسماعيل، وهو الذي فرض التشيع الإثنى عشري على الإيرانيين قسراً، وجعله المذهب الرسمي للحكومة الإيرانية، ويعطينا الأستاذ براون وصفاً رائعاً لشخصية هذا الرجل، نقلاً عن بعض الرحالة والتجار الأوربيين الذين شاهدوه، فهو كان كما يبدو من أقوال هؤلاء يجمع النقائص، إذ هو من جهة كان قاسياً جداً متعطشاً للدماء، إلى حد يكاد لا يصدق. بينما كان من الجهة الأخرى وسيماً ذا أخلاق رقيقة، محبوباً من قبل جنوده إلى درجة العبادة، حتى إنهم كانوا يرمون بأنفسهم إلى ساحة الحرب، من غير دروع مؤمنين بأنه يحميهم من الخطر عند القتال). في تحليل الوردي لذلك يقول: (يخيل لي أن الشاه إسماعيل كان من أولئك الرجال الذين يملكون مواهب نادرة، سلبية وإيجابية معاً... وهم مؤمنون أن القدر هيأهم للقيام بمهمة ما. والظاهر أنه حين قام بفرض التشيع على الإيرانيين قهراً، كان معتقداً بأن هاتفاً غيبياً يدفعه ويرشده في أعماله. ولا ننسى أنه كان رجلاً صوفياً، ومن شأن المتصوفة بوجه عام أنهم يؤمنون بـ(الكشف) أي الإلهام الغيبي. والمعروف عنه أنه كان يعلن لمريديه أنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الإثنى عشر. وأنه لذلك معصوم، وليس بينه وبين المهدي المنتظر فاصل. ولعلني لا أعدو الصواب إذا قلت: إن جميع الأمور المستحدثة التي أدخلها إسماعيل في التشيع الإيراني، قد انبثقت من هذه النزعة الصوفية فيه. إذ لم يكن في مقدور أحد أن يفرض مثل تلك الأمور على

الناس، دفعة واحدة، دون أن يستند فيها على الكشف ودعوى الإلهام الروحي). كما يشرح الوردي كيفية لعن الشاه للخلفاء الراشدين الثلاث وسط السنة، وهو يشهر سيفه لقتل من يخالفه، فيقول: (عندما فتح الشاه تبريز في بداية أمره، وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة نصحه بعض مستشاريه من رجال الدين: أن لا يفعل ذلك، بحجة أن ثلثي سكان المدينة من أهل السنة. وأنهم لا يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة من على المنابر يومياً. ولكنه أجابهم قائلاً: (أنا مكلف بذلك، وأن الله والأئمة المعصومين معي. وأني لا أخاف أحداً، فإذا وجدت من الناس كلمة اعتراض، شهرت سيفي بعون الله فيهم، فلا أبقى منهم أحداً حياً). يمكن القول على أي حال: إن الشاه إسماعيل أساء إلى التشيع من حيث أراد نفعه)، وفي وسائل الشاه في تحقيق نشر التشيع وفرضه يقول الوردي: (اتخذ الشاه إسماعيل سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم فإنه يجب عليه أن يهتف قائلاً: (بيش باد)، (كم باده). وهذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية: أن السامع يوافق على السب، ويطلب المزيد منه. أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قُطعت رقبته حالاً. وقد أمر الشاه بأن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر، منذراً المعاندين بقطع رقابهم... ولم يكتف الشاه إسماعيل بالإرهاب وحده، في سبيل نشر التشيع، بل عمد كذلك إلى اتخاذ وسيلة الدعاية والإقناع النفسي، فقد أمر بتنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين على النحو الذي يُتبع الآن. وهذا الاحتفال كان قد بدأ به البويهيون في بغداد في القرن الرابع الهجري. ولكنه أهمل وتضاءل شأنه من بعدهم، ثم جاء الشاه إسماعيل أخيراً فطَوَّرَهُ، وأضاف إليه (مجالس التعزية)، بحيث جعله قوي الأثر في القلوب. وقد يصح القول: إنه كان من أهم العوامل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرهما، يؤدي إلى تغلغل العقيدة في أعماق النفس. والضرب على أوتارها الكامنة. وأمر الشاه إسماعيل كذلك بإدخال الشهادة (الثالثة) في الأذان أي عبارة: (أشهد أن علياً ولي الله). وكانت هذه الشهادة قد أدخلها الغلاة في الأذان، منذ القرن الثالث الهجري، غير أن الشيعة العرب المعتدلين آنذاك استنكروا ذلك



تماماً، ولم يقبلوا به. أما إسماعيل فقد فرض الشهادة الثالثة فرضاً ولم يكثرث بأحد)، هكذا كان مستبداً بآرائه وفرضها وجوباً على من لا يعتقد بها.

ولا شك أن: (أشهد أن علياً ولي الله) في الأذان والإقامة هي بدعة، كما قال فقهاء كثيرون، حتى من الدولة البويهية وأصحاب الكتب الأربعة، حيث قال الصدوق: (لعن الله المفوضة والغلاة، الذين أضافوا الشهادة الثالثة للأذان). ويقول الطوسي: (وأما ما ورد من شواذ الأخبار من قول: (أشهد أن علياً ولي الله)، فمما لا يعمل به في الأذان والإقامة)، كذلك استحدث الصفويون السجود على التربة الحسينية والمشي إلى كربلاء.

وفي تحالفه مع بريطانيا ضد العثمانيين يقول الوردى: (في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر الميلادي جاء من بريطانيا خيران عسكريان لمساعدة الدولة الصفوية، لصناعة المدافع لمواجهة الدولة العثمانية، التي كانت تملك أعظم المدافع في العالم في ذلك القرن)<sup>(١)</sup>.

لقد أجبرَ الشاه إسماعيل، الخطباء في جميع المساجد على شتم الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، كما سلب جميع ممتلكات السنة، وتم توجيهها لتطوير العتبات الشيعية والمؤسسات الدينية، كما تم استضافته لعلماء الدين الشيعة التابعين للسلطة، ليحلوا مكان علماء الدين السنة، كما أباح دم أهل السنة وتدمير وتدنيس المقابر والمساجد السنية. هذه الأمور الخطيرة جعلت السلطان العثماني بايزيد الثاني ينصحه بوقف الإجراءات الشديدة ضد السنة. ومع ذلك كان إسماعيل الأول يكثر من قوة بطشه في السنة، وتجاهل نصيحة السلطان العثماني. يقول علي الوردى: (وقد عمد إسماعيل الصفوي على فرض التشيع على الإيرانيين بالقوة، وجعل شعاره سب الخلفاء الراشدين الثلاث مع المغالاة في تقديس الأئمة، وقد قتل في سبيل تطبيق ذلك أكثر من مليون نفس في بضع سنين). مع إقامة حكم صفوي كان يتم الاحتفال في ٩ ربيع الأول بمقتل

(١) علي الوردى، لمحات اجتماعية، ج ٥، فصل الدولة الصفوية والتشيع.



الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك بصنع دمية على شكل عمر، ثم يتم لعنها وطعنها وإهانتها ثم إحراقها، ولا زالت هذه البدعة قائمة إلى يومنا هذا في بيوت المراجع الفرس الكبار. يقول شريعتي: (في مطلع العهد الصفوي كان الصفويون يجوبون الشوارع وأزقة المدن، وهم يصيحون بصوت واحد: اللعنة على أبي بكر، واللعنة على عمر، كان يتعين على المارة أن يرددوا هذا الشعار معهم. وأما من يتردد في ذلك سيغرس الحراس حراهم في صدره لإخراجه من حالة الشك والتردد.. وتأقي السلالة الصفوية شاهرة سيفها، وهي تنادي بالثأر من السنة وادعاء الانتقام من ظلامه آل البيت، حيث كانت القوى السياسية والدينية الرسمية تستغل الجهل وتخلف العوام والتعصب الطائفي، في تحقيق أهدافها وتمرير مخططاتها. يلجأ الصفويون في عقدهم وأحقادهم وبلغة سوقية وألفاظ مبتذلة وافتراءات كاذبة وأقاويل مقززة بحق الخلفاء الراشدين، كما يتدع قصصاً كاذبة وكرامات فارغة للأئمة، توجب استغفال عقول الناس، وتخديرهم وتبقيهم أسرى لأغلال الجهل والمذلة، وتشغلهم بذم الخلفاء عن ذم السلاطين الصفوية، وانتقاد أعمالهم المعاصرة لهم). وكان الشاه من أجل كسب العوام يعبر عن نفسه بالكلب في خدمة أهل بيت النبي في مراسيم الطقوس الحسينية<sup>(١)</sup>.

من الممارسات الغريبة الجديدة هي تعيين وزير للشعائر الحسينية والتكريس على مظلومية الإمام الحسين، واستغلالها في المصالح السياسية ضد الدولة العثمانية، واستعمال الطقوس والترويج للسلطان، كما في كتب شيعية صدرت من فقهاء السلطة لشرعنة الحاكم الصفوي، وحل إشكاليات تاريخية في غيبة المهدي والنيابة وصلاة

(١) عبدالله النفيسي، دور الشيعة، ص ٧٠، المهاجر، الهجرة، ص ١١ هويدي، إيران، ص ٥٨، شريعتي، التشيع، ص ٢٠٥، مايكل، دول الخليج، ص ١٧، سينغ، موسوعتان، ص ٩٠، روبنسون، تاريخ العالم الإسلامي، ص ٧٢، وات، التاريخ، ص ٤٤، دانيال، العادات، ص ١٨٥، الطوسي، النهاية، الكليني، الكافي، الأمين، أعيان الشيعة، ١٤/ ١٦٠، الورد، وعاظ السلاطين، ص ٣٢٩ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، بروكلمان، الفكر الشيعي، محسن الأمين، دائرة المعارف الشيعية، الآمل، أمل الآمل، كوربان، الشيعة الإثنا عشرية، علي أحمد رشيد، الرواسب الصفوية، ومحاولة التحديث في التشيع.

الجمعة، التي كانت محرمة لاشتراطها الإمام المهدي، وكذلك الخراج والخمس. كان الرأي السائد هو حرمة التعامل مع السلطان، قال يوسف البحراني (يحرم الدخول في أمالهم على أوكد وجه، بل مجرد محبتهم والركون عليهم وحب بقائهم فضلاً عن مساعدتهم وإعانتهم). وغيره.

علي شريعتي يعد التشيع العلوي المنسوب لعلي بن أبي طالب مليئاً بالقيم والمبادئ والأخلاق والمحبة والتعاون، لكن الدولة الصفوية من سلاطينها وفقهائها قامت بتحريفه كلياً إلى طقوس ودجل وخرافات وبغضاء وسب للخلفاء وتكفير للسنة وبدع وانحرافات كثيرة، استمرت إلى يومنا هذا.

وقد أثار كتاب شريعتي جدلاً كبيراً جداً في إيران، وتحركت ضده سلطة الفقهاء لتصدير الفتاوى بتكفيره، لأثره النقدي والتحليلي والواقعي، الذي هز مضاجعهم، وهدد سلطتهم وسطوتهم. كان مركز الإشعاع والتنوير في إيران هو عاصمتها طهران، وفي طهران كانت حسينية إرشاد محوراً أساسياً في ذلك الحراك والجدل الكبير. ثلاثة رموز بارزة كانت تحاضر في الإرشاد مرتضى مطهري وحسين نصر وعلي شريعتي، وهو أفضلهم وأميزهم وأقواهم في الفكر والعرض والنقد والحجة، فقد شمل نقده إضافة للشاه وظلمه أيضاً رجال الدين وسطوتهم ودجلهم وجبروتهم، وما سماه (الاستحمار الديني) في كتابه (النباهة والاستحمار)، حتى قيل: (إذا تكلم شريعتي، سكت مطهري ونصر وغيرهما، فهو أرقى منهم بكثير) وكان لشريعتي دور كبير في التنوير على صعيد الجامعات والمثقفين والأحرار خصوصاً في إيران<sup>(١)</sup>.

لكن في الكتاب أخطاء كثيرة سوف يتم الحديث عن بعضها لاحقاً.

أما الفقهاء من وعاظ السلاطين في الدولة الصفوية، فأهمهم محمد باقر المجلسي الفارسي من أصفهان، والمدعوم والحائز على المنصب الرسمي (شيخ الإسلام)

(١) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، علي شريعتي، النباهة والاستحمار، فاضل رسول، هكذا تكلم شريعتي.

بدار السلطان في أصفهان ورئيساً دينياً ودنيوياً وإماماً رسمياً في الجمعة والجماعة، وتأليفه كتابي (بحار الأنوار) و(مرآة العقول)، وهما موسوعتان كبيرتان رهيبتان في الانحراف عن التشيع والتأصيل للتشيع الجديد الفارسي الصفوي الدخيل. وهناك فقهاء آخرون كانوا وعازلاً للسلطين، ومنهم الكاشاني وموسوعته (الوافي)، ونعمة الله الجزائري وموسوعته (الأنوار النعمانية)، وغيرهم. كان المجلسي يمشي خلف الشاه الفاسد والظالم تقديساً واحتراماً وتأيداً له في كل ظلمه وجوره وفسقه وقاتله، حتى كتب المجلسي عنه: (دولة العدالة وسلطنة السعادة، صاحب الحضرة العليا، سيد سلاطين الزمان، ورئيس خواقين العصر شيرازة، أوراق الملة والدين، وصفوة أحفاد سيد المرسلين، الماء والخضراء للبستان المصطفوي، وعين سراج البيت الرضوي، السلطان الذي خدمه كثير جم، والحقان حيث الملائكة له حشم وخدم، تلهج ألسنة أرباب التصوف بزمنة الدعاء له، بخلود دولته، تعيينها على ذلك طيور العنديل الشاخة، على أغصان سدرية المنتهى، يا من جبين غضبه يفك العقد التي لا تحل، وراحة يده الكريمة سحاب مطر على مزارع الآيسين، مؤسس قواعد الملة والدين، السلطان الأعظم والحقان الأعدل الأكرم، ملجأ الأكاسرة، وملاذ القياصرة، والكل له داع: بأن يزلزل الله كل سيف يشهر ضده، ويجعل كل راية نفاق مرفوعة بوجهه كفناً لرافعها وحاملها...)، وغيره كثير، حتى إنه مشى خلفه سائباً ولا عناً للخلفاء الراشدين الثلاث: أبي بكر وعمر وعثمان، في قلب السوق المليء بالمذهب السني في التشيع الفارسي زمن الدولة الصفوية وانحرافها في التشيع عن خطه العلوي وسيرة إمامه علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

يعد الوردی أن التشيع الصفوي صار ممارسة لتخدير الناس وألوبة في المسارح، ومليئاً بالخرافات والدجل والغلو، فيقول الوردی: (قام الصفويون بدور كبير في تاريخ التشيع، حيث خدروا مذهب التشيع وروضوه، ودخل التشيع في طاحونة السلاطين، وصار الإمام علي ألوبة على يد الصفويين تمثل في المسارح)،

(١) مقدمة بحار الأنوار، حيث مدح مؤلفه المجلسي للشاه إسماعيل الصفوي.



ويتحدث عن إجبار السنة لتحويل مذهبهم، فيقول (كان الفرس قبل ظهور الصفويين من أهل السنة والجماعة... حتى ظهر الصفويون واتخذوا شتى الوسائل لإكراه الفرس على دخول مذهب التشيع ولجؤوا إلى الاضطهاد والقتل والتعذيب في هذا السبيل، وكان شعارهم في ذلك (يا علي)..) ويتحدث عن القومية الفارسية وازدواجها بتشييع الصفويين، فيقول: (صار التشيع منذ عهد الصفويين مذهباً قومياً في إيران، واصطبغ جراء ذلك بصبغة الغزو القومي، وأمسى عقيدة سلطانية خامدة من عقائد السلاطين)، واستخدمه الصفويون أسوأ استغلال وتحريف، حيث قال: (كانوا يعبدون الله، وينهبون عباد الله)، وهم يشيدون الزخارف في المساجد والتعمير في البنايات والطقوس المختلفة<sup>(١)</sup>.

لا شك كان هناك تنافس وصراع بين الدولتين العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية، في حروب ودماء ونزاعات وممارسات، وردود أفعال في اختلافات سياسية، لبست لبوس الدين وصراع الأيديولوجيات، التي تحمل التكفير والسباب والقتل، نتيجة لتحالف السلاطين مع الوعاظ والفقهاء، حيث كانت الدولة الصفوية ترجع إلى عقائدها القديمة، فيما قبل الإسلام بلبوس التشيع بعد أن صار مذهب الدولة الصفوية الرسمي هو التشيع ومحاربة التسنن، وصارت طقوس عاشوراء في المبالغة في اللطم والمجالس والتأثر من التسنن، وعنهابات الفقهاء سلاطين يحكمون فيأمررون، وينهون ويعزلون وينصبون، وصار (شيخ الإسلام) نافذاً لا يردّ الشاه له مطلباً، وهو بذلك وحدّ المجتمعات الإيرانية واستغرقها في طقوس علوية صفوية، لتخديرها عن حقوقها ومطالبها ومظلوميتها<sup>(٢)</sup>.

من الجانب الآخر كانت مواقف الفرس في الثناء والدفاع عن الدولة الصفوية، واعتبارها خير الأحقاب التاريخية، ويقول حسين نصر: (العصر الصفوي عصر

(١) الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٥، الدولة الصفوية والتشييع.

(٢) مشتاق عبد مناف، الصفوية والعثمانية في ظل تطاحن الأيديولوجيات الطائفية، علي أحمد رشيد، أسباب وبواعث قيام الدولة الصفوية، علي الوردي، لمحات اجتماعية، ١٠٠/٥، علي الشيخ، الدولة الصفوية وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى.



النهضة للعلوم والحياة الصناعية والسياسية والاقتصادية، ليس في إيران وحدها، بل رُقِّي العلوم العقلية وبخاصة الفلسفية التي تجاوزت ما لم تقدر عليه ٣٠٠ عام في فلاسفة الإسلام، أمثال الملا صدرا الشيرازي وميرداماد وسعيد القمي والبهائي والفيض الكاشاني)، حيث ربط نصر بين التصوف والفلسفة والتشيع، وقال: (إن العلاقة بين التشيع والتصوف كانت واضحة عبر التاريخ الإسلامي وصحيحة جداً..)، كما يشرح مبدأ الولاية عند كليهما: (وعقيدة الولاية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الإمام في المذهب الشيعي، لأن الإمام هو الذي يتولى المهمة والسلطة التي تخولها له الولاية)، بينما يرى مظلومي (تعظيم الصوفية لعل ليس بالنظرة التي يراها الشيعة، ولا ذاك العنوان، بل كعرفاء لا أنهم منصوص عليهم)، بينما يرى هاشم معروف الحسني الفرق الكبير، حيث يجعل للتصوف مصادره الخارجة عن الإسلام، كما أن أهل البيت يرفضونها تماماً، وهي غريبة تقصد محو الإسلام في مبادئه وقيمه، بل وروحه كلياً<sup>(١)</sup>.

لقد استطاعت الدولة الصفوية حرف الكثير من الأسس الإسلامية لا سيما الغلو في لاهوت الإمامة، ويتفرع عنها الولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتبري من الخلفاء الراشدين الثلاث. وقد تمت تصفية الكثير من السنة، وهدم أضرحة أئمتهم، بينما تعمير وتقديس مقابر أهل البيت وأتباعهم وتبديل الشعائر إلى طقوس، وتحويل التقديس من الكعبة إلى كربلاء، وجعلها ثارات ضد أمة أطلقوا عليهم تسمية (النواصب)، ويقصدون السنة بهدف الانتقام منهم مع ما يواكب مراسيم شدة النوح والبكاء، وشد الرحال إلى أهل البيت، في مواكب فيها أصوات اللعن والبغضاء والتكفير وإظهار الشهادة الثالثة: (أشهد أن علياً ولي الله)

(١) حسين نصر، سه أصل (بالفارسية) أصل الكتاب لملا صدرا، ونصر كتب مقدمة له، حيدر عبد مناف البياتي، المشهد الصوفي والفلسفي في العهد الصفوي، فاطمة الهاشمي، العلوم والفنون والآداب في العهد الصفوي، كان نصر من أشد المحاربين للمفكر علي شريعتي، وقد تواطأ مع الشاه لمنعه من المحاضرات في حسينية إرشاد بطهران وغيرها. راجع: كذلك هاشم معروف الحسني، التصوف والتشيع، رجب علي مظلومي، الصلة بين التشيع والتصوف، ص ٨٧.

في الأذان والإقامة... وهكذا كانت الدولة الصفوية، التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان، قد أصّلت نوعاً جديداً من التشيع الفارسي بعد الدولة البويهية، والكتب الحديثية الأصلية الأربعة، كما تم الحديث أعلاه، ومن هنا كانت التسمية للتشيع الصفوي غير شاملة، بينما الكثير منها له أساس وجذور قبل أكثر من خمس مئة عام في الدولة البويهية والكافي للكليني وأمثاله، فتكون التسمية الصحيحة الشاملة هي: (التشيع الفارسي)، ليشمل كل تلك المراحل وجذورها، كما سيتضح في هذا البحث.





## إشكالية التوحيد والقرآن عند التشيع الفارسي

لم يكن التوحيد مهمًا في التشيع الفارسي إطلاقًا على مر العصور، كما لم تكن النبوة مهمة أبدًا، بل كان المهم جدًّا هو الإمامة التي أخذت ميزات الإله، وجسدها في شخص هو الإمام علي بن أبي طالب وبعده الحسن، ثم الحسين بن علي شهيد كربلاء، ثم الأئمة من ذرية الحسين حصرًا لا الحسن، بسبب صلحه مع معاوية بن أبي سفيان... وأخيرًا محمد المهدي المنتظر. لذلك من خلال العدد الهائل من الكتب في الإمامة، يوجد القليل جدًّا من الكتب حتى القديمة عن التوحيد.

وكمثال صارخ على ذلك، لا بد من أخذ كتاب مهم اسمه (التوحيد) للصدوق القمي صاحب (من لا يحضره الفقيه). فإننا نفاجأ بأن الكثير من عناوينه وأبحاثه عن الإمام علي وحياته والغلو فيه، ثم أصحابه وأهل البيت مثل العناوين التالية:

قول علي: أنا قلب الله، وأنا عين الله.

قوله: سلوني قبل أن تفقدوني.

إن الأئمة هم وجه الله وعينه ويده، وكل ما أضيف لله في القرآن، فإنهم أهل البيت، وليس الله تعالى.

ينقل عن الصادق (نحن وجه الله الذي لا يهلك)، وعن الصادق: (نحن المثاني، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، ومن جهلنا فأمامه اليقين)، (لو لانا ما عبد الله) وغيرها.

علم الأئمة



نور الأئمة، وفيها: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] الآية، الإمام في إثر إمام، وفيها تأويل آية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] بأهل البيت.

التفويض للأئمة مثلاً عن الصادق: (خلق الله خلقاً ففوض إليهم أمر دينه، فنحن هم، نحن حجة الله في عبادته، وشهادته على خلقه، ووجهه الذي منه يؤتى، وعينه في بريته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدل عليه..) وغيرها.

أنهم المثل الأعلى لله تعالى: صفة وفعلاً.

أنهم كانوا حملة علم الله ودينه قبل خلق الخلق.

عندهم كتب الأنبياء وراثته.

أنهم أمناؤه وحججه ووسائط بينه وبين خلقه.

أنهم وشيعته حزب الله الغالبون.

أنهم مخلوقون من نوره.

رائحة فاطمة رائحة الجنة.

مبغضهم لا يرى الرسول يوم القيامة.

سؤال الخضر لعلي.

أخبار الإمام في صفين.

قصصه مع الخوارج.

أحاديث النبي بحق علي.

حياة أبي ذر.

قنبر خادم علي.

مكر المأمون.

الكاظم والرضا.

علي بن الحسين.

عدم جواز ذكر الإمام الغائب باسمه.

إن معاوية أشقى القاسطين وألعن الخارجين.

وعناوين أمثالها كثيرة، وتحت كل باب مجموعة من الأحاديث في الغلو في الأئمة والبغضاء لمخالفهم، وكلها بعيدة تمامًا عن (التوحيد): عنوان الكتاب فضلاً أن الكثير من هذه العقائد تعارض التوحيد وتناقض<sup>(١)</sup>.

كما يمكن بسهولة معرفة تهميش الفرس المتعمد للقرآن وإيائهم بتحريفه. لا شك أن الفقهاء الفرس خصوصاً القميين على مر التاريخ برغم استعمالهم التقية، لا زالوا يؤمنون بأن القرآن محرف، وغير مهم وغير سليم. نقلوا أكثر من ألفي رواية وحديث منسوب زوراً لأئمة أهل البيت في تحريفه، كما قام الفقيه المعروف حسين نوري الطبرسي الفارسي حيث ألف كتاباً كاملاً (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، كما سيأتي لاحقاً في هذا البحث. ومن الروايات المنسوبة حجمه الصحيح، كما يدعون زوراً أضعاف حجمه الموجود، وقد حذفت سور وآيات، وقد غيّرت وبدلت الكثير من آياته زوراً، وأن القرآن الصحيح كما يدعون هو الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب بيده، وقد سلمه إلى أبنائه الحسن ثم الحسين، وانتقل إلى يد المهدي المنتظر الغائب، الذي يأتي به عند ظهوره<sup>(٢)</sup>.

كان الفقهاء الفرس لمئات السنين يؤمنون بالتحريف، ويعتقدون أن عدد آيات القرآن كما أنزلت هي سبعة عشر ألف آية، أي ما يقارب عدة أضعاف القرآن الحالي الموجود بين المسلمين، كما آمنوا بأن العديد من السور والآيات قد حذفت منه، بل حتى بعض السور الموجودة هي أقل من نصفها الحقيقي...

(١) الصدوق القمي، التوحيد، مختلف فصول الكتاب وعناوينه.

(٢) حسين نوري الطبرسي، كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

جاء في الكافي للكليني الفارسي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله الصادق قال: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد سبعة عشر ألف آية)<sup>(١)</sup>.

كما ذكر الخوئي أن سورتين قد حذفتا من القرآن، وهما سورة الولاية عن ولاية أهل البيت، وسورة أخرى وهي سورة النورين، وكلاهما غير موجودتين في القرآن المعاصر، وهو يعتقد أن القرآن محرف، ويشكو إلى الله يوم القيامة بسبب تحريف الخلفاء له، وأن القرآن الصحيح عند المهدي المنتظر، ومن غلو الخوئي اعتقاده عدم جواز التوجه في الصلاة إلى الكعبة، لولا ولادة علي بن أبي طالب في داخل الكعبة، لأن التوجه حقيقة نحو مقام ومنزلة الإمام علي، وهي عقيدة معروفة للفقهاء الفرس. وأما الكافي فقد جاء فيه مثلاً عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر، الإمام الباقر، يقول: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله، كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله تعالى، إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)<sup>(٢)</sup>.

كذلك جاء في الكافي عن جابر عن أبي جعفر أنه قال: (ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء)<sup>(٣)</sup>.

كما ورد في الكافي قرأ رجل عند أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فقال الصادق: (ليست هكذا، هي: (انما هي والمؤمنون فنحن المأمونون). وهي مثال بسيط من عشرات الأمثلة للتحريف الذي يدعيه الفرس)<sup>(٤)</sup>.

كما تحدث الكليني عن مصحف فاطمة بأنه يشبه القرآن ثلاثة أضعاف حجمه. عن ابن بصير عن أبي عبد الله قال: (إن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريك

(١) الكليني، الكافي، الأصول، كتاب القرآن، ص ٥٩٧.

(٢) الخوئي في كتابه البيان، وكتابه (نفحات الإعجاز)، الذي وضعه باسم مستعار العلوي وبحثه الخارج. الرواية في الكافي الأول، باب الحجة، ١/ ١٤٨.

(٣) الكليني، الكافي، الحجة، ص ٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٩٢.

ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: (مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)<sup>(١)</sup>.

وأما الفقيه الفارسي الصدوق القمي، الذي يدّعي أنه جاء إلى الدنيا بدعاء المهدي المنتظر، فقد نقل لنا الكثير في تحريف القرآن، مثلاً قال الصدوق: (إنّ سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب، وكانت أطول من سورة البقرة، ولكن نقصوها وحرّفوها)<sup>(٢)</sup>.

كذلك الطوسي الفارسي صاحب كتابين من الكتب الحديثية الأربعة، فقد نقل الكثير عنه الكشي من روايات في رجال الكشي. ومنها عن تهذيب الطوسي: (عن أبي علي خلف بن حامد، قال: حدثني الحسين بن طلحة عن أبي فضال عن يونس ابن يعقوب عن بريد العجلي عن أبي عبدالله قال: أنزل الله في القرآن سبعة بأسمائهم، فمحت قريش ستة، وتركوا أبا لهب)<sup>(٣)</sup>.

ومنها أيضاً رواية (لا تأخذ معالم دينك من غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين، الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم، إنهم اتّمنوا على كتاب الله جل وعلا، فحرفوه وبدلوه)<sup>(٤)</sup>.

ويقول الطوسي في تهذيبه عن الهيثم بن عروة التميمي قال: سألت أبا عبدالله عن قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]؟ فقال: ليست هكذا تنزِيلها، إنما هي (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق)، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه<sup>(٥)</sup>.

فهؤلاء هم أصحاب الكتب الحديثية الأربعة، وأصح الكتب عند القدماء، التي اعتمد عليها الآخرون، وكل من جاء بعدهم وعليها تأسس الفقه والعقيدة

(١) المصدر السابق، ٢٩٥/١.

(٢) القمي، ثواب الأعمال، ص ١٣٩.

(٣) رجال الكشي، ص ٢٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٩.

(٥) الطوسي، التهذيب، ٥٧/١.



والفكر الفارسي خصوصاً، وأن الاتجاه الإخباري لمئات السنين قد آمن بصحة هذه الأحاديث جميعاً، وعلى رأسها الكافي. ولذلك لم يكن المصدر الرئيسي سوى أحاديث أهل البيت، برغم أن أكثرها موضوع من الكذابين والمدلسين والوضّاعين، وهي إشكالية كبيرة جداً في التشيع الفارسي على مر التاريخ.

ولم يكن القرآن يحظى باهتمام عند الفقهاء الفرس، وحتى يومنا المعاصر لإيمانهم بتحريف القرآن، واستعمالهم التقية، ليعبروا للآخرين بعكس ذلك. لذلك يندر اهتمامهم أو استشهادهم بالقرآن فيخطؤون به لأنهم لا يحترمونه ولا يعتقدون به، وقد كتبت قديماً (مئة آية من اختراع الفقهاء الفرس) ببساطة، لأنها غير موجودة في القرآن الكريم.

وقد سألت العديد من الفقهاء الفرس المعاصرين، فأكدوا لي إيمانهم بتحريف القرآن جملةً وتفصيلاً، وأن القرآن الحق هو عند المهدي المنتظر، الذي سوف يقتص به من الخلفاء الثلاث وبعض أزواج النبي، وقال لي: هل تعقل عدم ذكر اسم علي وفاطمة بالأسماء بينما يذكر زيد وأبو لهب وفرعون.

وقد روى الفقيه العياشي عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: (لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين). أي مذكور أسماء الأئمة بالقرآن. ويروي أيضاً العياشي عن أبي جعفر: أنه قال: (لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه، ما خفي حقنا على ذي حجب، ولو قد قام قائمنا فنطق صدق القرآن)<sup>(١)</sup>.

كما يوضح الفقيه الفارسي الطبرسي: أن علياً هو الذي جمع القرآن وحده ثم رفضه الخلفاء كما يدعي فيذكر في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري: أنه قال: (لما توفي الرسول، جمع علي القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي اردده، فلا حاجة لنا فيه. فأخذه وانصرف. ثم

(١) تفسير العياشي، ٢٥ / ١.

أحضر وا زيد بن ثابت، وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: (إن علياً جاء بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكاً للمهاجرين والأنصار). فأجابه زيد إلى ذلك.. فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن، فيحرّفوه فيما بينهم<sup>(١)</sup>.

وادعى الطبرسي: أن الله قد ذكر جرائم الخلفاء بزعمه في القرآن الصحيح، وأن الصحابة قد حذفوا الكثير من الجرائم والحقائق، يقول مثلاً: (إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن، ليست من فعله تعالى، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين، الذين جعلوا القرآن عضيّن، واعتاضوا الدنيا من الدين)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الفيض الكاشاني فقيه الدولة الصفوية قد استقرأ روايات كثيرة جداً في تحريف القرآن، ثم قال: (والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت: أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه، كما أنزل على محمد، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة، منها اسم علي في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله)<sup>(٣)</sup>.

وأما الفقيه الصفوي الأول محمد باقر المجلسي زمن الدولة الصفوية فإنه يعتقد بأن تحريف القرآن متواتر، ولا يمكن إنكاره إلا إذا أنكرنا إمامة أهل البيت، لكثرة رواياتهم في التحريف، ويشرح ذلك في موسوعتيه (بحار الأنوار) و(مرآة العقول)، مثلاً في شرحه لحديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد سبعة عشر ألف آية)، عن هذا الحديث يقول: (إنه موثق)، وفي بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم، فالخبر صحيح. ولا

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ١٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١/ ٤٩.

يخفي أن هذا الخبر، وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر؟ أى لا يمكن ثبوت الإمامة، لأنها تثبت بأحاديث مثلها<sup>(١)</sup>.

كذلك وضع المجلسي في كتابه بحار الأنوار باباً بعنوان: (باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله)، ليثبت عقيدته في تحريف القرآن<sup>(٢)</sup>.

ويقول فقيه آخر للدولة الصفوية ومقرّبها وصاحب المقام نعمة الله الجزائري يقول: (وأن أصحابنا قد أطبقوا على صحة أخبار تحريف القرآن، والتصديق بها، وهي روايات مستفيضة، بل متواترة على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً)<sup>(٣)</sup>.

ويدعى أيضاً نعمة الله الجزائري أن أيادي الصحابة امتدت إلى القرآن وحرفته وحذفت منه الآيات التي تدل على فضل الأئمة، فيقول: (ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعة، فإنهم بعد النبي قد غيروا وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغيرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفصائح المنافقين وإظهار مساوئهم، كما سيأتي بيانه في نور القرآن)<sup>(٤)</sup>.

كما يقول نعمة الله أيضاً: (قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين بوصية من النبي، فبقي بعد موته ستة أشهر مشغلاً بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله، فقال لهم: (هذا كتاب الله كما أنزل)، فقال له عمر بن الخطاب: (لا حاجة بنا إليك، ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان)، فقال لهم علي: (لن تروه بعد اليوم، ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي). وفي ذلك القرآن زيادات كثيرة، وهو خال من التحريف) انتهى كلامه<sup>(٥)</sup>.

(١) المجلسي، مرآة العقول، ١٢ / ٥٢٥.

(٢) المجلسي، البحار، ٦٦ / ٨٩، باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل.

(٣) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، ٢ / ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق، ١ / ٩٧.

(٥) المصدر السابق.



وأما النقصان في القرآن فقد روى فقهاؤهم: أن في القرآن تغييراً ونقصاناً كبيرين، مجمع عليه بينهم، واعتمدوا على أكثر من ألفي حديث، وفي روايات العياشي: أن الباقر قال: إن القرآن قد طرح منه أي كثيرة، كما ورد حذف اسم علي وآل محمد وحذف أسماء المنافقين وحذف الكثير من الآيات كما ورد.

واعتبر الفقيه صاحب مشارق الشمس أنها من ضرورات المذهب الشيعي، كذلك قال أبو الحسن في مقدمته على تفسير البرهان<sup>(١)</sup>.

كما قام الفقيه حسين نوري الطبرسي بتأليف كتاب كامل هو (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وجمع فيه أكثر من ألفين ومئتي حديث في إثبات تحريف القرآن. ولما رد البعض عليه "تقية لا حقيقة"، عندئذ ألحقه بكتاب آخر توكيداً لعقيدته أسماه (الرد على كشف الارتباب)، ليرد على من ردّ عليه، مؤكداً على مبدئية إجماع الفقهاء على تحريف القرآن بشكل قاطع، ويدعو من يخاف الإعلان عن رأيه تقية أن تكون له الشجاعة في قول الحق المزعوم وعدم الخوف والجبن تقية. وقد أجمع المتقدمون على الكتاب، ومنزلة صاحبه الكبيرة جداً والإيمان بهما<sup>(٢)</sup>.

وأقر الفقيه محمد المفيد الذي تتلمذ على أيادي فقهاء ثلاث فرس قميين، بذلك قائلاً: (إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن، وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف والنقصان)، كما أكد أن القميين وبني نوبخت يؤمنون بالزيادة والنقصان في القرآن وجماعة كبيرة من أهل الكلام والفقه والاعتبار<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد الخراساني: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه، بحيث لا يكاد يقع شك)<sup>(٤)</sup>.

(١) البحراني، مشارق أنوار الشمس، ص ٦٨، أبو الحسن الفتوي، مقدمة التفسير.

(٢) الطبرسي، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وكتاب (الرد على كشف الارتباب).

(٣) المفيد، أوائل المقالات، ص ٩١-٩٢.

(٤) محمد الخراساني، بيان السعادة، ص ١٩.



وإن من يراجع الكثير من التفاسير كالقمي والعياشي وفرات الكوفي والحسن العسكري، والبرهان للبحراني والصافي لمحسن الفيض الكاشاني وكتب الحديث والعقائد لا يبقى له مجال للشك في إيمان الفقهاء الفرس بتحريف القرآن على مرّ التاريخ. وأما من أنكره منهم، فقد استعمل التقية كما أقر رموزهم كإماما الدولة الصفوية المجلسي والجزائري المذكورين أعلاه.

والمراجع للمواقع الرسمية للفقهاء الفرس المعاصرين فإنه يجدهم من المؤمنين تماماً بتحريف القرآن، لكن ذلك يعارض القرآن الكريم بكل وضوح بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهما آيتان محكمتان صريحتان، لا يمكن أن تعارضها روايات ضعيفة واهية.

والقرآن يقدم على الحديث لا العكس الذي استخدمه الفقهاء الفرس، فإن كلام الله يجب تقديمه على الحديث، بل من أهم معايير دراسة الأحاديث هو عرضها على القرآن، ورفض ما خالف كتاب الله العزيز. علماً أن تلك الأحاديث للتحريف زوراً يمكن مناقشتها من جهتين السند والرواية أولاً وثانياً في الدلالة، وعندها تنهافت في الجهتين. لذلك لم يكن القرآن درساً مهماً في الحوزات الإيرانية، بل إن مراجعهم ينذر استشهاداً بالقرآن، لأنه مراراً ما يخطئ به، لأنه بعيد عنه، بل قد يدعي آية، وهي حديث أو غير موجودة أبداً

وهذا الاتجاه الفارسي خصوصاً القمي يحاول دائماً التقليل من منزلة الله سبحانه والرسول، وبنفس الوقت الرفع من مقام أهل بيت الرسول لأغراض (غاية في نفس يعقوب) تتضح في هذا البحث.

واستطاع الفقهاء الفرس على مرّ العصور المختلفة وآخرها العرفاء المعاصرون: كالخميني والطباطبائي والآملي والخراساني من جعل الدين رموزاً وإبهامات، تمتلئ بالغلو والتكفير، ولا يعرفها إلا الخواص الذين آمنوا بلاهوت الإمامة. وقد نقلوا

لنا عن الصادق سئل عن التوحيد، فقال: (لو أجبتك عليه لكفرت). ليجعلوا الدين رموزاً صعبة والتوحيد كفراً. ونسبوا للإمام علي السجاد قوله:

وربّ جوهر علم لا أبيح به      لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

واعتبروا عدم ظهور المهدي لذلك، واعتبر سلمان الفارسي صاحب السر الخفي، الذي تجاوز الظاهر إلى أسرار أهل البيت، وفهم التولي والتبري وتجسيدها، وهي الدين كله، وأما الباقي فهي قشور غير مهمة.

نقل الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي في أحاديثهم: أنها صعبة مستصعبة: (إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان). وعن فرات عن علي: (إن حديثنا تشتمز منه القلوب، فمن عرف فزيدهم، ومن أنكر فذروههم). ونقلوا حديثاً عن علي بصعوبة أحاديثه ثم ألحقه قائلاً: (أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أحيي وأميت، أنا الأول والآخر، والظاهر والباطن)، فغضبوا، وقالوا: علي كفر. كما يذكر المفيد والمجلسي وغيرهم. وورد عن الباقر ينسبه إلى الرسول قوله: (إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يتحمله، ورواية: لا يؤمن به، إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان)، وعن الصادق: (والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، إن حديثنا صعب مستصعب، لا يتحمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان)، بل عن أبي الحسن العسكري ينقل عن جده الصادق: (حديثنا لا يتحمله نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان)<sup>(١)</sup>.

مما يجعل مرتبة للأئمة أعلى من الرسل والملائكة المقربين، وكلها تعارض القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأهل بيته أنفسهم.



(١) المجلسي، البحار، ٢/ ١٩٣-١٩٥، مصابيح الأنوار، ١/ ٣٤٢، القمي الصدوق، الخصال، ص ٦٢٧، المفيد، الاختصاص، ص ١٦٣.



## إشكالية النبوة عند التشيع الفارسي

الغريب في التشيع الفارسي أنهم في الوقت الذي يرفعون مقام الإمام علي بن أبي طالب إلى مقام الألوهية وإعطائه جميع صفاته، فإنهم يخفضون في الوقت ذاته مقام الله ومقام رسوله. فقد ذكرت سابقاً كثيراً من الأمثلة والكتب والمنهجية في الغلو في مقام الإمامة.

الكثير منهم، رفعوا الإمامة فوق النبوة، واعتبروا علياً خيراً من الأنبياء والرسل وأولي العزم جميعاً، وبعضهم ذكر روايات تقارن بينه وبين النبي محمد، وأفضليته عليه من خلال نظريتهم العشائرية، مثلاً: زوجة علي فاطمة الزهراء، سيدة نساء العالمين خير من خديجة، وهي غير معصومة، وابنا علي سيدا شباب أهل الجنة، بينما كان النبي أتر فقد مات إبراهيم والقاسم... والعجيب هنا تشبه الكفار الذين عيروا النبي بأنه الأتر.. وأن علياً هو الفارق للمؤمن عن المنافق، والإيمان أرقى من الإسلام، الذي ماز به النبي المسلمين، واستدلوا بالآية: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، كما اعتبروا علياً أبلغ فصاحة، وها هو نهج البلاغة وديوانه الشعري أيضاً، بينما النبي يتحدث عنه القرآن الكريم ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١]، وليس للنبي من بلاغة علي ونهج بلاغته وشعره شيئاً. وذكروا معائب النبي الكثيرة: كقصه سهوه في الصلاة الآتية، وتأويل آيات حول النبي، مثل ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ﴿عَسَى وَتَوَلَّى﴾ (١)



أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿عَبَسَ: ١ - ٢﴾، وقصة صلح النبي مع مشركي قريش، حيث رفض علي لما أمره الرسول وعشرات القصص والمنامات والأُمور الفارسية.

وكمثال للتنقيص من شأن النبي يمكن ذكر إجماع الفرس أصحاب الكتب الأربعة وغيرهم في قصة سهو النبي حتى في التشريع والصلاة، ولم يذكروا سهوًا للأئمة. كمثال واضح في أهم العبادات التشريعية وهي الصلاة، وكيف يسهو النبي فيها؟ حاشاه، لأننا نتعلم منه الصلاة: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup>، فتفصيل الصلاة عنده لأن القرآن الكريم لم يفصل فيها. وقد كانت هذه عقيدة لمدرسة القميين: كالصدوق القمي فضلًا عن الكافي للكليني أو التهذيب أو الاستبصار للطوسي وأصحابها كلهم من الفرس المغالين بالأئمة والقائلين بمسألة السهو عند النبي، حتى في التشريعات كالصلاة وغيرها.

وقد كان كبار فقهاء الإخبارية والقميين مثل الصدوق محمد بن بابويه القمي، وشيخه ابن الوليد القمي قد جوزوا سهو النبي حتى في العبادات: كالصلاة وغيرها.

وكان الصدوق محمد بن بابويه القمي قد شن هجومًا شديدًا وعنيفًا على من نفى وقوع السهو من الرسول، وصنف في ذلك كتابًا منفردًا في إثبات سهو النبي، والرد على منكره، حيث يقول الصدوق القمي: (إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي، ويقولون: لو جاز أن يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ، لأن الصلاة عليه فريضة، كما أن التبليغ عليه فريضة. وهذا لا يلزمنا، وذلك لأن جميع الأحوال المشتركة يقع للنبي فيها ما يقع على غيره)، وقال: (أول درجة في الغلو نفى السهو عن النبي)، فلقد استند الصدوق القمي وغيره من القميين (مدرسة قم) والمدارس الفارسية على روايات تثبت السهو.

وهنا بعض الروايات التي نقلها الصدوق واعتمد عليها: (من لا يحضره الفقيه)، فقال: (رَوَى الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنِ الرَّبَاطِيِّ عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٩ رقم ٦٠٠٨).

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَامَ رَسُولُهُ عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ. ثُمَّ قَامَ فَبَدَأَ فَصَلَّى الرَّكَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، وَأَسْهَاهُ فِي صَلَاتِهِ فَسَلَّمَ فِي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ وَصَفَ مَا قَالَهُ ذُو الشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِئَلَّا يُعَيَّرَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا هُوَ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ سَهَا فِيهَا فَيُقَالَ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أورد الصدوق القمي هذا الحديث علق عليه قائلاً: قَالَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ: إِنَّ الْغَلَاةَ وَالْمَفْوَضَةَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يُنْكِرُونَ سَهْوَ النَّبِيِّ وَيَقُولُونَ لَوْ جَازَ أَنْ يَسْهُوَ فِي الصَّلَاةِ لَجَازَ أَنْ يَسْهُوَ فِي التَّبْلِيغِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ، كَمَا أَنَّ التَّبْلِيغَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ وَهَذَا لَا يُلْزِمُنَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ الْمُشْتَرَكَةِ يَقَعُ عَلَيْهِ فِيهَا مَا يَقَعُ عَلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ بِالصَّلَاةِ كَغَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيِّ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سِوَاهُ بِنَبِيِّ كَهُوَ فَالْحَالَةُ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا هِيَ النَّبُوءَةُ وَالتَّبْلِيغُ مِنْ شَرَائِطِهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي التَّبْلِيغِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا عِبَادَةٌ مَخْصُوصَةٌ وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ مُشْتَرَكَةٌ وَبِهَا تَثْبُتُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَبِإِثْبَاتِ النَّوْمِ لَهُ عَنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهُ وَقَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ نَفْيِ الرُّبُوبِيَّةِ عَنْهُ لِأَنَّ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ هُوَ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَلَيْسَ سَهْوُ النَّبِيِّ كَسَهْوِنَا لِأَنَّ سَهْوَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا أَسْهَاهُ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ فَلَا يَتَّخِذُ رَبًّا مَعْبُودًا دُونَهُ، وَلِيُعْلَمَ النَّاسُ بِسَهْوِهِ حُكْمَ السَّهْوِ مَتَى سَهَوَا. وَسَهْوُنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْغَاوِينَ. وَيَقُولُ الدَّافِعُونَ لِسَهْوِ النَّبِيِّ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ، وَإِنَّهُ لَا أَصْلَ لِلرَّجُلِ وَلَا لِلْخَبَرِ. وَكَذَبُوا لِأَنَّ الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَمِيرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو، الْمَعْرُوفُ بِذِي الْيَدَيْنِ. وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْمُخَالِفُ وَالْمُؤَلِّفُ، وَقَدْ أَخْرَجَتْ عَنْهُ أَخْبَارًا فِي كِتَابٍ وَصَفَ قِتَالَ الْقَاسِطِينَ بِصَفَيْنَ.

(١) القمي الصدوق، من لا يحضره الفقيه، أبواب الصلاة، أحكام السهو، ١٠٣١.

وَكَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ الْقُمِيِّ يَقُولُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي  
الْغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ  
جَمِيعُ الْأَخْبَارِ، وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ الْأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ  
كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ النَّبِيِّ وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١)</sup>. كما يصرح  
فقيه آخر، وهو آقا بزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) إلى نسخة  
أصلية لكتاب سهو النبي للصدوق فضلاً عن نسخة مصورة أخرى عند الشوشتري  
في كتابه الرجالي (قاموس الرجال)<sup>(٢)</sup>.

كما يذكر القمي رواية تميم القرشي، عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري، عن  
الهروي قال: قلت للرضا يا ابن رسول الله إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي لم  
يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله  
إلا هو. الخبر

وكذلك رواية عن الحسن بن محبوب، عن الرباطي، عن سعيد الأعرج قال:  
سمعت أبا عبد الله يقول: إن الله تبارك وتعالى أنام رسول الله عن صلاة الفجر حتى  
طلعت الشمس، ثم قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر -  
وأسهاه في صلاته، فسلم في الركعتين، ثم وصف ما قاله ذو الشمالين، وإنما فعل  
ذلك به رحمة لهذه الأمة، لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها  
فقال: قد أصاب ذلك رسول الله<sup>(٣)</sup>.

كما جاء في الكافي للكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن  
النعمان، عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله يقول: نام رسول الله عن الصبح،

(١) المصدر السابق.

(٢) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٢ / ٢٦٥.

(٣) المصدر السابق.



والله عز وجل أنامه حتى طلعت الشمس عليه، وكان ذلك رحمة من ربك للناس، ألا ترى لو أن رجلاً نام حتى طلعت الشمس لغيره الناس، وقالوا: لا تتورع لصلاتك، فصارت أسوة وسنة، فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة، قال: قد نام رسول الله، فصارت أسوة ورحمة، رحم الله سبحانه بها هذه الأمة<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي للكليني أيضاً بسنده عن سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: (مَنْ حَفِظَ سَهْوَهُ فَأَتَمَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَهَا فَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ ذُو الشَّيْءَيْنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْزَلَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟) فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: إِنَّمَا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ. فَقَامَ فَأَتَمَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ، وَسَجَدَ بِهِمْ سَجْدَتِي السَّهْوِ<sup>(٢)</sup>.

كما ينقل لنا الشيخ الطوسي صاحب كتابين من الكتب الأربعة الحديثية المعتمدة، أحاديث مشابهة عن سهو النبي بسنده: (عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ سَلَّمَ فِي رَكَعَتَيْنِ فَسَأَلَهُ مَنْ خَلْفَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: إِنَّمَا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ. فَقَالَ: «أَكْذَاكَ يَا ذَا الْيَدَيْنِ؟» وَكَانَ يُدْعَى ذَا الشَّيْءَيْنِ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ، فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعًا، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْسَاهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ، أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ هَذَا لَعِيرَ، وَقِيلَ مَا

(١) الكليني، الكافي، كتاب الصلاة، ١/ ٣٥٦.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٥٧.

عن علقمة قال قال عبدالله بن مسعود: صلى النبي ﷺ. قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص. فلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك؟» قالوا: صليت كذا وكذا. فثنى رجله، واستقبل القبلة، وسجد سجدتين، ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه. قال: «إنه لو حدث في الصلاة شيء لبنأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته، فليتحر الصواب، فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم يسجد سجدتين». أخرجه البخاري (١/ ٨٩ رقم ٤٠١)، ومسلم (١/ ٤٠٠ رقم ٥٧٢).



تُقْبَلُ صَلَاتُكَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ذَلِكَ، قَالَ: قَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ وَصَارَتْ أُسْوَةً. وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لِمَكَانِ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>.

كما ينقل الطوسي أيضًا (عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ الظُّهْرَ خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ انْقَلَبَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: صَلَّيْتُ بِنَا خَمْسَ رَكَعَاتٍ قَالَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، لَيْسَ فِيهِمَا قِرَاءَةٌ وَلَا رُكُوعٌ، ثُمَّ سَلَّمَ، وَكَانَ يَقُولُ: «هُمَا الْمُرْغَمَتَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وعلى نهجهم كانت الدولة الصفوية وفقهائها المجلسي في بحار الأنوار، بابًا كاملاً سهو ونوم النبي عن الصلاة. وفيها عن أبي صلت الهروي قال: قلت للرضا إن في سواد الكوفة قومًا يزعمون أن رسول الله لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضًا عن علي قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ الظُّهْرَ خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ انْقَلَبَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: صَلَّيْتُ بِنَا خَمْسَ رَكَعَاتٍ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا قِرَاءَةٌ وَلَا رُكُوعٌ ثُمَّ سَلَّمَ، وَكَانَ يَقُولُ: «هُمَا الْمُرْغَمَتَانِ».

وعن محمد الباقر قال: صَلَّى النَّبِيُّ صَلَاةً وَجَّهَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ أَسْقَطْتُ شَيْئًا فِي الْقُرْآنِ؟» قَالَ: فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «أَفِيكُمْ

(١) الطوسي، التهذيب، ٢/ ١٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ١٤٦١.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ سَمِيَ سَجْدَتِي السَّهْوِ الْمُرْغَمَتَيْنِ. أخرجه أبو داود (١/ ٣٩٢ رقم ١٠٢٧)، وقال الحاكم في المستدرک (١/ ٢٦٠ رقم ٩٦٢): هذا حديث صحيح الإسناد، محتج بجميع رواته، وأبو مجاهد عبد الله بن كيسان من ثقات المروزة، يجمع حديثه، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤/ ١٨٢ رقم ٩٤٠).

(٣) المصدر السابق.

أبي بن كعب؟» فقالوا: نعم، فقال: «هل أسقطت فيها شيئاً؟» قال: نعم يا رسول الله إنه كان كذا وكذا الحديث<sup>(١)</sup>. وعن الحارث بن المغيرة النضري قال: قلت لأبي عبد الله: إنما صلينا المغرب، فسها الإمام فسلم في الركعتين فأعدنا الصلاة، فقال: ولم أعدتم، أليس قد انصرف رسول الله في ركعتين فأتم بركعتين؟ ألا أتمتم<sup>(٢)</sup>.

أمّا الفقيه نعمة الله الجزائري صاحب المقام في الدولة الصفوية، حيث قلّد منصب القضاء وإمامة الجمعة والإفتاء ولقبه: (شيخ الإسلام) في مدينة تستر الإيرانية، فقد قال أيضاً في هذا المقام: (الحق أن الأخبار قد استفاضت في الدلالة على ما ذهب إليه الصدوق القمي)<sup>(٣)</sup>.

إن حكاية سهو النبي ﷺ قد روي فيها بما يقارب عشرين سنداً، وفيها وضوح وصراحة مبالغة، وأيضاً إنكار شديد على من أنكره. وبالجملة فهذا المضمون مروي، وبطرق مختلفة وإنكاره مشكل جداً. كذلك فقيه معاصر وهو محمد تقي التستري، فقد ألف كتاباً ورسالة، وعنوانها (رسالة في سهو النبي)، والتي أثبت فيها وقوع السهو من النبي وردّ على من ينفيه<sup>(٤)</sup>.

حاول بعضهم مناقشة الصدوق القمي وأمثاله بجواب، هو أقرب إلى التقية منه إلى الحقيقة، بادعاء أن الراوين للحديث هم من النواصب. وذلك قمة الجهل، لأن رواه مثل:

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٨ رقم ١٥٧)، ولفظه فيه: عن عثمان ابن أبي دهرش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ صلى صلاة جهر فيها بالقراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: «يا فلان هل أسقطت من هذه السورة شيئاً؟» قال: لا أدري يا رسول الله. قال: فسأل آخر، فقال: لا أدري يا رسول الله. قال: «هل فيكم أبي؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «يا أبي هل أسقطت من هذه السورة في شيء؟» قال: نعم يا رسول الله آية كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يتلى عليهم كتاب الله، فلا يدرون ما يتلى منه مما ترك، هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل، فشهدت أبدانهم، وغابت قلوبهم، ولا يقبل الله من عبد عملاً، حتى يشهد بقلبه مع بدنه». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١١/ ٨٨ رقم ٥٠٥٠).

(٢) المصدر السابق، ٣٥١/ ٢٥.

(٣) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، ٤/ ٣٥.

(٤) محمد تقي التستري، رسالة في سهو النبي.

١. سماعة بن مهران.
٢. الحسن بن صدقة.
٣. سعيد الأعرج.
٤. جميل بن دراج.
٥. أبو بصير.
٦. زيد الشحام.
٧. أبو سعيد القمّاط.
٨. أبو بكر الحضرمي.
٩. الحارث بن المغيرة النصري.

فهل فيهم ناصبي كما يدعي الفقيه الفارسي واعظ السلطان، أم أنه لا يفهم شيئاً في علم الرجال والتهذيب والجرح والتعديل؟؟

كما استدل بعضهم على السهو بآيات من القرآن، دالة على سهو الأنبياء منها ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦ - ٧]، واستدل بالقرآن بعض الفقهاء الفرس عن النبي موسى وغلّامه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وقوله أيضاً: ﴿لَا تَأْخُذْ بَعِثَاتٍ﴾ [الكهف: ٧٣]، وغيرها مما ظاهره نسيان النبي... برغم أن المفسرين قد اختلفوا في تفسيرها وتأويلها.

ولا يمكن القبول بتوهين النبي لدرجة السهو في الصلاة، بينما رفع الإمام علي عن أن يخطر في باله ولو لحظة من السهو أو الشك أو التردد.

والمشكلة هي عندما ينفون السهو عن أئمة أهل البيت، والحال أن الأئمة هم تبع وتلاميذ الرسول، والإمامة بعد النبوة، وأقلها مرتبة، لا قبلها ولا أفضل منها. فقد كان علي يقول (أنا عبد من عبيد محمد)، ويعدُّ نفسه تلميذاً تابعاً إلى رسول الله، كما في نهج البلاغة وغيره من عشرات المرويات<sup>(١)</sup>.

(١) حديث علي: (أنا عبد من عبيد محمد)، روي في المصادر كثيراً منها: كتاب الكافي، الأصول، ١/ ١٤٥، المازندراني، شرح الأصول، ٣/ ١٣٠.

الفقهاء الفرس قد نقلوا لنا تراثاً كبيراً في تفضيل الإمامة على النبوة، وتفضيل الإمام علي على الرسول نفسه، وذكروا لذلك روايات كثيرة، وأدلة منها، ادعاء ولادة علي في الكعبة بمعجزة شق الحائط من الكعبة، ولا يمكن لأحد أن يفتح باب الكعبة، وأكله من ثمار الجنة ثلاثة أيام... وبعدها ولد وهو يقرأ سورة (المؤمنين) قبل نزول القرآن فكيف يعرف السورة؟!!! بينما ولد النبي بشكل طبيعي.... وغيره من المقارنات الساذجة.

إن العديد من الفقهاء العرب: كمحمد باقر الصدر، وهاشم معروف الحسني، ومحمد حسين فضل الله، ومحمد مهدي شمس الدين، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ومحمد رضا المظفر، وغيرهم، لا يرون سهو النبي خصوصاً في الجانب التشريعي، لأن السهو من الشيطان، والله لا يسلط الشيطان عليه، كما لا يمكن أن تكون العبادات والتشريعات معرضاً لسهو النبي وملازماتها، أن يصعب التعرف على الشريعة، لأن تحصيل تفاصيلها من سيرة النبي، وللحديث بحث طويل أكبر وأعمق، لا يتسع له المقام، وقد تجده في بحثي عن الحديث والمحدثين في كتاب خاص بذلك<sup>(١)</sup>.



(١) راجع: بحثي: دراسة في الحديث والمحدثين.





## الغلو في الأئمة (لاهوت الإمامة)

### عند التشيع الفارسي

جاء في القرآن الكريم التحذير الشديد من الغلو، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ  
الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا  
مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧) [المائدة: ٧٧]، باعتبار  
تأكيد القرآن على التوحيد ورفض الشرك.

من أبرز ميزات التشيع الفارسي هو الغلو في الأئمة، لدرجة أنها أخذت كل  
صفات الله سبحانه ثم سلبت الإرادة بعد أن فوض لها الخلق كله، فالناس كلهم  
مخلوقون لهم وبواسطتهم ولأجلهم. واعتبرت الإمامة هي مناط الإيمان، واعتبر  
السنة (المخالفون والنواصب كما يسمونهم) هم كفار خالدون في النار، وهم  
مسلمون ظاهراً تقيّة، لكنهم كفار حقيقيّون، وفي النار مخلدون، كما سيأتي.

إن في قصة ولادة الإمام علي كما رواها الفقهاء الفرس في الكعبة بانشقاق  
الجدار، وهو يقرأ القرآن وسورة المؤمنين قبل أن ينزل القرآن أصلاً، وأقواله:  
(سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض)، (والله لو شئت  
لأخبرتكم بمخرجكم وملجئكم إلى يوم القيامة)، (نحن صنائع الله، والخلق بعد  
صنائع لنا)، (لا تسألوني عن فئة تهدي مئة وتضل مئة، لأخبرتكم بناعقها وسائقها  
ومحط رحاله حتى يوم القيامة). وغيرها كثير في أحاديث غريبة. بينما الثابت

والصحيح عن الإمام قوله: (إياكم والغلو فينا، إنما نحن عبيد مربوبون، لا نقدر على ضر ولا نفع...) وعشرات سوف تأتي.

كمثال للغلو فقد ذكر الصدوق القمي في كتابيه في (عيون أخبار الرضا)، وكذلك (علل الشرائع) عن الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم الكوفي عن محمد بن أحمد بن علي الهمداني عن العباس بن عبد الله البخاري عن محمد بن القاسم بن إبراهيم عن أبي الصلت الهروي عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين قال قال رسول الله: «ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني» قال علي: (فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرائيل؟) فقال: «يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي ولللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، يا علي الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بولائتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً، استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة: أنا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا. فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا، هللنا لتعلم الملائكة: أن لا إله إلا الله، وأنا عبيد، ولسنا بألهة، يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله. فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا، لتعلم الملائكة: أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزة والقوة، قلنا: لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة: أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له، تعظيماً لنا وإكراماً،

وكان سجودهم لله عز وجل عبودية، ولآدم إكراما وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون، وإنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثني مثني، وأقام مثني مثني، ثم قال لي: تقدم يا محمد. فقلت له: يا جبرائيل أتقدم عليك؟ فقال: نعم، لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصة. فتقدمت، فصليت بهم ولا فخر، فلما انتهيت إلى حجب النور، قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد. وتخلف عني، فقلت: يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمد إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنتي بتعدي حدود ربي جل جلاله. فرخ بي في النور زخة، حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه، فنوديت: يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك، تباركت وتعاليت. فنوديت: يا محمد أنت عبادي، وأنا ربك، فإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجتي على بريتي، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت نارِي، ولأوصيائك أوجب كرامتي، ولشيعتهم أوجب ثوابي. فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي. فنظرت، وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً، في كل نور سطر أخضر، عليه اسم وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم مهدي أمتي. فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلن بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب، فلأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي، حتى تعلو دعوتي، وتجمع الخلق على توحيدِي، ثم لأديمن ملكه، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة». وروايات كثيرة بعضها: (خلق علي قبل آدم بأربعين ألف عام) وغيرها ... وكلها واضحة الغلو<sup>(١)</sup>.

(١) القمي الصدوق، في كتابه: عيون أخبار الرضا، ص ١٥٧، علل الشرائع، ص ٩٨. لم أجد في كتب السنة ودواوينها المعتمدة شيئاً من هذه الروايات، التي تظهر منها رائحة الكذب على رسول الله ﷺ.



يعتقد الفرس أن الأئمة الإثني عشر ومعهم فاطمة يحيطون علماً وقدرة بالكائنات جميعاً، كما ورد في الزيارات الكثيرة المنسوبة للأئمة: كالزيارة الرجبية، ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث: (يعلمون ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة). وعن الصادق: (إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وعندنا ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة). وعن الصادق: (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة). ويعتقدون أنهم جميعاً يعلمون الغيب<sup>(١)</sup>.

وادعى لهم علوم كثيرة وغريبة، فعن الصادق في الكافي قوله: (وإن عندنا الجامعة، وما يدرهم ما الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله، وإملائه من فلق فيه، وخط علي بيمينه؛ فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرض في الخدش.. وإن عندنا الجفر، وما يدرهم ما الجفر، وعاء من آدم، فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.. وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدرهم ما مصحف فاطمة، مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.. وإن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة). وقال الصادق: (إن عندي الجفر الأبيض، زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، ومصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه المجلدة، ونصف المجلدة، وربع المجلدة، وأرش الخدش، عندي الجفر الأحمر...). وعن الصادق: (وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله وخطّ علي) وعن الصادق أيضاً قوله: (والله إن عندي لكتابين، فيهما تسمية كل نبي، وكل ملك يملك الأرض...)، وعن الكاظم: (مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض، وغابر، وحادث. فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا). وغيرها.

(١) كتب الأدعية والزيارات والمصادر الحديثية الأربعة فضلاً عن البحار ومرآة العقول وغيرها كثير.

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب: (إن الله مدينتين: إحداهما بالشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصرع، وفيها سبعون ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيها وما بينهما، وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي)، فهم يعلمون كل اللغات.

وينقل الكليني في الكافي عن الرضا قوله: (نحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه؛ فقال في كتابه: شرع لكم يا آل محمد من الدين ما وصى به نوحًا؛ قد وصانا بما وصى به نوحًا: والذي أوحينا إليك يا محمد وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا، واستودعنا علمهم، نحن ورثة أولي العزم من الرسل: أن أقيموا الدين يا آل محمد، ولا تتفرقوا فيه، وكونوا على جماعة كبر على المشركين من أشرك بولاية علي ما تدعوهم إليه من ولاية علي: إن الله يا محمد يهدي إليه من ينيب من يجيبك إلى ولاية علي). وغيرها كثير جدًا.

ولهم الولاية التكوينية ومعناها: أن زمام العالم وتكوينه كله بأيديهم، فلهم التصرف فيها إيجابًا وعدمًا وتغييرًا، كيفما شاؤوا، فلهم القدرة على التصرف في الكون. كذلك الولاية التشريعية، حيث يمكنهم تشريع ما لم يشرعه الله والنبي، فقد كان التفويض للنبي، حيث شرع ما لم يشرعه الله، كما يقولون مثل إضافة الركعتين في الصلاة الرباعية، لذلك كان الشك فيها ليس مبطلًا، لأنهما من النبي لا من الله، وكذلك فإن الله حرم الخمر فقط، ووسعه النبي لكل مسكر، وما كان للنبي كان

للإمام، ويدخل في ذلك الخمس، إذ لا دليل أبداً في القرآن، الذي يحمل آية واحدة حول بدر وخمس غنائم حرب العدو من غير المسلمين، ووردت روايات في الكنز، ولم يعمل الرسول في كل حياته أن يأخذ أخماس أموال الناس وتجاراتهم، ولا يعين جابياً إلا للزكاة، وكذلك الإمام علي بعضهم ينسب روايات ضعيفة في الخمس عن الأئمة المتأخرين معتقداً قدرتهم على تشريع جديد، وهو ضعيف تماماً كما تم بحثه كتبه بالتفصيل في محله.

من الغلو قولهم: إن الولاية للأئمة أفضل من النبوة، وهي أفضل من جميع أركان الإسلام، وأنها مفروضة على جميع الملائكة والجن والإنس والأنبياء: طوعاً وكرهاً. ولم يخلق الله آدم، ولا نفخ فيه من روحه إلا بولاية علي، ولا كلم الله موسى إلا بولايته، ولا أقام الله موسى آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

تفسيرهم للقرآن بأن الشرك في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، هو مخالفة الإمام علي، وكل ما جاء من الشرك في القرآن فهو الإشراك في ولاية علي، وأن المشركين في القرآن هم جميع من يخالفون الإمامة ولا يعترفون بها. وتفسير ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]: أى يسلم لعلي الخلافة، ولا يشرك أحداً غيره. وأن الكفر في القرآن هو الكفر بإمامة علي بن أبي طالب، كما في تفسير القمي والبرهان وفيات والصافي، وأن الكافر في القرآن هو الكافر بإمامته، كما في تفسير القمي والعياشي والبرهان ومرآة الأنوار فضلاً عن الكافي والبحار، وغيرها كثير.

وأن الردة في القرآن هي عن بيعة علي، والضلال في القرآن هو الضلال في الإمام، كما في الفاتحة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، الذين لا يعرفون الإمام، وغيرها، وأن العهد لآدم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]، هو العهد بالنبي والأئمة من بعده، فتركه آدم ونسيه ولم يكن له عزم به،

(١) المصادر السابقة: الكليني، الكافي، ١/ ١٧١، المجلسي، البحار، ٢٣/ ٦٩، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص ١٥٧، القمي، علل الشرائع، ص ٩٨.



وأن سبب تسمية أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي، وأجمع عزامهم على الإقرار بذلك: (إن الله أخذ ميثاق النبيين في ولاية علي)، و(ما بعث الله نبياً إلا دعاه إلى ولاية علي طائعاً أو كارهاً)، ولولا ذلك لما أرسلهم<sup>(١)</sup>.

وتفسير الرب في القرآن بعلي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فالرب بزعمهم الإمام وآيات أخرى. وتفسير جميع الآيات حول صفات الله بعلي: مثل نور الله، وباب الله، ووجهه، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، بأنهم الأئمة، بل تفسير الإله به مثل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] الإله هو الإمام، وتفسير كلمات الله مثل ﴿لَا بُدَّ لِي لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] بهم، وأن الأئمة يجلسون يوم القيامة على عرش الله، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي في القرن الرابع الهجري والصافي للملا محسن الكاشي في القرن الحادي عشر لكل ما ورد في القرآن الكريم من اثني عشر شهراً ونقيباً وعيناً وسبطاً، وأمثالها بالأئمة الإثني عشر، وما ورد في القرآن بالرسول تعني الإمام مثل ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧] وغيرها.

ومنه ادعاء استمرار الوحي بعد النبي إلى فاطمة والأئمة كلهم، فهو ينزل عليهم في كل ليلة قدر، وأن فاطمة محدثة حيث تحدثها الملائكة، وتروي عن جبرائيل مباشرة، ومصحف فاطمة الذي هو أضعاف القرآن حجماً... برغم معارضتها الأدلة الكثيرة المذكورة أعلاه عن علي بانتهاء الوحي بعد وفاة الرسول صراحة وغيره كثير، يقول المجلسي: (وليس الوحي إلى الأئمة من باب الإلهام فقط، وإنما تقر في الأسماع بأوامر وتوجيهات مباشرة من الملك، وأنه يسمعه كصوت السلسلة، ويأتيه الملك في صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل)... وأنهم يذهبون في كل يوم جمعة إلى عرش الرحمن، فيأخذون منها ماشأؤوا، وقد يأخذون العلم من الله مباشرة،

(١) راجع: تفسير القمي والبرهان وفيات الصافي والعياشي والبرهان فضلاً عن الكافي والبحار والوافي ووسائل الشيعة ومستدركه وغيرها.



وبلا أي واسطة، وعندهم أسماء شيعتهم، وكل أهل الجنة، وأسماء مخالفيهم، وكل أهل النار<sup>(١)</sup>.

ويروي أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار المتوفى (٢٩٠هـ) شيخ الكليني، في بصائره، عن محمد الباقر بن علي زين العابدين أنه يقول: (نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن حجة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق، وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عز الإسلام، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا تنزل الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا<sup>(٢)</sup>).

وروى الكليني عن الصادق أنه قال: (نحن خزان علم الله، ونحن تراجمه وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض). ورووا عنه أيضًا أنه قال: (نحن المثاني التي أعطاها الله النبي، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، من عرفنا فإمامه اليقين، ومن جهلنا فإمامه السعير). وغيرها<sup>(٣)</sup>.

(١) المصادر آفة الذكر والبحار، ٢٦/ ٣٤١ الكافي، ١/ ٢٧٢ الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٠، الأنوار النعمانية، ١/ ٣١ المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٨٣ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٨٦.  
(٢) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٠، تفسير الصافي، ٤/ ٢٠، تفسير البرهان، ٣/ ١٧٢، تفسير نور الثقلين، ٤/ ٢٥، تفسير القمي، ٢/ ٢٥٣، البحار، ٢٤/ ١٠٠، أصول الكافي، ١/ ٣٠٣.  
(٣) الكافي، ١/ ٢٧٢، الحسكاني، شواهد التنزيل، ١/ ٤٥، تفسير البرهان، ١/ ٢٥، تفسير العياشي، ١/ ١٠٦، البحار، ٨٥/ ٢٣.

والروايات في هذا المعنى كثيرة جدًا في كتب معتمدة كبصائر الدرجات للصفار، والكافي للكليني، وبحار الأنوار للمجلسي، والفصول المهمة للعالمي، والبرهان للبحراني، وينقلون أيضًا أن الأئمة يعرفون جميع الألسن واللغات، وحتى لغات الطيور والوحوش. فيذكر الصفار في بصائره العناوين الأربعة لبيان علوم أئمتهم: (باب في الأئمة أنهم يعرفون الألسن كلها). (باب في الأئمة أنهم يتكلمون الألسن كلها). (باب في الأئمة أنهم يعرفون منطق الطير). (باب في الأئمة أنهم يعرفون منطق البهائم، ويعرفونهم، ويحييهم إذا دعوهم). يروى عن جعفر بن الباقر أنه قال: (قال الحسن بن علي: إن لله مدينتين: إحداهما بالشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي. ويروي عن محمد الباقر أنه قال: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

وقالوا: لا فرق بين النبي والإمام علي، بل فضلوا عليًا على الرسول نفسه بأمور كثيرة: كولدته في جوف الكعبة وغيرها. حتى إن التوجه للكعبة وهي أحجار لأن عليًا ولد فيها كما زعموا. وهكذا مناسك الحج فسرت بعلي وأهل بيته، بينما ولد الرسول بشكل عادي وطبيعي. وصلح النبي مع مشركي قريش حول وثيقة الحديبية واعتراض علي، وعلي زعيم المؤمنين ليميز المنافقين، بينما الرسول للمسلمين، وأن الإيمان أعلى من الإسلام، وشجاعة علي في الحروب، وقصة رد الشمس عندما فاتت الصلاة النبي وعليًا، فقد أرجعها علي وليس النبي، ليصليا ثم تعود إلى غيابها،... وذكرهم معائب النبي وسهوه وأخطائه دون علي، وذكروا أن الإمام أفضل من الأنبياء موسى وعيسى وإبراهيم ونوح، وأن الوصي خير من النبي، وذكروا لذلك أدلة إضافية، منها الولاية التكوينية، وصلاة النبي عيسى خلف المهدي المنتظر... (لتكون هذه الولاية أيضًا ثابتة لأهل البيت، وذلك لأنهم أفضل من جميع الأنبياء،

وكيف وقد ثبت لنا بالأدلة النقلية: أن عيسى يصلي خلف الإمام المهدي عند ظهوره، كما قالوا<sup>(١)</sup>.

والشيخ المفيد يقول: (قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة من آل محمد على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد). وعن النبي قال: «أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها وأعطي علي ثلاثة ولم أشاركه فيها. فأما الثلاث التي شاركني فيها: لواء الحمد وعلي حامله، والكوثر وعلي ساقيه، والجنة والنار وعلي قسيمها. وأما الثلاثة التي أعطيها علي ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي شجاعة ولم أعط مثلها، والجنة خلقت لمن أحب علياً وإن عصي الرسول، والنار خلقت لمن عصاه وإن أطاع الرسول»<sup>(٢)</sup>... فجعلوا علياً أفضل من الرسول. هذا وغيره واضح في جعل الإمامة أعظم من النبوة، وعلياً أفضل من الرسول... كما رووا أن معلّم جبريل هو علي بن أبي طالب من قبل الخلق بتسع مئة مليون سنة ولا ذكر للرسول... كما رووا أن النبي كان جالساً وعنده جبرائيل فدخل علي فقام له جبرائيل، فقال النبي: «أتقوم لهذا الفتى!» فقال له: «نعم إن له عليّ حق التعليم». فقال النبي: «كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟» فقال: «لما خلقتني الله تعالى سألتني من أنت وما أسمك؟ ومن أنا وما اسمي؟ فتحررت في الجواب، وبقيت ساكتاً. ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار، وعلمني الجواب. فقال علي: قل أنت ربي الجليل واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل واسمي جبرائيل. ولهذا قمت له وعظمته». قال النبي: «كم عمرك يا جبرائيل؟» فقال: «يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرة، وقد شاهدته طالعا ثلاثين ألف مرة»<sup>(٣)</sup>.

بل لا فرق بين الأئمة والله تعالى، كما في الأدعية والزيارات والأحاديث: (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك!) وما أغربه من غلو، بل تناقض فهل الفرق بين

(١) المصادر آفة الذكر، ومنها بصائر الدرجات للصفار، والكافي للكليني، وبحار الأنوار للمجلسي، والفصول المهمة للعالمي، والبرهان للبحراني.

(٢) لم أجده في شيء من كتب السنة.

(٣) لم أجده في شيء من كتب السنة.



الخالق والمخلوق قليلاً أو يسيراً، فقالوا باندماجهما، فلا يفرق أحدهما عن الآخر، فيسيران ليجعلهما واحداً، بل قالوا باتحادهما كقول العرفاء الفرس.

وأن الأئمة أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين.

وأن الإمام كان مع الأنبياء جميعاً منذ آدم وحتى محمد، وهو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وكان مع نوح لنجاته وإنقاذه في السفينة، ومع موسى حيث عبر به البحر، ومع عيسى والآخرين وأن البلاءات التي نزلت عليهم هي عقوبة من الله عليهم بسبب توقفهم عن قبول ولاية الإمام عندما عرضت عليهم فلم يقبلوها، مثل ما لقي يونس ما لقي من رميه في البحر مراراً، فلما تاب قال: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قد قبلت بولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده)، قذفه الحوت خارج البحر.

وأن الله فوض إليهم الخلق والتكوين والتشريع، وأنهم يحلون ما شاءوا، ويحرمون ما شاءوا، ولا يسألون عن فعلهم، (وأن الله خلطهم بنفسه) عن الكليني والمجلسي أحاديث: (إن الله خلق محمداً وفاطمة وعلياً، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق بعد ذلك الأنبياء، فأشهدهم خلقاً، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون، ويحرمون ما يشاءون، (وأن كلام الإمام ينسخ القرآن والشرائع، وأن حديث كل واحد من الأئمة، هو قرآن ينسخ ما قيل قبله)، فكانت لهم الولاية التشريعية، ومنها النسخ للشرعية وتبديلها.

وأن الأرض والسموات والكون والجنة والنار والدنيا والآخرة لهم، وأن الحوادث الكونية كالزلازل والبراكين ورعد وبرق وفياضانات وغيرها من صنع الإمام.

وأن الأئمة لا يموتون إلا بعلمهم واختيارهم وقبولهم، كما يعلمون موت كل واحد وزمنه، ويستطيعون إخبارهم بذلك، وكل أمورهم مخرجهم وحركاتهم، فالإمام ينظر في ملكوت السموات والأرض، ولا يخفي عنه شيء، ويعلم كل ما يدور في الكون وجميع حركات الناس إلى يوم القيامة. يقول الخوئي: (أما الجهة



الأولى، فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار لكونهم واسطة في الإيجاد وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق). ويقول الخميني: (إن للإمام مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا: أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)<sup>(١)</sup>.

وأهم هو القرآن نفسه، وأن ظاهر القرآن هو التوحيد والنبوة والرسالة، ولكن باطنه وجوهره الإمامة والولاية، وأن كل ما ورد عن المؤمنين والمسلمين والإيمان والإسلام هم الأئمة وولايتهم، وأن المراد بالكافرين والمشركين والكفر والشرك والجبت والطاغوت واللات والعزى والأصنام، هم أعداؤهم ومخالفوهم، خصوصاً أبو بكر وعمر وعثمان وزوجات النبي عائشة وحفصة.

أكثر الآيات في علي ومخالفه، وهي ربعة أو نصفه أو ثلثه، (القرآن ثلاثة أقسام: ثلث في علي، وثلث في مخالفه، وثلث سنن وأحكام) باختلاف الروايات، وورد ببعضها أن في القرآن ١١٥٤ آية في علي، حتى ألفت كتب مختصة بذلك (علي في القرآن) من القدماء والمتأخرين، وفيها العجب العجائب من آيات لا علاقة لها من قريب ولا بعيد، كما بحثت في محله<sup>(٢)</sup>.

(١) المصادر السابقة، وأيضاً البحار، ٢٦/٢٩٤ الاختصاص، ٢٥٠، الأنوار النعمانية، ١/٢٦ الكافي، ١/٢٥٤ المفيد، أوائل المقالات، ٤٢ باب القول في المفاضلة بين الأئمة والأنبياء، نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، ١/١٧ الصدوق، علل الشرائع، ١/١٦٤ علي النازي، مستدرك سفينة البحار، ٢/٢٣ يونس رمضان، بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب، ص ٢٩٥، رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، هاشم البحراني، غاية المرام، ٣/١٨ محمد المظفري، القطرة، ١١٤ محمد بن علي بن عبد الوهاب الأشكوري، حياة القلوب.

(٢) المصادر السابقة، والبحار، ٢٤/١٠٠، الكافي، ١/٦٦ وكتب التفاسير للقمي والصافي والبرهان والعسكري وقرات والثقلين، الخميني، الحكومة الإسلامية، ٧٥ الخوئي، مصباح الفقاهة، ٣/٢٢٧٩ الخميني، مصباح الهداية.

ولو جئنا إلى أهم كتاب على الإطلاق وهو الكافي للكليني، وفتحنا كتاب الحجة من الأصول، فإننا نجد أكثر من ألف حديث يتناول الأئمة، ومنها العناوين التالية (الاضطرار إلى الحجة، إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام، إن الأرض لا تخلو من حجة، إنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة، معرفة الإمام والرد إليه، فرض طاعة الأئمة، في أن الأئمة شهداء الله على خلقه، إن الأئمة ولاية أمر الله وخزنة علمه، إن الأئمة خلفاء الله في أرضه، وأبوابه التي منها يؤتى، إن الأئمة نور الله، إن الأئمة هم أركان الأرض، إن الأئمة ولاية الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله، إن الأئمة هم العلامات التي ذكرها الله في كتابه، إن الآيات التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة، إن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة، إن من وصفه الله في كتابه بالعلم هم الأئمة، إن الراسخين في العلم هم الأئمة، إن الأئمة قد أوتوا العلم، وأثبت في صدورهم، في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، إن الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار، إن القرآن يهدي للإمام، إن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الأئمة، إن المتوسمين الذين ذكرهم الله في كتابه هم الأئمة، عرض الأعمال على النبي والأئمة، إن الطريقة التي حث على الاستقامة عليها ولاية علي، إن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة، إن الأئمة ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً العلم، إن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم، إن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها، إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم يعلمون علمه كله، ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، إن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا، إن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفي عليهم الشيء، إن الله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، وأنه كان شريكه في العلم، إن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له

وما عليه، إن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول فيهم بالنبوة، إن الأئمة محدثون مفهمون، ذكر الأرواح التي في الأئمة، الروح التي يسددها الله بها الأئمة، إن الإمامة عهد من الله معهود من واحد إلى واحد، خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، إن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار، إن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم، ويتوجهون في أمورهم، إنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، إن الأرض كلها للإمام، ما جاء في الإثنى عشر والنص عليهم). وتحت كل عنوان مجموعات من الأحاديث والروايات لنعرف الأهمية القصوى التي وضعتها الأحاديث المنسوبة في عقيدة الغلو في الأئمة مما تخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وقد ورد في أحاديث منسوبة: أن الأئمة هم النور في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وأن كل آيات المدح والنعمة والخيرات والفضل والكرم إنما المراد منها الأئمة وكل آيات الذم والتهديد إنما في مخالفته وأعدائهم.

وأن الأئمة في القرآن هم الصلاة والصيام والحج والزكاة والحج وسائر العبادات وعن جعفر الصادق: (نحن الصلاة والصيام والحج والشهر الحرام والبلد الحرام والكعبة. وأيضا وجه الله في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]... وتفسير: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] بأنها مشيئة الأئمة، كما في تفسير القمي وفرات وغيرهما، وتفسير: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] في موت علي بن أبي طالب.

وأنتهم آيات الله وكتابه وبيناته والسبع المثاني وحملته عرشه والسفيرة الكرام، وهم الكعبة والبيت الحرام والقبلة والمسجد، وهم المطر والسحاب والظل والفواكه والبحر واللولؤ والمرجان والشمس: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، والساعة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ [الفرقان: ١١]، وأنهم الناس وسواهم ليسوا ناسا، وهم النحل



﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، والبعوض والذباب: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] الواردة في القرآن الكريم.

واعتبروا أيام الأسبوع هم وكذلك الأشهر الإثنا عشر. روي أن السبت اسم رسول الله، والأحد أمير المؤمنين، والاثنان الحسن والحسين، والثلاثاء علي ابن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي ابن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد، والخميس الحسن العسكري والجمعة المهدي المنتظر، وإليه تجتمع عصابة الحق. كما في حديثهم... وعشرات غيرها. وأن أعمال الناس تعرض عليهم دائماً، وعليهم الحساب والعقاب في الحياة وفي القبر يحضرون، وقال فقيهمهم: (وقد أجمع أهل الإمامة وتواتر الخبر عن الصادقين بحضور علي عند الاحتضار وعند الوفاة، ورووا عن علي قوله للحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرفه وأعرفه بعينه واسمه وما فعلا

ويقسمون فيهم الإيمان وغيره وكذلك الجنة والنار) وغيرها.

وعنهم كتب الجفر والصحيفة ومصحف علي ومصحف فاطمة والجامعة وعلم المنايا والبلايا... كما ينقل الكافي عن الصادق (وعندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله وإملائه، ومن فلق فيه، وخط علي يمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرض في الخدش. وإن عندنا لمصحف فاطمة وما يدرهم ما مصحف فاطمة، مصحف مثل قرآنكم ثلاث مرات، ليس فيه والله من قرآنكم حرف واحد...) وقال الصادق: (بعد أن قبض الله نبيه ودخل على فاطمة الحزن، فأرسل الله ملكاً إلى فاطمة يسلي همها ويحدثها.. وكان علي يكتب كل ما سمعه من الوحي، حتى أثبت ذلك في مصحف). وفي رواية أخرى للكافي أنه الملك جبريل نفسه، فعن الصادق: (وكان جبريل يأتيها). وقال الصادق: (إن عندي الجفر الأبيض، زبور داود، وتوراة



موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه المجلدة، ونصف المجلدة، وربيع المجلدة، وأرش الخدش، عندي الجفر الأحمر...) (وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله وخطّ علي، والله إن عندي لكتابين، فيهما تسمية كل نبي، وكل ملك يملك الأرض...) وغيرها كثير.

وأن من أنكر إماماً كمن أنكر الأئمة كلهم مما يجعل كل الفرق الشيعية الأخرى ماعداهم كفاراً مخلدين في النار. عن المفيد: (اتفقت الإمامية وكثير من الزيدية على أن المتقدمين على إمامة أمير المؤمنين ضلال فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عن مقام رسول الله عصاة ظالمون وفي النار بظلمهم خالدون)، وقال عبدالله شبر: (وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب، فالذي عليه جملة من الإمامية أنهم كفار في الدنيا والآخرة، والذين عليهم الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة)، وعن المجلسي في بحاره: (اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وفُضِّل عليهم غيرهم يدلّ على أنهم مخلدون في النار)، كما في موقع السيستاني: (من لم يؤمن بالإمامة خرج عن الإيمان، أي عن الدين الواقعي الذي أراده الله (المذهب الحق)، وفي أجوبته: (الذي لا يعتقد بإمامة أحدهم على حدّ الشرك بالله ومن يموت ولا يعرف إمام زمانه يموت ميتة جاهلية، ويكون من الهالكين الخالدين في جهنم)، وقوله: (كما أنّ من لم يؤمن بالله أو النبي ليس مؤمناً، كذلك من لا يؤمن بالإمام أو أحداً من الأئمة الإثني عشر) وغيرها<sup>(١)</sup>.

وأن الملائكة ليس لهم طعام ولا شراب، إلا الصلاة على علي بن أبي طالب والاستغفار لشيئته.

(١) راجع: الكافي للكليني، ١/ ١٧١ وبحار المجلسي، ٢٣/ ٦٩ كذلك الخميني، مصباح الهداية، الحلي، الألفين، القمي، الاعتقادات، ص ١١٦، الطبرسي، الاحتجاج، الحر، وسائل الشيعة، الكافي، ١/ ١ الكافي، ٣/ ٣ الاختصاص، ص ٢٥٠، الأنوار النعمانية، ١/ ٢٦ موقع السيستاني العقائدي الرسمي.

وأما فاطمة الزهراء فقد نقل أن الملائكة تحدّثها وعندها مصحف أضعاف القرآن، وفيه كل شيء، وهي لا تحيض ولا نفاس ولا طمث، حتى روي عن أبي جعفر قال: (لما ولدت فاطمة أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد، فسماها فاطمة، ثم قال: إني فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث. قال أبو جعفر: والله لقد فطمها عن الطمث في الميثاق)<sup>(١)</sup>.

والخرافات الكثيرة جدًّا، ومنها روي أن أحد الملائكة رفض ولاية علي، فعوقب بكسر جناحه، وأن جنّيًّا كان عند النبي فلما رأى عليًّا ارتعد وفرع وخاف، قائلاً: إنه كان من مرادة الجن، وسلك البحار، وأعجز الجن والاشياطين، حتى أتاه علي في عهد سليمان، فضربه بحربة على كتفه، وأثرت فيه، ولا زال أثرها قائمًا، ونقلوا له معجزات تفوق كل الأنبياء والمرسلين.

وكذلك اعتبروا أن التوبة هي الرجوع عن بيعة أبي بكر وعمر إلى ولاية علي، وأن لفظ الشيطان هو عمر بن الخطاب، وعمر هو الطاغوت في قوله تعالى ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأن الجبت والطاغوت في القرآن هما أبو بكر وعمر وابتاهما هما عائشة وحفصة، حيث ورد لعنهم في دعاء صنمي قريش وغيره، وادعاء الكليني والمجسلي والعياشي وغيرهم أن مخالفهم هم الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والميتة والدم ولحم الخنزير والجبت والطاغوت، وقد أنزل الله عقوبات على من مات على سنة أبي بكر وعمر، وفي الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾، عن الصادق نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان آمنوا بالنبي ثم كفروا، ورفضوا ولاية علي.. وعن الكافي: (إن الشيخين، أبا بكر وعمر، فارقا الدنيا ولم

(١) المصادر الحديثية الأربعة، لا سيما الكافي، ثم مجاميع الدولة الصفوية، لا سيما البحار والوافي والأنوار والوسائل ومستدرکها وتفسير القمي والعسكري والصابي والبرهان وفرات، كذلك الكافي، ٢٨١/١ تفسير العياشي، ٣٥٣/٢ الصافي، ٢٧٠/٣، البرهان، ٤٩٧/٢ القمي، علل الشرائع، ص ١٢٢ البحار، ٦٠/١١، هاشم البحراني، معالم الزلفي، ص ٣٠٣ الطبرسي، المستدرک، ١٩٥/٢ الكافي، ٣٨٢/١ كتاب الحجة، باب مولد الزهراء.

يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمر المؤمنين، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وفي الكافي: كان الصادق يلعنهما وبنتيهما، عائشة وحفصة، في دبر كل مكتوبة، وفي الكافي سئل الباقر عن أبي بكر وعمر، فقال: (والله ما مات منا ميت قط إلا ساء خطأ عليهما، يوصى بذلك الكبير منا الصغير، إنهما ظلمانا حقنا ومنعانا فيئنا، وكانا أول من ركب أعناقنا، وبثقا علينا بثقا... والله ما أسست من بلية ولا قضية تجري علينا أهل البيت إلا هما أسسا أولها، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وفي زيارة الإمام علي: (السلام عليك يا ولي الله أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه... جئتك عارفاً بحقك معادياً لأعدائك ولمن ظلمك)، وفي زيارة الحسين: (اللهم العن الأول، أبا بكر، والثاني، عمر، والثالث عثمان، والرابع، معاوية ثم يزيد خامساً... اللهم العن بني أمية قاطبة. اللهم العن بني مروان... اللهم العن...). وفي الكافي (لُعِنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ، وَأُمَّةٌ خَالَفَتْكُمْ، وَأُمَّةٌ جَحَدَتْ وَلَا يَتَكُم). وفي الكافي والبحار: أن آيات الكفار نزلت في الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان... وغير ذلك كثير.

وأن نسب ابن الخطاب زنا مركب (من جده خاله ووالده، وأمه أخته وعمته)، وكان يجب ماء الرجال، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم، لأنهم أبناء زنا، إلا الشيعة فينادون بأسمائهم وأسماء آبائهم، وأن وظيفة المهدي عند ظهوره أن يحيي الخلفاء أبا بكر وعمر ثم يصلبهما ويحرقهما ويذرها في الريح، ويجلد عائشة زوج النبي وكل من في قلبه مثقال ذرة من حب الشيخين: أبي بكر وعمر فسيلحقه بهما... وأن عمر أسوأ من إبليس الذي تعوذ من عمر ومكانه يوم القيامة. وعن الكاظم سئل عن أبي بكر وعمر فقال: (كافران كافر من أحبهما). وعن الصادق: (من شك في كفرهما فهو كافر). وعن الكاظم: (هما الكافران، عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان.. كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخزي في دار المقام)<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي، البحار، ٣١/ ١٠٠، ابن شهر آشوب، ص ١٧٤ البحار، الكشكول، ٣/ ٢١٣.



والحق على الخليفة عمر بن الخطاب لأنه فتح بلاد فارس وحطم جبروت كسرى، لذلك يقيمون الاحتفال بقتله، ويحجون إلى قاتله المجوسي أبي لؤلؤة، وقد أقاموا الاحتفالات العظيمة من أعلى المراجع الفارسية وحتى المعاصرين بقتل عمر بن الخطاب حتى عدَّ عيداً عظيماً يوم التاسع من ربيع الأول، فقد روى روايات احتفالات الأئمة به، وسمّوه الغدير الثاني، وأعظم الأعياد، فعن العسكري: (إنه أفضل الأعياد عند أهل البيت ومواليهم)، ولبس ملابس العيد كما طلب من شيعته ذلك، ونقل العسكري عن الرسول قوله لحفيديه الحسنين: (إنه اليوم الذي يهلك الله فيه عدوه وعدو جديكما، ويستجيب فيه دعاء أمكما، وفيه يقبل الله أعمال شيعتكما ومحبيكما). وفيه رفع الله التكليف لثلاثة أيام كما في حديثه القدسي (وأمرت الكرام الكاتين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلهم ثلاثة أيام من ذلك اليوم، ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم)، وعن علي (هذا يوم الغدير الثاني ويوم رفع القلم، ويوم البركة، ويوم الثارات، ويوم فرح الشيعة عيد أهل البيت، ويوم قتل المنافق، ويوم القهر على العدو، ويوم هدم الضلالة، ويوم كشف البدع)، كما نقلها المجلسي في بحاره وغيره<sup>(١)</sup>.

ونقل الفقهاء الفرس خطب الغلو عن علي، منها قوله: (أنا عندي مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا قاسم الجنة والنار، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مومع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طور الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله في السماوات والأرض أنا الراجفة أنا الصاعقة، أنا الصيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذي اقتبس منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه، أنا أقمت السماوات بأمر

(١) المجلسي، البحار، ٣١/ ١٢٠، والمصادر السابقة.



ربي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سر الكليم، أنا الناظر في الملكوت، أنا أمر الحي الذي لا يموت، أنا ولي الحق على سائر الخلق، أنا الذي لا يبدل القول لديّ وحساب الخلق إليّ، أنا المفوض إلى أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سر الله في بلاده وحجته على عباده، أنا أمر الله والروح، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. أنا أرسيت الجبال الشاخات، وفجرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار ومخرج الألوان والثمار، أنا مقدر الأقوات، أنا منشئ الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا أقيم القيامة، أنا أقيم الساعة، أنا الواجب له من الله الطاعة، أنا سر الله المخزون، أنا العالم بما كان وما يكون، أنا صلوات المؤمنين وصيامهم، أنا مولاهم وأمامهم، أنا صاحب النشر الأول والآخر، أنا صاحب المناقب والمفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذاب الله الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأولى، أنا مزيل الدول، أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمر الفراعنة بسيفي هذا، أنا الذي أقامني الله في الأظلة، ودعاهم إلى طاعتي، فلما ظهرت أنكروا، فقال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]. أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السالفة، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذب به ولا يذوق الجنة، أنا الذي تزدهم الملائكة على فراشي، وتعرفني عباد أقاليم الدنيا، أنا الذي ردت لي الشمس مرتين، وسلمت عليّ كرتين، وصليت مع رسول الله القبلتين، وبايعت البيعتين. أنا صاحب بدر وحنين، أنا الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور...

أنا الذي دعا الله الخلائق إلى طاعتي فكفرت، وأصرت فمسخت، وأجابت أمة فنجت وأزلت، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران، أنا مع رسول الله في الأرض وفي السماء. أنا المسيح حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري، أنا صاحب القرون الأولى. أنا الصامت ومحمد الناطق... أنا جاوزت موسى في البحر، وأغرقت فرعون وجنوده، أنا أعلم همهم البهائم ومنطق الطير، أنا الذي

أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين. أنا المتكلم على لسان عيسى في المهدي، أنا الذي يصلي عيسى خلفي.

أنا الذي انقلب في الصور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا الآخرة والأولى، أنا الذي أرى أعمال العباد، أنا خازن السماوات والأرض بأمر رب العالمين. أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا الذي لا تقبل الأعمال إلا بولايتي، ولا تنفع الحسنات إلا بحبي، أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال، وقطرات الأمطار، ورمل القفار بأذن الملك الجبار. أنا الذي أقتل مرتين، وأحيي مرتين، وأظهر كيف شئت، أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبهم، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء. أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسخوا، أنا المذكور في سالف الأزمان والخارج في آخر الزمان، أنا قاصم الجبارين في الغابرين، ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين، عذاباً شديداً، أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلائق في المشارق والمغارب. أنا صهر محمد، أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، أنا باب حطه...<sup>(١)</sup>.

واعتبروا الشهادة الثالثة أساساً للإيمان ومناطاً يفرّق المؤمن وغيره ويفصل في الجنة والنار، وغير ذلك من الآثار، برغم أنها بدعة، كما قال قدماء الفقهاء، إذ لم ينطق بها النبي علماً أن الصلاة تشريع، ولا تجوز البدعة في التشريع، كما يقولون. قال المجلسي: (إن أول من ذكر الإمام علياً بعد الشهادتين هو الله)، فقد روى الصادق: (لما خلق الله السموات والأرض أمر منادياً، فنادى: أشهد أن لا إله إلا الله، ثلاث مرات. وأشهد أن محمداً رسول الله، ثلاث مرات. وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً، ثلاث مرات). وأن النبي بعد ذكره للشهادتين، قال: (ومن تلاهما بعلي ولي الله، غفر الله له ذنوبه، ولو كانت بعدد قطر المطر). وعن الرسول: (والذي بعثني بالحق بشيراً

(١) راجع: البحار والوافي والأنوار والوسائل ومستدرکها رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ص ١٦٥، عبد الرسول زين الدين، الخطب النادرة لأمير المؤمنين، ص ١٩١، هاشم البحراني، معالم الزلّفي، ٣٠٣ الطبرسي، المستدرک، ٢ / ١٩٥.

ما استقر الكرسي والعرش، ولا دار الفلك ولا قامت السموات والأرض، إلا بأن كتب الله عليها لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين). وحديث جعفر الصادق: (لما خلق الله العرش والكرسي واللوح كتب عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين)، وكذلك لما خلق الله جبرائيل كتب على جناحه، ولما خلق الله إسرافيل كتب على جبهته، وكذلك السموات في أكنافها، والأرضين في أطباقها، والشمس عليها والقمر عليه بالشهادات الثلاث. واستدلوا بالنور الإلهي الذي تجسد في علي وحل فيه وقصة المعراج، وأن الله كلمه بصوت علي وعدم قبول الأعمال دون ولاية علي. بينما كان يرى الصدوق أنها أخبار موضوعة مكذوبة، تدل على الغلو في علي، وجاء بها المفوضة، كما رأى الكثير من الفقهاء العرب: كمحمد باقر الصدر، ومحمد حسين فضل الله: أنها بدعة ليست من الدين<sup>(١)</sup>.

وصل الغلو بالفرس ليس فقط تقديس الأئمة، بل متعلقهم خصوصاً الموجودين في إيران من أولاد الأئمة وبناتهم حتى الأطفال، وزياراتهم والصلوات عندهم، واعتقاد شفاعتهم وإدخالهم الجنة... فمثلاً فاطمة بنت موسى الكاظم، وهي طفلة مدفونة في قم، وجعلوا لها مزاراً وزيارات وعقائد وروايات كثيرة. عن محمد بن الرضا: (من زار قبر عمتي بقم فله الجنة)، وعن الرضا: (من زارها وجبت له الجنة)... وهي ليست من المعصومين، ولا هنالك شيء كبير في حياتها، فمجرد زيارتها توجب الجنة، وليس العمل الصالح<sup>(٢)</sup>.

(١) المصادر السابقة، ومنها البحار، ٣٤٥/٢٣ الكافي، ٩٥/٢ روضة الكافي، ٣٤٣ و ٨١٧٨ تفسير الصافي، ١٣٤/٣ تفسير البرهان، ٣٧٣/٢ البحار، ١٠٠/٣١، ابن شهر آشوب، ١٧٤ البحار، الكشكول، ٢١٣/٣ الكافي، ٣٧٥/١ البحار، ٣٢٢/٢٣ العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، فياض، أم المؤمنين تأكل أولادها، زيارة عاشوراء في كتب الزيارات، مثل مفاتيح الجنان للقمي، ص ٤٥٥ وغيرها كثير.

(٢) المجلسي، البحار، ١٢٠/٣٠ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، ١٦٥-١٦٦ عبد الرسول زين الدين، الخطب النادرة لأمر المؤمنين، ١٩١-١٩٤ خطبة البيان وخطبة الافتخار، ٥١-٥٥.



وثقافة الزيارات الكثيرة عند قبور الأئمة، برغم أن الكليني ينقل أن رسول الله أوصى علياً عند بعثه إلى اليمن بأن لا يدع قبراً إلا سواه مع الأرض، وكأنه استشرف الغلو في تقديس القبور.

ومن الزيارات المهمة هي الزيارة الجامعة، التي تقرأ عند جميع أهل البيت، وذكروا لها فضائل عظيمة بل ادعى المراجع والعلماء الوصول إلى الكرامات والتوفيقات والغيبات من خلال قراءتها يومياً وغير ذلك من القصص الكثيرة في كتب كثيرة لزيارات كثيرة جداً، ولناخذ مثلاً مهماً عن تلك الزيارات.

### الزيارة الجامعة الكبيرة:

روى الصدوق القمي في (من لا يحضره الفقيه) وغيره عن موسى بن عبد الله النخعي أنه قال للإمام علي النقي: (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعتره خيرة رب العالمين، ورحمة الله وبركاته، السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا، والآخرة والأولى، ورحمة الله وبركاته، السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته. السلام على الدعوة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين، الذي لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته. السلام على الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الذكر، وأولي الأمر، وبقية الله وخيرته، وحزبه وعيبة علمه وحجته، وصراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته، أشهد أن لا إله إلا



الله، وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمدًا عبده المنتجب، ورسوله المرتضى، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، المهديون المعصومون، المكرمون المقربون، المتقون الصادقون، المصطفون المطيعون لله، القوامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته، اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته، وأعزكم بهداه، وخصكم ببرهانه، وانتخبكم لنوره، وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججًا على بريته، وأنصارًا لدينه، وحفظةً لسره، وخزنةً لعلمه، ومستودعًا لحكمته، وتراجمةً لوحيه، وأركانًا لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلامًا لعباده، ومنارًا في بلاده، وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وطهركم تطهيرًا، فعظمت جلاله، وأكبرتم شأنه، ومجدتم كرمه، وأدتمتم ذكره، ووكدتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له في السر والعلانية، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حق جهاده، حتى أعلنتم دعوته، وبيتتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرتم شرائع أحكامه، وسننتم سنته، وصرتم في ذلك منه إلى الرضا، وسلّمتم له القضاء، وصدقتم من رسله من مضى، فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه، وميراث النبوة عندكم، وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم، من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أنتم الصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبلى به الناس، من أتاكم نجا، ومن لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون، وعليه

تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون، سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم، من اتبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مشواه، ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك، ومن رد عليكم في أسفل درك من الجحيم، أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضى، وجارٍ لكم فيما بقي، وأن أرواحكم ونوركهم وطيتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرشه مُحَدِّقِينَ، حتى مَنْ علينا بكم، فجعلكم في بيوتِ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلاتنا عليكم، وما خصنا به من ولايتكم، طيباً لخلقنا، وطهارةً لأنفسنا، وتزكيةً لنا، وكفارةً لذنوبنا، فكنا عنده مُسَلِّمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا إياكم، فبلغ الله بكم أشرف محل المُكْرَمِينَ، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا صديقٌ، ولا شهيدٌ، ولا عالمٌ، ولا جاهلٌ، ولا دنيٌ، ولا فاضلٌ، ولا مؤمنٌ صالحٌ، ولا فاجرٌ طالحٌ، ولا جبارٌ عنيدٌ، ولا شيطانٌ مريدٌ، ولا خلقٌ فيما بين ذلك شهيدٌ، إلا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتما نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه، بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي، أشهد الله وأشهدكم أني مؤمنٌ بكم، وبما آمنتم به، كافرٌ بعدوكم، وبما كفرتم به، مستبصرٌ بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغضٌ لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم، محققٌ لما حققتم، مبطلٌ لما أبطلتم، مطيعٌ لكم، عارفٌ بحقكم، مقررٌ بفضلكم، محتملٌ لعلمكم، محتجبٌ بذكمتكم، معترفٌ بكم، مؤمنٌ بآيائكم، مصدقٌ برجعتكم، منتظرٌ لأمركم، مرتقبٌ لدولتكم، آخذٌ بقولكم، عاملٌ بأمركم، مستجيرٌ بكم، زائرٌ لكم، لائذٌ عائذٌ بقبوركم، مستشفعٌ إلى الله عز وجل بكم، ومتقربٌ بكم إليه، ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي

وأُموري، مؤمنٌ بسرِّكم وعلايتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، ومفوضٌ في ذلك كله إليكم، ومسلمٌ فيه معكم، وقلبي لكم مسلمٌ، ورأيي لكم تبعٌ، ونصرتي لكم معدةٌ، حتى يحيي الله تعالى دينه بكم، ويردكم في أيامه، ويظهركم لعدله، ويمكنكم في أرضه، فمعكم معكم لا مع غيركم، آمنت بكم، وتوليت آخركم بما توليت به أولكم، وبرئت إلى الله عز وجل من أعدائكم، ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم، الجاحدين لحقكم، والمارقين من ولايتكم، والغاصبين لإرثكم، الشاكِّين فيكم، المنحرفين عنكم، ومن كل وليجة دونكم، وكل مطاعٍ سواكم، ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار، فثبنتي الله أبداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم، ووفقتني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكُم، التابعين لما دعوتهم إليه، وجعلني ممن يقتص آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمركم، ويكرّ في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويُسَرَّف في عافيتكم، ويُمكِّن في أيامكم، وتقر عينه غداً برؤيتكم، بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم موالِي، لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينفس الهم، ويكشف الضر، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدكم بُعث الروح الأمين، آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، طأطأ كل شريفٍ لشرفكم، وبخع كل متكبرٍ لطاعتكم، وخضع كل جبارٍ لفضلكم، وذلل كل شيءٍ لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمان، بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذاكرين، وأسماءكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجل خطركم، وأوفى وعدكم، وأصدق



وعدكم، كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرفق، وقولكم حكم وحكم، وقولكم علم وحلم وحزم، إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، بأبي أنتم وأمي ونفسي، كيف أصف حسن ثنائكم، وأحصي جميل بلائكم، وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرج عنا غمرات الكروب، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار، بأبي أنتم وأمي ونفسي، بموالا تكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة، وبموالاتكم تُقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة، والدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، والمكان المعلوم، عند الله عز وجل والجاه العظيم، والشأن الكبير، والشفاعة المقبولة، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، يا ولي الله (يا أولياء الله) إن بيني وبين الله عز وجل ذنوبًا، لا يأتي عليها إلا رضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعاي، فإني لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، اللهم إني لو وجدت شفعا أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار جعلتهم شفعاي، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل). وفي هذه الزيارة تظهر الكثير من العقائد الفارسية، وتأصيل ذلك في النفوس برغم أن الرواية ضعيفة جداً سنداً ودلالة، لكنها مشهورة معروفة، ومعمول بها ذاكرين عظمتها وآثارها. وقد أنكرها بعض الفقهاء العرب مثل محمد



حسين فضل الله، وقال: إنها تمتلئ بالغلو. وناقش بالخصوص عدم معقولية، مثل (وإياب الخلق إليكم، وحسابه عليكم)، وغيرها من الأفكار المرفوضة<sup>(١)</sup>.

ومن أهم الأدعية التي أمروا بقراءتها يوميًا، هو دعاء الفرج، أي فرج ظهور المهدي المنتظر بعد غيبته لأكثر من ألف سنة: (إلهي عظم البلاء، وبرح الخفاء، وانكشف الغطاء، وانقطع الرجاء، وضائق الأرض، ومنعت السماء، وأنت المستعان، وإليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء، اللهم صل على محمد وآل محمد أولي الأمر، الذين فرضت علينا طاعتهم، وعرفتنا بذلك منزلتهم، ففرج عنا بحقهم فرجًا عاجلاً قريبًا كلمح البصر أو هو أقرب، يا محمد يا علي يا علي يا محمد اكفاني، فإنكما كافيان،

وانصراني فإنكما ناصران

يامولانا يا صاحب الزمان

الغوث الغوث الغوث

أدركني أدركني أدركني

الساعة الساعة الساعة

العجل العجل العجل

يا أرحم الراحمين بحق محمد وآله الطاهرين).

والملاحظ برغم بدايته خطاب الله تعالى لكنه سرعان ما يتحول بقدرة قادر إلى محمد وعلي ويكونان كافيين وناصرين، ثم الخطاب يتحول للمهدي الغوث وأن يدركه الساعة ثم ينقلب يا أرحم الراحمين وهو الله تعالى وهو من التهافت الغريب

(١) وسائل الشيعة، ١٠ / ٤٥٢، البحار، ١٠٢ / ٢٦٥، سفينة البحار، ٢ / ٤٠٠، ثواب الأعمال، ص ١٢٤. كذلك كتب الزيارات مثل: القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٥٢، ضياء الصالحين وكامل الزيارات...، سورة الإسراء، الآية ٨٥، سورة البقرة، الآية ٨٩. البحار، ٣٧ / ٢٩٥، الصدوق، الأملى، ص ٨٨، البحار، ٣٨ / ٣١٩، البحار، ٢٧ / ٨، البحار، ٢٧ / ١، الصدوق، الفقيه، ١ / ٦٥، المجلسي، روضة المتقين، ٢ / ٢٤٥ - ١٤. القمي، المفاتيح، ١٧٣.

المتناقض... ويذكر أيضًا حق للأئمة على الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا  
فالله هو صاحب الحق على العبيد<sup>(١)</sup>.

واشتهر دعاء أهل الكساء وادّعاء آثاره العظيمة وضرورة دوام قراءته أسبوعيًا  
في المجالس جماعات وفي البيوت.

وأما نص حديث الكساء:

قالت فاطمة: دخل عليّ أبي رسول الله في بعض الأيام، فقال: «السلام عليك يا فاطمة». فقلت: عليك السلام، قال: «إني أجد في بدني ضعفًا»، فقلت له: أعيدك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: «يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني، فغطيني به»، فأتيته بالكساء اليماني، فغطيته به، وصرت أنظر إليه، وإذا وجهه يتلألأ، كأنه البدر في ليلة تمامه وكماه، فما كانت إلا ساعة، وإذا بولدي الحسن قد أقبل، وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا قرّة عيني، وثمرّة فؤادي، فقال: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة، كأنها رائحة جدي رسول الله. فقلت: نعم إن جدك تحت الكساء، فاقبل الحسن نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا جدّاه، يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: «وعليك السلام يا ولدي، ويا صاحب حوضي، قد أذنت لك». فدخل معه تحت الكساء، فما كانت إلا ساعة، وإذا بولدي

(١) رواها الكفعمي، المصباح، ص ٥٥١ ونسبها إلى الإمام علي، البحار، ٢٤٠/٨٥، المرعشي، إحقاق الحق، ٣٣٧/١، الطهراني، الذريعة، ١٩٢/٨، القمي، المفاتيح، ص ١١٤، منظور حسين، تحفة العوام، ص ٤٢٢. كما رواها الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، وكذلك كتابه (عيون أخبار الرضا) بأسانيد، مثل عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن موسى بن عمران النخعي، وهو قرابة الحسين بن يزيد النوفلي، وكذلك رواها الطوسي في كتابه (التهذيب). كذلك رواها محمد بن المشهدي في كتابه (المزار الكبير) وكذلك المجلسي في بحاره. وكان الفقهاء الفرس: كالخميني يواظب على قراءته ويدعي أنه يعطي التوفيق في الأمور الدنيوية فضلاً عن الآخرة... بينما رفضها مراجع: عرب كفضل الله في الندوة وهو يناقش عدم معقولية (وإياب الخلق إليكم وحسابه عليكم) وغيرها البحار، ٥٩/٨٣، الطبرسي، المستدرک، ٦٠/٥، ابن طاموس، مهج الدعوات، ٣٣٣، ابن طاموس، الإقبال، دعاء الفرج، محمد بن المشهدي، المزار الكبير، المجلسي، زاد المعاد، الطبرسي، تحية الزائر، الفيض الكاشاني، الصحيفة المهدوية.

الحسين قد أقبل، وقال: السلام عليك يا أماء، فقلت: وعليك السلام يا ولدي، ويا قرة عيني، وثمره فؤادي. فقال لي: يا أماء، إني أشم عندك رائحة طيبة. فقلت: إنها رائحة جدي رسول الله، فقلت: نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء، فدنا الحسين نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا جدّاه السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لي أن أكون معكما تحت الكساء؟ فقال: «وعليك السلام يا ولدي، ويا شافع أمتي، قد أذنت لك». فدخل معهما تحت الكساء، فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب. وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله، فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة، كأنها رائحة أخي، وابن عمي رسول الله، فقلت: نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء. فأقبل علي نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال له: «وعليك السلام يا أخي، ويا وصيي وخليفتي وصاحب لوائي، قد أذنت لك». فدخل علي تحت الكساء. ثم أتيت نحو الكساء، وقلت: السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ فقال: «وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي، قد أذنت لك». فدخلت تحت الكساء، فلما أكتملنا جميعاً تحت الكساء. أخذ أبي رسول الله بطرفي الكساء، وأومأ بيده اليمنى إلى السماء، وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبه، إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم، واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فقال الله عز وجل: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي، إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا بحرًا يجري ولا فلکاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة، الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرائيل: يا رب ومن تحت الكساء، فقال عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها، وبعلمها وبنوها. فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض، لأكون معهم سادساً؟ فقال الله: نعم، قد أذنت لك. فهبط الأمين



جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعظمتي وجلالي، إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلکاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلکاً يسري، إلا لأجلکم ومحبتکم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله: «وعليك السلام، يا أمين وحي الله، إنه نعم قد أذنت لك»، فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال لأبي: إن الله قد أوحى إليكم، يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فقال علي لأبي: يا رسول الله، أخبرني ما جلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟ فقال النبي: «والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبيننا، إلا ونزلت عليهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا». فقال علي: إذا والله فزنا وفاز شيعتنا، ورب الكعبة. فقال أبي رسول الله: «يا علي والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبيننا، وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه، ولا مغموم إلا وكشف الله غمه، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته». فقال علي: إذا والله فزنا وسعدنا، وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة، ورب الكعبة<sup>(١)</sup>.

لاحظ الثواب الكبير بمجرد حضور الدعاء وسماعه له الأجر والثواب وسعادة الدنيا والآخرة دون العمل الصالح، لتخدير الناس في ثقافات الأدعية

(١) لم أجده بهذا الطول، والذي في دواوين السنة مختصراً، لفظه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير». أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥١ رقم ٣٢٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٩١ رقم ٢٥٦٢).



والزيارات، واستغراقها في العقل الجمعي دون أدنى تأمل أو تفكير أو حتى عرض على القرآن الكريم وسيرة الرسول الأمين<sup>(١)</sup>.

كذلك زيارات الحسين الكثيرة، ومنها زيارة وارث، وزيارة عاشوراء، وفيها لعن الخلفاء الثلاث... وينقلها الطوسي في مصباح التهجد وابن قولويه في كامل الزيارات وابن طاوس في مصباح الزائر والكفعمي في المصباح والمجلسي في البحار والمفيد في المزار والمشهدي في المزار الكبير والقمي في مفاتيح الجنان وغيرهم. وزيارة الناحية المقدسة للمهدي الغائب، والتي ينقلها المفيد في المزار والطوسي في مصباح التهجد والمشهدي في المزار الكبير وابن طاوس في كتابيه مصباح الزائر والإقبال والفيض الكاشاني في الصحيفة المهدوية والمجلسي في البحار وغيرهم. ودعاء التوسل ودعاء السمات ومئات الزيارات والأدعية والأحراز والمعوذات والصلوات والتعقيبات.

ومن أهمها أيضًا دعاء صنمي قريش: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك وحرفا كتابك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، وواليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك. اللهم العنهما وأنصارهما، فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابيه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيّه ووارثه، وجحدا إمامته، وأشركا بريهما، فعظم ذنبهما، وخلدهما في سقر! وما أدراك ما سقر؟ لا تبقي ولا تذر. اللهم العنهم بعدد كل منكر أتياه، وحق أخفياء، ومنبر علواه، ومنافق ولياه، ومؤمن أرجيائه، وولي أذيائه، وطريد أويائه، وصادق طرده، وكافر نصره، وإمام قهره، وفرض غيره، وأثر أنكره، وشر أضمره، ودم أراقه، وخبر بدلاه، وحكم قلبه، وكفر أبدعاه، وكذب دلساه، وإرث نصباه، وفيء اقتطعاه، وسحت أكلاه، وخمس استحللاه، وباطل أسسناه،

(١) راجع: كتب الأدعية: مفاتيح الجنان، ضياء الصالحين، كامل الزيارات، مهج الدعوات.

وجور بسطاه، وظلم نشره، ووعد أخلفاه، وعهد نقضاه، وحلال حرّماه، وحرام حلّلاه، ونفاق أسراه، وغدر أضمره، وبطن فتنه، وضلع كسراه، وصك مزقاه، وشمل بدداه، وذليل أعزاه، وعزيز أذلّاه، وحق منعه، وأمام خالفاه. اللهم العنهما بكل آية حرفها، وفريضة تركها، وسنة غيرها، وأحكام عطلاها، وأرحام قطعها، وشهادات كتمها، ووصية ضيعها، وأيمان نكثها، ودعوى أبطلها، وبينة أنكرها، وحيلة أحدثها، وخيانة أورداه، وعقبة ارتقيها، ودباب دحرجها، وأزياف لزمها (وأمانة خانها). اللهم العنهما في مكنون السر وظاهر العلانية لعنا كثيرًا دائبًا أبدًا دائمًا سرمدًا لا انقطاع لأمدّه، ولا نفاد لعدده، يغدو أوله ولا يروح آخره، لهما ولأعوانهما وأنصارهما، ومحبيهما ومواليهما، والمسلمين لهما والمائلين إليهما، والناهضين بأجنتهما والمقتدين بكلامهما والمصدقين بأحكامهما. (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين.

وقد ذكر الكفعمي في مصباحه، وقال: (إن دعاء صنمي قريش دعاء عظيم الشأن رفيع المنزلة، وهو من غوامض الأسرار وكرائم الأذكار، وهو مجرب لقضاء الحوائج وتحقيق الآمال، وقد ورد أن الداعي بهذا الدعاء هو كالرامي مع النبي في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم)، والمقصود بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها هما أبو بكر وعمر، وأما ابنتيهما فهما عائشة وحفصة زوجات النبي وأمّهات المؤمنين.

كذلك ورد في بحار المجلسي والفتاوى المرحشي والطهراني في ذريعتيه وقد شرحه فقهاء فرس كثيرون. لاسيما عيسى الأردبيلي وغيرهم. وما تجده في الأدعية من السباب واللعن وثقافة البغضاء للخلفاء لاسيما أبي بكر وعمر وابتئنيهما أمّهات المؤمنين وزوجات الرسول عائشة وحفصة، والسنة وعموم المسلمين وكفرهم وارتدادهم مما لا يقبله عقل سليم وذوق كريم ودين حنيف. وكان الأولى زراعة ثقافة المحبة والسلام وثقافة اللعن الكثيرة المتأصلة والموجودة كثيرة جدًا ويوميًا في أدعية كثيرة منها العمريات الأربعة يوميًا: (اللهم العن عمر ثم عمر ثم أبا بكر ثم عمر ثم عمر ثم عمر ثم عثمان ثم عمر)، وادعى المراجع الفرس أنها تقضي الحوائج

وتدر الأرزاق وتبلغ الثواب في الدارين الدنيا والآخرة، ويقرؤونها في تعقيبات الصلاة، كذلك زيارة عاشوراء اليومية في اللعن والشار من أمة قتلتها، يقصدون السنة، و(اللهم العن الأول والثاني والثالث والرابع، ثم يزيد خامساً: اللهم العن بنى أمية قاطبة)، الأول هو أبو بكر، والثاني عمر، والثالث عثمان، والرابع معاوية، ثم يزيد خامساً<sup>(١)</sup>.

أيضاً يقاربه دعاء مشهور عقب كل صلاة منسوب عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: من حقنا على أوليائنا وأشياعنا أن لا ينصرف الرجل منهم من صلاته حتى يدعو بهذا الدعاء وهو:

اللهم إني أسألك بحقك العظيم أن تصلي على محمد وآله الطاهرين، وأن تصلي عليهم صلاة تامة دائمة، وأن تدخل على محمد وآل محمد ومحبيهم وأوليائهم حيث كانوا وأين كانوا في سهل أو جبل أو بر أو بحر من بركة دعائي ما تقرّ به عيونهم. احفظ يا مولاي الغائبين منهم، واردهم إلى أهاليهم سالمين، ونفّس عن المهمومين، وفرّج عن المكروبين، واكس العارين، وأشبع الجائعين، وأرو الظامئين، واقض دين الغارمين، وزوج العازبين، واشف مرضى المسلمين. وأدخل على الأموات ما تقرّ به عيونهم، وانصر المظلومين من أولياء آل محمد، وأطف نائرة المخالفين.

اللهم وضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللذين كفرا نعمتك، وخوناً رسولك، واتهما نبيك، وبايناه، وحلاً عقده في وصيه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادّعيا مقامه، وغيراً أحكامه، وبدلاً سنته، وقلّبا دينه، وصغراً قدر حججك، وبدءاً بظلمهم، وطرقاً طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم، وإرهاج الحروب عليهم، ومنع خليفتك من سد الثّلم، وتقويم العوج، وتثقيف الأود، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن. اللهم العنهما وابنتيهما وكل من مال ميلهم وحذا حذوهم وسلك طريقتهما، وتصدّر ببدعتهم،

(١) راجع: القمي، مفاتيح الجنان، ضياء الصالحين، كامل الزيارات، مهج الدعوات وكتب الأدعية والزيارات.



لَعْنًا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ، وَيَسْتَعِيزُ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ، الْعَنِ اللَّهُمَّ مَنْ دَانَ بِقَوْلِهِمْ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُمْ، وَدَعَا إِلَى وَلَايَتِهِمْ، وَشَكَّ فِي كُفْرِهِمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. ثم ادْعُ بِمَا شِئْتَ. (يستجاب دعاؤك إن شاء الله تعالى)<sup>(١)</sup>.

انتهى كلامهم، وحاشا للصادق أن يقول ذلك، كما سيثبت في التشيع العربي لاحقاً.

ثم تأسيس نظرية الجبر في محاور كثيرة منها نظرية الطينة (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا)، وعن الرسول يخاطب علياً (وشيعتك خلقوا من فاضل طينتنا)، ونقلت عن الباقر والصادق والسجاد والمهدي أحاديث متنوعة، وأنهم مؤمنون منذ الأزل بسبب الطينة والخلقة منذ الأزل. وفي المقابل ادّعاء أن أعداء أهل البيت ومخالفهم فطينتهم غير طاهرة... والسؤال عندئذ لماذا الحساب والعقاب إذا كان ذلك كله بسبب الطينة والخلقة، فكلاهما من الله الذي خلقهم وليس من الإنسان، فلماذا يحاسب على أمر قبل خلقته وليس باختياره؟ ثم كيف يفسر تحول البعض بعد أن كان موالياً إلى الطرف الآخر وبالعكس فهل تغيرت الطينة أم لا يجدون تفسيراً لهذه الأوهام<sup>(٢)</sup>.

وفي الروايات لا قيمة للعمل أصلاً، بل المهم ولاية الأئمة ويمكن لفاسق فاجر قاتل مجرم بشتى الجرائم أن يصل إلى أعلى عليين مع الأئمة بشيء بسيط من رضى أهل البيت، ونقلوا في ذلك روايات وقصصاً كثيرة، منها قول الطوسي:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صواماً بلا ضجر	وقام ما قام قواماً بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن	وطاف ما طاف حافٍ غير متعل

(١) مفاتيح الجنان، ضياء الصالحين، كامل الزيارات وبقية كتب الأدعية والزيارات.

(٢) أحاديث الطينة كثيرة، منها روضة الواعظين، ص ٢٦٩ أمالي الصدوق، ص ٦٦ بصائر الدرجات، ص ٣٤ كذلك جاء في الكتب الأربعة: كالكاظمي، وكذلك في بحار المجلسي وغيرها أحاديث بتعابير مختلفة.



وطار في الجو لا يأوي إلى أحد      وغاص في البحر مأموناً من البلل  
يكسو اليتامى من الديباج كلهم      ويطعم الجائعين البرّ بالعسل  
وعاش في الناس آلفاً مؤلفاً      عار من الذنب معصوماً من الزلل  
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً      إلا بحب أمير المؤمنين علي

ومن الطريف جدّاً قصة لص مجرم وقاطع طريق وسلاب للعابرين، لكنه نام في الطريق، وقد مر مواكب زيارة الحسين عليه فوقع تراها على جسمه... فيدّعون أنه وصل إلى الدرجات العليا في الجنة من الغبار، حتى أنشد الشعر التالي:

فإن النار ليس تمس جسمًا      عليه غبار زوار الحسين

وهذه القصة المشهورة جدّاً، التي ينقلها خطباء المجالس الحسينية دومًا، تنفي قيمة العمل تمامًا لتجعل من غبار الزوار وسيلة للجنة في مقام عال برغم المعاصي العظام في حكاية وأسطورة خيالية وعشرات القصص الأخرى<sup>(١)</sup>.



(١) راجع: القصص القصيرة في بحار الأنوار من كتاب الإمام الحسين، كذلك كتابي: الثورة الحسينية والقصص العجيبة لعبد الحسين دستغيب ممثل الخميني وإمام جمعة، وروضة الواعظين للنيسابوري ومتخب الطريحي والخصائص الحسينية لجعفر التستري وكتب عبد الحميد المهاجر وغيره من خطباء المنبر الحسيني.

## كربلاء والمظلومية والطقوس والخطباء في التشيع الفارسي

جعل الفرس للحسين خصائص لم ينلها لا رسول الله ولا أبوه الإمام علي ولا أحد غير الحسين، وهذا ما لم يدعه الحسين نفسه ولا يعرفه. بل حتى في ولادته ورضاعته وحياته نقل الكثير، فقد روي عن الصادق: (لم يرضع جدى الحسين من ثدي فاطمة، ولا من أنثى غيرها، بل كان يؤتى به النبي، فيضع إبهامه في فيه فيمتصّ منها ما يكفيه، ليومين أو ثلاثة، وهكذا)<sup>(١)</sup>.

وقد نظموا في ذلك الأشعار:

لله مرتضع لم يرتضع أبداً      من ثدي أنثى ومن طه مرضعه

وهذا مثال صارخ لأن الرسول وعلي رضعا بشكل طبيعي، وهنا امتاز الحسين حتى على الرسول نفسه الذي رضع من حليلة السعدية بشكل طبيعي، كما اتفق المؤرخون. وغيرها كثير جداً، فقد عدّ الحسين أفضل من الأنبياء، ثم فسروا قصص الأنبياء به، مثل قصة ذبح إبراهيم ابنه من أجل الحسين فداءً، وكذلك ابن النبي محمد مات فداءً للحسين وغيرها.

وقد ذكروا أحاديث كثيرة في فضله، منها عن النبي لأبي بن كعب (أن اسم الحسين مكتوب عن يمين العرش، وفيه: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وعن الرسول: (حسين مني وأنا من حسين). في الحديث الأخير يمكن معرفته،

---

(١) الكليني، الكافي، ١/ ٣٨٦.

لأن الحسين ابن فاطمة فهو ابن الرسول، ليقول (حسين مني)، ولكن كيف يمكن أن يكون الرسول فرعاً عن الحسين (وأنا منه)؟ وهذا أحد ألوان الغلو، فضلاً أنهم يعرفون السند الضعيف<sup>(١)</sup>.

وردت أهمية كربلاء في أحاديثهم المنسوبة الكثيرة لدرجة تفضيلها على الكعبة: (ما فضل الكعبة على كربلاء إلا كرأس إبرة غرست في أبحر)، عن أبي جعفر قال: (خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدها وبارك عليها فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك، وجعلها الله أفضل الأرض في الجنة). بينما الحقيقة هي أن الكعبة هي القبلة الأساسية والوحدة للمسلمين ورمز كبير حتى في صلواتنا نتوجه لها أينما كنا محوراً وشعاراً أساسياً مذكوراً في القرآن والسنة بشكل واضح، فإذا تم تحريف مبدأ موحد واضح للمسلمين، وبذا تضرب أركانه وتتحور إلى بدع جديدة بخطة مدروسة بعناية وبوضع أحاديث منسوبة للأئمة حيث تتحرف شعائره.

وورد في أحاديثهم المنسوبة أن الحج إلى كربلاء أفضل كثيراً من الحج إلى الكعبة، وفضل كربلاء يعادل (عشرين حجة مقبولة وألف غزوة مع النبي)، وأفضل الأعمال زيارة الحسين، وعشرات الروايات. وفي الزيارة لفظ العبودية: (يا ابن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أمتك) إلى الحسين برغم أن العبودية هي لله تعالى وحده.

عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف عن أحمد محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القمط قال: حدثني عبد الله بن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله الصادق يقول لرجل من مواليه: (يا فلان أتزور قبر أبي عبد الله الحسين بن علي؟، إلى أن يقول، ويحك أما تعلم أن الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً...). وكذلك عن محمد بن جعفر القرشي الرزاز عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القمط عن عمر بن يزيد بياع السابري، عن أبي عبد الله

(١) المجلسي، البحار، ٢٨٦/١٨ هاشم البحراني، مدينة المعجزات، ٥١/٤ البحار، ٢٦١/٤٣.

قال: (أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، ويأتيني الناس من كل فج عميق: وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إلى الكعبة أن كفي وقري فوعزتي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنت أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقري واستقري، وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف، ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك، وهويت بك في نار جهنم). وفي سند آخر قال: حدثني أبي وعلي بن الحسين عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن علي قال حدثنا عباد أبو سعيد العصفري عن عمر بن يزيد بياع السابري عن جعفر بن محمد، وذكر مثله.

وأيضاً حدثني أبو العباس الكوفي عن محمد بن الحسين بن الخطاب عن أبي سعيد العصفري عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي جعفر قال: (خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وقدها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدمة مباركة، ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة).. كما وردت الأحاديث الكثيرة المنسوبة في طينة كربلاء، وأنها من الجنة، وهي تحرق الحجب السبع، وهي شفاء من كل داء، وأمان من كل بلاء والمعجزات الكثيرة، ورووا أن الحور العين إذا أبصرن بواحد من الملائكة يهتدين منه السبح والتربة من طين قبر الحسين، وأن الإمام علي الرضا كان يبعث الطين كأمان من كل بلاء، وعن الصادق (يستشفى بالطين بين القبر وأربعة أميال ويشفي كل داء)، ورووا أن يتناول التربة ويقبلها، وليضعها على عينه، وليمرّها على سائر جسده، ويدعو بحق هذه التربة فيشفى من كل داء، ويبرأ من كل مرض، وينجو من كل آفة ويحرز مما يحذر ويخاف. وأن يأكل منها ويقرأ أدعية ويطعم أهله وأصحابه منها، وأن يضعها في لحده وعلى الكفن، فهي تحرق الحجب السبعة، وأنها تسبح باليد لو حدها.. وينقل الطبرسي في كتابه دار السلام عن قصة شخص كسّر تربة الحسين عن غير قصد،



فرأى الحسين في المنام وهو غاضب عليه، قائلاً لأبيه (إن ابنك قد كسر تربتين من تراب قبري تحت فخذيه..)<sup>(١)</sup>.

ولمعرفة أهمية الزيارة يمكن ملاحظة بعض أبواب كتاب من أهم المصادر التي اعتمدها الفقهاء الفرس، وهو كتاب (كامل الزيارات) لأبي القاسم جعفر بن محمد ابن قولويه القمي، أخذ منه الشيخ في التهذيب وغيره من المحدثين مثل الحر العاملي، ونقل عنه جل من ألف منهم في الحديث والزيارة وغيرها، بل إن الخوئي صحح جميع من ورد ذكره في الكتاب لقدسية الكتاب عند الفقهاء الفرس.

وهذه بعض أبواب (كامل الزيارات) لابن قولويه القمي، منها:

- الباب (٥٨): إن زيارة الحسين أفضل ما يكون من الأعمال.
- الباب (٥٩): من زار الحسين كان كمن زار الله في عرشه.
- الباب (٦٠): إن زيارة الحسين والأئمة تعدل زيارة قبر رسول الله وآله.

(١) الطوسي، التهذيب، ٧٢/٦ كامل الزيارات، ابن قولويه، وسائل الشيعة، ٥١٦/١٤ بحار الأنوار، ٢٠٢/٥٧ و ١٠١/١١٤ التستري، الخصائص الحسينية، المقرم، عاشوراء في الإسلام، الغريفي، التشيع، ٤٨١ روضة الواعظين، ٤١١/٢ كامل الزيارات، ٢٦٨ و ٢٧٠ و ١١٩/البحراني، مدينة المعجزات، ٣٢٧/٢ كشف الغمة، ٢١٨/٢ الصدوق، ثواب الأعمال، ١١٠. فضيلة كربلاء على مكة، بل على الكعبة أيضًا. وفي رواية أخرى عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن علي قال حدثنا عباد أبو سعيد العصفري عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله يقول: (إن الله تبارك وتعالى فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت، ومنها ما بغت، فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لتركها التواضع لله، حتى سلط الله المشركين على الكعبة، وأرسل إلى زمزم ماء مالحًا حتى فسد طعمه، وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدس الله تبارك وتعالى، وبارك الله عليها، فقال لها: تكلمي بما فضلك الله تعالى، فقد تفاخرت الأرض والمياه بعضها على بعض، قالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني، بل شكرًا لله فأكرمها وزادها بتواضعها وشكرها لله بالحسين وأصحابه، ثم قال أبو عبد الله: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله تعالى). وفي (مستدرک الوسائل، ١٠/٢٢٥) في رواية مسندة عن أم أيمن عن رسول الله في حديث طويل يقول فيه: (وهي أطهر (أطيب) في مصدر آخر (بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وأنها لمن بطحاء الجنة).

- الباب (٦١): إن زيارة الحسين تزيد في العمر والرزق، وتركها ينقصهما.
- الباب (٦٢): إن زيارة الحسين تحط الذنوب.
- الباب (٦٣): إن زيارة الحسين تعدل عمرة.
- الباب (٦٤): إن زيارة الحسين تعدل حجة.
- الباب (٦٥): إن زيارة الحسين تعدل حجة وعمرة.
- الباب (٦٧): إن زيارة الحسين تعدل عتق الرقاب.
- الباب (٦٨): إن زوار الحسين مشفعون.
- الباب (٦٩): إن زيارة الحسين ينفس بها الكرب، ويُقضى بها.
- الباب (٩١): ما يستحب من طين قبر الحسين وأنه شفاء.
- الباب (٩٢): إن طين قبر الحسين شفاء وأمان.
- الباب (٩٣): من أين يؤخذ طين قبر الحسين وكيف يؤخذ؟
- الباب (٩٤): ما يقول الرجل إذا أكل طين قبر الحسين؟
- الباب (٥٣): إن زائري الحسين يدخلون الجنة قبل الناس.

ونقلوا أحاديث: (وَكَلَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْحُسَيْنِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَصْلُونَ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ شَعْتًا غَبْرًا، وَيَدْعُونَ لِمَنْ زَارَهُ، وَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ زَوَارُ الْحُسَيْنِ أَفْعَلْ بِهِمْ وَافْعَلْ بِهِمْ)، أي حقق أمانيتهم.

كما وردت الثارات لأمة قتلته لتعني الانتقام من السنة، الذين فتحوا إيران من خلال الخليفة الراشد ابن الخطاب، وقادسيته التي تثار منها كربلاء في التشيع الفارسي<sup>(١)</sup>.

(١) كامل الزيارات، ص ٢٦٨ و ٢٧٠ و ١١٩/البحراني، مدينة المعجزات، ٣٢٧/٢ كشف الغمة، ٢١٨/٢ الصدوق، ثواب الأعمال، ١١٠. فضيلة كربلاء على مكة، بل على الكعبة أيضًا في هذه الروايات، كما في (كامل الزيارات ص ٤٤٤): الخوئي رآه أيضًا، وفي رأيه أولاً قد غيّر رأيه أخيرًا بالنسبة إلى رجال كامل الزيارات، بعد وضوح أن أكثرهم دجالين وضّاعين مدّلسين كما ثبت.

ويذكر بعض المؤرخين أن البويهيين الشيعة الذين سيطروا على دولة الخلافة العباسية بين سنتي (٣٣٤، ٤٤٧ هـ) هم أول من أظهر هذه الطقوس الحسينية في السواد واللطم والعزاء، وقال بعض المحققين (في عاشر المحرم من تلك السنة، أمر معز الدولة بن بويه، أن تُغلق الأسواق، وأن يلبس الناس المسوح من الشعر، وأن تخرج النساء حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن في الأسواق يلطمن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي، ففعل ذلك، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك، لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم)<sup>(١)</sup>.

وتطورت هذه الطقوس في عهد الصفويين (٩٠٧ هـ، ١١٤٨ هـ)، تطورًا كبيرًا، وصل إلى حد إرسال بعثات إلى دول أوروبا المسيحية لاقتباس بعض طقوسهم والاستفادة منها في الشعائر الحسينية. يقول المفكر الشيعي الإيراني علي شريعتي (ت ١٩٧٧) في كتابه (التشيع العلوي والتشيع الصفوي): (استحدث منصب وزاري جديد باسم (وزير الشعائر الحسينية)، وقد قام هذا الوزير بجلب أول هدايا الغرب لإيران، وذلك في غضون القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان هذا أول تماس حضاري بين إيران والغرب. ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوروبا الشرقية، وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض، وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى السيد المسيح وشهداء المسيحية والمسائل المتبعة في ذلك، حتى أنماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات. واقتبس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى من ثم إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني، ولا في الشعائر الدينية الإسلامية، ومن بين

(١) المصادر السابقة، وكذلك ابن كثير، البداية والنهاية، أحداث سنة ٣٥٢ هجرية.



تلك المراسيم: النعش الرمزي والضرب بالزنجيل والأقفال والتطبير، واستخدام الآلات الموسيقية وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسيم أن يشخص أن هذه ليست سوى نسخة من تلك<sup>(١)</sup>.

واعتقد وجود خلط كبير بين الشعائر الدينية والطقوس، حيث ضرورة وضع معايير علمية للتمييز بينهما ودراسة أسبابها وظروف نشوئها، فإن الشعيرة الإسلامية تتحرك وفق حركة القرآن وسيرة النبي كشعيرة الحج مثلاً، لذلك تضاف الشعيرة لله تعالى كقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ومن أمثلتها شعائر الحج المشرعة من قبل الله تعالى، لكن الطقوس تمثل عادات وأعراف تتحرك في أقوام معينين نتيجة لبيئة اجتماعية وظروف سياسية أو اقتصادية، فليس من الضروري أن يمضيها القرآن أو السنة أو العقل، لكن يمكن دراستها وآثارها، وهنا يأتي دور العقل في التمييز والترجيح، حيث للكثير من الأمم والحضارات عاداتها وشعائرها، كما ذكر ول ديورانت في (قصة الحضارة)، ومثالها الواضح المراسيم في دفن الموتى لمختلف الشعوب والأمم. المشكلة تكمن في تحول الطقس إلى شعيرة مقدسة أساسية قد تنسب إلى الشرع، فتكون لها الأولوية والأساس في حركة الأمة ووجوب الدفاع عنها، فيتحول الهاشم إلى أصل تستغرقه العواطف، وعندها تخفي الأصول والرسالية والعقل وروح المقاصد فيفقد الدين روحه وقيمه وتسامحه وأدبه، فضلاً عما يزرعه من أحقاد وثرارات وحواجز ضد الآخرين<sup>(٢)</sup>.

ورث الحسين تراثاً ضخماً من جده رسول الله وأبيه أمير المؤمنين، وأخيه الحسن حتى ورد عن الرسول (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). تعد الثورة الحسينية في العاشر من محرم ٦١ هجرية متميزة في التاريخ بما امتلكته من

(١) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ٧٦.

(٢) بحث قدمته في التمييز بين الشعائر والطقوس في ندوة فكرية بلندن.



خصوصيات ومبادئ، حيث كانت نبراساً للأحرار والثورات والقيم. كانت حركة الإمام الحسين نبراساً للأحرار بوجه الظلم من أجل الحرية والكرامة والعدالة كما قال: (ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولكن لطلب الإصلاح.. هيهات منا الذلة.. كونوا أحراراً في دنياكم). يكفي ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه القيم (أبو الشهداء) قائلاً: (مثل الحسين للناس حلة من النور تخشع لها الأبصار وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تاريخ البشرية.. وحسبه وحده أنه وحده في التاريخ الشهيد ابن الشهيد في مئات السنين). لكن حصل دخول كثير من الطقوس الغربية كالتطبير والضرب بالحديد والأدماء والمشي على النار وبعض ما يرد في التشايبه وبدأت تتطور في مراحل تاريخية وتعمق وكأنها جزء من العقيدة والدين، وصار لها تأثير كبير في الأمة والأفراد من جوانب متعددة<sup>(١)</sup>.

يعتقد الكثير من الباحثين والمحققين أن التطبير وضرب الرؤوس بالسيوف يرجع إلى الحقبة الصفوية والشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠١، ١٧٣٦ م) مؤسس الدولة الصفوية، والمنتحل للمذهب الشيعي الإمامي مذهباً رسمياً وإلزامياً للبلاد، وهو يجابه الحكم العثماني (السنّي) ثم تعيينه وزيراً للشعائر الحسينية ليذهب الأخير ويجول العالم خصوصاً روما، فوجد بعض المسيحيين يضربون أجسامهم ورؤوسهم بالسيوف والسكاكين حزناً على السيد المسيح، فاستحسنه وكان أول من أدخله إلى الدولة الصفوية كما يذكر علي شريعتي في (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) ومحسن الأمين في كتابيه (أعيان الشيعة) و (رسالة التنزيه في أعمال الشبيه)<sup>(٢)</sup>.

(١) العقاد، أبو الشهداء، ص ٢٣٠. حديث النبي حول الحسين تجده في صحيح الترمذی، ٢/ ٦٢ مختصر صفوة الصفوة، ص ٦٢ مسند ابن حنبل، ٣/ ٦٦ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩/ ٢٣١ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٢٦٦. كذلك راجع: الأمين، المجالس السنية، والحسني، السيرة، وشرف الدين، المجالس الفاخرة، والوثائق الرسمية، عبدالكريم القزويني.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة، ٤١/ ١٦٠، شريعتي، التشيع العلوي، ص ٦٧ علي محمد علي، الشعائر الحسينية، ٤٧.

Rahimi, Muharram Rituals and the emergency....  
Newman, The Myths...  
Babaie, Slaves of the Shah new elites of Savafid Iran.  
Roberson, Shapping of the current Islamic reformation.

وأما تقديس فرس الحسين فقد بدأ في جنوب الهند من الإسماعيلية الذين تحولوا إلى إمامية، وشجعوا على التطبير كعادة كما اشتهر في الهند والباكستان لاحقاً المشي على النار حفاة الأقدام، كما ذكر علي محمد علي في كتابه (الشعائر الحسينية). وكان لهذه الطقوس آثار سلبية من الفرق الإسلامية الأخرى، حيث حصدت قتل الآلاف عام ١٩٦٣ م في لاهور، مما جعل مراجع النجف يصدرون الفتاوى في تحريم التطبير والضرب بالسلاسل آنذاك لحقن الدماء<sup>(١)</sup>.

المشكلة أولاً في بعض العلماء والخطباء كما يقول هبة الدين: (إن العلماء بسبب خوفهم من العامة يقولون لهم عكس ما يعتقدون، فهم يجاملونهم في التطبير خوفاً من هياجهم عليهم، وهذه تنعكس سلباً على الدين، وتساهم في تخلفه وغلبة البدع، وتحوله إلى وثنية تهزأ بها الأمم)، وقد كان محسن الأمين أعلن تصديه لها وتحريمها، وألف (رسالة التنزيه) في اعتبارها بدعاً، كما ذكر الأحاديث الموضوعة لها ودور الخطباء إذ يقول: (إن الكثير من القراء قد اختلقوا أحاديث في المصائب لم يذكرها مؤرخ ولا مؤلف، لما يرونه من تأثير عاطفي وهي من الأكاذيب الموضوعة، وإن ما يفعله البعض من جرح أنفسهم بالسيف أو اللطم المؤدي إلى إيذاء البدن، فإنه من تسويلات الشياطين وتزيينه، ومما يغضب الحسين ويبعد عنه لا مما يقرب إليه، فهو قد قتل في سبيل إحياء دين جده، وهذه الأعمال مما ينهي عنها دين جده، فكيف يرضى بها، وكيف تكون مقربة إلى الله تعالى، والله لا يعبد من حيث يعصى)<sup>(٢)</sup>.

لكن محسن الأمين قد واجه حملة كبيرة ضده، إذ هاجمه الخطباء والعوام وهددوه وشتموه وطرده من الشام، ونظمت القصائد ضده، وألفت كتب ضده، منها: (النقد النزيه لرسالة التنزيه)، و(كشف التمويه عن رسالة التنزيه)، و(سيماء الصالحين) ... مما جعل الأمين يهجر الشام ويأتي للنجف، فصدرت عدة فتاوى

(١) الحلي، الشعائر الحسينية، ص ٦٤ المرقم، عاشوراء، ص ٩٠، مغنية، الشيعة والحاكمون، ص ٤٩

الأمين، رسالة التنزيه، ص ٧٨ علي محمد علي، الشعائر، ص ٤٨.

(٢) هبة الدين، مجلة العلم، ٢٦٦ الحسني، ثورة التنزيه، ص ١٠٠.

لتحريم التطبير سنة ١٩٢٦ م من جملة من المراجع اللبنانيين العرب، مثل هاشم معروف الحسني ومحسن شرارة بلبنان برغم همس البعض في النجف للأمين: (نحن نؤمن بحرمة التطبير، لكننا لا نعلنها للناس). كما أشار هبة الدين في مجلة العلم. لكن الحملة الكبيرة ضده كانت واسعة الآفاق حتى هاجمه الخطباء وقراء المجالس في الحسينيات، وحرّكوا الناس وهددوه وشتموه وطردوه من الشام ونظمت القصائد ضده: (يا راكبا واذا مرّرت بجلّق.... فابصق بوجه أمينها المتزندق). وكان الناس يشربون الماء، ويلعنون الأمين وقد كتب ذلك على صناديق الماء في الشوارع والحسينيات، وقال فقيهمهم: (نسلط جمهورنا وعوامنا على الأمين بحجة محاربته للشعائر الحسينية حتى يؤدبوه). محنة الأمين كانت قاسية كبيرة، يقول عنها محمد حسين فضل الله: (ثارت عليه الدنيا وكُفّر وزُندق، وقيل: إنه عدوّ الحسين، وقيل عنه زورًا وبهتانًا: إنه يريد أن يصادر مجالس العزاء، ويريد أن يصادر كل كربلاء وعاشوراء، ذلك لأنهم اختزلوا كل عاشوراء مجتمعة في سيف يضرب الرأس أو سوط يضرب الظهر، هذا هو الفهم لعاشوراء؟). ويحدثنا علي الوردي عن محنة الأمين قائلًا: (وإنني لا أزال أذكر تلك الضجة التي أثّرت حول الدعوة الإصلاحية للسيد محسن الأمين قبل ربع قرن، ولكنه صمد وقاوم فلم يلن ولم يتردد)<sup>(١)</sup>.

وأفتى جملة من الفقهاء الفرس باستحبابه، بل أيضًا نقلوا عن المهدي الغائب ممارسته، فقال الشيرازي: (إنّ أيا من الشعائر الحسينية لم يفتّ مجتهد بحرمتها، بل أطبقوا على جوازها بل استحبابها، كالتطبير واللطم على الحسين والتشبيه وضرب السلاسل، والإمام الحجة يمارسه، فلست أنت ولا أنا ولا غيرنا أفقه من صاحب الزمان...)<sup>(٢)</sup>.

(١) هبة الدين، مجلة العلم، ص ٢٦٦ محسن الأمين، رسالة التنزيه، ص ١٠١ الحسني، ثورة التنزيه، ص ٢٠٣ جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ٢٠٧/٣ الوردي، مهزلة العقل البشري، ص ٢٩٩ فضل الله، بينات، الشعائر.

(٢) محمد الشيرازي، نفحات الهداية، ص ٩٥.



وقد أفتى بحرمة التطبير صراحة كثير من الفقهاء، منهم محمد باقر الصدر، فقال: (التطبير أمر لا يجوز أبداً ويجب الامتناع عنه، إن ما تراه من ضرب الأجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام الناس وجهالهم، ولا يفعل ذلك أي واحد من العلماء، ويجب عليهم منعه وتحريمه). كما قال تلميذه محمد جواد مغنية: (وقد تطرف البعض فأبدعوا في الطقوس بدعاً يمقتها الله والناس من ضرب أنفسهم وإسالة الدماء في بلدان استحكمت فيه هذه العادات). وقال محمد حسين فضل الله: (نحن نشعر أن هذا يمثل مظهر تخلف في الوجه الشيعي الإسلامي، ونحن نشعر أن من واجبنا أن نفتي بذلك، ونحن نعرف أننا سنواجه عناصر التخلف والعواطف الثائرة، ونحن مستعدون لمواجهة بكل قوة وصلابة)<sup>(١)</sup>.

كما ألف مرتضى المطهري كتاباً من ثلاث مجلدات (الملحمة الحسينية) ناقداً الخطباء الحسينيين والطقوس والبدع، فيقول: (لقد حرفنا عاشوراء ألف مرة ومرة في عرضها ومقدماتها ومنتها وحاشيتها وتفسيرها وتحليلها بسبب العلماء والرواة، وعلينا أن نبكي بسبب الأكاذيب التي ألصقها الخطباء بالواقعة، إننا يجب أن نبكي على الحسين ولكن ليس بسبب السيوف والرماح التي استهدفت جسده، بل بسبب الأكاذيب التي ألصقها الخطباء بالواقعة، والواجب عدم الجلوس في مثل هذه المجالس، لأنه عمل محرم والواجب الشرعي يقتضي مقاومة هذا الكذب وفضحه ومحاربته). برغم كونه فارسياً لكنه من الفقهاء الذين انحازوا هنا في الطقوس إلى التشيع العربي لسبب ذكرته. ومع الأسف حيث أدخلها بعض فقهاءهم في الدين، وصارت جزءاً كبيراً من العقيدة والعادات والممارسات الكبيرة، مما يجب التصدي لها، وقد اشتهر وفي الحديث النبوي: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد باقر الصدر، مجموعة استفتاءات، ٤٥ محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، ص ٩٨ فضل الله، بينات، الشعائر.

(٢) أخرجه الربيع في مسنده (رقم ٩٤٣)، والديلمي في الفردوس (١/ ٣٢١ رقم ١٢٧١).



الحديث مشهور بين السنة والشيعة، فضلاً عن آيات قرآنية كقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، لأن الله لا يريد من الناس الانعزال عن المجتمع والرهبانية، فكيف بالعلماء ودورهم. يقول علي الوردي: (إن خضوع الناس إلى فكرة التطبير والاقتناع بها، ومن ثم ممارستها يرجع إلى مفهوم: (التنويم الاجتماعي)، فله أثر بالغ في شل التفكير، فالذي يقع تحت وطأته لا يستطيع أن يفكر إلا في حدود ما يملئ عليه الإيحاء التنويمي العام، وأنت لا تستطيع أن تجادله أو تباحثه مهما يكن دليلك إليه صارخاً). وقد ذكر محمد حسين فضل الله كيف أن المطربين قد يشربون الخمرة من أجل الإجماع مقدمة للتطبير، ويمارسه من لا يصلي ولا يلتزم بالفرائض، وقال: (إن التطبير يسيء إلى الإسلام بصفته يجعل من ذكرى عاشوراء مناسبةً لتعذيب النفس وجلد الذات.. فيحرم التطبير لسببين: الأول حرمة الإضرار بالنفس، وثانياً: لأن ذلك يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين)<sup>(١)</sup>.

وأما دخول الفتيات أخيراً في التطبير في النبطية بجنوب لبنان بعد جمعهم في باصات مجانية من مختلف مناطق لبنان، قد رفضها علماء لبنان مثل موسى الصدر ومحمد مهدي شمس الدين ومحمد حسين فضل الله وغيرهم، لكنها لم تتجاوز النبطية إلى غيرها من المدن والدول العربية الأخرى، لكن البعض في لندن أضاف الأطفال الصغار إلى التطبير. علماً أن المواكب الأصلية تقدم من إيران، وكان يرفضها المجتمع العراقي بشدة آنذاك، كما يذكر علي الوردي<sup>(٢)</sup>.

بعض الفقهاء الفرس يعتقد جوازها أو استحبابها مستنداً إلى أدلة، أهمها أن العقيلة زينب أخت الحسين قد ضربت رأسها بالمحمل في رواية مرسلة، لكنها ضعيفة جداً سنداً ودلالة، فإن مصدرها المجلسي في بحاره، حيث أرسلها بلا مصدر لناقل أو كتاب، فضلاً عن ضعف متنها المضطرب، وتناقضها مع وصية

(١) مطهري، الملحمة الحسينية، ١٣/١ الوردي، مهزلة العقل البشري، ص ٢٩٩ فضل الله، الندوة، مطهري، الملحمة الحسينية، ٣ مجلدات، الأمين، رسالة التنزيه، ص ٧٦.

(٢) فضل الله، الندوة، ص ٥٢ راجع: بحث محاولات إصلاحية لاحقاً في هذا الكتاب.

أخيها الحسين: (إنني أقسمت عليك أن لا تشقي عليّ جيّاً، ولا تخمشي عليّ وجهاً)، كما صرح المفيد في إرشاده فضلاً أن فعل زينب ليس دليلاً شرعياً، لأنها ليست من المعصومين أصلاً، فلا يُعدُّ عملها دليلاً عند الفقهاء. وقد فصلّ محسن الأمين ضعف القصة وتهافتها سنداً ودلالة، حتى قال الأمين: (وانتحال بعض الجهال عذراً لذلك بما ينقلونه من أن إحدى الطاهرات نطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رؤي الدم يجري من تحت قناعها... هو من هذا البحر، وهذه القافية..) فضلاً عن رفضها من العقل السليم والمنطق الصحيح، كما في كتابه (رسالة التنزيه)<sup>(١)</sup>.

وقد كانت لهذه الطقوس من النتائج السلبية الكثيرة وخطرها وأضرارها على الفرد والأمة وضد الوحدة الإسلامية من شعارات: (يا لثارات الحسين)، و(لعن الله أمة قتلتك). متهمة السنة زوراً بذلك، وتحول الإسلام إلى عادات وطقوس، فيها الكثير من الضرر فكرياً وواقعياً حتى في عام ١٩٦٣ تحركت هذه الطقوس مثلاً في لاهور، لتشكل حاجزاً طائفيّاً مع السنة وحصول مجازر كبيرة راح فيها عدد كبير منهم الأطفال والنساء والشيوخ، مما أدى إلى تدخل المراجع الدينية من مختلف المذاهب لإيقاف الفتنة الطائفية. ولا بدّ من الإشارة إلى الوثائق البريطانية من دعم السفير البريطاني في بغداد للتطبير وتبرعه بالأكفان البيضاء والقامات لمن يقوم بالتطبير، فضلاً عن دعم مواكب التطبير فقط بالمال والسكر والرز وغيرها من السفارة البريطانية في وقت كانت الحاجة الماسة إليها وسط أزمة عاشتها البلاد، كما تذكره الوثائق وكذلك حنا بطاطو في كتابه (العراق) وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

وهناك عدد كبير من القصص والخرافات ينقلها الخطباء دوماً في حسينيات مثلاً يقول المجلسي: (روي من طريق أهل البيت أنه لما استشهد الحسين بقي في

(١) الأمين، رسالة التنزيه، ٧٥، الحسيني، ثورة التنزيه، ص ٩٠، المفيد، الإرشاد، ص ٩٠.

(٢) الوثائق البريطانية، حنا بطاطو، العراق، ٣٦١ / ٢، حوارات كاشف الغطاء مع السفيرين الأمريكي والبريطاني في بغداد،

Brockelman, Brown, Donaldson, Sirdar, Lockert, Algar, Mehmet, Abisaab, Goldziher, Fitcher, Hiedelberg, Warner...

كربلاء صريعاً، دمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتمسح بدمه وجاء والدم يقطر منه. فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار وكل منهم يذكر الحب والعلف والماء، فقال لهم ذلك الطير المتلطف بالدم: يا ويلكم! أتشتغلون بالملاهي وذكر الدنيا والمناهي، والحسين على أرض كربلاء في هذا الحرّ ملقى على الرمضاء ظامئ مذبوح ودمه مسفوح؟!!

فعادت الطيور جميعها قاصدة كربلاء، فرأوا الحسين ملقى في الأرض، جثة بلا رأس ولا غسل ولا كفن؛ قد سفت عليه السواني وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها؛ زواره وحوش القفار وندبته جن السهول والأوعار؛ قد أضاء التراب من أنواره وأزهر الجو من أزهاره.

فلما رآته الطيور تصايجن وأعلن بالبكاء والنبور، وتواقعن على دمه يتمرغن فيه، وطار كل واحد منهم إلى ناحية يعلم أهلها عن قتل الحسين. فمن القضاء والقدر أن طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول، وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته ودار حول قبر سيدنا رسول الله يعلن بالنداء: (ألا قتل الحسين)، وهو ينحو نياحة. فلما نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح، وشاهدوا الدم يتقاطر من الطير لم يعلموا ما الخبر، حتى انقضت مدة من الزمان وجاء خبر مقتل الحسين علموا أن ذلك الطير كان يخبر رسول الله بقتل ابن فاطمة البتول وقرة عين الرسول) انتهى كلام المجلسي وفيه ما ترى. وقد نقل أنه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطير إلى المدينة كان في المدينة رجل يهودي وله بنت عمياء زمنا طرشاء، مشلولة والجذام قد أحاط ببدنها. فجاء ذلك الطائر، والدم يتقاطر منه ووقع على شجرة يبكي طول ليلته، وكان اليهودي قد أخرج ابنته، تلك المريضة، إلى خارج المدينة إلى بستان وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع فيه. فمن القضاء والقدر أن تلك الليلة عرض لليهودي عارض فدخل المدينة لقضاء حاجته، فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المعلولة، والبنت لما نظرت أباهما لم يأتها تلك الليلة لم يأتها نوم لوحدثها، لأن أباهما كان يحدثها ويسليها حتى تنام.



فسمعت عند السحر بكاء الطير وحنينه، فبقيت تتقلب على وجه الأرض، إلى أن صارت تحت الشجرة التي عليها الطير؛ فصارت كلما حنّ ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون. فبينما هي كذلك إذ وقع قطرة من الدم فوقعت على عينها ففتحت، ثم قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرأت، ثم قطرة على يديها فعوفيت، ثم على رجليها فبرأت وعادت كلما قطرت قطرة من الدم تلتطخ به جسدها؛ فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين.

فلما أصبحت أقبل أبوها إلى البستان، فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنها ابنته! فسألها أنه كان لي في البستان ابنة عليلة لم تقدر أن تتحرك، فقالت ابنته: والله أنا ابنتك! فلما سمع كلامها وقع مغشياً عليه. فلما أفاق قام على قدميه، فأثت به إلى ذلك الطير. فرآه واكراً على الشجرة، يئنّ من قلب حزين محترق مما رأى مما فعل بالحسين فقال له اليهودي: أقسمت عليك بالذي خلقت أيها الطير أن تكلمني بقدره الله تعالى. فنطق الطير مستعبراً ثم قال: إني كنت واكراً على بعض الأشجار مع جملة الطيور عند الظهيرة، وإذا بطير ساقط علينا وهو يقول: أيها الطيور! تأكلون وتتعمون والحسين عليه السلام في أرض كربلاء في هذا الحر على الرمضاء طريحاً ظامئاً والنحر دام، ورأسه مقطوع، على الرمح مرفوع ونساؤه سبايا، حفاة عرايا؟!!

فلما سمعن بذلك تطايرن إلى كربلاء، فرأيناه في ذلك الوادي طريحاً؛ الغسل من دمه والكفن الرمل السافي عليه! فوقعنا كلنا عليه ننوح ونتمرغ بدمه الشريف، وكان كل منا طار إلى ناحية فوقعت أنا في هذا المكان.

فلما سمع اليهودي ذلك تعجب وقال: (لو لم يكن الحسين ذا قدر رفيع عند الله ما كان دمه شفاء من كل داء). ثم أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمس مئة من قومه.

وهي أشبه بمسرحية لا يمكن قبولها. ونقلوا قصصاً غريبة عن الملائكة وعقوبة الله عليها بسبب الحسين مثل الملك فطرس والملك دردائي، فعن أبي عبد الله الصادق قال:



إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين فقبلها الملائكة، وأبى ملك يقال له فطرس، فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بعث الله جبرائيل في سبعين ألف ملك إلى النبي محمد، يهتونه بولادة الحسين، فمر بفطرس، فقال له فطرس: يا جبرائيل إلى أين تذهب؟؟؟ قال له جبرائيل: بعثني الله إلى محمد، أهنته بمولود ولد في هذه الليلة. فقال له فطرس: احملني معك، وسل محمداً يدعو لي فقال له جبرائيل: اركب جناحي. فركب جناحه. فأتى به إلى محمد فدخل عليه وهنأه. فقال له: يا رسول الله إن فطرس بيني وبينه أخوة، وسألني أن أسالك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه. فقال رسول الله لفطرس: أتفعل؟؟ قال: نعم. فعرض عليه رسول الله ولاية أمير المؤمنين فقبلها.

فقال له رسول الله: شأنك بالمهد. فتمسح به وتمرغ فيه، قال: فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي ورسول الله يدعو له. قال رسول الله: فنظرت إلى ريشه، وأنه ليطلع ويجري منه الدم ويطول حتى لحق بجناحه الآخر، وعرج مع جبرائيل إلى السماء، فصار إلى موضعه، وهو يقول: من مثلي وأنا عتيق الحسين. وإلي على نفسه أن يوصل سلام كل من يسلم على الحسين بن علي، إلى قبره. فما من أحد يسلم على الحسين إلا وسلامه يصل إلى قبر الحسين بواسطة الملك فطرس.

ونقل عن أبي جعفر الطوسي في (مصباح الأنوار) والمجلسي وغيرهما أن الله عز وجل لما غضب على هذا الملك خيره بين عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فاختر عذاب الدنيا، فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة، وكان معلقاً بأشعار عينيه سبع مئة سنة لا يمر به حيوان من تحته إلا احترق من دخان يخرج منه غير منقطع، فلما أحس بجبريل والملائكة النازلين من السماء كان ما كان من أمره بإذن الله تعالى، فعفي عنه ببركة الحسين. وقصة غريبة أخرى عن الملك دردايل.

حيث نسبوا إلى الرسول قوله: إن الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له: دردايل فسلب الله أجنحته، فلما ولد الحسين أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار: أن أخمد النيران عن أهلها لكرامة مولود ولد إلى محمد في دار الدنيا. وأوحى الله تعالى إلى

ملائكته أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمد في دار الدنيا. وأوحى الله تعالى إلى جبرائيل: أن اهبط إلى نبيي محمد في ألف قبيل من الملائكة أن يهتئوا محمداً بمولوده، وأخبره أني سميت الحسين فهنته وعزه وقل له: يا محمد يقتله شر أمتك، فويل للقاتل، وويل للسائق... وويل للقائد. قاتل الحسين أنا منه بريء وهو مني بريء... لأنه لا يأتي يوم القيامة أحد من المجرمين إلا وقاتل الحسين أعظم جرماً منه. قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أن مع الله إلهاً آخر... والنار أشوق إلى قاتل الحسين من الجنة إلى من أطاع الله. فهبط جبرائيل على النبي، فهناه كما أمره الله تعالى وعزاه. فقال له النبي: «أتقتله أمتي؟»، قال: نعم. فقال: «ما هؤلاء بأمتي، أنا بريء منهم»<sup>(١)</sup>. قال جبرائيل: وأنا بريء منهم. فدخل النبي على فاطمة فهناها وعزاه، فبكت فاطمة، ثم قالت: يا ليتني لم ألد، فقاتل الحسين في النار. فقال النبي: وأنا أشهد بذلك يا فاطمة. ولكنّه لا يقتل حتى يكون إماماً، ويكون من بعده الأئمة الهادية، وهم: الهادي علي، والمهدي الحسن، والعدل الحسين، والناصر علي بن الحسين، والسفاح محمد بن علي، والنفاع جعفر بن محمد، والأمين موسى بن جعفر، والمؤمن علي بن موسى، والإمام محمد بن علي، والفعال علي ابن محمد، والعلام الحسن بن علي، ومن يصلي خلفه عيسى ابن مريم: المهدي فسكنت فاطمة من البكاء، ثم أخبر جبرائيل النبي بقصة الملك دردايل، وما أصيب به.

وروا في أحاديثهم ومروياتهم أخذ النبي الحسين، فأشار به إلى السماء، ثم قال: اللهم بحق هذا المولود عليك، لا بل بحقك عليه، فأرض عن دردايل، وردّ عليه أجنحته ومقامه، فرد الله تعالى أجنحة الملك دردايل ومقامه وعشرات القصص أمثالها<sup>(٢)</sup>.

والعجيب في قضية الثأر ودوامه على مر العصور، بل وآثاره في الأولاد والأحفاد، كما قال صاحب كامل الزيارات عن الأئمة: لقد قتل قتلة الحسين، ولم

(١) لم أجده في شيء من كتب السنة.

(٢) المجلسي، البحار، ٤٥ / ١٩١ الطوسي، مصباح الأنوار، ص ٩٧ بصائر الدرجات، ص ١١٩.

يطلب بدمه بعد، ولم يرض الله تعالى بعد، وقد ابتلي من قتله بالجذام أو الجنون أو البرص، وسار في ذرايعهم إلى يوم القيامة وما ذنب الذراري كذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى برغم أن الآباء لم يرتكبوا ذلك، ومما نقلوه أن تراب قبر الحسين شفاء من كل داء كما ذكرت أعلاه. ولقد ذكر صاحب البحار ما يصل إلى ثلاث وثمانين رواية عن تربة الحسين وفضلها وآدابها وأحكامها، فتكون التربة هي الشفاء من كل داء، والأمن من كل خوف، يشرب منه المريض فيبرأ، كأن لم يكن به أي مرض أو داء، وتوضع مع الميت في قبره لتقيه من العذاب، أو تحيي الميت فيحيى، وأنها تسبح بيد المرء من غير أن يسبح برغم أن الكليني وغيره ينقلون عن النبي وصاياه بتسوية القبور مع الأرض، روى الكليني عن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين: (بعثني رسول الله إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها، ولا قبراً إلا سويته)<sup>(١)</sup>، وغيره كثير نقل ما مضمونه. وهكذا تبطل قدسية القبور والتوسل والتشفع والصلاة عندها، كما بحث مفصلاً في كتاب خاص، ويقع التهافت في تطور الأفكار وتغير العقيدة وإدخال ما ليس فيها إليه<sup>(٢)</sup>.

ولقد أنشئت الحسينيات بداية من الهند ثم إيران ثم انتشرت في جميع البقاع برغم أن الإسلام والقرآن يؤكد بوضوح وصراحة على المساجد وكونها عبادة خالصة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. ومما يؤسف له أن هذه البدع من الحسينيات وخطبائها صارت مناهضة لثقافة البغضاء والأحقاد والشارات والخرافات، ولها دور كبير في تخدير العقل الجمعي واستغلال العواطف والتجارة بالدين وأخذ الأخماس وغيرها، لقد استغلت كربلاء بعنوان المظلومية أسوأ الاستغلال خصوصاً من بعض الخطباء لتحويلها من مبادئ وقيم ضد الظلم والفساد إلى الخرافة والطقوس والجهل والتخدير والاستغلال والتفرقة

(١) فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٦ رقم ٩٦٩).

(٢) الكليني، الكافي، ٦/ ٥٢٨ الخوئي، كتاب الطهارة، ٩/ ٢١١.

بين المسلمين وإشاعة ثقافة التكفير والسباب واللعن للسنة والخلفاء الراشدين  
الثلاث وبعض زوجات النبي خصوصاً عائشة أم المؤمنين.

ولابد من دور للواعين والمصلحين من العلماء والمثقفين لمواجهة الانحراف  
والبدعة والأكاذيب والخرافات، وتنقيح الكتب من الغث إلى السمين والأحاديث  
من الموضوعية إلى الصحيحة وتحويل المنبر من العاطفية والسذاجة والخرافة إلى  
الرسالية والوعي والعقل والحكمة.







## التقية في التشيع الفارسي

يعتقد بعض الفقهاء أصل مشروعية التقية مأخوذ من كتاب الله وسنة نبيه بالاعتماد على قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] <sup>(١)</sup>.

برغم أن الآية تتحدث عن الطرف المقابل من الكافرين، ولا تتحدث بين المسلمين، كما هو مورد البحث علماً أن للآية ظروفها الخاصة جداً، وما يسمى بأسباب النزول.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُّهُ، مُطْمَئِنُّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] <sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية تتحدث عن حالة الإكراه الشديد من مشركي قريش أيضاً وليس المسلمين، وقصتها وسبب نزولها تحدثت عن عمار بن ياسر ووصول الإكراه إلى درجة قتله وقتل أبيه وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام، فجاءه النبي معزياً: «فإن

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، رسالة الولاية، ص ٢٢ المقرم، التقية، القمي الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٨/١، الصدوق، صفات الشيعة، ٣/٣، المظفر، عقائد الإمامية، ص ١٢٣ أصول الكافي، ١٧٤/٢ جامع أحاديث الشيعة، ٣٧١/١٨ باب وجوب التقية، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٢٨/٢٣ السبحاني، التقية، العسكري، المظفر، التقية، الطباطبائي، التقية، السبزواري، التقية، الغريفي، التشيع.  
(٢) المصادر السابقة.

عادوا فعد»، لتعطي رخصة عند التعامل مع الإكراه الشديد، لأن الدين ينفي الإكراه والاضطرار والخرج، وفي الحديث عن النبي قال: «إن الله وضع»، وفي لفظ: «تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»<sup>(١)</sup>.

واضح في الآيتين الخوف في حالات خاصة جدًا في بعض البلدان والأوقات من شرهم، ويقصد الكافرين فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته. فالتقية رخصة يلجأ إليها المسلم إذا وقع تحت ظروف مريرة جدًا، قد تصل إلى حد القتل تضطره إلى إظهار خلاف ما يظن. ولكن يعتقد فقهاء الشيعة الفرس خلافًا لما مر من أن التقية واجبة واسعة جدًا، لا تقتصر على تلك الحالات، وهي ركن أساس في الدين والعقيدة، ولا يجوز تركها إلى يوم القيامة، وأن تركها بمنزلة من ترك الصلاة، بل إنها تسعة أعشار الدين، ومن ضروريات مذهب التشيع، ولا يتم الإيمان إلا بها، وليست رخصة في حال الضرورة كما مر، بل هي ضرورة في ذاتها، وإنما تكون من مخالفهم في المذهب كما سمّوهم، ولا يمكن أن تبقى التقية والدماء تسيل، فقد قال الباقر: (إنما حلت التقية ليحققن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية). وقد نقلت روايات ضعيفة عن الصادق والباقر وبعض الأئمة لتأسيس هذه العقيدة بشكل كبير جدًا عن الصادق أنه قال: (لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا)<sup>(٢)</sup>.

وعن الباقر أنه قال: (التقية ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٦٥٩ رقم ٢٠٤٥)، والدارقطني في السنن (٤/١٧٠ رقم ٣٣)، وصححه ابن حبان في صحيحه (١٦/٢٠٢ رقم ٧٢١٩)، والحاكم (٢/١٩٩ رقم ٢٨٠١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/١٢٣ رقم ٨٢).

(٢) المجلسي، البحار، ١٨١/٥٠، الحلي، السرائر، ص ٤٧٦، الأربلي، كشف الغمة، ٢٥٢/٣، الحسن الخرائي، تحف العقول، ص ٤٨٣، الصدوق، الفقيه، ٢٥٢/٣، العاملي، الوسائل، ١٣١/١٠، الطبرسي، المستدرک، ١٥٤/١٢.

(٣) البحار، ١٥٨/١٣، الكافي، ٢/٢١٩، العياشي، ١/١٦٦، الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص ٤٢، دعائم الإسلام، ١/١١٠، وسائل الشيعة، ١٦/٢٠٤، مستدرک الوسائل، ١٢/٢٥٥، جامع الأخبار، ص ٩٥، المظفر، عقائد الإمامية، ص ١٢٣.

وعن الصادق أنه قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له)<sup>(١)</sup>.

وقول الصادق: (أبى الله لنا ولكم في دينه إلا التقية)<sup>(٢)</sup>.

وروا عن الرضا أنه قال: (لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية)<sup>(٣)</sup>.

لذلك فهي ليست ضرورة كما جاء في الآيات القرآنية وأحاديث النبي في أول المقال أعلاه، بل واجبة ضرورية بل ليس له إيمان من لا تقية له بل أوصل بعضهم تاركها إلى الكفر. واعتبر استعمال التقية دليلاً على كمال الإيمان وخصال الخير وغيره في روايات منسوبة، فعن زين العابدين أنه سئل: من أكمل الناس في خصال الخير؟ قال: أعلمهم بالتقية<sup>(٤)</sup>.

وعن الباقر أنه قال: (أشرف أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا التقية)<sup>(٥)</sup>.

ثقافة التأسيس لتكفير السنة وتسميتهم بالنصاب ودخولهم النار مخلصين فيها أبداً، فعن الصادق أنه قال: (يؤتى بالواحد من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن صان الولاية والتقية وحقوق إخوانه، ويوقف بإزائه ما بين مئة وأكثر من ذلك إلى مئة ألف من النصاب، أي أهل السنة، فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار)<sup>(٦)</sup>.

ثم جاءت أحاديث روايات تجعل الإيمان مشروطاً بالتقية، مثل عن الصادق أنه قال: (ليس منا من لم يلزم التقية)<sup>(٧)</sup>.

(١) الكافي، ١/٢١٧ الصدوق، الخصال، ١/١٤ البحار، ٦٦/٤٨٦ البرقي، المحاسن، ص ٢٥٩ الوسائل، ١٦/٢٠٤.

(٢) الكافي، ٢/٢١٨ البحار، ٧٥/٤٢٨.

(٣) البحار، ٧٥/٣٩٥ كمال الدين، ص ٣٤٦، تفسير نور الثقلين، ٤/٤٧ منتخب الأثر، ص ٢٢٠.

(٤) البحار، ٧٥/٤١٧، التفسير المنسوب للحسن العسكري، ص ١٢٧.

(٥) البحار، ٧٥/٤١٧، تفسير العسكري، ص ١٢٧.

(٦) البحار، ٨/٤٤، تفسير العسكري، ص ٢٤٢، تفسير البرهان، ٢/٣٢٥.

(٧) البحار، ٧٥/٣٩٥، الوسائل، ١١/٤٦٦، الطوسي، الآمال، ص ٢٨٧.



وعن الرضا أنه قال: (من ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا)<sup>(١)</sup>.

والعجيب في هذه المنسوبات أنها لا تشترط الضرورة والإكراه والخوف الشديد، بل تتعارض كلياً مع القرآن الكريم ومنهجه الواضح تحت الشمس، إنها تؤسس ثقافة غريبة جداً صارت أساساً للتكفير والبغضاء والتكتم والسرية والتعتيم. ولعل من أهم أسباب التقية هي الغلاة الذين أحاطوا بالأئمة، ونسبوا لهم الكثير من الغلو فيهم والتكفير لغيرهم، وقد رووا عدداً هائلاً من الأحاديث الكاذبة وكانت الدول الحاكمة لا سيما الدولة البويهية ثم الصفوية تجد فيها تبريراً لظلمها وتعسفها فضلاً عن وعاظ السلاطين الذين بخدمة الحكام ومعارضتهم لأي مبدأ حكيم، خصوصاً في روايات الرسول الصحيحة ورفضها وتأويلها بأنها قيلت تقية، وهكذا استطاعوا بالحيلة الجمع بين الأحاديث الكثيرة المتعارضة والمتضاربة بأن ما لا يناسبهم وسطوهم بالقول أن ذلك تقية.

عن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبدالله (الصادق) فسأله رجل عن آية من كتاب الله فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول، قال: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين، فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي فعلمت أن ذلك منه تقية<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن رباح أنه سأل أبا جعفر عن مسألة فأجابه فيها بجواب ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبي جعفر: هذا خلاف ما أجبته في هذه المسألة العام الماضي. فقال له: إن

(١) البحار، ٤١١/٧٥، نور الثقلين، ٤٧/٤، كمال الدين، ص ٣٤٦، إثبات الهداة، ٤٧٧/٣، جامع الأخبار، ص ٩٥، منتخب الأثر، ص ٢٢٠، الوسائل، ٢١٢/١٦، كشف الغمة، ص ٤٣، كفاية الأثر، ص ٢٧٤.

(٢) الكافي، ٢٦٥/١، البحار، ٢٤١/٢، الحقائق الناضرة، ١١/٧، الاختصاص، ص ٣٣٠.

جوابنا ربما خرج على وجه التقية، فشك في أمره وإمامته فلقي رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له محمد بن قيس فقال له: إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني بخلاف جوابه الأول، قلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: فعلته للتقية، وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يُفتني به وقبوله والعمل به، فلا وجه لاتقائه إياي، وهذه حالي. فقال محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه، فقال: ما حضر مجلسه في المسألتين غيري، لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت، ولن يحفظ ما أجاب به العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته، وقال: لا يكون إمام من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال، ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله، ولا من يرخي ستره ويغلق بابه، ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمال بسببه إلى قول البترية ومال معه نفر يسير<sup>(١)</sup>.

يقول صاحب الحقائق: (إن الكثير من أخبار الشيعة وردت على جهة التقية التي هي على خلاف الحكم الشرعي واقعاً)<sup>(٢)</sup>.

وهو يناقض بوضوح قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وكذلك آيات أخرى مما يجعلنا نقدم القرآن على الحديث، وليس العكس، كما فعل الفقهاء الفرس والصفويون، لذلك ينقل لنا الفقيه النوبختي في القرن الثالث الهجري ذلك التعارض في الروايات وآثاره للخروج من المذهب إلى فرقة أخرى، وهو من أقدم النصوص في أسباب التقية فيقول في كتابه فرق الشيعة في معرض كلامه عن الاختلاف بين الشيعة بعد وفاة الباقر: (إن بعضهم مال إلى قول سليمان ابن جرير، وهو الذي قال لأصحابه: إن أئمة الرافضة وضعوا الشيعتهم مقاتلين، لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التقية،

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٦، البحار، ٣٧/ ٣٣، رجال الكشي، ص ١٥٤.

(٢) يوسف آل عصفور البحراني، الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ١/ ٨٩.

أما التقية فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين، فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقدم العهد وتفاوت الأوقات، لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة وأشهر متباعدة وأوقات متفرقة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم، وسألوهم عنه وأنكروه عليهم، فقالوا: من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شئنا، لأن ذلك إلينا ونحن نعلم بما يصلحكم، وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ومتى يعرف لهم حق من باطل، فمال إلى سليمان بن جرير لهذا القول جماعة من أصحاب أبي جعفر وتركوا القول بإمامة جعفر<sup>(١)</sup>.

ولأهمية التقية عند الفرس من المتقدمين والمتأخرين لأنهم أدخلوا من خلالها الكثير من عقائدهم بعد تظاهرهم الدخول في الدين عنوة بعد فتح قلاع فارس والمدائن وأصبحوا مجبورين للخضوع للإسلام ظاهراً، لذا يمكن ملاحظة بعض النصوص المهمة.

يقول الصدوق القمي: (التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الإمامية وفارقه، والتقية واجبة لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم)<sup>(٢)</sup>. ويقول المجلسي: (والتقية واجبة لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها فقد دخل في نهى الله ونهى رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤٦ وبقبة كتب الفرق خصوصاً سعد القمي.

(٢) القمي، الهداية، ص ٤٧.

(٣) البحار، ٧٥ / ٤٢١.



ويقول الخميني: وترك التقية من الموبقات التي تلقي صاحبها قعر جهنم وهي توازي جحد النبوة والكفر بالله العظيم<sup>(١)</sup>.

ومبدأ الكتمان في العقيدة حتى نسبوا إلى أبي عبد الله الصادق قوله لسليمان: (يا سليمان إنكم على دين من كتبه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله). وعن أبي جعفر قال: (دخلنا عليه جماعة، فقلنا: يا ابن رسول الله إنا نريد العراق فأوصنا، فقال أبو جعفر: لا تبشوا سرنا ولا تذيعوا أمرنا). وعن أبي جعفر: (أحب أصحابي إليّ أكتهم لحديثنا). وعن أبي عبد الله: (من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان). وعن أبي عبد الله: (ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ ولكن قتلنا قتل عمد). وعن أبي عبد الله قوله للمعلّى: (يا معلّى اكنم أمرنا ولا تدعه، فإنه من كنم أمرنا ولم يدعه أعزه الله، من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعل ظلمة تقوده إلى النار، إن التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له، إن المذيع لأمرنا كالجاحد له). قال أبو جعفر: (ولاية الله أسرها إلى جبرائيل وأسرها جبرائيل إلى محمد وأسرها محمد إلى علي وأسرها علي إلى من شاء الله، ثم أنتم تذيعون ذلك). فتحول الدين إلى عقيدة سياسية باطنية غائبة مخفية في التقية حتى تضاربت الروايات والأخبار وخفيت الأمور على أساطينهم كما صرحوا مراراً فكيف بعامة الناس<sup>(٢)</sup>.

إن هذه العقيدة تتنافى كلياً مع سيرة الأئمة وحياتهم، بل من خلال التأكيد القرآني على مفاهيم كثيرة: كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفض الظلم. كما قال الحسين: (أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر). وقول الباقر: (ما آمن بالله من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ونقل لنا عن الرسول كراهيته للمؤمن الضعيف الذي لا ينهي عن منكر يراه، وأحاديث كثيرة منها: «والساكت

(١) الخميني، المكاسب المحرمة، ١٦٢/٢.

(٢) الكافي، ١٧٦/٢ كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان وباب الإعلان تاريخ الطبري، ٣٣٠/٤، الطبرسي، إعلام الوري، ٤٥٩/١، البحار، ٢٦/٢١، الصدوق، الآمال، ص ٣٠، المقرم، مقتل الحسين، ص ٨٠، الأمين، أعيان الشيعة، ٦٠٢/١، والمصادر السابقة.



عن الحق شيطان أخرس»<sup>(١)</sup>. و«أفضل الجهاد كلمة حق في وجه إمام جائر»<sup>(٢)</sup>. ورفض المداينة على حساب الحق والمظلومين. فضلاً عن الأحاديث الصحيحة فلم يكونوا جناء يخافون، بل تقدموا في الحروب، وكانت أرواحهم بين أيديهم، واشتهر الإمام علي في الحروب بدر وأحد وخير والخنديق، كما استشهد بعضهم كابنه الحسين، كما سجن بعضهم لسنين طويلة حتى استشهد كحفيدهم موسى الكاظم، وكانوا كالشمس في رابعة النهار وضوحاً وقوة وشجاعة. ولو أراد الحسين أن يستعمل التقية فإنه لن يموت بكر بلاء بتلك الطريقة، ولحافظ على نفسه وأهل بيته، وكيف يدعو السجاد الذي عاصر كربلاء بهذه الصحيفة الرائعة.

وكذلك وقف أصحاب علي أمام معاوية واصفين علي ومعاوية تنهمل دموعه من عينيه مؤكداً على قيمته وسيرته، مثل ضرار وقصة الوافدين على معاوية حتى من النساء كسويدة الهمدانية من البصرة التي عزلت إثنين من الولاة: أحدهما في زمن علي والآخر في زمن معاوية، ولم تستعمل التقية إطلاقاً ولم يعلمها أحد على ذلك أبداً وكذلك الإمام السجاد يحج ويزاحم الأمير هشام بن عبد الملك لدرجة انبهار الناس والفرزدق بقصيدته:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه	لقبل الركن منه موضع القدم
يغضي حياء ويغضي من مهابته	فلا يكلم إلا حين يتسم

وبات الفرزدق في السجن دون استعمال للتقية أو إشارة من السجاد له، ثم جاء دور الباقر والصادق ودروسهم المفتوحة لآلاف مؤلفة من الطلاب في المدينة

(١) هذا القول ينسب إلى أبي علي الدقاق، ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢/٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣١/١٢٥، ١٢٤، رقم ١٨٨٢٨)، وأبو داود (٤/٢١٧ رقم ٤٣٤٦)، والترمذي (٤/٤٧١ رقم ٢١٧٤)، وابن ماجه (٢/١٣٢٩ رقم ٤٠١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٩٠ رقم ٤٩١).

المنورة وجامع النبي الكريم بلا خوف ولا وجل فأين التقية وقد بعث الخليفة جعفر المنصور إلى جعفر الصادق قائلاً: (هلا تغشانا كما يغشانا غيرك من العلماء؟) فقال الصادق: (ليس عندك من الآخرة ما نرجوه، وليس عندنا من الدنيا ما نرجوه). فقال المنصور: (تصحبنا لتنصحننا). فقال الصادق: (من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك). فلماذا لم يستعمل الصادق التقية مع الحاكم عن الصادق قال للمنصور وقد وقع عليه ذباب فذبه عنه ثم وقع عليه فذبه عنه ثم وقع عليه فذبه عنه، فقال المنصور: (يا أبا عبد الله لأي شيء خلق الله الذباب؟) فأجابه الصادق: (ليذل به الجبارين). ولم يستعمل التقية كما رووا

أما موسى الكاظم فقد كانت بينه وبين ابن عمه هارون الرشيد مسائل شديدة جعلته في السجن لسنوات عديدة<sup>(١)</sup>.

كانت ولا زالت التقية سبباً أساسياً في الانحراف عن الدين الواضح الصريح. جاء في القرآن الكريم وصفه: ﴿لِسَانَ عَرَبٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]. لكنهم جعلوا التقية في العقيدة والفقه غموضاً وتناقضاً، حتى إن الشيعي لا يعرف دينه وإذا استدل بشيء فسرعان ما يقال له إنها تقية، والتقية هي الدين وأمثاله. برغم عدم انسجامه مع سيرة الأئمة أنفسهم بل ذكرت مواقف أصحاب الأئمة القريبين، والتي تعارض مبدأ التقية لو كانوا يعلمون بها، مثلاً رشيد الهجري روى القوم أن زياد بن أبيه دعاه إلى البراءة من علي فأبي فقال: قدموه واقطعوا يده ورجله واركوا لسانه، فقطعوه ثم حملوه إلى منزله فأخذ يملئ على أصحابه فضائل علي، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات من ليلته. ولو عرف التقية ومارسها كما ادعى لنجى بنفسه وعرف ممارستها وهو من المقربين للإمام جداً وليس بعيداً حتى لا يعرفها<sup>(٢)</sup>.

(١) محسن الأمين في كتابه: سيرة الأئمة وأعيان الشيعة، هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة، القمي، منتهى الآمال، الطبرسي، إعلام الوري، البحار، مجلدات سيرة الأئمة.

(٢) الطوسي، الأمالي، ص ١٠٣، رجال الكشي، ص ٧١، البحار، ٤٢ / ١٢٢.

وكذلك قنبر حيث ذكر أن الحجاج بن يوسف قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب، فأتقرب إلى الله بدمه؟ فقليل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه فأتي به، فقال له: ابرأ من دينه، قال: فإذا أنا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك؟ قال: قد صيرت ذلك إليك، فأمر به فذبح. وقصة ابن السكيت وحواره مع المتوكل وما أدى إليه دون استعمال للتقية أبداً<sup>(١)</sup>.

وأيضاً ميشم التمار الذي روى أنه أخذ وصلب على يد عبيدالله بن زياد، وكان وهو بهذا الحال يتحدث بفضائل بني هاشم، حتى أمر بن زياد بلجمه، ثم أمر بطعنه في اليوم الثالث فمات<sup>(٢)</sup>.

وقد ادعى أكثرهم بأن الأئمة كلهم مارسوا التقية، وهي مستمرة حتى ظهور المهدي المنتظر، بينما يرى الكثيرون أن التقية كانت حتى زمن الإمام زين العابدين، ثم زالت التقية أيام ابنه محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، فأظهر العلم، وحثا أصحابهما على كتابته ونشره<sup>(٣)</sup>.

وجاء في روايات: أن خاتم زين العابدين فيه أن اطرق والزم منزلك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. ففعل، ثم دفعه إلى الباقر ففك خاتماً، فوجد فيه أن حدث الناس وافتهم، ولا تخافن إلا الله، فإنه لا سبيل لأحد عليك. ففعل، ثم دفعه إلى ابنه الصادق ففك خاتماً فوجد فيه حدث الناس وافتهم، وانشر علوم أهل بيتك، وصدق آبائك الصالحين، ولا تخافن إلا الله، وأنت في حرز وأمان. ففعل<sup>(٤)</sup>.

(١) المفيد، الإرشاد، ص ١٥٥/ البحار، ١٢٦/٤٢.

(٢) البحار، ٣٣٨/٢٧، الطبرسي، أعلام الوري، ص ٣٨٦.

(٣) الكافي، ٢٧٩/١، النعماني، الغيبة، ص ٢٤/ البحار، ١٩٣/٢١، الطوسي، الأمالي، ص ٤٥٥ منتخب الأثر، ص ١٦٦ الصدوق، الأمالي، ص ٣٢٨ الإمامة والتبصرة، ص ١٦٧، كمال الدين، ص ٦٠٧ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢٩٩/١.

(٤) المفيد، الإرشاد، ص ١٥٣، البحار، ١٢٤/٤٢.



ولكثرة الرواة المدعون، فقد ادعى أنه روى عن الصادق أربعة آلاف، كما روى (أن الحافظ ابن عقد الزيدي قد جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقة، الذين رووا عن جعفر بن محمد وذكر مصنفاتهم). فأين التقية لمن له هذا العدد الكبير من التلاميذ علناً، ونقل ابن شهر آشوب: (أن جعفر الصادق حدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبدالله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طحان وآخرون، فقد أخرج عنه مالك والشافعي وحسن بن صالح وأبو أيوب السجستاني وعمرو بن دينار وأحمد بن حنبل، وأخرج عنه مسلم في صحيحه)<sup>(١)</sup>.

لكن الصادق أخرج أكثر المدعين لشييعته خصوصاً الغلاة عن دائرة التوثيق، كما يروي القوم عن المفضل بن قيس عن أبي عبدالله قال: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: خمسون ألفاً، قال: (والله لو ددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق). وقال أيضاً: (لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن يتحلل مودتنا). (وما أنزل الله آية من المنافقين إلا وهي فيمن يتحلل التشيع). (لو قام القائم بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم). وعن الصادق أيضاً قال: (أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتهم حديثاً).

وعن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك ما أقلنا؟ لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها، قال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ثلاثة.

(١) كشف الغمة، ٥١٢/٢، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢٤٨/٤، إعلام الوري، ص ٤١٠، الذريعة، ١٢٩/٢/الأمين، الأعيان، ٣/٣٤.



وجاء عن المغيرة أنه قال: وضعت في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث، وظل هو أتباعه زمناً طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم إلى مجلس الأئمة، ولم ينكشف حالهم إلا بعد أن امتلأت أصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم. عن الصادق قال: كان المغيرة بن سعيد يعتمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي، فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة. فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم<sup>(١)</sup>.

كانت التقية لأسباب منها عدم كشف العقائد السخيفة في الغلو والتكفير، واستعمالها للمراوغة في رفض أي أمر على أساس التقية، وما سيأتي لاحقاً في ضرورة تنقيح الأحاديث وتهذيبها بعد أن شكلت عقائد مرفوضة ومنافية للقرآن الكريم والعقل السليم والقلب الحكيم.

علماً أن الشيعة قد كونوا دولاً كثيرة في العالم من الدولة البويهية والدولة الصفوية والدولة العبيدية الفاطمية وغيرها، كما ذكرت في طيات هذا الكتاب وغيره، فهل لا زالوا يخافون ويعيشون التقية، أم أنها شنشنة أعرفها من أخزم، كما يقول المثل العربي.

التقية تستعمل مع المذاهب السنية، ومع الشيعة أنفسهم تستعمل التورية، وكلاهما وجهان لمعنى واحد في تحرف العقيدة، وغموض الفكر، وتشويه الفقه، وتدمير الشريعة... وغير ذلك حتى بات عامة الناس لا يعرف الصدق من الكذب في الدين من العقيدة والفقه والقيم والسلوك، وتحولت العقيدة إلى غموض وألغاز من العقائد الباطنية الصعبة المتناقضة. ولنعم ما قال ابن حنبل: (إذا تكلم العالم تقية،

(١) البحار، ١٥٩/٦٧ صفات الشيعة، ص ١٧٠، الكافي، ٢/٢٤٢ الحسني، الموضوعات، ص ١٤٨ الكافي، الروضة، الإبان والكفر، البحث السابق غلاة حول الأئمة، وكتابي دراسات في الحديث والمحدثين.

والجاهل يجهل، فمتى يعرف الناس الحق). بينما العقيدة واضحة صريحة من التوحيد (لا إله إلا الله) و(محمد رسول الله)، بوضوح وصراحة القرآن، وكما تحدث الإمام علي نفسه عن أركان الإسلام بصراحة ووضوح في وصيته قبل شهادته، كما هي في نهج البلاغة وغيره، بل وصية النبي عندما بعث مصعب بن عمير إلى المدينة، وكذلك عندما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب عن عقائد المسلمين، وأجاب بوضوح وصراحة متطابقة مع القرآن، دون انحراف وتأويل وباطن، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].





## لقاء المهدي المنتظر في ادعاءات التشيع الفارسي

اعتمد الفقهاء الشيعة الإمامية خصوصاً الفرس منهم على قصة المهدي المنتظر، وهو الإمام الثاني عشر للإمامية الإثني عشرية، في شرعية الفقهاء ونفوذهم وسيطرتهم، من خلال ادعائهم نواباً عن الإمام المنتظر، الذي بدوره خليفة الرسول. على الرغم من عدم ذكرهم بأسمائهم، بل بناء على نظرية الإمامة وتأويل البعض العجيب والغريب من المغالطات، حتى إن الكثير من الباحثين قد تركوا التشيع عندما درسوا تهافت قصة المهدي ونوابه وغيبته. وقد نصح فقهاء الشيعة طلاب العلوم الدينية، بعدم بحث هذا الموضوع، لأنهم لا يمتلكون إجابات مقنعة فيه، وفيه شبهات كبيرة، لا يقدرّون على جوابها، وفيها العجب العجيب، كما يظهر في كتابي الخاص بذلك. ولم تظهر قصة المهدي قبل القرن الثاني الهجري، ويبدو للقصة آثار فارسية واضحة، حيث الروايات تبدأ من سلمان الفارسي والهالة القدسية من مروياته، ثم رويوا أن من علامات ظهوره إيران، حيث يخرج رجل من بلاد فارس، ويدعو إلى المهدي، حيث يتبعه قوم من أهل فارس (رجال سلمان الفارسي)، ويسلم الراية للمهدي، حيث يعزب العلم عن الكوفة إلى بلدة، يقال لها قم، تكون حجة على العالمين، وأول وظائفه الانتقام من العرب، فيقتل تسعة أعشارهم... في نظرة تقديسية للفرس وانتقامية من العرب، كأنه ردة على معركة القادسية وانتصار العرب عليهم وإدخالهم الإسلام. يروي روايات (سلمان وقومه) رواة فرس وضّاعون، كما ثبت في محله، وتجده في بحثي الخاص المهدي الموعود المنتظر.

وبمراجعة بسيطة للفرق الشيعية والروايات القديمة يجد التهافت الكبير، فقد نقل فقهاء الشيعة كالنوبختي والمفيد وسعد القمي وغيرهم والصدوق القمي



وغيرهم: (أن الإمام العسكري توفي دون أن يخلّف ولدًا ظاهرًا، لذلك أوصى بأمواله إلى أمه)، وقد اختفى في السرداب.

ذكرت سابقًا أن قصة ولادة المهدي هي قصة غريبة جدًا، حتى شكك فيها أكثر الشيعة وفقهاؤهم وعلماؤهم آنذاك، فإن أباه الحسن العسكري لم يظهر له ولد، ومن ادعى ذلك بعد وفاته هم شخصان مريبان، ادعيا ذلك في قصة غريبة، ثم إنه غاب في سرداب سامراء، وهو طفل عمره خمس سنوات خوفًا من المعتمد العباسي، لكن أكثر الشيعة لم يؤمنوا بها أصلاً، ومنها قسمت الشيعة إلى أربع عشرة فرقة، واحدة منها فقط وهي الأقلية آمنت بوجود ذلك الطفل وغيبته، خوفًا من المعتمد العباسي. ثم نظر المتأخرون لذلك برغم تهافتها وتناقضاتها الكثيرة، كما يظهر من الفقهاء الأوائل. السؤال المهم إذا كان المهدي خائفاً من المعتمد فقد مات وقضى وجاءت حكومات شيعية كثيرة باسمه وحبه والولاء له منها البويهية (٣٣٤، ٤٤٧) هجرية، والسربدارية (٧٣٨، ٧٨٢) والمشعشعية (٧٨٣، ١١١٧) والدولة الصفوية (٩٠٧، ١١٤٨) والقاجارية (١١٩٣، ١٣٢٧) هجرية... وغيرها حتى إيران الحالية قامت باسمه زوراً وجسدتها كذباً وتحريفاً... فلماذا ظل خائفاً مختبئاً يسمح للفقهاء باسمه يسرقون الأخماس ويتتهكون الدين والقيم والعقيدة؟ وهل يستحق الخائف الموالاة وقد قدم الكثير أرواحهم من أجل مبادئهم وعقيدتهم؟ وغيرها من الأسئلة التي ذكرتها في كتابي الخاص حول (المهدي الموعود المنتظر)، وما ينبغي التأمل فيه. اعتمدوا على قصص ومنامات لتثبيت قصته، فقد ذكر الفقيه الصفوي المجلسي عن شفاء الأعمى في المسجد عن طريق المهدي، وكذلك مريض كسيح حيث تحوّل إلى رجل سليم صحيح مشافى شفاء تاماً، وقصص أخرى لتثبيت قصته<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: كتابي (المهدي الموعود المنتظر)، كذلك البحث السابق في (فرق الشيعة والفرقة الناجية)، وكذلك كتاب فرق الشيعة للنوبختي والمقالات لسعد القمي، وهما في القرن الثالث الهجري أي قريين من الغيبة الصغرى. في قصص رؤية المهدي وعلاجه المرضى كتب كثيرة منها البحار، المجلسي، ١٢٤/١٣ وما بعدها، الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، إثبات الهداة، ٦ سفينة البحار، ١/٦٤٧.

وكان للفرس دور كبير في القصة، حتى نقل جميع أصحاب الكتب الحديثة الأربعة: الكليني والصدوق القمي والطوسي، فضلاً عن فقهاء الدولة الصفوية وغيرهم، لإثبات قصة المهدي ووجوده عن فارسي هو الذي رآه، في رواية نقلوها جميعهم عن رجل من أهل فارس ذهب إلى سر من رأى (سامراء)، ولزم باب الحسن العسكري يعمل مع الخدم، حتى رأى يوماً غلاماً أبيض، فقال له الحسن العسكري: (هذا صاحبكم). وبهذه القصة الغريبة العجيبة لإثبات المهدي وأمثالها من الغرائب. ولا نعلم من هو الفارسي المقدام الذي انفرد بذلك في رواية ضعيفة سنداً، وكذلك دلالة لكل عاقل وعارف<sup>(١)</sup>.

ومن الغلاة في عصر المهدي المنتظر وأوائل غيبته، وما أطلق عليه لاحقاً بالغيبة الصغرى، هو محمد بن علي الشلمغاني، وكان وكيلاً للحسين بن روح النوبختي، وهذا فارسي من نوبخت، وهو الوكيل المعروف للمهدي، وقد كان له دور بتقريب الفرس، وتميز دوره وبنو نوبخت مع نفوذهم وسيطرتهم، واتهم بجمعه الأموال الكثيرة لمصالحه الشخصية ومآربه في تحريف العقيدة. كان الشلمغاني معتمداً مطلقاً لابن روح يعتمد عليه، قال الطوسي: (أثنى عليه ابن روح ومنحه ثقة كاملة، وسير الطائفة الشيعية بصورة مرضية، ومن ثم كانت للشلمغاني مكانة كبيرة في نفوس الشيعة، وكان يكتب الكتب والرسائل باسم المهدي، وكانت براهينه قوية، وانتشرت كتبه في كل بيوتات الشيعة، وحرص الشيعة على استعمالها في أغلب الأحيان). وقد كان منظرًا للمهدوية وعقائدها، ثم ادعى انحرافه، حيث قال الشلمغاني: (إن روح رسول الله انتقلت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وروح أمير المؤمنين انتقلت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وروح فاطمة الزهراء انتقلت إلى أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري) إلى غير ذلك مما نسب إليه من المقالات المختلفة. ويدعي الرواة أنه قد خرج توقيع من الإمام المهدي سنة ٣١٢ مزعوماً عن طريق الفارسي السفير الثالث الحسين بن روح يقول فيه: (إن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني

(١) الكافي، ١/ ٣٢٩ الصدوق، إكمال الدين، ص ٤٣٥ الطوسي، الغيبة، ص ١٤٠.

قد ارتد عن الإسلام، وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، وأنا قد برئنا إلى الله وإلى رسوله منه، ولعنناه عليه لعائن الله من الظاهر والباطن في السر والعلن، وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى من شايعه وتابعه ومن بلغه هذا القول منا، وأقام على موالاته، كذلك لعن الشريفى والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم). ولما اشتهر بغلوه وشاعت آراؤه ومقالاته، طلبه وزير المعتمد العباسي، عبدالله بن محمد بن عبيدالله الخاقاني سنة ٣١٢، فاستتر عنه وفر إلى الموصل، فالتجأ إلى ناصر الدولة الحسين بن عبدالله بن حمدان، وبقي فيها نحواً من أربع سنوات، عاد بعدها إلى بغداد، واستمر يبيت فيها أفكاره مستتراً عن أجهزة الحكام، إلى أن كانت خلافه الرازي سنة ٣٢٢ فقبض عليه وزيره محمد ابن علي بن مقله، وهاجم داره فوجد فيها كتباً ورقاعاً يخاطبونه فيها بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً. وقد أنكر في مجلس الخليفة كل ما نسب إليه من الحلول والإلحاد وغير ذلك، وشهد عليه جماعة من أصحابه بأنه يدعي السفارة للإمام المهدي مكان الحسين بن روح، وأخيراً جمعه الوزير ابن مقله مع العلماء والفقهاء، وعرض عليهم مقالاته، فأفتوه بإباحة دمه. فصلبه مع ابن أبي عون أحد أتباعه، ثم أحرقا بالنار<sup>(١)</sup>.

ومنهم الحسين بن منصور الحلاج أحد أركان الصوفية الذي لعب دوراً بارزاً لما له من قدرات فاقت قدرات السفير الفارسي ابن روح، فالحلاج خطيب بارع وساحر فاتن، وقد ادعى السفارة والنيابة عن المهدي، وله من الأتباع الكثير، وأصبح من أبرز شيوخ المتصوفة في عصره القائلين بالحلول والكشف والتناسخ

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٢١٨، ٢٠٥ النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢١٧ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/ ١٠٠، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١/ ٢٩٦ الطبرسي، الاحتجاج، ص ٢٤٥ المجلسي، البحار، ١٣/ ١٠٢ القمي، المقالات، ص ١٤ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ١٠٥ الطوسي، الفهرسة، ص ٣٠٦ تاريخ الياقعي، ص ٤٩ ابن الجوزي، المنتظم، ص ٥٣ غولديزير، الحلاج، هيرج، ص ٣٨٢ النجاشي، الرجال، ص ٢٦٨.

Fitcher, Islamica, Goldziher, Islam, 175, Heidelberg, 382...



وقوله حلول الله فيه. وورد مدحه كثيرًا في كتب جمّة، مثل (مجالس المؤمنين) لنور الله الحسيني، وكذلك (محبوب القلوب)، حيث اعتبراه قديسًا وشهيدًا، ولم يذمّاه برغم كونهما شيعيان وغيرهما. وقد عدّه المستشرقون وجماعة من كتاب العرب المحدثين من متصوفة الشيعة، كما عدّوا التصوف من ثمرات التشيع لعلي والأئمة من بنيّه. وبعض الكتاب يرون أن التصوف مصدره الشيعة وأئمتهم، في حين أن التشيع بعيد عن التصوف والمتصوفة، كذلك الدعوة إلى الزهد في الدنيا، التي وردت في المرويات عن أهل البيت، والتي كانت من صفاتهم. ومن هنا تظهر شخصيات مثل الحلاج والنميري والشلمغاني في تراحم السفارة للمهدي المنتظر والنيابة عنه، والاستفادة من ذلك بالأموال، التي تجبى أو السلطة والنفوذ والسيطرة. ولما قدم الحسين بن منصور الحلاج إلى بغداد ادعى السفارة عن المهدي، واستغوى كثيرًا من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الشيعة لدخوله في طريقته، وأراد أن يغري أبا سهل ابن إسماعيل بن علي النوبختي، وهو يرتبط مع شيخه ابن روح النوبختي برابطة النسب، فراسله يستغويه، في حين أن أبا سهل قال لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل والشعوذات، وأنا رجل غزل ولا لذة لي أكبر من النساء وخلوتي بهن، ومبتلى مع ذلك بالصلع، حتى إنني أطول قحفي وأخذ به إلى جيبي وأشدّه بالعمامة، ومبتلى بالخضاب لستر الشيب، فإن كان باستطاعته أن يصل لي شعرًا ويرد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنت بما يدعوني إليه كائنًا ما كان، إن شاء قلت إنه باب الإمام، وإن شاء قلت إنه النبي، وإن شاء قلت إنه الله، فلما سمع الحلاج جوابه يؤس منه وكف عنه.

ويدعي الرواة أن الحلاج ذهب إلى قم، وكتب إلى علي بن موسى بن بابويه والد الصدوق مدعيًا: أنه رسول المهدي إليهم ووكيله، فلما وصله الكتاب مزقه، وقال لرسول الحلاج: ما فرغك للجّهالات وسخر منه من كان حاضرًا في المجلس بعد أن عرفوا محتوى كتابه. وجاء في الرواية التي وصفت محاوره ابن بابويه لرسول الحلاج أن ابن بابويه نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وعلمائه، وعندما وصلها نهض لاحترامه كل من كان هناك سوى رجل منهم، بقي جالسًا لم ينهض، ولما جلس سأل



عنه، فقال له: تسأل عني، وأنا حاضر أشاهدك عندما خرقت رقعتي، فقال له ابن بابويه: فأنت الحلاج إذن، ثم أمر غلمانَه فأخرجوه وطرده. وقد سعى ابن سهل النوبختي للحصول على فتوى تكفير الحلاج، وفعلاً كانت فتوى ابن داود الشهيرة، وحكم عليه وأعدم عام ٣٠٩ هجرية، لكن أتباعه زعموا بقاءه حيًّا، ومن أعدم كان في الواقع شبيهاً له كشبيهه عيسى ابن مريم<sup>(١)</sup>.

يدعي البعض أنه خلال الغيبة الصغرى، فيها اتصال السفراء بالمهدي مباشرة، حيث يأخذ السفير من المهدي إجازة الأخماس الضخمة وتوقيع المهدي. ولم يقتصر السفراء على الأربعة المشهورين الذين شكك الكثير فيهم، بل تم ذكر آخرين غيرهم، وجاء في رواية المفيد ذكر نائب هو حاجز بن يزيد. وكذلك تم ذكر أشخاص منهم البلالي أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، الذي ادعى لاحقاً انحرافه مع المنحرفين والمشعوذين، وقد عبر عنه المهدي في بعض التوقيعات المنسوبة إليه بـ (الثقة المأمون العارف بما يجب عليه)، كما جاء في رواية الكشي، ولكن الطوسي عده مع الأدعياء المشعوذين، ومنهم محمد بن إبراهيم بن مهزيار، وعده ابن طاوس من السفراء والأبواب، الذين لا يختلف الإمامية فيهم، كما جاء في جامع الرواة، وجاء في غيبة الطوسي: أن محمد بن مهزيار كان يقول: شككت عند مضي أبي محمد العسكري، وكان قد اجتمع عند أبي مال كثير، فحملة وركب السفينة وخرجت معه مشيعاً، فوعك وعكاً شديداً، فقال: ردي فهو الموت، واتفق الله في هذا المال، وأوصى إليّ ومات. ومضى يقول: فحملت المال بعد الفراغ من أمره وقدمت العراق، واكتريت داراً على الشط، وبقيت أياماً فإذا أنا برسول معه رقعة فيها: يا محمد معك كذا وكذا من المال، وقص عليّ جميع ما تركه أبي من المال، ولم أكن أعرفه على حقيقته، فسلمت المال إلى الرسول وبقيت أياماً فخرج إليّ توقيفاً يقول فيه: قد أقمنك مقام أبيك،

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٢٦٢ ماسينيون، الحلاج، ص ١٤٨ النوبختي، فرق الشيعة، ص ١١٣ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ١/ ٧٦ الحسني، مجالس المؤمنين، المامقاني، منتهى المقال، ص ١١٤ القمي، فرق الشيعة، ص ١١٤.

Massignion, Passion d'Hallag. Windelband, Lehrbuch der Philosophie.

فاحمد الله. ومنهم أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك الأشعري، وكان واسطة بين القميين والأئمة الجواد والهادي والعسكري، وأدرك شطراً من غيبة المهدي، وهو الذي يدّعي عرض الحسن العسكري ولده المهدي عليه، حينما سأله عن خليفته واره إياه، وحدثه ببعض ما يكون من أمره خلال غيبته الصغرى والكبرى. ومنهم محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان، وجاء في رجال الكشي أنه ورد في توقيع المهدي إلى إسحاق بن إسماعيل: إذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا، الذي يقبض من مواليها، ويدعي في جامع الرواة أن الهمداني الدهقان غلا في آخر أمره، ولعنه المهدي وتبرأ منه، وقال فيه: لقد أبدله الله بالإيمان كفرًا حين فعل ما فعل، وعاجله الله بالنقمة، ومنهم محمد بن جعفر الأسدي، وقد وصفه المهدي المنتظر بالإمامة وأمر بدفع الأموال إليه، كما جاء في رواية النجاشي. ومنهم القاسم ابن العلا من منطقته أذربيجان، ومحمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري، وإبراهيم ابن مهزيار، والحسين بن علي بن سفيان البزفوري إلى غير هؤلاء، ممن أوكل إليهم النيابات الفوضوية وقبض الأخماس. وكلها تتناقض مع ادعاء حصر السفراء بالأربعة فقط، وآخرهم السفير الرابع السمرى المتوفى سنة ٣٢٩، وله من العمر أربع وسبعون عامًا قضى منها مع أبيه أربع سنوات ونصف، وتسعة وستين عامًا ونصف بعد أبيه، وقصصهم غريبة فيها العجب العجائب أتركها لكتابي الخاص عن المهدي المنتظر<sup>(١)</sup>.

إن الفكر الفارسي المعاصر بعد التطورات الكثيرة في المهدوية ومتعلقاتها كما في كتابي الخاص والمفصل (المهدي الموعود المنتظر)، يصور الفقهاء نواباً للمهدي لكنهم ليسوا نواباً خاصين عينهم المهدي نفسه بالاسم والشخص، كما يزعم في الغيبة الصغرى، لأنها انتهت عام ٣٢٨ هجرية بوفاة السفير علي بن محمد السمرى على رأي كما ظهر الجدل أعلاه. لكنهم نواباً بشكل غير مباشر، كما يزعمون فالمهدي

(١) النوبختي، فرق الشيعة، القمي، المقالات والفرق، الطوسي، الغيبة، الاحتجاج، ٤٧٨/٢ البحار، ٣٦١/٥١ الراوندي، الخرائج والجرائح، ١١٢٨/٣ الطوسي، الغيبة، ص ٣٩٥ كمال الدين، ٥١٦/٢.

غائب ولم يعينهم أبداً، لا تصريحاً ولا تلميحاً في غيبة كبرى طويلة، لما يقرب من ألف عام بناء على زعمهم. وفيه ادعاء لقاء الفقهاء بالمهدي بالمنامات والرؤيا وأشباهها، لأنه الزخم الكبير الذي يعطيهم سلطة جبارة أمام البسطاء وعامة مقلديهم، وكأنهم معصومون فوق الخطأ والخطايا، حيث تمتنع عن رقابتهم أو محاسبتهم عن فسادهم وأولادهم وأصهرتهم وطغيانهم وانجرارهم مع الدنيا أو السلطان أو التجار ومصالحهم الكثيرة المختلطة مع مراكز القرار بمختلف ألوانه ومشاربه وعلى مر التاريخ، برغم ما ورد مراراً عن المهدي (من ادعى رؤيتي بعد اليوم فكذبوه) من توقيع المهدي. وعن المهدي (وسياقي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر)<sup>(١)</sup>.

حاول الفقهاء تأصيل فكرة المهدي المنتظر، ليدعوا النيابة عن الطفل الغائب منذ ألف عام في سرداب خوفاً من المعتمد العباسي. فقد جمع صادق الشيرازي مئة وخمس آيات من القرآن في كتابه (المهدي في القرآن) بتأويل آيات لا علاقة لها بالمهدي أصلاً مثل ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ﴿كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿وَإِذْ أَبَتلىٰ إِبرهَمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتِ﴾ [البقرة: ١٢٤]، كذلك المرجع لطف الله الصافي الكلبيكاني في جمع آلاف الروايات في كتابه (الإمام المنتظر في منتخب الأثر) والكثير منها لا علاقة له بالمهدي فضلاً عن ضعف أكثرها سنداً أو دلالة ناسياً أو متناسياً أحاديث أجمعوا عليه مثل: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>. فكيف بمن

(١) المصادر السابقة وكتابي (المهدي الموعود المنتظر)، النوبختي، فرق، ص ٩٨ القمي، المقالات، ص ١١٠ المفيد، الفصول المختارة، ص ٢٥٩. البحار، ٢٤/١٣ الشهرستاني، كشف الأستار، ص ١٠٤ الأربيلي، كشف الغمة، ص ٤٣ ابن الجوزي، المنتظم، ص ١٦٩ معجم البلدان، ٢٢/٣ رحلة ابن بطوطة، ١٣٢/٢ الكنجي، البيان، ص ٣٤٥ الكامل في التاريخ، ٩٧/٧ ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٥٩ الحر العاملي، الأصول المهمة، ص ٨٠.

(٢) تقدم تخرجه.



يأتي بالبدع، ويخدر بها الناس ويستجهلهم ويأخذ أموالهم وأتعا بهم بحجة الخمس وغيره<sup>(١)</sup>.

الفقيه محمد باقر المجلسي رائد التشيع الصفوي الدخيل زمن الدولة الصفوية كما مرّ في بحث الدولة الصفوية، قال: أن المهدي هو الذي حضر عنده يوم كان طفلاً في القمّاط وبارك له. كان المجلسي يدّعي أيضاً في موسوعته الكبيرة (بحار الأنوار) لقاءً بالمهدي المنتظر، واتصل به مراراً، وأخبره أن علماء الجن يحضرون مجلسه، وأخبره أيضاً بأن ظهور المهدي سيكون قريباً جداً، وسيكون المجلسي نفسه هو المرجعية الأخيرة الموثوق بها لتسليم الراية له، ليظهر الأرض من الرجس والكفر والإلحاد، فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً حسب قوله. كان قوله وادعاؤه يسري بين الناس كأنه كلام الله في تقديس المجلسي وعدم نقده أصلاً، حتى وهو يسير خلف الشاه إسماعيل الصفوي وظلمه. ادعى الشاه إسماعيل الصفوي لقاءً بالمهدي في كهف مدينة تبريز الإيرانية، وقال له: (لقد حان وقت الخروج، اذهب فقد رخصتك)، وادعى رؤيته للإمام علي أيضاً، وادّعى أنه نائب المهدي في غيبته. وعلى مر التاريخ استعمل العديد من مراجع الفرس من قصة المهدي وعلاقتهم به أساساً لسلطتهم على مقلديهم وتخديرهم واستغلالهم<sup>(٢)</sup>.

في عصرنا الراهن ظهرت ادعاءات علاقة ولي الفقيه الخميني بالمهدي أساساً لزعامته وسلطته خصوصاً في الحرب العراقية الإيرانية ولقائه بالمهدي، الذي ادّعى زيارته مراراً وتكراراً. ونقل الحرس الثوري وحمائمه الخاصة للقصص العجيبة والغريبة في ذلك. وفي خطب الخميني نفسه إبان الحرب الظالمية ضد العراق، وهو يحشد الملايين مداعباً عواطفهم، قائلاً: (الحرب يقودها المهدي المنتظر، وهو لن يفشل، وهي حرب الإسلام ضد الكفر بقيادة الإمام، وصدّام زائل في نهاية الحرب وإقامة الإسلام وتحرير كربلاء الحسين، فلا معنى للصالح معه، ولا يقبل

(١) صادق الشيرازي، المهدي في القرآن، لطف الله الصافي الكليكان، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.

وكلاهما من فقهاء الفرس المعاصرين والمنظرين للتشيع الفارسي بأعلى صورته.

(٢) المجلسي، البحار، كتاب المهدي.



المهدي بذلك، وسنحرر القدس عن طريق كربلاء). ودعايات أئمة الجمعة والجماعة والخطباء ومؤسسات الإعلام الضخمة، حتى قادت الملايين في حرب ضروس سقط فيها الملايين من الأبرياء بين قتل ومعوق وجريح وأسير من الطرفين... الشعوب الإيرانية الطيبة بشكل عام هي عاطفية تأثرت بعضها بالدعاية الضخمة والمشاعر المهذوية، وهي تتوهم صورة الخميني والمهدي في القمر وصدور كتب ومقالات وتحليلات ومنابر كثيرة عن ملاقاته الخميني بالمهدي بل كرامات ومعجزات الخميني مثل كتاب (كرامات الخميني) (الخميني توطئة للمهدي المنتظر)<sup>(١)</sup>.

انتشرت هذه الحكايات عن مرجعيات فارسية كثيرة معاصرة مثل شهاب الدين المرعشي إمام الصحن القمي، ونقلت ثلاث قصص لقاءاته بالمهدي، وطبعت في كتاب تلميذه العلوي عن حياته، ومنها قصة لقائه بعد ما يقرب من أربعين أربعاء متتالية في مسجد السهلة الذي أعطاه المهدي قوة البصر والذاكرة، ودعا له دعوة خاصة. وعن المرعشي قصة رسالة بعثها له المهدي عن طريق رجل بسيط يسكن مدينة مشهد بإيران، إذ رأى أعرابياً بدوياً لا يعرفه وجاءه، وقال له: (سلم هذه الرسالة إلى المرعشي في قم)، قال: (لا أعرفه) أجابه الأعرابي (في قم وصلاة الجماعة الجامعة تجده هناك)، واختفي مسلّم الرسالة، وهنا طبعاً ظنه هو المهدي الغائب المنتظر. فتح الرسالة فوجدها فارغة، وسافر إلى قم امتثالاً لما توهمه من المهدي. وصل الصحن الفاطمي في قم، فوجد المرعشي إماماً لأكثر جماعة في صحن فاطمة بنت موسى الكاظم، فجاءه بين صلاتي المغرب والعشاء خلصة، وسلمه الرسالة مسرعاً ومراقباً عن كذب. فتح المرعشي الورقة وبدأ يقرأ فيها متأملاً، ثم باكياً لمدة لا تغادر عيناه الرسالة والمئات ينتظرون صلاة الجماعة بعد أن كمل الأذان وفراغ لم يعتد عليه مرجعهم ذو الصلاة السريعة وبلا تأخير. أخيراً رفع المرعشي عينيه محدقاً في حامل الرسالة، ثم موبخاً مؤنباً لا شاكراً ولا جازياً: (يا ولدي إذا أعطاك أحد أمانة أو رسالة، فائتمنها، ولا تفتح الرسالة فتخون الأمانة)... وهكذا كانت هذه

(١) راجع: صحيفة نور وخطب الخميني إبان الحرب ضد العراق وصحيفة كيهان واطلاعات وكتب مثل (الكرامات الغيبية للإمام الخميني) (الخميني يمهد للمهدي المنتظر) وغيرها كثير.

القصص حديث المقلدين بلا وعي ولا إدراك سبباً لجلب المقلدين ودفع الأخماس ورواج مرجعيته، بعد أن كانت من أضعف المرجعيات وأفقرها لأنه الوحيد القادم إلى الصلاة من خلال التاكسي والذي يوزع على الطلاب كوبونات الخبز البسيطة<sup>(١)</sup>. أبو القاسم الخوئي المرجع الفارسي والقادم من مدينة خوء الإيرانية، أيضاً حصلت الإدعاءات بلقائه المهدي وحين وصوله المرجعية نشرت لاحقاً تأييد المهدي لمرجعيته مذ كان صغيراً يدرس مقدمات الحوزة الدينية، حيث تنبأ المهدي بتقلده المرجعية، ثم يسلمها للمهدي نفسه، فيعلن المهدي ظهوره وخروجه علناً، ولن توجد مرجعية بعد الخوئي أصلاً حسب رؤية تلميذه الأفغاني، وكما كتبها تلميذ الخوئي، محمد مهدي زين العابدين في كتابه (بيان الأئمة)، والحاصل على بيت كبير مجاني في مدينة العلم للخوئي بقم. كذلك قصص مشابهة لمراجع مشهورين مثل الكلبيكاني والأراكي والشيرازي والبروجردى والتبريزي وغيرهم. وقد تبين للعقل اللبيب حقيقة هذه القصص واستغلالها بعد اتضاح عدم مصداقيتها بعد موته، فقد ماتت المرجعيات منذ المجلسي والعهد الصفوي، وجاءت مرجعيات بعدهم وظهر بطلان تلك الإدعاءات في كونه آخر الأزمنة وظهور الإمام في تلك الأعوام المنصرمة منذ مئات السنين<sup>(٢)</sup>.

ولا زالت قصة المهدي تحرك عواطف كثير من البسطاء، فقد ظهرت كتب عديدة، مثل (ملاقة الإمام المهدي) (أنوار صاحب الزمان) لحسن الأبطحي و(الجزيرة الخضراء) لناجي النجار عندما ربط مثلث برمودا بالجزيرة الخضراء بادعاء وجود المهدي فيها، وكأنها ينتقم من المارين بمنطقته وإخفائهم، وكثير من الثقافات التي تصوره ذباحاً للملايين بلا رحمة أو شفقة ثم إحيائه للخلفاء وإحراقهم وقتله آلاف العلماء بظهر الكوفة، حتى يشك البعض بنسله من رسول الرحمة للمجازر الكثيرة التي يرتكبها، حسب بعض المأثورات العجيبة. حسن الأبطحي في كتابه<sup>(٣)</sup>:

(١) علي العلوي، كتاب الرافد، عادل العلوي، حياة شهاب الدين المرعشي.

(٢) محمد مهدي زين العابدين، كتاب بيان الأئمة.

(٣) كتابا: (ملاقة الإمام المهدي) و(أنوار صاحب الزمان) لحسن الأبطحي و(الجزيرة الخضراء) لناجي النجار.

ونقل عن المهدي غلوًا قوله: (إنّا نحيط علمًا بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم)، وقوله: (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم البلاء واصطلمكم الأعداء). وكتب في ملاقاته كثيرون مثل حسين النوري ومحمد رضا الأصفهاني وعلي الكوراني وعبدالرحمن باقرزادة، وصدرت كتب كثيرة مثل: (عنايات المهدي بالعلماء والطلاب) (جنة المأوى) (إلزام الناصب) (حول رؤية الإمام) (كيف ترى المهدي) (لقاء مع الإمام)، مما تجعل المرء يعيش الأوهام والأحلام التي قادت البعض إلى الهوس والضلال والعريضة، ومنهم إلى الجنون<sup>(١)</sup>.

وذكروا من العلائم الفارسية ظهور دولته الإسلامية الممهّدة في إيران والموطئة لظهوره... ولقد استغلها الخميني والخطباء أكبر استغلال، كما استغلوا روايات منسوبة مثل تحول الحوزة من الكوفة إلى قم، وسيخلو أي شيطان أو شر من قم، وتأويل أن الحسيني هو خامنئي، وأن شعيب بن صالح هو رفسنجاني، وصاحب الراية هو أحمددي نجاد... وقصص غريبة وعجيبة جدًا في ملاقات كل هؤلاء مع المهدي واستغلالها، وكأن إيران وحكومتها صارت مثالا للأخلاق والكرامة والإنسانية... والحقيقة عكس ذلك تمامًا...

ومن الجانب الآخر توجد روايات تنهي عن رؤيته أو تكذيب ادعاء رؤيته فضلاً عن ٤٠ رواية في أن كل راية قبل ظهوره هي راية ضلال وتكون وبلاً، وتفسد أكثر من صلاحها، وحاملوها باسم الدين هم طغاة جبابرة مفسدون مثل في الكافي عن الصادق (كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله)، (مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ثم وقع من وكره تتلاعب به الصبية).. وهو ما يؤمن به كثير من الفقهاء. كما ورد أن المهدي تقتله امرأة إيرانية من أصفهان، وعندها لن يملأ الأرض عدلاً بعد قتله بهذه الطريقة<sup>(٢)</sup>.

(١) عشرات الكتب، ومنها (عنايات المهدي بالعلماء والطلاب) (جنة المأوى) (إلزام الناصب) (حول رؤية الإمام) (كيف ترى المهدي) (لقاء مع الإمام).

(٢) النعماني، الغيبة، ص ٢٠١ الكافي، ٨ / ٢٩٥ مستدرک الوسائل، ٢ / ٢٨٤.



وقد نقلت رؤى وأحلام ومنامات كثيرة، بنيت عليها الكثير من الأفكار والثقافات والعقائد، ومن المنامات أنشئت مساجد كثيرة كبيرة كمسجد جمكران قرب قم في مناسك وطقوس وزيارات وصلوات لأربعين أسبوعاً متتالياً، حتى يلاقى المهدي المنتظر، ويقصد مسجد جمكران.

وفي العراق الجريح والمنكوب اليوم أيضاً التوجه إلى مسجد السهلة بوصفه رمزاً للمهدي المنتظر واستنجاهه كما دخلت الكثير من الأفكار الغريبة والعجيبة حولها، ومنها يعتقد مجيء أمريكا للعراق من أجل قتل المهدي قبل ظهوره<sup>(١)</sup>.

ولقد حولت المرجعية قضية المهدي لمصالحها ودنياها وسلطتها، فترفع على الأنبياء في سيرتهم وديندهم وتواضعهم وزهدهم وعملهم اليومي للحصول على قوتهم من عرق جبينهم وكد يمينهم، فاشتغل آدم بالزراعة، ونوح بالنجارة، وإدريس بالخياطة، وإبراهيم بالتجارة والبزازة، وداود بالحدادة، وإسحاق ويعقوب وشعيب وموسى بالزراعة، ولقمان بالخياطة، ومحمد بالرعى والتجارة عند خديجة، بينما تحصل المرجعيات على مليارات من الخمس وحقوق الفقراء والمحرومين المسحوقين، حتى يخلفوا لأولادهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم المليارات من أموال الناس وجهودهم وعرق جبينهم، دون صرفها في موارد حقيقية خدمة للناس والمحتاجين، حتى قال الفقيه: (لو ثبتت أدلة استلام الفقهاء للحقوق الشرعية فهم

(١) لملاحظة مسجد جمكران وفضله وزياراته وآثاره مراجعة كتب الزيارات الكثيرة، كمفاتيح الجنان وضياء الصالحين وغيرها، كذلك مصباح الزائر، ص ١٠٥ البحار، ٢٣٠/٥٣، أما مسجد السهلة فقد ورد عن الصادق، قال: قال لي: يا أبا محمد كأيّ أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله ويكون منزله، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله، وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبه يحنّ إليه، وفيه صخرة فيها صورة كلّ نبيّ، وما صلى فيه أحد فدعا الله بنبية صادقة إلا صرفه الله بقضاء حاجته، وما من أحد استجاره إلا أجاره الله مما يخاف منه، قلت: هذا هو الفضل، قال: نزيديك؟ قلت: نعم، قال: هو من البقاع التي أحبّ الله أن يُدعى فيها، وما من يوم ولا ليلة إلا والملائكة تزور هذا المسجد، يعبدون الله فيه، أما إنّي لو كنت بالقرب منكم ما صليت صلاة إلا فيه، يا أبا محمد ما لم أصف أكثر، قلت: جعلت فداك لا يزال القائم فيه أبداً؟ قال: نعم. وهكذا في تسويقها وأهميتها، وقد أثبتنا في فصل البويهيين قصة مسجد السهلة.



واسطة فقط لا غير في إيصالها إلى مستحقيها من المحتاجين والفقراء والمساكين والموارد العامة المهمة...).

الملاحظ أن كثيرًا من العقائد المتأخرة لم تكن معروفة قديمًا مثلاً فكرة الأئمة الإثنى عشر هي فكرة متأخرة، لم تؤمن بها أكثر الفرق، بل حتى في عصر الأئمة الإثنى عشر لم يسمعوها بها، فاقترضوا على أئمة آنذاك دون وصولها إلى إثنى عشر بسبب عدم ارتكازها في ذهنهم العرفي والشرعي آنذاك، فلذلك توقفت فرق عديدة على الإمام الموجود آنذاك، ولم تنتقل إلى إمام بعده كالناووسية، التي وقفت على جعفر الصادق والواقفية على موسى الكاظم وغيرها، ومنها من قالت بإمامة أرحام الأئمة: كالسميطية المؤمنة بمحمد بن جعفر الصادق، والإسماعيلية لإسماعيل بن الصادق، والفظحية لعبدالله بن الصادق، والأحمدية لأحمد بن موسى الكاظم، ومن قال بإمامة جعفر بن علي الهادي، وكلها لم تؤمن بمحمد المهدي... ومنها من قال بإمامة أصحاب الأئمة، مثل الخطابية: أصحاب أبي الخطاب، والمغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد، وهو من أصحاب الصادق. ولا زالت إلى الآن فرق شيعية كبيرة لا تؤمن بالإثنى عشرية: كالزيدية والإسماعيلية والدروز والأغاخانية والعلوية والنصيرية والعلوية اللاهية وغيرها<sup>(١)</sup>.

ولقد نقل الفقهاء الفرس تراثًا عجيبًا وأحاديث عن المهدي وذبحه للعرب من أجل الفرس ودولتها القادمة من المشرق وعزوب العلم عن الكوفة إلى قم، التي تصير محورًا للمهدي قبل ظهوره وتهديم مساجد الكوفة، ويأتي بدين جديد على العرب شديد، ويتعامل مع قريش بالسيف. فعن الصادق: (ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح)، ورواية أخرى بإضافة وأوماً بيده إلى حلقه، وقول الصادق: (اتق العرب، فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم أحد)، وعنه قوله: (يسير، المهدي، في العرب بما في الجفر الأحمر، قتلهم)، (اتق العرب، فإن القائم يذبح ثلثهم)، وعن الباقر (يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد،

(١) مختلف كتب فرق الشيعة، لا سيما النوبختي وسعد القمي.

على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، لا يستتیب أحدًا، ولا يأخذه في الله لومة لائم)، وعنه: (إذا قام القائم سار إلى الكوفة، فهدم بها أربعة مساجد). وروايات كثيرة في القتل وعدم الرحمة وكثرة الدماء مثلاً، عن الباقر: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحبّ أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما إنه ليبدأ بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم)، وغيرها.

وفي مدح قم وإيران عن الصادق: (قم عش آل محمد)، (سُمِّيَ قم لأن رسول الله في ليلة المعراج رأى إبليس باركاً بهذه البقعة يريد أن يغوي شيعة علي، ويمنعهم عن ولايته ومحبتة، ويحرضهم على الفجور، فقال له: قم يا ملعون، فليس لك عليهم من سلطان، ومن ذلك سمي قم)، (إنما سمي قم، لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد، ويقومون معه، ويستقيمون عليه، وينصرونه). عن الصادق (رجل من قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح والعواصف، لا يملون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين). ثم روايات كثيرة في مدح قوم سلمان الفارسي أي الفرس، وأنهم أصحاب العلم والتقوى وأنصار المهدي.

وفي رايات المشرق من إيران أحاديث جمّة، منها عن الباقر: (كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم (أي المهدي) قتلاهم شهداء... أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر)، (تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء، حتى تنصب بإيلياء القدس) وعن الصادق: (ستخلو الكوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها، ثم يظهر العلم ببلد يقال لها قم. وتصير معدناً للعلم والفضل، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين، حتى المخدّرات، وذلك عند قرب ظهور قائمنا)، وعن الصادق: (وأن البلايا مرفوعة

عن قم وأهلها، وسيأتي زمان تكون قم وأهلها حجة على الخلائق، وذلك زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره، (ألا يا ويل بغداد من الري (طهران) من موت وقتل وخوف، يشمل أهل العراق إذا حل بهم السيف، فيقتل ما شاء الله... فعند ذلك يخرج العجم على العرب ويملكون البصرة)<sup>(١)</sup>.

ونقلوا أحاديث كثيرة ضد الخلفاء وضد عائشة زوج النبي مثلاً: (يخرج أبا بكر وعمر من قبريهما، ويصلبهما ويحرقهما)، وعن الباقر: (أما لوقام قائمنا وردت إليه الحميراء، عائشة، حتى يجلدوها الحدّ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة)، وعن الباقر: (إن الله بعث محمداً رحمة، وبعث القائم نقمة)، وقوله: (لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس)، وعن الصادق: (لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس)، ونقل الرضا أن القائم يقتل كل ذراري قتلة الحسين برغم أن القرآن يقول: ﴿وَلَا نُزِرْ وَأَزْرَ وَزَرٌ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، كما روي أن المهدي يهدم المسجد الحرام: (إذا قام القائم هدم المسجد الحرام، وقطع أيادي بني شيبة، وعلّقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سرقة الكعبة)، وروي عن الباقر: (إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم أربعة مساجد)، وذكر من علاماته خروجه عرياناً، فعن الرضا (إن من علامات ظهور المهدي أنه سيظهر عرياناً أمام قرص الشمس)، كما نقلها الطوسي والنعمانى والمجلسي... هذه الرائحة الفارسية في مهديهم، التي لا تناسب لا القرآن ولا الأخلاق ولا القيم<sup>(٢)</sup>.



(١) سفينة البحار، ص ٣٦٥ البحار، ٦/ ٢٦٩ البحار، ٥٢/ ٢٤٥ البحار، ٦٠/ ٢١٣ البحار، ٥٢/ ٣٣٩

الأنوار النعمانية، ٢/ ٣٤٩ إلزام الناصب، ٢/ ١١٩.

(٢) الأنوار النعمانية، ٢/ ٨٥ البحار، ٥٢/ ٣١٤ غيبة النعماني، ص ١٤٦ غيبة الطوسي، ص ٢٨٢.

## ثقافة التكفير والبغضاء واللعن في التشيع الفارسي

لقد كان من الصعب على الثقافة الفارسية والكبرياء الكسروي والدين المجوسي أن يخضعا للعرب وزعيمهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عند فتحه بلاد فارس، وانكسار طغيانهم لمن يعدونهم أعراب الصحراء متخلفين عن الحضارة والعلم، فانعكس ذلك كله، برغم خضوعهم للإسلام ظاهراً، لكن الانتقام من الدين والعرب وجميع الرموز التاريخية، لكي تظهر في هذه الثلاثة بالتغلغل الفارسي في العقيدة والدين والانتقام من الخليفة الفاروق ومن العرب، كما يظهر في ثنايا هذا الكتاب وأبوابه المختلفة.

ينقل المجلسي وفقهاء الفرس في نسب عمر بن الخطاب: كانت صهّاك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف، فواقعها نفيل بن هاشم، ثم واقعها عبدالعزيز بن رباح فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب. حيث إنّ جدّة عمر هي صهّاك... فهل يعقل هذا أو يليق في العقول أو يرضى به الله ورسوله؟!<sup>(١)</sup>.

وينقل ابن شهر آشوب وغيره من الفرس: أنه كان نفيل عبداً لكلب بن لؤي ابن غالب القرشي، فمات عنه ثم وليه عبدالمطلب، وكانت صهّاك ترعى غنمه، وكان يفرق بينهما في المرعى، فاتفق يوماً اجتماعهما في مراح واحد فهوها وعشقها نفيل. وكان قد ألبسها عبدالمطلب سرواً من الأديم، وجعل عليه قفلاً، وجعل مفتاحه معه لمنزلتها منه، فلما راودها قالت: مالي إلى ما تقول سبيل، وقد ألبست

---

(١) المجلسي، البحار، ٣١/ ١٠٠.



هذا الأديم، ووضع عليه قفل، فقال: أنا أحتال عليه، فأخذ سمناً من مخيض الغنم ودهن به الأديم وما حوله من بدنّها حتى استله إلى فخذها وواقعها، فحملت منه بالخطاب، فلما ولدته ألقته على بعض المزابل بالليل خيفة من عبدالمطلب، فالتقطت الخطاب امرأة يهودية جنازة وربته. فلما كبر كان يقطع الحطب فسمي الخطاب. وكانت صهاك ترتاده في الخفية، فرآها ذات يوم وقد تطأطأت عجيزتها. ولم يدر من هي فوقع عليها فحملت منه بحنمة، فلما وضعتها ألقها على مزابل مكة خارجها فالتقطها هشام بن مغيرة بن وليد ورباها فنسبت إليه. فلما كبرت وكان الخطاب يتردد على هشام، فرأى حنمة فأعجبته فخطبها إلى هشام، فزوجه إياها فولدت عمر، وكان الخطاب والد عمر، لأنه أولد حنمة إياه، حيث تزوجها وحده. لأنه سافح صهاك قبل فأولدها حنمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك<sup>(١)</sup>.

ينقل الفقهاء الفرس عن جعفر الصادق قوله في عمر بن الخطاب:

من جدّه خاله ووالده      وأمه أخته وعمّته  
أجدر أن لا يعرف الوصي وأن      ينكر يوم الغدير وبيعته

كما روى الكليني عن أبي جعفر الباقر أنه قال: (... إن الشيخين، أبا بكر وعمر، فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يذكر ما صنعا بأمر المؤمنين، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)<sup>(٢)</sup>.

ينقل نعمة الله الجزائري فقيه الدولة الصفوية: (أن عمر بن الخطاب كان مُصاباً بداء في دُبُرِهِ لا يهدأ إلا بباء الرجال)<sup>(٣)</sup>.

وفي تحميل الخليفتين كل مآسي العالم يروي الكميّ بن زيد عن الصادق قوله: (ما أهرق في الإسلام محجمة من دم، ولا اكتسب مال من غير حله، ولا نكح فرج

(١) ابن شهر آشوب، ص ١٧٤ يوسف البحراني، الكشكول، ٢١٣/٣.

(٢) البحار، ٣٩/٣١ عقد الدرر، الكافي، الروضة، ٢٤٦/٨.

(٣) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، ص ٦٣١.

حرام، إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم القيامة، حتى يقوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما).

كما يقول المفيد: (اعلموا، رحمكم الله، أنه لولا ما اتفق لهؤلاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، من التقدم على آل محمد والتسلط على الخلق بسلطانهم، والترؤس بالخطوة عليهم، لما سل بين المسلمين سيفان، ولا اختلف في الشريعة اثنان، ولا استحل أتباع الجمل وأهل الشام والنهران دماء أهل الإيوان، ولا سفك دم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جهلاً على الدين به والاستحلال له، ولا قتل الحسنان، ولا استحلت حرمة العترة وأريق دمائهم، كما يستباح ذلك من أهل الردة عن الإسلام. لكنهم أصلوا ذلك بدفعهم علياً أمير المؤمنين، عن مقامه، وسنوه باستخفافهم بحقه، وأوجبوه باستهانتهم بأمره، وسهلوه بوضعهم من قدره، وسجلوه بحطهم له عن محله، وأباحوه بما أظهروا من عداوته ومقتته، فباءوا لذلك بائثه، وتحملوا أوزاره وأوزار من ضل بهم عن الحق بأسره، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا ثِقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]. انتهى كلامه وغيرها.

وأما في الخليفة عثمان بن عفان فقد قالوا الكثير، فعن علي بن يونس البياضي: (كان عثمان ممن يُلَعَبُ به، وكان مُحْتَسًا). كما نقلوا أن عثمان كان يريد الزواج بأم سلمة بعد وفاة النبي، وهي من أمهات المؤمنين، وأن علياً قال لعثمان: (سمعت رسول الله يلعنك مرتين، ثم لم يستغفر الله لك بعد ما لعنك)<sup>(١)</sup>.

وقد ذكروا في تفسير الكثير من الآيات القرآنية بشكل غريب نزولها فيهم، كما في تفسير القمي والعياشي والعسكري وقرات والصافي والبرهان ونور الثقلين وغيرها.

ففي آية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] الخلفاء الثلاثة، و﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فالسلم هو

(١) المفيد، الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين، ص ٢٤١ الصراط المستقيم، ٢/ ٣٠، البحار، ٨/ ٣١٢ سليم ابن قيس، ص ١٦٢ البحار، ٤٧/ ٣٢٣.

ولاية علي، وخطوات الشيطان عن الصادق أنها الخلفاء الغاصبين لعلي. وأنهم الكفار الواردة في القرآن، وهم أصحاب النار هم فيها خالدون، وآية ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠] نزلت في الخلفاء الثلاث أبي بكر وعمر وعثمان، وهم أعداء الله ورسوله والأنبياء. وآية ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] حيث اعتبر الإمام الباقر الثلاثة هم الفحشاء والمنكر والبغي. وأن الرسول نادى الثلاثة، وقال: فيهم نزلت الآية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]. وعن الصادق أنهم المرتدون في الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد: ٢٥]، وعن الصادق أنهم الكفر والفسوق والعصيان في الآية: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]... ومئات الآيات حتى نقلوا عن علي قوله: (نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام) وغيرها<sup>(١)</sup>.

وذكروا أحاديث كثيرة مكذوبة موضوعة في عدم إيمان الخلفاء الثلاث: أبي بكر وعمر وعثمان. مثلاً عن موسى الكاظم: (هما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان... كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محلّ الخزي في دار المقام) وعن السجاد (فعليهما لعنة الله بلعناته كلّها ماتا وهما كافران مشركان بالله العظيم)، وعن السجاد أيضاً سأله الخراساني عن أبي بكر وعمر، فقال: (كافران وكافر من أحبهما)، وعن الباقر: (مثل أبي بكر وشيعته مثل فرعون وشيعته، ومثل علي وشيعته مثل موسى وشيعته)، وعن الصادق: (من شك في كفرهما فهو كافر)، وأنهم المرتدون برغم إسلامهم الظاهر، لكن كفرهم الباطن والحقيقي وأنهم مخلصون في قعر جهنم،

(١) تفسير العياشي، ١/١٠٦، البرهان، ١/١٤، البحار، ٢٣/٨٥، العياشي، ١/١٠٢، البحار، ٢٤/١٥٩

الكافي، ١/٣٧٥، الكافي، ١/٤٢٠، البرهان، ٢/٣٨١، تفسير القمي، ٢/١١٣.



وكان إسلامهم طمعاً في السلطة، وماتوا ولم يتوبوا. وفضيلة اللعن عليهم يومياً والبراءة منهم، ولا يقبل عمل دون التبري منهم، ولا يكمل إيمان دون البراءة منهم، ولا تثبت الحسنات إلا بالتبري منهم ولعنهم وسبهم يومياً، وعن الصادق: (نحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهم والبراءة منهم)، وعن علي: (اللهم اجز عمر لقد ظلم الحجر والمدر)، (ما عادى أحد قومًا أشد من معاداة عمر لأهل بيت الرسول)، وأن الله والملائكة والناس أجمعين يلعنونهم يومياً، ولعنهم مكتوب على باب الجنة، وكذلك تلعنهم الحيوانات: كالقنبرة والدراج الذي طعامه وشرابه ذلك، ولولاهم ما زنى زانٍ ولا عصى أحد. وينقل المجلسي وغيره من فقهاء الفرس عن الصادق: أن عائشة وحفصة قد سمّتا الرسول فمات، وهما وأبوهما شر خلق الله، ويدعون أن النبي طلب من علي أن يطلقهما بائنتين بعد وفاة النبي، وفعل علي ذلك وطلقهما.

ونقلوا عن عائشة أنها شوّفت جاريةً وطافت بها، وقالت: (لعلنا نتصيد بها بعض شباب قريش). ونقلوا: (أن عائشة جمعت أربعين ديناراً من خيانة وقرقتها على مبغضي علي). ونقلوا أنها منعت دفن الحسن جوار رسول الله قائلة: (لا تدخلوا في بيتي من لا أحب) وخرجت على بغل بسرج مانعة دفنه.

ويقول المفيد: (واتفقت الإمامية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين هم ضلال فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عن مقام الرسول، هم عصاة ظالمون، وفي النار بظلمهم خالدون)<sup>(١)</sup>.

وينقل المجلسي في بحاره وغيره رسالة ينسبها إلى عمر بعثها لمعاوية، وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم إن الذي أكرهنا بالسيف على الاقرار به فأقررنا والصدور وغرة، والأنفس واجفة، والنيات والبصائر شائكة، مما كانت عليه من جحدنا ما دعانا إليه وأطعناه فيه، رفعاً لسيوفه عنا، وتكاثره بالحلي علينا من اليمن،

(١) المفيد، أوائل المقالات، ص ٤١.



وتعاضد من سمع به ممن ترك دينه، وما كان عليه آباؤه في قريش، فبهبل أقسم والأصنام والأوثان واللات والعزى ما جحدتها عمر مذ عبدها، ولا عبد للكعبة ربًّا، ولا صدق لمحمد قولاً، ولا ألقى السلام إلا للحيلة عليه، وإيقاع البطش به، فإنه قد أتانا بسحر عظيم، وزاد في سحره على سحر بني إسرائيل مع موسى وهارون وداود وسليمان وابن أمه عيسى، ولقد أتانا بكل ما أتوا به من السحر، وزاد عليهم ما لو أنهم شهدوه لأقروا له بأنه سيد السحرة، فخذ يا ابن أبي سفيان سنة قومك واتباع ملتك والوفاء بما كان عليه سلفك من جحد هذه البنية التي يقولون: إن لها ربًّا أمرهم بإتيانها والسعي حولها، وجعلها لهم قبلة، فأقروا بالصلاة والحج الذي جعلوه ركنًا، وزعموا أنه لله اختلقوا، فكان ممن أعان محمدًا منهم هذا الفارسي روزبه، وقالوا: إنه أوحى إليه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] وقولهم: ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلُوبُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] وجعلوا صلاتهم للحجارة، فما الذي أنكره علينا لولا سحره من عبادتنا للأصنام والأوثان واللات والعزى، وهي من الحجارة والخشب والنحاس والفضة والذهب؟ لا واللات والعزى ما وجدنا سببًا للخروج عما عندنا وإن سحروا وموهوا، فانظر بعين مبصرة، واسمع بأذن واعية. وتأمل بقلبك وعقلك ما هم فيه، واشكر اللات والعزى. واستخلاف السيد الرشيد عتيق بن عبد العزى على أمة محمد، وتحكمه في أمواله ودمائهم وشريعتهم وأنفسهم وحلالهم وحرامهم، وجبايات الحقوق التي زعموا أنهم يجيئونها لربهم، ليقيموا بها أنصارهم وأعوانهم، فعاش شديدًا رشيدًا يخضع جهراً ويشتد سراً، ولا يجد حيلة غير معاشره القوم. ولقد وثبت وثبة على شهاب بني هاشم الثاقب وقرنها الزاهر وعلمها الناصر وعدتها وعددها، المسمى بحيدرة المصاهر لمحمد على المرأة التي جعلوها سيدة نساء العالمين يسمونها فاطمة. حتى أتيت دار علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين وابنتيهما زينب وأم كلثوم، والأمة المدعوة بفضة، ومعني خالد بن وليد وقنفذ مولى أبي بكر ومن صحب من خواصنا، فقرعت الباب عليهم قرعاً شديداً. فأجابني

الأمة، فقلت لها: قولي لعلي دع الأباطيل، ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة، فليس الأمر لك. الأمر لمن اختاره المسلمون واجتمعوا عليه. ورب اللات والعزى لو كان الأمر والرأي لأبي بكر لفشل عن الوصول إلى ما وصل إليه من خلافة ابن أبي كبشة. لكنني أبديت لها صفحتي. وأظهرت لها بصري. وقلت للحيين نزار وقحطان بعد أن قلت لهم ليس الخلافة إلا في قريش. فأطيعوهم ما أطاعوا الله. وإنما قلت ذلك لما سبق من ابن أبي طالب من وثوبه واستيثاره بالدماء، التي سفكها في غزوات محمد وقضاء ديونه، وهي ثمانون ألف درهم وإنجاز عداوته، وجمع القرآن. فقضاها علي تليده وطارفه. وقول المهاجرين والأنصار لما قلت: إن الإمامة في قريش. قالوا: هو الأصلع البطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أخذ رسول الله البيعة له على أهل ملته. وسلمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن. فإن كنتم نسيتموها معشر قريش فما نسيناها وليست البيعة ولا الإمامة والخلافة والوصية إلا حقاً مفروضاً، وأمرًا صحيحاً، لا تبرعاً ولا ادعاءً فكذبناهم، وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمد: أن الإمامة بالاختيار. فعند ذلك قال الأنصار: نحن أحق من قريش. لأننا أوينا ونصرنا وهاجر الناس إلينا. فإذا كان دفع من كان الأمر له فليس هذا الأمر لكم دوننا. وقال قوم: منا أمير ومنكم أمير. قلنا لهم: قد شهدوا أربعون رجلاً أن الأئمة من قريش. فقبل قوم، وأنكر آخرون وتنازعوا. فقلت والجمع يسمعون: ألا أكبرنا سنًا وأكثرنا لينًا. قالوا: فمن تقول؟ قلت: أبو بكر الذي قدمه رسول الله في الصلاة، وجلس معه في العريش يوم بدر يشاوره ويأخذ برأيه، وكان صاحبه في الغار، وزوج ابنته عائشة التي سماها: أم المؤمنين. فأقبل بنو هاشم يتميزون غيظًا، وعاضدهم الزبير وسيفه مشهور، وقال: لا يبايع إلا علي أو لا أملك رقبة قائمة سيفي هذا، فقلت: يا زبير، صرختك سكن من بني هاشم، أمك صفية بنت عبدالمطلب، فقال: ذلك والله الشرف الباذخ والفخر الفاخر، يا ابن خنثمة ويا ابن صهاك، اسكت لا أم لك. فقال قولاً فوثب أربعون رجلاً ممن حضر سقيفة بني ساعدة على الزبير، فوالله ما قدرنا على أخذ سيفه من يده حتى وسدناه الأرض، ولم نر له علينا ناصرًا. فوثبت إلى أبي بكر فصافحته وعاقدته البيعة، وتلاني عثمان بن عفان وسائر من حضر غير

الزبير. وقلنا له: بايع أو نقتلك. ثم كففت عنه الناس. فقلت: أمهلوه. فما غضب إلا نخوة لبني هاشم، وأخذت أبا بكر بيده فأقمته وهو يرتعد قد اختلط عقله. فأزعجته إلى منبر محمد إزعاجًا، فقال لي: يا أبا حفص، أخاف وثبة علي. فقلت له: إن عليًا عنك مشغول، وأعاني على ذلك أبو عبيدة بن الجراح كان يمد يده إلى المنبر، وأنا أزعجه من ورائه كالتيس إلى شفار الجاذر متهونًا. فقام عليه مدهوشًا. فقلت له: اخطب. فأغلق عليه وثبت فدهش، وتلجلج وغمض، فعضضت على كفي غيظًا. وقلت له: قل ما سنح لك، فلم يأت خيرًا ولا معروفًا. فأردت أن أحطه عن المنبر وأقوم مقامه. فكرهت تكذيب الناس لي بما قلت فيه. وقد سألتني الجمهور منهم: كيف قلت من فضله ما قلت؟ ما الذي سمعته من رسول الله في أبي بكر؟ فقلت لهم: قد قلت سمعت من فضله على لسان رسول الله ما لو وددت أني شعرة في صدره ولي حكاية. فقلت: قل وإلا فانزل. فتبينها والله في وجهي، وعلم أنه لو نزل لرقيت. وقلت: ما لا يهتدي إلى قوله. فقال بصوت ضعيف عليل: وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم، واعلموا أن لي شيطانًا يعتريني، وما أراد به سواي، فإذا زللت فقوموني، لا أقع في شعوركم وأبشاركم، وأستغفر الله لي ولكم. ونزل فأخذت بيده، وأعين الناس ترمقه، وغمزت يده غمزًا. ثم أجلسته، وقدمت الناس إلى بيعته وصحبته لأرهبه، وكل من ينكر بيعته، ويقول: ما فعل علي بن أبي طالب؟

فأقول: خلعها من عنقه، وجعلها طاعة المسلمين، فصار جليس بيته. فبايعوا وهم كارهون. فلما فشت بيعته علمنا أن عليًا يحمل فاطمة والحسن والحسين إلى دور المهاجرين والأنصار، يذكرهم بيعته علينا في أربعة مواطن. ويستنفرهم، فيعدونه النصر ليلاً، ويقعدون عنه نهارًا. فأتيت داره مستثيرًا إخراجهم منها. فقالت الأمة فضة وقد قلت لها: قولي لعلي: يخرج إلى بيعة أبي بكر، فقد اجتمع عليه المسلمون، فقالت: إن أمير المؤمنين مشغول. فقلت: خلي عنك هذا، وقولي له يخرج، وإلا دخلنا عليه، وأخرجناه كرهًا. فخرجت فاطمة فوقفت من وراء الباب. فقالت: أيها الضالون المكذبون! ماذا تقولون؟ وأي شيء تريدون؟ فقلت: يا فاطمة، فقالت فاطمة: ما تشاء يا عمر؟ فقلت: ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب، وجلس من



وراء الحجاب؟ فقالت لي: طغيانك يا شقي أخرجني، وألزمك الحجة، وكل ضال غوي. فقلت: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء، وقولي لعلي يخرج. فقالت: لا حب ولا كرامة أبحزب الشيطان تخوفني يا عمر، وكان حزب الشيطان ضعيفاً. فقلت: إن لم يخرج جئت بالخطب الجزل، وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت، وأحرق من فيه، أو يقاد علي إلى البيعة. وأخذت سوط قنفذ فضربت، وقلت لخالد ابن الوليد: أنت ورجالنا هلموا في جمع الخطب. فقلت: إني مضر بها. فقالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين. فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته فتصعب عليّ فضربت كفيها بالسوط فألمها. فسمعت لها زفيراً وبكاءً، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد علي وولوعه في دماء صناديد العرب وكيد محمد وسحره، فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه. وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها. وقالت: يا أبتاه، يا رسول الله، هكذا كان يفعل بحبيبتك وابتتك، آه يا فضة، إليك فخذيني فقد والله قتل ما في أحشائي من حمل. وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار. فدفعت الباب ودخلت، فأقبلت إلي بوجه أغشى بصري. فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض، وخرج علي. فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار، وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوت من أمر عظيم. وفي رواية أخرى: قد جنيت جناية عظيمة، لا آمن على نفسي. وهذا علي قد برز من البيت ومالي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج علي وقد ضربت يديها إلى ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل بها. فأسبل علي عليها ملائتها، وقال لها: يا بنت رسول الله، إن الله بعث أباك رحمة للعالمين. وإيم الله لئن كشفت عن ناصيتك سائلة إلى ربك ليهلك هذا الخلق لأجباك حتى لا يبقى على الأرض منهم بشراً. لأنك وأباك أعظم عند الله من نوح الذي غرق من أجله بالطوفان جميع من على وجه الأرض وتحت السماء إلا من كان في السفينة. وأهلك قوم هود بتكذيبهم له، وأهلك عاداً بريح صرصر، وأنت وأبوك أعظم قدراً من هود وثمود. فكوني يا سيدة النساء رحمة على هذا الخلق المنكوس ولا تكوني عذاباً. واشتد بها المخاض



ودخلت البيت فأسقطت سقطاً سماه علي محسناً. وجمعت جمعاً كثيراً. لا مكالفة لعلني ولكن ليُشد بهم قلبي، وجئت وهو محاصر فاستخرجته من داره مكرهاً مغضوباً وسقته إلى البيعة سوقاً، وإني لأعلم علماً يقيناً لا شك فيه لو اجتهدت أنا وجميع من على الأرض جميعاً على قهره ما قهرناه. ولكن لهنات كانت في نفسه أعلمها ولا أقولها. فلما انتهيت إلى سقيفة بني ساعدة قام أبو بكر ومن بحضرته يستهزؤون بعلي. فقال علي: يا عمر، أتحب أن أعجل لك ما آخرته سواء عنك؟ فقلت: لا، يا أمير المؤمنين، فسمعني والله خالد بن الوليد. فأسرع إلى أبي بكر. فقال له أبو بكر: مالي ولعمر، ثلاثاً. والناس يسمعون. ولما دخل السقيفة صبا أبو بكر إليه. فقلت له: قد بايعت يا أبا الحسن فانصرف. فأشهد ما بايعه ولا مديده إليه، وكرهت أن أطلبه بالبيعة فيعجل لي ما آخره عني، وود أبو بكر أنه لم ير علياً في ذلك المكان جزعاً وخوفاً منه. ورجع علي من السقيفة وسألنا عنه. فقالوا: مضى إلى قبر محمد فجلس إليه. فقامت أنا وأبو بكر إليه. وجئنا نسعى وأبو بكر يقول: ويلك يا عمر، ما الذي صنعت بفاطمة. هذا والله الخسران المبين. فقلت: إن أعظم ما عليك أنه ما بايعنا، ولا أثق أن تتأثر المسلمون عنه، فقال: فما تصنع؟ فقلت: تظهر أنه قد بايعك عند قبر محمد. فأتيناه وقد جعل القبر قبلة، مسنداً كفه على تربته، وحوله سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وحذيفة بن اليمان. فجلسنا بإزائه وأوعزت إلى أبي بكر أن يضع يده على مثل ما وضع علي يده ويقربها من يده، ففعل ذلك وأخذت بيد أبي بكر لا مسحها على يده. وأقول قد بايع، فقبض علي يده، فقامت أنا وأبو بكر مولياً. وأنا أقول: جزى الله علياً خيراً، فإنه لم يمنعك البيعة لما حضرت قبر رسول الله. فوثب من دون الجماعة أبو ذر جندب ابن جنادة الغفاري، وهو يصيح، ويقول: والله! يا عدو الله ما بايع علي عتيقاً، ولم يزل كلما لقينا قوماً، وأقبلنا على قوم نخبرهم ببيعته، وأبو ذر يكذبنا. والله ما بايعنا في خلافة أبي بكر، ولا في خلافتي، ولا يبايع لمن بعدي، ولا بايع من أصحابه اثنا عشر رجلاً، لا لأبي بكر ولا لي، فمن فعل يا معاوية فعلي واستشار أحقاده السالفة غيري! وأما أنت وأبوك أبو سفيان وأخوك عتبة فأعرف ما كان منكم في تكذيب محمد وكيدته، وإدارة الدوائر بمكة، وطلبته في جبل حري لقتله. وتآلف الأحزاب

وجمعهم عليه، وركوب أبيك الجمل وقد قاد الأحزاب. وقول محمد: لعن الله الراكب والقائد والسائق. وكان أبوك الراكب، وأخوك عتبة القائد، وأنت السائق. ولم أنس أمك هنداً، وقد بذلت لوحشي ما بذلت، حتى تكمن لحمزة الذي دعوه أسد الرحمن في أرضه وطعنه بالحربة. ففلق فؤاده وشق عنه وأخذ كبده فحملة إلى أمك. فزعم محمد بسحره أنه لما أدخلته فاهما لتأكله صار جلموداً فلفظته من فيها، فسماها محمد وأصحابه: آكلة الأكباد. وقولها في شعرها لاعتداء محمد ومقاتليه:

نحن بنات طارق      نمشي على النار  
كالدّر في المخانق      والمسك في المفارق  
إن يقبلوا نعانق      أو يدبروا نفارق  
فراق غير وامق

ونسوتها في الثياب الصفرة المرئية مبديات وجوههن ومعاصمهن ورؤوسهن، يحرصن على قتال محمد. إنكم لم تسلموا طوعاً، وإنما أسلمتم كرهاً يوم فتح مكة فجعلكم طلقاء. وجعل أخي زيداً وعقيلاً أخا علي بن أبي طالب والعباس عمهم مثلهم، وكان من أبيك في نفسه. فقال: والله يا ابن أبي كبشة! لأملأها عليك خيلاً ورجلاً، وأحول بينك وبين هؤلاء الأعداء. فقال محمد: ويؤذن للناس أنه علم ما في نفسه، أو يكفي الله شرك يا أبا سفيان! وهو يرى الناس أن لا يعلوها أحد غيري، وعلي ومن يليه من أهل بيته، فبطل سحره وخاب سعيه. وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده، وأرجو أن تكونوا معاشر بني أمية عيدان أطناها. فمن ذلك قد وليتك وقلدتك إباحة ملكها، وعرفتك فيها، وخالفت قوله فيكم، وما أبالي من تأليف شعره ونثره، أنه قال: يوحى إليّ منزل من ربي في قوله: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فزعم أنها أنتم يا بني أمية. فبين عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس، وأنا مع تذكيري إياك يا معاوية وشرحي لك ما قد شرحت، ناصح لك، ومشفق عليك من ضيق عطنتك، وحرص صدرك، وقلة حلمك، أن تعجل فيما وصيتك به، ومكتك

منه من شريعة محمد وأمته أن تبدي لهم مطالبته بطعن أو شمشاة بموت أو ردًا عليه فيما أتى به، أو استصغارًا لما أتى به، فتكون من الهالكين، فتخفض ما رفعت وتهدم ما بنيت، واحذر كل الحذر حيث دخلت على محمد مسجده ومنبره، وصدق محمدًا في كل ما أتى به، وأورده ظاهرًا، وأظهر التحرز والواقعة في رعيتك، وأوسعهم حلمًا، وأعمهم بروايح العطايا. وعليك بإقامة الحدود فيهم وتضعيف الجناية منهم ولا ترهم أنك تدع لله حقًا، ولا تنقض فرضًا، ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الأمة، بل خذهم من مأمئهم، واقتلهم بأيديهم، وأبدهم بسيوفهم، وتطاوهم ولا تناجزهم، ولن لهم ولا تبخس عليهم، وافسح لهم في مجلسك، وشر فهم في مقعدك، وتوصل إلى قتلهم برئسهم، وأظهر البشر والبشاشة، بل أكظم غيظك واعف عنهم يبحوك ويطيعوك. فما آمن علينا وعليك ثورة علي وشبليه الحسن والحسين، فإن أمكنك في عدة من الأمة فبادر، ولا تقنع بصغار الأمور، واقصد بعظيمها واحفظ وصيتي إليك وعهدي، واخفه ولا تبده، وامثل أمري ونهيي، وانهض بطاعتي، وإياك والخلاف عليّ، واسلك طريق أسلافك، واطلب بشارك، واقتص آثارهم، فقد أخرجت إليك بسري وجهري، وشفعت هذا بقولي:

معاوي إن القوم جلت أمورهم	بدعوة من عم البرية بالوتري
صبوت إلى دين لهم فأرابني	فابعد بدين قد قصمت به ظهري
وأن أنس لا أنس الوليد وشيبة	وعتبه والعاص السريع لدى بدر
وتحت شغاف القلب لدغ لفقدهم	أبو حكم أعني الضيئل من الفقري
أولئك فاطلب يا معاوي ثارهم	بنصل سيوف الهند والاسل السمري
وصل برجال الشام في معشرهم	هم الأسد والباقون في أكم الوعري
توصل إلى التخليط في الملة التي	أتانا به الماضي المسموم بالسحري
وطالب بأحقاد مضت لك مظهرًا	لعله دين عم كل بني النضر
فلست تنال الثار إلا بدينهم	فتقتل بسيف القوم جيد بني عمري
لهذا لقد وليتك الشام راجيًا	وأنت جدير أن تؤول إلى صخري



قال: فلما قرأ عبدالله بن عمر هذا العهد، قام إلى يزيد فقبل رأسه، وقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين! على قتلك الشاري ابن الشاري، والله ما أخرج أبي إلي بما أخرج إلى أبيك. والله لا رأي أحد من رهط محمد بحيث يحب ويرضى. فأحسن جائزته وبره، ورده مكرماً، فخرج عبدالله بن عمر من عنده ضاحكاً. فقال له الناس: ما قال لك؟ قال: قولاً صادقاً لوددت أني كنت مشاركته فيه. وسار راجعاً إلى المدينة، وكان جوابه لمن يلقاه هذا الجواب، ويروى أنه أخرج يزيد إلى عبدالله بن عمر كتاباً فيه عهد عثمان بن عفان فيه أغلظ من هذا، وأدهى وأعظم من العهد الذي كتبه عمر لمعاوية، فلما قرأ عبدالله العهد الآخر قام فقبل رأس يزيد، وقال: الحمد لله على قتلك الشاري ابن الشاري، واعلم أن والدي عمر أخرج إلي من سره بمثل هذا الذي أخرج إلى أبيك معاوية، ولا أرى أحداً من رهط محمد وأهله وشيعته بعد يومي هذا، إلا غير منطو لهم على خير أبداً، فقال يزيد: أفیه شرح الخفایا ابن عمر؟ والحمد لله وحده، قال ابن عباس: أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه<sup>(١)</sup>. وأما سبب إسلام الخلفيتين أبي بكر وعمر، فقد ادعى الفقهاء الفرس بأنهما كانا يتصلان باليهود الذين أخبروهم بانتصاره من خلال التوراة وكتبهم، لذلك دخلا الدين طمعاً في الحصول على المناصب التي خطط لها بإحكام وإتقان، كما جاء في الكافي وغيره<sup>(٢)</sup>.

يذكر الفقهاء الفرس أن إبليس هو أول من بايع أبا بكر في السقيفة، ونقلوا أحاديث كثيرة في ذلك، منها عن سلمان الفارسي حصراً، الذي جُعِلَ رمزاً في الغلو والتكفير، وكيف دخل سلمان وعلي إلى بيت النبي، وفيه عائشة التي لا ترى شيئاً، لأن الله قد أخذ بصرها، ثم بيعة السقيفة بأنفار معدودين، وقول علي: (يا سلمان أتعلم من أول من بايعه على منبر الرسول؟) قال سلمان: (لا، ولكنني رأيت شيخاً كبيراً يتوكأ على عصاه بين عينيه سجادة شديدة التشمير صعد المنبر أول من صعد

(١) البحار، ٣٠/٢٨٨، الأصفهاني، عوالم العلوم والمعارف، ص ٥٩٩.

(٢) الكافي، ٨/٢٤٦.



وخرّ وهو يبكي، ويقول: (الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان إبط يدك)، فبسط أبو بكر يده وبايعه ثم قال: (يوم كيوم آدم)، ثم نزل من المسجد. فقال علي: (يا سلمان أتدرى من هو؟) قال سلمان: (لا، لقد ساءتني مقالته، كأنه شامت بموت الرسول) قال علي: (فإنّ ذلك إبليس). وفي حديث آخر عن علي: (أخبرني رسول الله: «أن أول من يبايع أبا بكر هو إبليس على منبري في صورة شيخ كبير مشمر، ثم يخرج فيجمع أصحابه وشياطينه وأبالسته فيخرون سجداً، فيقولون (يا سيدنا وكبيرنا أنت الذي أخرجت آدم من الجنة)، فيقول إبليس: فكيف رأيتموني صنعت بهم حين تركوا ما أمرهم الله به، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]»<sup>(١)</sup>). ويقول المجلسي: إن إبليس هو الذي أشار على قتل الرسول في دار الندوة، وجاء بعد وفاة النبي إلى أبي بكر وبايعه)، ويقول المجلسي: إن إبليس يوم القيامة يتعجب من عمر، لأن إبليس مزمووم بزمام واحد برغم إغوائه العالمين، بينما عمر مزمووم بزمامين. وينقل المجلسي عن الله تعالى: (لأصلبته، عمر، وأصحابه قعراً يشرف عليه إبليس فيلعنه)، ويقول: يؤتى بأبي بكر وعمر في أعناقهما سلاسل النيران معلقين بهما إلى فوق)<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل الفرس من يوم قتل الخليفة عمر عيداً، بل أكبر الأعياد وأعظمها، أسموه (فرحة الزهراء) بتوهم فرحة فاطمة الزهراء باستجابة دعائها وتبشيرها بقتله ثأراً وانتقاماً... وادّعوا رفع القلم فيه، ويحق للمرء فيه فعل المعاصي بلا ذنب، وذكروا روايات كثيرة جداً في فضله، ولا زالت ليومنا المراسيم الكبيرة في مؤسسات المرجعيات الفارسية كالسيستاني والخامني وغيرهما، تمارس الأعياد والأفراح وتحج إلى قاتله أبي لؤلؤة المجوسي في كاشان بعد تعمير قبره، ووضع زيارة خاصة في تمجيده وارتكاب المعاصي، لأنه يوم لا يحاسب المرء عليه، فقد رفع القلم كما يقول المجلسي في بحاره وغيره من فقهاء الفرس.

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ١٤٥.

(٢) الكافي، ١/ ٤٥٠، البحار، ٣٠/ ١٥٥، وسائل الشيعة، ٧٧٩/ ٢، إعلام الوري، ٨٤، المفيد، الاختصاص، ١٢٥، البحار، ٢٢/ ٢٢٣.

قال ابن طاوس في كتاب زوائد الفوائد: روى ابن أبي العلاء الهمداني الواسطي ويحيى بن محمد بن حويج البغدادي قالا تنازعنا في ابن الخطاب واشتبه علينا أمره، فقصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمي صاحب أبي الحسن العسكري بمدينة قم، فقررنا عليه الباب فخرجت علينا صبية عراقية، فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده، فإنه يوم عيد. فقلت: سبحان الله إنما الأعياد أربعة للشيعة: الفطر والأضحى والغدير والجمعة، قالت: فإن أحمد بن إسحاق يروي عن سيده أبي الحسن علي بن محمد العسكري: أن هذا اليوم هو يوم عيد، وهو أفضل الأعياد عند أهل البيت وعند مواليهم. قلنا: فاستأذني لنا بالدخول عليه، وعرفيه بمكاننا، فدخلت عليه وأخبرته بمكاننا، فخرج علينا وهو متزر بمئزر له، محتبي بكسائه يمسح وجهه، فأنكرنا ذلك عليه، فقال: لا عليكما، فإني كنت اغتسلت للعيد. قلنا: أو هذا يوم عيد؟.

قال: نعم،، وكان يوم التاسع من شهر ربيع الأول،، قالا جميعاً: فأدخلنا داره وأجلسنا على سرير له، وقال: إني قصدت مولانا أبا الحسن العسكري مع جماعة إخوتي، كما قصدتماني، بسر من رأى، فاستأذنا بالدخول عليه فأذن لنا، فدخلنا عليه في مثل هذا اليوم، وهو يوم التاسع من شهر ربيع الأول، وقد أوعز إلى كل واحد من خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد، وكان بين يديه مجمرة يحرق العود بنفسه، قلنا: بآبائنا أنت وإمهاتنا يا ابن رسول الله! هل تجدد لأهل البيت في هذا اليوم فرح؟!.

فقال: وأي يوم أعظم حرمة عند أهل البيت من هذا اليوم؟!

ولقد حدثني أبي أن حذيفة بن اليمان دخل في مثل هذا اليوم، وهو التاسع من شهر ربيع الأول، على جدي رسول الله، قال حذيفة: رأيت أمير المؤمنين مع ولديه الحسن والحسين يأكلون مع رسول الله، وهو يتبسم في وجوههم، ويقول لولديه الحسن والحسين: كُلاً هنيئاً لكم ببركة هذا اليوم، فإنه اليوم الذي يهلك الله فيه عدوه وعدو جدكم، ويستجيب فيه دعاء أمكم. فإنه اليوم الذي يقبل الله فيه أعمال

شيعتكما ومحبيكما. فإنه اليوم الذي يصدق فيه قول الله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]. فإنه اليوم الذي يتكسر فيه شوكة مبغض جدكما. فإنه يوم يفقد فيه فرعون أهل بيته وظالمهم وغاصب حقهم. فإنه اليوم الذي يقدم الله فيه إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباء منثوراً. قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله! وفي أمتك وأصحابك من ينتهك هذه الحرمة؟ فقال رسول الله: نعم يا حذيفة! جبت من المنافقين يترأس عليهم ويستعمل في أمتي الرياء، ويدعوهم إلى نفسه، ويحمل على عاتقه درة الخزي، ويصد الناس عن سبيل الله، ويحرف كتابه، ويغير سنتي، ويشتمل على إرث ولدي، وينصب نفسه علماً، ويتناول على إمامه من بعدي، ويستحل أموال الله من غير حلها، وينفقها في غير طاعته، ويكذبني ويكذب أخي ووزير، وينحي ابنتي عن حقها، وتدعو الله عليه، ويستجيب الله دعاءها في مثل هذا اليوم. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله! لم لا تدعو ربك عليه ليهلكه في حياته؟! قال: يا حذيفة! لا أحب أن أجترئ على قضاء الله لما قد سبق في علمه، لكنني سألت الله أن يجعل اليوم الذي يقبضه فيه فضيلة على سائر الأيام، ليكون ذلك سنة يستن بها أحبائي وشيعة أهل بيته ومحبوهم، فأوحى إليّ جل ذكره، فقال لي: ”يا محمد! كان في سابق علمي أن تمسك وأهل بيتك محن الدنيا وبلاؤها، وظلم المنافقين والغاصبين من عبادي من نصحتهم وخانوك، ومحضتهم وغشوك، وصافيتهم وكاشحوك وأرضيتهم وكذبوك، وانتجيتهم وأسلموك، فإني بحولي وقوتي وسلطاني لافتحن على روح من يغضب بعدك علماً حقه ألف باب من النيران من سفال الفيلوق، ولأصلينه وأصحابه قعرًا يشرف عليه إبليس فيلعنه، ولأجعلن ذلك المنافق عبرة في القيامة لفراغة الأنبياء وأعداء الدين في المحشر، ولأحشرنهم وأولياءهم وجميع الظلمة والمنافقين إلى نار جهنم زرقاً كالحين أذلة خزايا نادمين، ولأخلدنهم فيها أبد الآبدين، يا محمد! لن يوافقك وصيك في منزلتك إلا بما يمسه من البلوى من فرعونه وغاصبه، الذي يجترئ علي ويبدل كلامي، ويشرك بي ويصد الناس عن سبيلي، وينصب من نفسه عجباً لأمتك، ويكفر بي في عرشي، إني قد أمرت ملائكتي في سبع سماواتي لشيعتكم ومحبيكم أن يتعبدوا في هذا اليوم الذي أقبضه إلي، وأمرتهم



أن ينصبوا كرسي كرامتي حذاء البيت المعمور، ويثنوا علي ويستغفروا لشيعتكم ومحبيكم من ولد آدم، وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلهم ثلاثة أيام من ذلك اليوم، ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيك، يا محمد! إني قد جعلت ذلك اليوم عيداً لك ولأهل بيتك ولمن تبعهم من المؤمنين وشيعتهم، وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في مكاني لأحبّن من تعيد في ذلك اليوم محتسباً ثواب الخافقين، ولأشفعنه في أقربائه وذوي رحمه، ولأزيدن في ماله إن وسع على نفسه وعياله فيه، ولأعتقن من النار في كل حول في مثل ذلك اليوم ألفاً من مواليكم وشيعتكم، ولأجعلن سعيهم مشكوراً، وذنبهم مغفوراً، وأعمالهم مقبولة“.

قال حذيفة: ثم قام رسول الله فدخل إلى بيت أم سلمة، ورجعت عنه وأنا شاك في أمر الشيخ حتى ترأس بعد وفاة النبي وأتيح الشر وعاد الكفر، وارتد عن الدين، وتشمر للملك، وحرف القرآن، وأحرق بيت الوحي، وأبدع السنن، وغير الملة، وبدل السنة، ورد شهادة أمير المؤمنين، وكذب فاطمة بنت رسول الله واغتصب فدكا، وأرضى المجوس واليهود والنصارى، وأسخن قرة عين المصطفى ولم يرضها، وغير السنن كلها، ودبر على قتل أمير المؤمنين، وأظهر الجور، وحرم ما أحل الله، وأحل ما حرم الله، وألقى إلى الناس أن يتخذوا من جلود الإبل دنائير، ولطم وجه الزكية، وصعد منبر رسول الله غصباً وظلماً، وافترى على أمير المؤمنين وعانده وسفه رأيه.

قال حذيفة: فاستجاب الله دعاء مولاتي، فاطمة الزهراء، على ذلك المنافق، وأجرى قتله على يد قاتله رحمة الله عليه، فدخلت على أمير المؤمنين لأهنته بقتل المنافق ورجوعه إلى دار الانتقام. قال أمير المؤمنين: يا حذيفة، أتذكر اليوم الذي دخلت فيه على سيدي رسول الله، وأنا وسبطاه نأكل معه، فذلك على فضل ذلك اليوم الذي دخلت عليه فيه؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله.

قال الأمير: هو والله اليوم الذي أقر الله به عين آل الرسول، وإني لأعرف لهذا اليوم اثنين وسبعين اسماً، قال حذيفة: قلت: يا أمير المؤمنين! أحب أن تسمعي أسماء هذا اليوم، وكان يوم التاسع من شهر ربيع الأول فقال أمير المؤمنين: هذا يوم الاستراحة، ويوم تنفيس الكربة، ويوم الغدير الثاني، ويوم تحطيط الأوزار،



ويوم الخيرة، ويوم رفع القلم، ويوم الهدو، ويوم العافية، ويوم البركة، ويوم الثارات، ويوم عيد الله الأكبر، ويوم يستجاب فيه الدعاء، يوم الموقف الأعظم، ويوم التوافي، ويوم الشرط، ويوم نزع السواد، ويوم ندامة الظالم، ويوم التصفح، ويوم فرح الشيعة، ويوم التوبة، ويوم الإنابة، ويوم الزكاة العظمى، ويوم الفطر الثاني، ويوم سيل النغاب، ويوم تجرع الريق، ويوم الرضا، ويوم عيد أهل البيت، ويوم ظفرت به بنو إسرائيل، ويوم يقبل الله أعمال الشيعة، ويوم تقديم الصدقة، ويوم الزيارة، ويوم قتل المنافق، ويوم الوقت المعلوم، ويوم سرور أهل البيت، ويوم الشاهد ويوم المشهود، ويوم يعرض الظالم على يديه، ويوم القهر على العدو، ويوم هدم الضلالة، ويوم التنبيه، ويوم التصريد، ويوم الشهادة، ويوم التجاوز عن المؤمنين، ويوم الزهرة، ويوم العذوبة، ويوم المستطاب به، ويوم ذهاب سلطان المنافق، ويوم التسديد، ويوم يستريح فيه المؤمن، ويوم المباهلة، ويوم المفاخرة، ويوم قبول الأعمال، ويوم التبجيل، ويوم إذاعة السر، ويوم نصر المظلوم، ويوم الزيارة، ويوم التودد، ويوم التحبب، ويوم الوصول، ويوم التزكية، ويوم كشف البدع، ويوم الزهد في الكبائر، ويوم التزاور، ويوم الموعظة، ويوم العبادة، ويوم الاستسلام.

قال حذيفة: فقامت من عند علي، يعني أمير المؤمنين، وقلت في نفسي: لو لم أدرك من أفعال الخير وما أرجو به الثواب إلا فضل هذا اليوم لكان مناي.

قال محمد بن العلاء الهمداني، ويحيى بن محمد بن جريح: فقام كل واحد منا وقبل رأس أحمد بن إسحاق بن سعيد القمي، وقلنا: الحمد لله الذي قيضك لنا حتى شرفتنا بفضل هذا اليوم، ورجعنا عنه، وتعيدنا في ذلك اليوم<sup>(١)</sup>.

وذكر الفرس أن وظيفة المهدي المنتظر الأولى هي إعادة الخليفتين أبي بكر وعمر من قبريهما وإحراقهما وذرهما، ثم إلحاق كل من في قلبه ذرة حب لهما يلحقه بهما من ثقافة القتل والبغضاء والانتقام، روى المجلسي عن بشير النبال عن جعفر الصادق قال: هل تدري أول ما يبدأ به القائم، المهدي، قلت: لا.

(١) البحار، ٣١/ ١١٩.

قال: (يخرج هذين، أبا بكر وعمر، رطيين غضين فيحرقهما، ويذريهما في الريح ويكسر المسجد). وعن الصادق: يرد إلى قبر جده، فيقول: يا معاشر الخلائق هذا قبر جدي رسول الله؟ فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد. فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر. فيقول وهو أعلم بهما والخلائق كلهم جميعاً يسمعون: من أبو بكر وعمر، وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله؟ فيقول الناس: يا مهدي آل محمد ما هاهنا غيرهما، إنهما دفنا معه، لأنهما خليفتا رسول الله، وأبوا زوجتيه. فيقول المهدي للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما. فيخرجان غضين طريين، لم يتغير خلقهما ولم يشحب لونهما. فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة، وليس ضجيعا جدك غيرهما. فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشك فيهما؟ فيقولون: لا. فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام، ثم ينتشر الخبر في الناس، ويحضر المهدي، ويكشف الجدران عن القبرين، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما، وانبشوهما. فيبحثون بأيديهم حتى يصلون إليهما، فيخرجان غضين طريين كصورتهما، فيكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة، فيصلبهما عليها، فتحيا الشجرة وتورق ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتها: هذا والله الشرف حقاً، ولقد فزنا بمحبتهم وولايتهم ويخبر من أخفي نفسه ممن في نفسه مقياس حبة من محبتهم وولايتهم، فيحضر ونهما ويرونهما ويفتنون بهما وينادي منادي المهدي: كل من أحب صاحبي رسول الله وضجيعيه، فلينفرد جانباً. فتتجزأ الخلق جزئين: أحدهما موال، والآخر متبرئ منهما. فيعرض المهدي على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون: يا مهدي نحن لم نتبرأ منهما، ولسنا نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه المنزلة وهذا الذي بد لنا من فضلهم: أنتبرأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما بل، والله نتبرأ منك وممن آمن بك، وممن لا يؤمن بهما، ومن صلبهما وأخرجهما، وفعل بهما ما فعل، فيأمر المهدي رجلاً سوداء فتهب عليهم، فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه، فيحييهما بإذن الله تعالى، ويأمر الخلائق بالاجتماع ثم يقص عليهم قصص فعالهما في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم،

وجمع النار لإبراهيم، وطرح يوسف في الحب، وحبس يونس في الحوت، وقتل يحيى، وصلب عيسى، وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين لإحراقهم بها، وضرب يد فاطمة بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها محسناً، وسم الحسن، وقتل الحسين، وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله، وإراقة دماء آل محمد، وكل دم سفك وكل فرج نكح حراماً، وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم إلى وقت قيام قائمنا، كل ذلك يعدده عليهما، ويلزمهما إياه فيعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة، ويأمر ناراً تخرج من الأرض، فتحرقهما والشجرة، ثم يأمر ريحاً فتتسفعهما في اليمّ نسفاً، قال المفضل: يا سيدي ذلك آخر عذابهما. قال: هيهات يا مفضل، والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله، والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين، وفاطمة والحسن والحسين، والأئمة، وكل من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، وليقتصن منهما لجميعهم، حتى إنهما ليقتلان في كل يوم و ليلة ألف قتلة، ويردان إلى ما شاء ربهما<sup>(١)</sup>.

وينقلون قصة عجيبة، وهي ما عرف بـ (الصحيفة الملعونة) بتوافق خمسة، وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة. قال علي لهم: (لقد وفيتكم بصيحتكم الملعونة، التي تعاقدتم بها في الكعبة). وذكر لهم عن الرسول: (إنهم قد تعاقدوا وتعاهدوا وكتبوا كتاباً إن قتل أو مت أن يتظاهروا عليك يا علي وأن يزووا عنك هذا يا علي). وذكر المجلسي تفاصيل ذلك، وذكر مساعدة عائشة وحفصة على ذلك، فقد كانتا عينين لأبويهما: أبي بكر وعمر في منزل الرسول في جميع تلك القضايا. وذكر المجلسي تواطئهم لقتل الرسول في نفر على ناقته على عقبه مرتين: إحداهما بعد الغدير. والثانية في معركة تبوك، ثم اجتمعوا في بيت أبي بكر، وكتبوا تلك الصحيفة التي تعاقدوا عليها عند الكعبة، وهو أن الأمر

(١) البحار، ٥٣/١٣.



إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم وليست الخلافة بخارجة عنهم وكتبها سعيد بن العاص. وأن عائشة منعت دفن الحسن بن علي في بيت الرسول قائلة للحسين: (نَحُوا ابنكم واذهبوا به، فإنكم قوم خصمون)، بقول الكافي، ثم قول عائشة: (لا تدخلوا في بيتي من لا أحب) بقول المجلسي في بحاره، وإضافة المفيد في إرشاده وصاحب مناقب آل أبي طالب: (ورموا بالنبال جنازته، حتى سلّ منها سبعون سهماً)، وقالوا: كان بين عائشة وبين طلحة علاقة وعشق وترغب الزواج به، بعد سمّها للنبي فهي تعشقه، وذكر القمي قصة سمها للنبي بتواطئها مع حفصة زوج النبي<sup>(١)</sup>.

وعن سلمان الفارسي قام عمر وقال لأبي بكر: (ما يجلسك فوق المنبر، وهذا، علي، جالس محارب، لا يقوم فيبايعك؟ أفتأمر به فنضرب عنقه)، وبايع علي والحبل في عنقه، وينادي: يا ﴿أَبْنَاءُ أُمَّ إِنْ أَلْقَوْمْ أَسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وأما سلمان فقد بايع بعد علي، وهو يقول لأبي بكر: (تَبَّ لكم سائر الدهر، وإن عليكم جميع ذنوب الأمة إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعاً، وأشهد أني قرأت في بعض الكتب المنزلة: أنك باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم)، وأنهم في قعر جهنم في التابوت الذي في قعر جهنم، وأن الله عندما يريد إشعال نار جهنم بالمزيد، فإنه يفتح التابوت وعندها يتصارخ أهل جهنم لما يصلهم من نار التابوت<sup>(٢)</sup>.

وذكروا ارتداد الناس إلا أربع أو ثلاث... في أحاديث موضوعة مكذوبة، عن سلمان الفارسي عن علي: (إنّ الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله غير أربعة)، وذكر سلمان نفسه وأبا ذر وعمار والمقداد واعتبار سلمان أعلى رتبة من غيره، حتى بات الشك فيهم دونه وحده. وواضح ضعف سندها ودلالاتها<sup>(٣)</sup>.

(١) سليم بن قيس، ص ١٥٧، البحار، ١١١/٢٨، البحار، ٣١٢/٨، تفسير القمي، ٣٧٦/٢، الكافي، ٣٠٢/١، المفيد، الإرشاد، ص ١٧٤ مناقب آل أبي طالب، ٢٩/٤.

(٢) البحار، ٢٩٥/٨ ابن شهر آشوب، مثالب النواصب، ص ٣٣٦ سليم بن قيس، ص ١٥٤.

(٣) البحار، ٣٣٢/٨ الطبرسي، الاحتجاج، ٥٦/١، سليم بن قيس، ص ١٦٢ ويبقى السؤال: لماذا تسند إلى سلمان الفارسي، راجع: بحث ظاهرة سلمان في أول الكتاب.



واعتبر التشيع الفارسي أن من لا يحب علياً فإنه مشكوك بأصله ونسبه وأمه، وزنا، كما اعتبروا السنة نواصب لأنهم لا يؤمنون بولاية علي والأئمة الآخرين، فهم لا يؤمنون بعقيدتي التولي والتبري، وهما مناط الإيمان وقبول الأعمال ودخول الجنان... كما ذكر فقهاؤهم أن عدم طوافهم في الحج طواف النساء يحولهم إلى أبناء زنا... وغير ذلك من الكمّ الهائل في تراثهم القديم والمعاصر، رغم التقية التي تحاول حجب الحقيقة وخلط الأوراق.

عن المفضل قال الصادق: (من وجد برد حبنا على قلبه فليكثر الدعاء لأمه، فإنها لم تخن أباه)، وعن علي: (كذب من زعم أنه من حلال، وهو يبغضني)، وعن الرسول: «يا علي من أحبني وأحبك وأحب الأئمة من ولدك، فليحمد الله على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا من خبث ولادته». وقصص كثيرة في ذلك<sup>(١)</sup>.

ولنأخذ مجلداً واحداً من موسوعة بحار الأنوار للمجلسي، المجلد الثلاثين وعناوين بعض أبوابه:

- احتجاج الحسين على عمر.
- حيرة الناس بعد الرسول وغضب الخلافة وظهور جهل الغاصبين وكفرهم.
- ما أظهر أبو بكر وعمر من الندامة على غضب الخلافة عند الموت.
- كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم.
- في ذكر أهل التابوت في النار، أبو بكر وعمر وعثمان.
- تفصيل مطاعن أبي بكر.

(١) الصدوق، الأمالي، ص ٤٨٨ روضة المتقين، ٨ / ٦٤٥ البحار، ٢٧ / ١٤٧ إثبات الهداة، ١ / ٥٢٨ بشارة المصطفى، ص ١٥٠.

- عدم تولية النبي شيئاً لأبي بكر ومنعه من تبليغ براءة.
- التخلف عن جيش أسامة.
- ما جرى في أمر فدك.
- تفصيل مثالب عمر.
- تحريم عمر للمتعة.
- تعطيل الحدود الشرعية.
- تجسس الخليفة.

وعشرات غيرها، وتحت كل باب أحاديث كثيرة<sup>(١)</sup>.

وقد ظهرت كتب كثيرة جداً فيمن ادعى تحوله للمذهب الشيعي، واعتباره مستبصراً ومهتدياً، مثل كتب محمد التيجاني السماوي، (ثم اهتديت)، (لأكون مع الصادقين) (الشيعية هم أهل السنة) وكتاب محمد مرعي الأنطاكي (لماذا اخترت مذهب أهل البيت)، ومعتصم السوداني في كتابه (الحقيقة الضائعة رحلتي نحو مذهب أهل البيت) والدمرداش العقالي من مصر وسعيد أيوب من مصر وفاطمي عزيز من المغرب وصائب حميد من العراق وأحمد حسين يعقوب من الأردن في كتابه (عدالة الصحابة) وغيره، وإدريس الحسيني في كتابه (لقد شيعني الحسين) ويحيى الشريف في كتابه (بنور فاطمة اهتديت) وغيرهم.

لكن أهمها كتاب (المراجعات)، الذي طبع مراراً وتكراراً، ووزع في الأقطار السنية لتحويلهم إلى شيعة بادعاء أنه حوار بين مرجعيتين: شيعية وسنية عبد الحسين شرف الدين من مراجع الشيعة بلبنان مع إمام الأزهر سليم البشري الذي ادعوا أنه تحول إلى شيعي؟؟

المهم أن كتاب المراجعات هو كتاب موضوع وغير صحيح، فقد طبع بعد وفاة الشيخ سليم البشري ويفتقد الأزهر ومصادره ووثائق البشري أي وثيقة عنه. كما أنه

---

(١) البحار، ٣٠. هذا مجلد واحد هو الثلاثون وبعض عناوينه، فكيف بالمجلد الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون وغيرها، وهي مليئة بأمثالها.

كتب من جهة واحدة، وهي شرف الدين بعد قوله: أن الوثائق كلها حُرقت مع مكتبته، ولم يبق منها شيء فكتب السؤال والجواب بخط يمينه وبيده هو، لذلك قلمه واحد السؤال والجواب من شخص واحد وبقلم واحد، وهذا واضح لكل مراقب ومحقق، بل أكثر من ذلك وضعه للتواريخ وطريقة السؤال والجواب بشكل غير موضوعي، كما أقر بذلك في مقدمة الكتاب مدعيًا أنها من بقايا ذاكرته لفقدان الأصل... وقد كتبت عن ذلك بالتفصيل والوثائق أنه كتاب موضوع وغير صحيح، وكذلك ما ادعاه فقهاء الفرس أن البشري صار شيعيًا هو كذب محض وافتراء كبقية افتراءاتهم.

في تاريخ الأئمة تزوير كبير من خلال الدور الفارسي في تزوير التاريخ والحقائق لنيل أهدافهم وضغونهم، فلعل البعض لا يعرف سر ذاك الحقد والبهت على الخلفاء الراشدين، خصوصًا عمر بن الخطاب. والجواب واضح، لأنه فتح بلاد فارس وحطم جبروت كسرى، وأخذ بناته إماء... وحتى عرشه فقد قطع قطعة قطعة، ووزعت بين العرب. إنه التاريخ لمن أجاب رسول الرسول: (أنت جلف الصحراء وأعرابي البادية تعلم كسرى كيف يركع)... كما نشاهد الحملة على هارون الرشيد مثلاً، ليست بسبب تلك القصة عن سجن الكاظم، بل السبب الحقيقي هو وقعة الرشيد بالبرامكة، لما تدخلوا في شأن دولته وغيره.

وهناك التاريخ الطويل من الأحقاد الشعبية ضد العرب، وتشبيههم بالجراد والبعوض وأمثالها، وإطلاق أبشع الألقاب كأعراب الصحراء والإبل، وأمثالها كثير، كما تجده أيضًا في (شاهنامه) لفردوسي. والأحاديث العنصرية ضد العرب والمنسوبة زورًا، مثل عن الصادق: (ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح)، (اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم أحد)... بينما تكون قم (عش آل محمد) وأنصار المهدي، ولا يقدر الشيطان عليهم.. كلها في مخيلة الفرس وأساطيرهم المختلفة.

بينما الحقيقة للعرب تاريخ وأعجاب، وقد اختارهم الله لرسالته، وعلل عدم نزوله على الأعاجم في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ﴾ (١٩٨)



عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾ [الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩]. وهي واضحة صريحة لا اختيار العرب، كما جاء في أسباب النزول أيضًا ومدح النبي للعرب والعريية.

قال الشريف الرضي:

فإن ترع شركة أحسابنا جميعاً فذلك دين العرب

وما قال المتنبي:

رفعت بك العرب وصيرت أنساب فخرهم إليك وإنما قمم الملوك مواقد النيران أنساب أصلهم إلى عدنان

ويقول:

تهاب سيوف الهند وهي حداثد فكيف إذا كانت نزارية عربا

ويقول أيضًا:

وإنما الناس بالملوك وما لا أدب عندهم ولا حسب تفلح عرب ملوكهم عجم ولا عهد لهم ولا ذمم ترعى بعبد كأنها غنم بكل أرض وطأتها أمم

ومنها ثقافة الكراهية ضد العرب واحتقارهم وإطلاق ألفاظ بذيئة عنهم، كما سيظهر في البحث. كما ذكر فقهاؤهم من الجانب الآخر احترام نوروز، واعتباره عيداً، ولبس أفخر الثياب والغسل وأدعية كثيرة فيه<sup>(١)</sup>.

لكننا نرى احترام الشعوب جميعاً واحترام ثقافتهم وتاريخهم، وندعوا إلى ثقافة المحبة والتعايش والسلام.



(١) ديوان الشريف الرضي، ١/ ١٢٨ ديوان المتنبي، ٤/ ١٧٩ و ٢٦١.



## الخميني والتشيع الفارسي بين الغلو والتكفير والتجسيم

عند قراءة كتب الخميني ولي الفقيه الإيراني، مثل (كشف الأسرار) (مصباح الهداية) (طلب وإرادة) (شرح فصوص الحكم) (الأربعون حديثاً) (تفسير سورة الحمد) (تعليقات على المصباح) (شرح دعاء السحر) (حديث رأس الجالوت) (الحكومة الإسلامية) (المنعطف)، فضلاً عن وصيته وخطاباته ورسائله، مثل (صحيفة نور) (صحيفة الثورة)، حيث يمكن بسهولة رؤية الغلو والتكفير والتجسيم وغيرها واضحة صريحة في منهجيته وعقائده وأفكاره.

كتبت سابقاً عن التكفير في منهج الخميني للخلفاء، وهو واضح وجلي جداً، حتى سمي الخليفة الأول بالزنديق، وأمن بضرورة لعن الخلفاء يومياً في دعاء صلمي قريش وزيارة عاشوراء، وفي أثناء قنوته وقت الصلاة، وقوله في وصيته: (وصل على محمد وآله، مظاهر جمالك وجلالك، وخزائن أسرار كتابك، الذي تجلّى فيه الأحدية بجميع أسمائك، حتى المستأثر منها، الذي لا يعلمه غيرك، واللعن على ظالمهم أصل الشجرة الخبيثة... والثقل الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، عدا الثقل الأكبر فهو أكبر مطلقاً، ولا من حيث مرّ على هذين الثقليين على يد أعداء الله والطاغوتين المتلاعبين... نحن نفخر بمصحف فاطمة، وهو الكتاب الملهم من قبل الله مباشرة إلى فاطمة الزهراء.. وأنا أزعّم أن الشعب الإيراني اليوم أفضل من عصر الصحابة أيام الرسول... فأبوا أن يطيعوا الرسول ورفضوا الجهاد حتى نزلت آيات سورة التوبة توبخهم وتعدّهم بالعذاب، ثم أنهم كذبوا على النبي حتى روي أنه دعا عليهم



على المنبر... ولو سقط النظام فسوف لا يحل محلها نظام إسلامي يرتضيه المهدي المنتظر... فضلًا عن كتبه الكثيرة، علمًا أنه لم يسمح بمسجد واحد للسنة المسلمين في طهران برغم وجود معابد المجوس وأمثالهم، فلماذا يسمح لهؤلاء ويمنع ذلك من المسلمين... وتعظيمه (فرحة فاطمة الزهراء بقتل عمر بن الخطاب)، والحج إلى قاتله أبي لؤلؤة المجوسي المعمر قبره وزيارته بكاشان، ووضع زيارة خاصة له كزيارات الأئمة وصلاة ركعتين عند قبره ومراسيم في تقديسه، وما يحصل فيها من السب واللعن وثقافة البغضاء والكراهة والأحقاد....<sup>(١)</sup>

ما أودّ أن أذكره هو التجسيم والغلو في منهجية الخميني. في كتابه (الأربعون حديثًا) يجمع الأحاديث التي يعدها صحيحة، ويعتمد عليها، ثم يقوم بتفسيرها تفسيرًا غريبًا على منهجيته المعهودة. الحديث الثامن والعشرون عن محمد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن محمد بن مسلم: (سألت أبا جعفر عما يرون: «أن الله خلق آدم على صورته»<sup>(٢)</sup>). فقال: (هي صورة محدثة مخلوقة، واصطفها الله على بقية الصور، فأضافها إلى نفسه...). والكافي أهم كتاب عندهم، حيث يدعى أن المهدي المنتظر قال: (الكافي هو كاف لشيئتنا)، أي يكفي للشيعة أن يعتمدوا على الكافي، كما مرّ سابقًا في بحث الدولة البويهية. برغم أن الكليني لم يعرضه على المهدي نفسه عن طريق السفراء، بل عرضه على القميين المعروفين بالغلو والتكفير والتجسيم، ولم تكن كلين الإيرانية بعيدة عن قم.

(١) وصية الخميني المنشورة رسميًا (صحيفة الثورة الإيرانية)، الصفحات ٢٣، ١٠، ٨، ٧، راجع: كتب الخميني مثل: (كشف الأسرار)، (مصباح الهداية)، (طلب وإرادة)، (شرح فصوص الحكم)، (الأربعون حديثًا)، (تفسير سورة الحمد)، (تعليقات على المصباح)، (شرح دعاء السحر)، (حديث رأس الجالوت)، (الحكومة الإسلامية)، (المنعطف)، فضلًا عن (صحيفة الثورة)، و(صحيفة نور)، وغيرها من خطبه وأقواله.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠ رقم ٦٢٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٨٣ رقم ٢٨٤١)، ولفظه: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».

يعتقد الخميني أن الحديث صحيح وثابت: «إن الله خلق آدم على صورته»، ويقول: (إن الحديث مشهور منذ أيام الأئمة وإلى زماننا)، ويضيف أن الإمام الباقر يؤمن به ويصدقّه، ويتولّى بيانه وشرحه.

كما يروى الخميني حديثاً مشابهاً مؤيداً للصدوق القمي في كتابه (عيون أخبار الرضا) فيه: «إن الله خلق آدم على صورته»، كما ينقله أيضاً عن فقيه الدولة الصفوية المجلسي في بحاره<sup>(١)</sup>.

يفسّر الخميني: (على صورته) في الحديث أنه على صورة الحق تعالى، كما يدعي الخميني ورود الحديث نفسه عن النبي. كما يروى الخميني أحاديث أخرى فيها: «على صورة الرحمن»<sup>(٢)</sup>، كما يروى الخميني عن الإمام الرضا فيها: (آدم على صورة الله)، وهكذا. والغريب الغلو في الخميني لربط الحديث وتفسيره بأئمة أهل البيت بقوله: لأنهم مظاهر الله في الأرض. مستنداً بحديث في الكافي: عن أبي جعفر محمد الباقر: (نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه...). ثم يعدها الخميني تفسيراً للآية القرآنية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ثم يستدل بتفسير الملا صدرا، ويذكر الخميني دليلاً آخر على ذلك، هو دعاء الندبة: (أين وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء؟ أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء؟)، والزيارة الجامعة المذكورة أعلاه في بحث الغلو... ثم يقول الخميني: (وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهي هو الوارد في الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته» ويعده الخميني تفسيراً للقرآن: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، فهو نور علي بن أبي طالب، ويستدل بآية: ﴿فَأَمْنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَالنُّورِ

(١) الكافي، ١/١٤٥/٢، البحار، ٢/٢٠٦، مرآة العقول، ٢/٨٤، الخميني، الأربعون حديثاً، ٦٩٩ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٨٩.

(٢) حكم عليه الشيخ الألباني رحمه الله بالضعف والنكارة في السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة (٣/٣١٦، ٣٢٢ رقم ١١٧٦).

الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴿التغابن: ٨﴾ بقول أبي جعفر: (النور والله هو نور الأئمة من آل محمد إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل وهم والله نور السموات والأرض)، كما في أصول الكافي. وكما نقل عن علي أنه النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ﴾ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿التبأ: ١ - ٣﴾ عن علي قوله: (ما لله تعالى آية هي أكبر مني ولا لله من نبي أعظم مني) <sup>(١)</sup>.

كما يحاول الخميني الاستدلال على رأيه بآراء ابن عربي وابن سينا والملا صدرا وغيرهم في منهجه العرفاني المعروف <sup>(٢)</sup>.

لذلك أصدر عدد من الفقهاء الشيعة الحكم بتكفير الخميني قبل وصوله إلى الحكم بسبب آرائه المفرطة والغريبة عن الدين ومنهجه في الغلو والتجسيم والعرفان وغيره.

لكن التحقيق والتدقيق يثبت أن الحديث يعد ضعيفاً جداً سنداً من خلال رواته الضعاف، وكذلك دلالاته، فهو يتعارض مع القرآن الكريم وروح الإسلام ورسالته، وأما تفسيره ففيه من الغلو ما يكفيه للرد عليه، ولا يمكن الاعتماد على كل أحاديث الكافي وأمثاله، لكثرة الموضوعات والأكاذيب والتناقضات فيها، فضلاً عن الكثير من الرواة هم من الكذابين الوضاعين، كما ثبت في علم الرجال والجرح والتعديل.

وجاء في القرآن صريحاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿الشورى: ١١﴾ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ﴿الأنعام: ١٠٣﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿الإخلاص: ٤﴾، وغيرها مما يعارض أفكار الخميني التجسيمية والمغالاة تماماً، وهو أحد الأسباب في فتاوى الفقهاء بتكفيره وخروجه من الدين <sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، ١/ ٧ مفاتيح الجنان، دعاء الندبة والزيارة الجامعة، الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢/ ٣٧٠، الكافي، المجلد الأول كتاب الحجة باب أن الأئمة هم نور الله، وباب أنهم آيات الله في كتابه.

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية، ١/ ٧٨ الملا صدرا، تفسير القرآن، ٢/ ٢٣٥ ابن سينا، الشفاء، ٢/ ٢٨٢ مجموع الفتاوى.

(٣) راجع: كتاب دراسات في الحديث والمحدثين وكتاب الموضوعات.



أفكار الخميني في الغلو في الإمامة منتشرة في كتبه المختلفة، لذلك يقول الخميني: (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون). وينقل أحاديث يؤمن بها مثل: (إن الله تعالى لم يزل متفردًا بوحدانيته، ثم خلق محمدًا وعليًا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى).. ويفسر الخميني الآية الكريمة: ﴿يَذِبرُ الْأَمْرَ فَيَصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].. قال الخميني: (أي ربكم الذي هو الإمام). كما يقول الخميني عن علي: (فإنه صاحب الولاية المطلقة الكلية، والولاية باطن الخلافة، فهو بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت..)<sup>(١)</sup>.

هنالك الكثير فيما يمكن كتابته في هذا الباب، لكن ما أوردناه يكفي الحر في معرفة بعض أفكاره، وفي الفصل التالي أبواب أخرى.



(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٥٢ الخميني، كشف الأسرار، ص ٩٢ الخميني، مصباح الهداية، ص ١٤٢، ١٤٥.





## الخميني بين كشف الأسرار وولاية الفقيه

كتب الخميني كتاباً مهماً وهو (كشف الأسرار)، يشرح الكثير من اعتقاداته، وفيه تشدده وفساد عقيدته وآراؤه الغريبة.

واضح أن الخميني يستقرئ آراء الكفار والمجوس والزرادشتية، ثم يستدل ببعضها كما يستدل بآراء فلسفية، لدعم عقائده الدينية الغريبة، وهو يهاجم الآخرين المخالفين لعقائده، ويستعمل إزاء الأكثرية من المسلمين ألفاظاً بذيئة جداً، لا ينطق بها شريف أو رجل يحترم نفسه.

يحاول الخميني تفسير آيات من القرآن بفلسفته الخاصة، معتمداً على أقوال فلاسفة قدماء وكفار كثيرين.

واضح عنده الغلو في الإمامة، ودفاعه عن الفرس والصفويين بشكل غريب، وكأنهم قمة التقوى والورع والعصمة وعدم الخطأ.

يدعي الخميني أن تربة الحسين هي شفاء من كل داء، وأمان من كل بلاء.

ويدعي الخميني أن تراب قدم الأئمة يستطيع أن يحيي الأموات من موتهم.

ويحاول الخميني أن يستدل على أقواله الغريبة مراراً بالتنويم المغناطيسي.

ويعد الخميني أن أئمة أهل البيت قد خلقوا قبل الكون، وقبل آدم بآلاف السنين، وقد قاموا بخلق العالم<sup>(١)</sup>.

---

(١) الخميني، كتاب كشف الأسرار.

يقول الخميني: (أول ما خلق الله هو نور علي بن أبي طالب، وقد خلق الخلق بواسطة علي بن أبي طالب)، إيماناً منه بنظرية الولاية التكوينية لأئمة أهل البيت والغلو فيهم.

يؤمن الخميني بنظرية التفويض، في أن دور الله فقط في خلقهم، ثم فوض الخلق والتكوين والتدبير للعالم كله بيد أهل البيت، ويستدل بحديث الكليني في الكافي: (إن الله خلق الخلق، ثم فوض الأمر إلى محمد وعلي وفاطمة)، ثم يذكر حديث الفقيه المجلسي في حديث مرآة العقول: (إن الله خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم قد فوض إليهم فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون)<sup>(١)</sup>. ومن عقائده الأساسية هي البداء بأن الله يغير رأيه، فيبدو له شيئاً جديداً، كما حصل في قصة تغيير الأئمة، مثلاً من ولد جعفر الصادق بدلاً عن إسماعيل الكبير: (الفرقة الإسماعيلية الكبيرة)، يكون أخاه الصغير موسى الكاظم، لأن الله قد بدا له، وغير رأيه، كما ذكر سابقاً في فرق الشيعة من هذا الكتاب..

كما يشرح الخميني عقيدته في الاستخارة والاعتماد عليها وتفسيره لها.

كما يذكر الخميني قصصاً كثيرة ومنامات عديدة: كأدلة يتوهمها على عقائده الغربية، ويؤمن الخميني بالكثير من الخرافات والسخافات التي يرددها المشعوذون. ويدعي الخميني أن أكثر آيات القرآن تتحدث عن أهل بيت النبي، ثم يشن حملة كبيرة جداً على الخلفاء الثلاث أبي بكر وعمر وعثمان، ويعدهم أساس البلاء والمشكلات والمحن في كل الدنيا، كما يستعمل ألفاظاً بذئية ضدهم، وقال أيضاً: (وكانت هذه المذاهب الباطلة التي وضعت لبناتها في سقيفة بني ساعدة، وهدفها اجتثاث جذور الدين الحقيقي، لا زالت تحتل مواقع الحق الآن...) يقول الخميني: (إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام

(١) الخميني، كشف الأسرار، ص ٢٥ الخميني، مصباح الهداية، ص ٣٥.

الإله، وما حللاه وحرّماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين<sup>(١)</sup>.

ويذكر الخميني على مدى ١٢ صفحة من كتابه هذا، كشف الأسرار، أمثلة يزعم فيها أن الخليفين أبا بكر وعمر قد قاما بمخالفات صريحة لكتاب الله، وادعاءاته أنهم يحملون الكفر والزندقة!! ويقول (إن مخالفة الشيخين، أي أبا بكر وعمر، للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئاً، كما أنه لم يكن من المستبعد بالنسبة لعمر أن يقول: إن الله أو جبرائيل أو النبي قد أخطأوا في إنزال هذه الآية، فيقوم أبناء السنة بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي، ورجحوا أقواله على آيات القرآن). ومن تهمه للخليفة الثاني بالكفر والزندقة يقول: (إن عمر آذى رسول الله في آخر حياته، فأثر ذلك في رسول الله، وكانت صدمة عجلت برحيله عن هذا العالم، وأن الإيذاء من جانب عمر إنما كان تعبيراً للكفر والزندقة التي يُبطنها عمر بداخله). ويضيف قائلاً (أغمض عينيه وفي أذنيه، أي الرسول، كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة)، وتأكيداً على اتهاماته يدعي الخميني (أما عمر، فإن أعماله أكثر من أن تحصى... خالف تعاليم الله والنبي، فحرم متعة الحج والنساء، وأحرق باب الرسول)<sup>(٢)</sup>.

ويقول: (وتشير كتب التاريخ أن هذا الكفر صدر من عمر بن الخطاب، وأن البعض قد أيده في ذلك، ولم يسمحوا للنبي بأن يكتب ما يريد)<sup>(٣)</sup>.

وفي طريقة الخميني كسلفه من فقهاء الفرس في قاعدة مخالفة السنة في الفقه وغيره، يقول: (وعلى أي حال لا إشكال في أن مخالفة العامة (أي: أهل السنة) من مرجحات باب التعارض)<sup>(٤)</sup>.

(١) كشف الأسرار، ص ٥٧ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٤) الخميني، كتاب الرسائل في علم الأصول، ٨٣/٢.



والخميني الذي يرى جواز اغتيال السنة وبهتهم، يقول: (ثم إن الظاهر اختصاص الحرمة بغيبة المؤمن، فيجوز اغتيال المخالف (أي: السنّي) إلا أن تقتضي التقية وغيرها لزوم الكف عنهم)<sup>(١)</sup>.

الخميني سمّى الخليفة الأول بالزنديق في بحثه الخارج بالنجف، وهو يلعنهم، الخلفاء الثلاثة وزوجات النبي عائشة وحفصة، يومياً في دعاء صنمى قریش وتعظيمه، (فرحة فاطمة الزهراء بقتل عمر بن الخطاب) وتعظيمه للمجوسي أبي لؤلؤة، لأنه قتل الخليفة عمر، حيث تقام أكبر الاحتفالات تمجيداً بقتل الخليفة الثاني فضلاً عن شد الرحال إلى زيارة قاتله أبي لؤلؤة ومزاره الكبير في كاشان<sup>(٢)</sup>.

ومن الطبيعي أن يعاني السنة المسلمون من ظلم وقهر وعدوان على حقوقهم في كل إيران، فقد حرم ملايين السنة حتى من مسجد واحد في طهران العاصمة أيام سطوة ولاية الفقيه، حيث يجمع السلطات الثلاث.

لا شك أن الخميني يؤسس لثقافة الحقد والبغضاء واللعن والسب للخلفاء، ولأكثر المسلمين الذين يخالفونه مذهبياً.

وقد كان الخميني عنصرياً ضد العرب في أفكاره وخطاباته وسلوكه، حتى كتب: (حفنة من سكان الصحارى الجهلة... حفنة من الوحوش في نجد من سكنة الصحراء... ونحن نعرف أنهم يسرون وراء وحوش نجد وحدادة البعران في الرياض مما يعدّون من أسوأ المخلوقات البشرية)<sup>(٣)</sup>.

حاول الخميني إحداث نقلة في التشيع الفارسي، حيث نظّر لولاية الفقيه في أبحاث قدمها في النجف بكتابه (الحكومة الإسلامية)، وفيه يقول: (إن الله جعل

(١) الخميني، المكاسب المحرمة، ٢٤٩/١، تحرير الوسيلة.

(٢) بحثه الخارج في النجف، دعاء صنمى قریش، كما ذكره الخميني، المراسيم الإيرانية في قم وغيرها بفرحة الزهراء.

(٣) كشف الأسرار، الصفحات: ١٢٧، ٨١، ٤٩، ٢٠.

الرسول ولياً للمؤمنين جميعاً، ومن بعده كان الإمام ولياً، ونفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه)، معتمداً على أدلة عامة أهمها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، بتأويل أولي الأمر بالفقهاء. وهذا رأي نادر وشاذ في المذهب الشيعي، الذي يحصر أولي الأمر بالأئمة المعصومين دون الفقهاء، بوصفهم بشرًا قابلين للخطأ والهوى، فيستحيل قرנם بولاية الله ورسوله، فهو مرفوض جملة وتفصيلاً في إجماع الفقهاء الشيعة. كما اعتمد على رواية عمر بن حنظلة، وهي ضعيفة جداً سنداً ودلالة، وفيها أشخاص لم يتم توثيقهم كعمر بن حنظلة، وكذلك مثل إسحاق بن يعقوب المجهول، وأيضاً يزيد بن خليفة، وهو واقفي لا يؤمن بالأئمة بعد موسى الكاظم، وقد أسس تلك الفرقة وكلاء الإمام موسى الكاظم نفسه: كزياد القندي وعثمان بن عيسى الرواسي اللذين رفضا تسليم الأموال والجواري إلى ابنه الإمام علي الرضا، رافضين إمامته، واقفين على الإمام الكاظم، كآخر إمام حتى اعتبر بعضهم أنه المهدي الغائب، ثم سيرجع لاحقاً، كما يذكر الطوسي والكشي والنوبختي والمامقاني والمفيد والمرتضي والخوئي، وهم فقهاء الشيعة. أما سندها فهي تتحدث عن حالة خاصة في رجلين تنازعا في ميراث رفض الفقهاء تعميمها وتطبيقها على الولاية المنظورة، كما أنها ترجع إلى (قد روى حديثنا)، وليس الفقهاء المجتهدين، أي النظرية الإخبارية التي كانت سائدة في الفكر الشيعي سابقاً بعد عصر الغيبة لأحقاب طويلة، وهي تحرم الاجتهاد بروايات اللعن من الأئمة على من يجتهد، ويستعمل عقله في القياس وغيره، وكذلك تحرم التقليد (من قلد في دينه هلك) قبل التأثير بالمذاهب السنية ومدارس الاجتهاد، فإن أول مذهب للاجتهاد هو مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم نشوء الأصوليين في المذهب الشيعي لاحقاً وجواز الاجتهاد والتقليد وتوسعه شيئاً فشيئاً وعوامل تطوره، كما ذكره محمد باقر الصدر ومحمد جواد مغنية ومحمد مهدي شمس الدين وهاشم معروف الحسيني والجواهري وكاشف الغطاء وغيرهم كثير<sup>(١)</sup>.

(١) الخميني، كتاب الحكومة الإسلامية، الأنصاري، المكاسب المحرمة، الولاية، كتب الرجال في مناقشة مقطوعة ابن حنظلة، بعض أبحاثي المنشورة ومناقشة الأدلة.

قلما نجد فقيهاً قبل ولاية الفقيه، قبل الخميني الذي لم يحصل على إجازة اجتهاد، سوى واحدة سياسية، قال فقيهاها: إنه أراد منع إعدام الخميني لوجود قانون في إيران بمنع إعدام الفقيه المجتهد. فهي فتوى سياسية لا تملك حيثية علمية. علماً أن بعض المراجع أفتى بكفره لآرائه، خصوصاً وحدة الوجود، وشرح فصوص الحكم، كما انتقدوا رسالته العملية (تحرير الوسيلة)، المأخوذة أكثرها نصاً وقالباً من (وسيلة النجاة) لأبي الحسن الأصفهاني، خصوصاً محمد الروحاني وهو أستاذ محمد باقر الصدر في الأصول، ومعارض صريح، وناقد لاذع لولاية الفقيه. وأهم المنظرين لولاية الفقيه أحمد النائيني في كتابه (عوائد الأيام) بشكل بسيط متواضع، وقد رد عليه الكثيرون، فهو مخالف لإجماع الشيعة في أكثر من ألف عام، لذلك نجد مرتضي الأنصاري في كتابه (المكاسب) ردّاً مستهزئاً (إن إقامة الدليل على وجوب إطاعة الفقيه كالإمام، دونه خرق القتاد)، تعبيراً عن شدة وهن وضعف ما يتوهم بأدلة ولاية الفقيه. وقد ناقش الأنصاري الروايات الضعيفة المدعاة ثم سياقها، وقال: (لكن الإنصاف بعد ملاحظة سياقها، الروايات، أو صدرها أو ذيلها يقتضي الجزم بأنها في مقام بيان وظائفهم من حيث الأحكام الشرعية لا كونهم كالأنبياء أو الأئمة)، وسعتها لجعله كالمعصوم، فتصبح ولايته كولاية الله تعالى في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ورغم أن الفقيه يخطئ، وتحركه أحياناً الأهواء والمصالح والخواشي، وهو ما أثبتته التجارب والواقع، فتكون نظرية ولاية الفقيه مناقضة لنظرية الإمامة المعصومة وانتظار المهدي كإمام ثاني عشر، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، لذلك توجد عشرات الروايات التي تتحدث عن هؤلاء بأنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، لأنهم غير معصومين، ولا أئمة عادلين، ودائماً في الروايات الإمام العادل، تعنى المعصوم دون غيره من البشر، وهو ما فهمه الإخباريون الأوائل<sup>(١)</sup>.

(١) أبو الحسن الأصفهاني، وسيلة النجاة، الخميني، تحرير الوسيلة، النائيني، عوائد الأيام، الأنصاري، المكاسب، المكاسب المحرمة، باب الولاية، بحثي في ولاية الفقيه.



لذلك اعتبر الفقهاء أن الخميني من الضعف بمكان في الجانب الفقهي، وأذكر لذلك أمثلة لفتاواه الغريبة منها:

(يجوز التمتع بالزانية على كراهية، خصوصاً لو كانت من العواهر المشهورات بالزنا)<sup>(١)</sup>.

بالنسبة للتمتع بالرضيعة يفتي الخميني: (لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضمّاً وتفخيذاً وتقبيلاً)<sup>(٢)</sup>.

ومن فتاواه بمن عبّر عنهم بالنواصب، قوله: (الأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم، وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله، أين وجد، وبأيّ نحو كان، ووجوب الخمس فيه)<sup>(٣)</sup>.

عندما قامت الثورة الإيرانية بمبادئ أساسها اقتصادية وعدالة اجتماعية وحرية وكرامة، واشتركت فيها مختلف طبقات وأحزاب الشعب، لكن قيادة الخميني المستفيدة من جميعهم، قامت بإلغاء الآخرين، وتنكرت للكثيرين، حتى رفعت شعارات الموت للآخرين، مثل (الموت لأعداء ولاية الفقيه)، فتحول كل من يطرح رأياً مختلفاً عنهم، بأنه من أعداء ولاية الفقيه حتى من الفقهاء والمراجع الآخرين مثل شريعت مداري وقمي وروحاني وشيرازي والخاقاني والمامقاني والكرمي، وغيرهم ممن هم أكبر من الخميني فقهاً وأصولاً وحديثاً ورجالاً ودرايةً، ثم وضعوا تحت الإقامة الجبرية حتى وفاتهم. ثم منع تشييعهم والصلاة عليهم ودفنوا سرّاً بشكل مهين وفي أماكن غير مناسبة لطمس آثارهم، فضلاً عن التيارات غير الإسلامية والبرالية والشيوعية. وما رفعه الخميني من مبادئ كحرمة الضرائب ومجانبة الخدمات والكهرباء والماء كانت مجرد شعارات قبل الثورة، وتحول الشعب الإيراني الكريم بين فقير جائع محروم، لا يمتلك لقمة العيش ولو عمل لثلاث

(١) الخميني، تحرير الوسيلة، ٢/ ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٢٤١.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣١٨.



أعمال، برغم شهادته الجامعية وبين لاجئ هارب من بطش النظام، وقمعه باحثاً عن حرية وكرامة وإنسانية حتى هاجرت الملايين، وأكثر أمة في العالم تعلن ارتدادها عن الدين الإسلامي في العالم كله هي من الإيرانيين بسبب القمع والإرهاب من حكومة ولاية الفقيه.

وقد كان المنتظري خليفة الخميني أكبر منظر لولاية الفقيه، ثم تراجع فكرياً وعملياً عنها متحدثاً عن دكتاتوريتها والسجون والقمع والتعذيب والإرهاب لكل مخالف فكرياً.

إن الإشكال العملي في ولاية الفقيه هو اجتماع السلطات الثلاث وغيرها عند ولي الفقيه، فهو يعين مسؤولي الدولة حتى رئيس القضاء الموالي له كمحمود الشاهرودي الهاشمي حالياً، لأنه أول شخص ادعى اجتهاد خامنئي، كما يعين رئيس الإذاعة والتلفزيون والجيش والحرس الثوري ورؤساء الهيئات حتى رئيس الجمهورية بصلاحيات بسيطة بعد موافقته على ترشيحه وغيرها، وها هي الشعوب الإيرانية ترفض ولاية الفقيه، رافعة شعار: (يسقط الدكتاتور) مقدمة الغالي والنفيس بين الشهداء والموقوفين والسجناء، فضلاً عن ملايين المهاجرين من بطش النظام وقمعه وظلمه وجوره<sup>(١)</sup>.

ولم يكن الخميني وفيّاً حتى مع صاحب الفضل عليه، وأنقذه من الإعدام والأعلم والأفضل، وهو كاظم شريعت مداري، فقد جازاه الخميني بوضعه في الإقامة الجبرية حتى وفاة شريعت مداري بشكل غامض غريباً محتسباً. بل منع محمد رضا الصدر من الصلاة عليه، وشيّع ليلاً وسراً ودفن في مقابر نائية خارج المزار لفاطمة المعصومة بنت موسى الكاظم في قم بشكل لا يليق بمرجعيته، علماً أنّ الكثير من الشعب الإيراني ومن القومية التركية خصوصاً يقلدون شريعت مداري ويتبعونه. كما فعل الخميني مع حسين علي المنتظري الذي كان من أقرب المقربين له ونائبه، فبات في الإقامة الجبرية لسنين طويلة حتى مات بشكل غريب

(١) بحثي: استبداد ولاية الفقيه الإيرانية.

مظلوماً غريباً، كما حصل لمراجع عرب كالكرمي والهاقاني، ومراجع فرس كالقمي والروحاني والشيرازي... فكلهم باعتبار عدم إيمانهم الفقهي بنظرية ولاية الفقيه، وما حصل لهم من اضطهاد واعتقال وظلم وإقامة جبرية وقهر.

وقد أثبت الخميني زمان توليه سلطة ولاية الفقيه، التي اختزلت السلطات الثلاث فيه وحده باستبداد وظلم وانتهاك لحقوق الإنسان وجرائم كثيرة فضلاً عن إطالة الحرب مع البلد المسلم العراق لثمان سنوات، وملاء السجون بأي معارضة لولايته الباطلة والجائرة وكم يتمنى المرء بدلاً من ثقافة التكفير واللعن والغلو للفقهاء الفرس... أن نرى ثقافة المحبة والتسامح والتعاون والإنسانية والانفتاح والسلام.





## التوحيد والقرآن في التشيع العربي

لا شك أن التوحيد من أهم المبادئ الإسلامية والقرآنية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ  
﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وهو شعار الأنبياء جميعاً، ورفض القرآن الشرك لدرجة  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].  
وكانت رسالة الأنبياء جميعاً هي التوحيد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن روائع نهج البلاغة للإمام علي قوله في التوحيد: (الحمد لله الذي لا  
يلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون. الذي  
لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت  
موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل محدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح  
برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق  
به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له  
نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه  
غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد  
جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده،  
ومن حده فقد عدّه، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا  
عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة،  
فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن



يستأنس به، ولا يستوحش لفقده). وقوله: (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصفه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله)<sup>(١)</sup>.

وقال علي: (وأنزل عليه الكتاب نوراً، لا تطفأ مصابيح، وسراجاً، لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقناً لا يحمّد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفا لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنائه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون)، كان الإمام علي يستشهد دائماً بالقرآن الموجود، ويعده المرجع والمصدر دائماً، ولم يقل بتحريفه أو غير ذلك من العقائد الفارسية الطارئة، فقال: (وتعلموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه، فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره، فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته، فإنه أنفع القصص. وإن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أظلم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم). وقوله: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب... وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه جبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا ميّز الإمام علي القرآن، بأنه الحكم والأساس والمرجع الفاصل، مما يثبت منزلته وأهميته ومقامه. كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقد استدلل بهذه الآيات، الإمام علي مراراً، حيث قال في النهج رافضاً خلافت العلماء: (ترد

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى في التوحيد، والخطبة ١٩٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً، وإلهمم واحد ونبههم واحد، وكتابهم واحد، فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً، فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله تعالى ديناً تاماً، فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] و (فيه تبيان كل شيء). انتهى كلامه، وفيها دليل واضح صريح يزيل كل التهم والافتراءات<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه هو الفاعل الحقيقي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩]، ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] ولا يعني سلب الإرادة، لأن المرء مخير في أفعاله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، ومنها كان الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار.

وأجاد رسول الله بقوله: أصدق كلمة في الجاهلية قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الإمام علي يعتقد باليقين في الله تعالى حتى قال: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، وقوله: (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه وقبله وفيه وبعده). وقال علي: (بالعلم يعرف الله ويوحده)، (يا من يدل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦ الخطبة ١٨.

(٢) تهذيب الآثار، الطبري ٩٧٢، ٩٧١، ٩٦٨، البخاري ٣٨٤١ / ٦١٤٧ / ٦٤٨٩، ومسلم، ٢٢٥٦، الحميدي، مسنده، ١٠٥٣، ومسنند أحمد، ٧٣٨٣٧، ٩٠٨٣، ٩١١٠، ٩٧٣٧، ٩٩٠٥، ١٠٠٧٤، ١٠٢٣٠، الترمذي، ٢٨٤٩، وابن راهويه في مسنده، ٣٧٠، وابن حبان في صحيحه، ٥٧٨٤، وأبو يعلى في مسنده، ٦٠١٥، المصنف لابن أبي شيبة، ٢٦٥٣٨.

مخلوقاتة). فهو ينظر إلى الله النظرة التوحيدية الصحيحة والمتفقة مع القرآن والسيرة السليمة، ليصل إلى المعرفة العالية والعميقة في اليقين بالله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وعشرات الآيات القرآنية الواضحة في التوحيد.

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين قوله: (كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما لم يكن لك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى صارت الآثار هي التي توصل إليك) <sup>(١)</sup>.

ويروي علي عن الرسول قوله: «كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو جبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية، ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم، وهو الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]» <sup>(٢)</sup>. انتهى الكلام الصادق والوصف الرائع.

(١) دعاء الحسين موجود في كتب الأدعية والزيارات: كمفاتيح الجنان، وضياء الصالحين، وروضات الجنات، وغيرها.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٢/٥) رقم (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٣/٨٨٣ رقم ٦٣٩٣).



وعن الصادق قال رسول الله: «القرآن هدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وشفاء عند الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار»<sup>(١)</sup>.

عن الصادق: (عليكم بالقرآن، فما وجدتم آية نجى بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه).

عن الحسن الزكي قال: قال رسول الله: «إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن أثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم»<sup>(٢)</sup>.

وأرجع أهل البيت الناس دومًا إلى القرآن كمرجع وحاكم وفاصل ومرشد فكيف يكون محرفًا لذلك عن الصادق عن الرسول قال «عليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة». وعن الصادق (القرآن عهد الله إلى خلقه، فينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه كل يوم خمسين آية)<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٠ / ١٤١، ١٣٧، رقم ٢١٧١).

(٢) لم أجده.

(٣) كتابي القرآن بين التنزيل والتفسير والتأويل.



لقد كان أهل البيت يستعملون تفسير الآية بآيات أخرى، وباللغة العربية، وقرائن عملية كثيرة، مثل سيرة الرسول الكريم، والعقل في فهم الظروف الموضوعية. التشيع العربي يهتم بالتوحيد، بوصفه أول أصل وأهم أصل عقائدي، ويتفرع الباقي عنها، وهي الأم والأساس الحاكم، وعنه تتفرع إرسال الرسل والأنبياء، فالنبوة متفرعة عن التوحيد، فيبعث الله رسله وكلها واضحة في التوحيد، ورفض الشرك، ورفض الغلو وتوابعه الكثيرة. إن التوحيد يرفض الشرك وأنواعه المختلفة، كما يرفض الغلو والطقوس الغريبة، وكل ما يثير التفرقة والتكفير واللعن والسباب للسنة المسلمين<sup>(١)</sup>.

كانت هناك محاولات حقيقية لفقهاء شيعة عرب من اعتبار القرآن غير محرف، لا زيادة فيه ولا نقيصة، أما الفقهاء الفرس فبرغم أن بعضهم يدعي أن ليس فيه زيادة تقية، ولكن الأكثر يقول فيه النقصان، وأما من يقول بلا زيادة ولا نقصان، فيستعمل التقية عادة، حيث يذكر في مجالسه الخاصة: أن الله قد ذكر أسماء الأئمة في القرآن وأعداءهم من الخلفاء (النواصب)، كما سمعته منهم شخصياً، برغم أنهم ربما كتبوا أو حاضروا في عدم تحريف القرآن تقية وكذباً وتدليساً ومراوغة، علماً أن أكثر فقهاء الفرس لا يعرف القرآن، ولا يحفظونه، ولا يهتمون به، ولم يدرسوه أصلاً ومرازا ما يستشهد بآيات من جيبه لا توجد في القرآن، وقد يدعي آية وهي في الحقيقة حديث عن الباقرين، وكم من مرة كان الفقيه إذا استدل بآية يخطئ فيها تماماً، بشكل ينم عن جهل كبير.

حاول فقهاء عرب رفض التحريف، فقد قال الشريف المرتضي في المسائل الطرابلسيات: (لا شك في العلم بصحة نقل القرآن: كالعلم بالبلدان والحوادث الكبيرة، وأن العناية اشتدت، والدواعي توافرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرنا، لأن القرآن معجزة النبوة، ومصدر الأحكام الشرعية، وأساس الدين).

(١) كتابي القرآن بين التنزيل والتفسير والتأويل.

وقال محمد جواد البلاغي: (لا ريب أن القرآن محفوظ من الملك الديان، كما دل عليه صريح القرآن).

وقال محمد حسين كاشف الغطاء: (إن الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة).

وقال عبد الحسين شرف الدين: (والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنما هو بين الدفتين، وهو ما بين يدي الناس، لا يزيد حرفاً، ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا حرف بحرف).

وقال محسن الأمين في موسوعته أعيان الشيعة: (هذا هو القرآن والنظرة إليه في مدرسة أهل البيت، فهو الآن بين يدي المسلمين، كما جاء به رسول الله، وهو باق ما بقي الإنسان على سطح هذه الأرض، يضيء للبشرية درب الحياة، ويأخذ بيدها إلى حيث الهدى والرشاد).

قال محمد رضا المظفر: (نعتقد أن القرآن هو الوحي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم وسلم، فيه تبيان لكل شيء، وهو معجزته الخالدة، التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة، وفيما حوى من حقائق، ومعارف عالية لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوّه، وهو نفس القرآن المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو محرف أو مغالط أو مشتبّه، وكلهم على غير هدى، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه).

وقال محمد حسين كاشف الغطاء: (لا ريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما دل عليه صريح القرآن)<sup>(١)</sup>.

ولا بد من التأكيد إلى وجود الأحاديث الكثيرة، التي ترجعنا إلى كون القرآن حكماً في قبول الحديث أو رفضه، بعرضه على القرآن الكريم.

(١) المرتضي، المسائل الطرابلسية، البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ص ١٨ محسن الأمين، أعيان الشيعة، باب القرآن، كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٢٢ المظفر، عقائد الإمامية، ص ٥٩.

قال الصادق: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)، وقال أيضاً: (ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف)، (إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله وسنة رسول الله فخذوه، وما خالف فاتركوه). دليلاً صريحاً على حجية القرآن وعدم تحريفه، فلو كان محرفاً كيف يمكن الرجوع إلى محرف، بل جعله صحيحاً مرجعاً ومناطاً لتمييز الأحاديث صحيحها من سقيمها<sup>(١)</sup>.

كذلك إن القول بتحريف القرآن يجعله ساقطاً عن الحجية والاعتبار بينما العكس هو الصحيح والثابت، كما نجد سيرة الرسول وأهل البيت والصحابة زاخرة بأهمية القرآن وإرجاع الناس إليه، وهم يستدلون بالقرآن في كل شاردة وواردة في مئات وآلاف الموارد في سيرتهم وأقوالهم وأفعالهم، بل جعلوه المرجع والحجة والمصدر الأول والأكبر في تقييم أى فكرة أو فقه أو عقيدة أو مسألة، كما ذكرتُ في كتابي.

بل أعتقد أن القرآن هو المرجع الأول، ومن هنا ما قاله الفقهاء الفرس في نسخ الحديث للقرآن، لا أعتقد بصحته أبداً، لأن القرآن يأتي بالدرجة الأولى ونقطع بصدوره من الحق تعالى ثم الحديث في المرتبة الثانية، حيث يخضع للنقد والدراسة، وفيه الكثير من الموضوعات فلا يمكن للحديث نسخ القرآن وهذا في كتابي الخاص عن الأحاديث<sup>(٢)</sup>.



(١) راجع: كتابي: دراسة في الحديث والمحدثين.

(٢) راجع: كتابي: القرآن بين التنزيل والتفسير والتأويل، ودراسة في الحديث والمحدثين.

## النبوة والسنة في التشيع العربي

بعث الله أنبياءً ورسلاً، أولهم آدم أبو البشر، وآخرهم نبي الإسلام محمد بن عبدالله، الذي قال فيه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقد بعثه الله بشيراً ونذيراً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٤٥ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿[الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. لكي يكون النبي رحمة للعالمين جميعاً وليس للمسلمين أو المؤمنين خاصة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وتحدث تعالى عن أخلاقه العالية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن أعظم موقعه قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فلذلك أمر الله باتباعه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ولكنه يبقى في حدود البشرية، ويمتاز عنا بالوحي إليه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال الإمام علي في وصفه: (ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم



ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)، وكأنه يشير إلى الآيات ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: ٥...) <sup>(١)</sup>.

قال الإمام علي في ذكر صفات النبي: (إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله لإنجاز عده، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً مولده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة... فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة، ثم اختار سبحانه لمحمد لقاءه ورضى له ما عنده، وأكرمه عن دار الدنيا فقبضه إليه كريماً) <sup>(٢)</sup>.

وعدم الغلو في النبي فهو بشر، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وأمثالها.

وتحدث الإمام علي عن انقطاع الوحي بوفاة النبي، فقال وهو يلي غسله وتجهيزه: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء ممطلاً، والكمد محالفاً، وقلائك، ولكنه لا يملك رده، وما استطاع دفعه بأبي أنت وأمي، أذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك)، فلا يعقل استمرار الوحي إلى غيره، كما ادّعاه الفقهاء الفرس <sup>(٣)</sup>.

فالرسول هو الأسوة والقُدوة، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، كما ذكر الإمام علي أنه يتبع سنة النبي دائماً مراراً وتكراراً في أحاديثه وخطبه مثلاً قبل شهادته، قوله: (أما وصيتي فالله لا تشركوا

(١) راجع: خطبة الإمام علي في وصف الرسول بنهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٥.

به شيئاً، ومحمد فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين). وأيضاً في النهج قال علي: (كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما، فدونكم الآخر فتمسكوا به. أما الأمان الذي رفع، فهو رسول الله، وأما الأمان الباقي، فهو الاستغفار). وعن الباقر عن الرسول، قوله: «إني مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي»<sup>(١)</sup>. فالسنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في الفقه والعقائد والأخلاق والمبادئ الإسلامية، حيث كان النبي هو المخاطب بالوحي والقرآن، وهكذا استوعب القرآن من منبعه الصحيح، كما أن النبي يعطي تفصيلاً وتوضيحاً، مثلاً معرفة تفاصيل الصلاة والصوم وغيرها، بل مرجعاً لتمييز الحديث، كما مرّ سابقاً<sup>(٢)</sup>.

هكذا يشترك التشيع العربي مع التسنن المحمدي في الاعتماد على كتاب الله وسنة رسول الله، وهو خلاصة الحديث المشهور بين الطرفين: «إني تارك فيكم كتاب الله وسنتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»<sup>(٣)</sup>، ولا بد من جمع الأحاديث المشتركة، كهذا الحديث المنقول في الصحاح السنية، وبعض كتب الشيعة العربية المهمة، لذلك يكون حديثاً مشتركاً، ولا أدري ما الذي يغيب الفرس من ذكر سنة النبي مع كتاب الله، وهجومهم المشهود إلا ثقافة البغضاء والغلو والتقليل من كتاب الله الكريم وسنة الرسول، التي هجروها، واستعاضوا عنها بحديث الثقلين، ووضع العترة بدلاً من سنة رسول الله، علماً أن العترة هم على خطى السنة، وليست بدعاً عنها، ولا نسخاً لها وكان الإمام علي تلميذ رسول الله، فالأصل هو الرسول وسنته، والفرع هو أهل بيته، حتى إن بعض فقهاء العرب: كالأمين والبهائي،

(١) الكافي، الكليني، ٢/ ٦٠٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبتان ١٤٩ و ٨٨ كتابي: دراسة في الحديث والمحدثين.

(٣) أخرجه مسلم بلفظ قريب منه، كما في حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ، في خطبة حجة الوداع، وفيه: «...وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد....» ثلاث مرات. صحيح مسلم (٢/ ٨٨٦-٨٩٠ رقم ١٢١٨).

أرجعوا أحاديث أهل البيت الصحيحة كلها عن رسول الله، فقد كانوا نقلة ورواة لأحاديث النبي. عن الصادق: (حديثي حديث أبي عن أبيه... عن علي عن رسول الله)، وعن الصادق: (ما أجبتك عن شيء فهو عن رسول الله)، وقال البهائي: (جميع أحاديثنا إلا ما ندر تنتهي إلى علي عن رسول الله)، مما يجعلهم ليسوا محدّثين مستقلين عن الملائكة عن الله، ولا يأتون بجديد، ولا تزورهم الملائكة، ولا هم مفوضين بجديد في الشريعة يلغي السابق، وحتى النبوة من قاعدتهم في (التفويض) واتصالهم بالوحي... بل ما هم إلا نقلة عن آبائهم، ليصل إلى الرسول الكريم، ولا يجوز لهم تغيير القرآن، ولا نسخه، ولا نسخ أحاديث الرسول<sup>(١)</sup>.



(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٣/ ٣٤ البهائي، الوجيزة، ص ٢٢.

## الإمامة في التشيع العربي

الإمامة ليست من أصول الدين، كما قال بعض الفقهاء العرب المصلحين، مثل هاشم معروف الحسني، ومحمد حسين فضل الله، ومحمد مهدي شمس الدين، ومحمد جواد مغنية، وغيرهم. الإمام علي يعد نفسه تلميذاً لرسول الله، ولا يمكن مقارنته بالنبي، فهو يقول: (أنا عبد من عبيد محمد) باستعمال المجاز في اللغة العربية، فلا يوجد أحد عبد لآخر، لكنه أراد أن يبين منزلة الرسول العالية ونسبته إلى النبي<sup>(١)</sup>.

الإمام علي وصف علاقته بالنبي والتبعية له، قائلاً: (ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به...). الخطبة القاصعة، وهي خطبة طويلة جامعة، فلا يعقل أفضلية الإمام علي على الرسول، كما ادعاه زوراً التشيع الفارسي.

ولم يقبل الأئمة على أنفسهم الغلو، بل هم بشر يخطؤون، فقد قال الإمام علي في أشهر أدعيته: (اللهم اغفر لي تلك الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي تلك الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي تلك الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي تلك الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي تلك الذنوب التي تحبس الدعاء...) (٢).

كما قال علي أيام خلافته: (فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في

---

(١) الكافي، الأصول، ١/ ١٤٥.

(٢) النهج، الخطبة القاصعة، دعاء كميل المروي عن علي، حيث علّمه تلميذه كميل بن زياد النخعي، راجع: في ذلك مفاتيح الجنان وغيره من كتب الأدعية والزيارات، ويقرأ كل ليلة جمعة.



حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإنني لست بنفسني بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب، لا رب غيره، وأمثاله واضح في اعترافه بأخطائه وعدم عصمته وطلبه المشورة<sup>(١)</sup>.

وقف الإمام مع الخلفاء الراشدين الثلاثة بوصفهم وزيراً ومعيناً ومشاوراً، حتى ورد مراراً عن الخليفة الثاني قوله: (لولا علي لهلك عمر) (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن). ومدح علي الخلفاء الراشدين الثلاثة، حتى جاء في نهج البلاغة: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بأمير أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى). وهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار في الخلفاء والبيعة والشورى، بل وضرورة إرجاع من يخالف ذلك، وليس فيها النص على الإمامة وأمثالها، حيث لم يحتج بذلك في كل حياته حتى في حروبه وأشدّ أزماته<sup>(٢)</sup>.

عن الكشي وغيره عن الصادق، قال علي: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده جلد المفترى. وإن جبهما إيمان وبغضهما كفر). وقوله: (رضينا لدنيا ما رضي رسول الله لديننا، فبايعنا أبا بكر) وغيره كثير.

عندما أراد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فتح بلاد فارس والروم فإنه استشار الإمام علياً الذي قام بإسداء نصيحته الرائعة، قائلاً: (إنك متى تسر إلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٧ الكافي، الروضة، ص ٢٩٢ البحار، ٣٠٢/٧٤.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب السادس، محسن الأمين، عجائب أحكام أمير المؤمنين، التستري، قضاء أمير المؤمنين، الحسيني، سيرة الإمام علي، المناوي، فيض القدير، ٣٥٦/٤ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤٦١/٢ كنز العمال، ٥٣/٣ الطبري، الرياض النضرة، ١٩٤/٢ تذكرة ابن الجوزي، ص ٨٧ مناقب الخوارزمي، ص ٦٠.

هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنبك، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه. فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين<sup>(١)</sup>.

فالإمام يطلب من الخليفة عدم الخروج للحرب بنفسه حفاظاً عليه، لأنه المرجع الذي يرجعون إليه، والملاذ الذي يلوذون به، ثم بعث ابنه الحسن في قيادة أوائل الحملات، تأييداً للخليفة الفاروق. بعد شهادة الخليفة الثاني على يد المجوسي الفارسي أبي لؤلؤة، وقف الإمام علي عند قبر الخليفة حزيناً، راثياً بأعظم رثاء خالد، ذاكرًا مناقبه وفضله وعظمته، قائلاً: (فقد قوم الأود، ودأوى العمد، وخلف الفتنة، وأقام السنة، وذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدى فيها الضال، ولا يستيقن المهتدي)<sup>(٢)</sup>.

وهذا بعد شهادة الخليفة الثاني، فلا يعقل ما أورده البعض من كونه تقية فأي تقية وأي خوف وعلي المقدام الشجاع، أمام شخصية عمر وقد رحلت روحه عن الدنيا إلى ربها مطمئنة راضية مرضية.

(١) النهج، الخطبة ١٣٤ الكشي، ص ٢٥٧ رجال الخوئي، ٨/ ١٥٣ وبإضافة (كيف تطعنون في أبي بكر وعمر) في عدة نصوص دليلاً على احترامهما، بعكس ما ذكره الفقهاء الفرس من كفرهم وفسقهم ونفاقهم وارتدادهم، وعدم توبتهم، وكونهم في قعر جهنم، وأعدى أعداء الله، بحيث يتعجب إبليس من مقامهم، كما ذكر سابقاً أعلاه في التشيع الفارسي.

(٢) النهج، الخطبة ٢٢٨ وقد ذكرها في ابن الخطاب، الشريف الرضي جامع النهج، وكذلك شراحه مثل ابن أبي الحديد، ومحمد عبده، وصبحي الصالح، وفقهاء شيعة: كأبي الهيثم البحراني، وأئمة كبار: كالإمام زيد إمام المذهب الشيعي الزيدي، الذي يرفض تكفير الخلفاء ويحترمهم. إن مشكلة الفرس هو عصبيتهم وعنصريتهم، لأن الخليفة الفاروق قد حطم كبرياء كسرى، وفتح بلاد فارس بالقادسية، فتجد الحقد واللعن اليومي لفقهاء قم ضد عمر، حتى سميت الرباعيات بعد الصلاة التي تورث التوفيق في الدارين الدنيا والآخرة، وهي لعن عمر، ثم أبي بكر وعمر، ثم عمر وعمر، ثم عثمان وعمر، ودعاء صنمي قريش، ولعن عاشوراء، ومراسيم فرحة الزهراء: كأعظم الأعياد بقتل عمر، والحج لقائله المجوسي أبي لؤلؤة، وغيرها كما ذكر أعلاه.

وقف الإمام علي مدافعاً عن الخليفة الثالث مانعاً الناس من الهجوم عليه، وأوقف على داره ولديه الحسنين سبطي الرسول وسيدي شباب أهل الجنة، دفاعاً عنه، وهو يخاطبه، ويذكر فضله ومدحه الخليفتين أبا بكر وعمر، ثم كون عثمان أقرب رحماً لرسول الله لأنه تزوج ابنتي الرسول قائلاً: (إن الناس ورائي قد استسفروني بينك وبينهم، والله ما أدري ما أقول لك. ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما أعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله وشيعة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينال)<sup>(١)</sup>.

ورفض علي الخلافة، وطلب أن يكون وزيراً لا أميراً قائلاً: (دعوني والتمسوا غيري، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير مني أمير). برغم تجمع الناس لمبايعته، ورفضه ذلك قائلاً: (وبسطم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف...)<sup>(٢)</sup>.

وقال في مكان آخر من النهج: (فما راعني إلا والناس كعرف الضبع، يتشالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم... أما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز)<sup>(٣)</sup>.

ولم يشر الإمام أبداً إلى النص عليه، لا في هذا المورد، ولا في أي مورد لنهج البلاغة، ولا غيره، مع أنه مورده وحاجته، بل حتى مع خصومه، الذين حاربهم

(١) النهج، الخطبة ١٦٤.

(٢) النهج، الخطبة ٩٢.

(٣) النهج، الخطبة الثالثة.



وحاربوه، وسالت الدماء بينهما أنهاراً ليسقط الآلاف، لم يحتج يوماً بأن الله قد أوصى إليه بالخلافة، ولم تكن في المرتكز الذهني عنده، ولم يحتج عليهم لا هو ولا أحد أبنائه من الحسن والحسين، ولم يعجزه البيان، وهو سيد البيان والبلاغة، وقد حاججهم مراراً وذكر أدق التفاصيل، ولم يذكر ذلك كما هو الحال في النصوص أعلاه، وهو يستقرئ ويستطرد الأدلة، فكيف بالخفاء مع الحاجة إلى البيان، وأين التقية في موارد الدماء، لكنها وجدت في مصادر متأخرة جداً من التشيع الفارسي، كما ثبت في التحقيق والتدقيق.

ليس للأئمة اتصال بالغيب، فالإمام يقر بانقطاع الوحي بوفاة النبي، ولا يعلم الغيب، بل حتى إذا فقد الإمام دابته أو حاجته، فإنه لا يعلم أين هي وكيف يحصل عليها. كما أنهم يعدون الأحاديث فيها الصحيح وغير الصحيح، وقال علي: (ولقد كذب علي عهد رسول الله حتى قام فيهم خطيباً، فقال: «لقد كثر الكذابة عليّ، فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>)، وطالب بعرض كلامه على القرآن، وأخذ ما وافقه، ورفض ما خالفه<sup>(٢)</sup>.

إن الإمام يؤسس لثقافة السلم والسلام والتنازل عن المصالح الجزئية الشخصية أمام مصلحة الأمة، وهو يقول: (والله لأسألن ما سلمت أمور المسلمين، ولو كانت عليّ خاصة)، وقوله أيضاً: (فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه)<sup>(٣)</sup>.

كما اعتبر الإمام من حاربوه في الجمل وصفين: (إخواننا بغوا علينا)، وصلى عليهم، ورفض سبهم، كما رفض سلبهم، واعتبرها فتنة حدثه الرسول عنها، ولم

(١) أخرجه البخاري (٨٠ / ٢) رقم (١٢٩١)، ومسلم (١٠ / ١) رقم (٣)، بلفظ عن المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن كذبا عليّ ليس ككذب علي أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

(٢) النهج، الخطبة ٧٤.

(٣) النهج، الخطبة ١٧٤، والكتاب ص ٦٢.



يعدّهم كفارًا أبدًا، كما جاء في النهج: (قلت: يا رسول الله بأي المنازل أنزلهم؟ فقال الرسول: بمنزلة فتنة)<sup>(١)</sup>.

وقد صالح الإمام الحسن معاوية بن أبي سفيان، ولكن بعض شيعته رفضه قائلاً للحسن: (السلام عليك يا مذلّ المؤمنين)... واستمر الحسين على الصلح حتى بعد وفاة الحسن لعشر سنوات مستمرة، معتبراً الصلح هو القيمة الحقيقية الأصيلة في الإسلام، كما ورد عن الرسول: «يصلح به فئتين كبيرتين من المسلمين»<sup>(٢)</sup>. والعجيب أن التشيع الفارسي لا يسلط الضوء على هذا الصلح وأبعاده الحقيقية، خصوصاً في عشر سنوات، الإمام الحسين، بل يذكر قصة كربلاء فقط وبشكل منحرف مع طقوس غريبة للبغضاء والتكفير واللعن<sup>(٣)</sup>.

لم يعهد للأئمة كلهم ثورة كالحسين في كربلاء برغم ادعاء الثورية، وبعضهم يفسرها بالتقية، لتعبر عن خوف الأئمة، وهي أغرب من الخيال في الوهن والضعف والتناقض.

هل كان الحسين يستعمل التقية مع معاوية لعشر سنين؟؟

كيف يكون نفسه الحسين ثائراً ضد يزيد ومصالحاً أباه معاوية؟ كيف يستعمل التقية مع معاوية دون ابنه؟

كما سئل الحسين: (أتذهب إلى من خذل أباك وأخاك؟ قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، كانت النصيحة من كثيرين للحسين في طريقه إلى كربلاء كأخيه محمد ابن

(١) النهج، الخطبتان: ١٢٢ و ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦/٥ رقم ٣٧٤٦)، ولفظه: عن الحسن سمع أبا بكر سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، ٦٦٩٢، تاريخ الطبري، خلافة معاوية، ص ١٠٢، الأمين، في رحاب الأئمة، ٢/ ٣٣ الحسيني، سيرة الأئمة، ص ٥٢٤، آل راضي، صلح الحسن، ص ٤٦، أعلام الهدى، ٤/ ١٧٠، المفيد، الإرشاد، ص ٢٧٧.

الحنفية: (يا أخى إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، ويساورني خوف أن يكون حالك حال من مضى، فإن أردت أن تقيم في الحرم فإنك أعز من بالحرم وأمنعهم)، وابن عباس كذلك ينهائهم عن التوجه للعراق، كما سأل الحسينُ الفرزدقَ عنهم، فقال: (قلوبهم معك، وسيوفهم عليك). فأجاب الحسينُ الفرزدقَ: (نعم، صدقت)، وأرجعها الحسين في أحاديث أخرى إلى مشيئة الله تعالى: (شاء الله تعالى أن يراني قتيلاً) وأمثاله.

ألم يقل الحسين: (يا شبت بن ربعي، ويا حجار بن أبحر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث: ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجنب، وإنما تقدم على جند مجندة... فإن أبيتم فدعوني أرحل من حيث جئت..) ولم يشر الحسين وهو يذكر مناقبه، أي نص على ولايته، كما أن وصيته تخلو من ذلك تماماً<sup>(١)</sup>.

لماذا لم يثر الأئمة على الولاة الآخرين؟! أليس زين العابدين نجل الحسين، وقيل شهد واقعة كربلاء، فلماذا يدعو لجيش بني أمية في صحيفته السجادية في دعاء أهل الثغور، وقد عدد مناقبه وفضائله فلم يذكر الإمامة الإلهية المنصوصة، حيث قال: (أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع: أعطينا العلم والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة والمحبة، في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي والصديق والطيار أسد الله وأسد رسوله)، ولم يذكر النص، بل ذكر مديحاً لحمزة، الذي لا يعد من المعصومين، وجعفر الطيار كذلك، فهل هؤلاء من الأئمة المعصومين. وقد قال بعض الفقهاء الشيعة: (كان الإمام يوصي الشيعة بالخضوع للحاكم والطاعة له وعدم التعرض لسخطه، وهو منعزل إلى العبادة والدعاء)<sup>(٢)</sup>.

(١) الأمين، سيرة الأئمة، ٧٩/٣ الحسن، سيرة الأئمة، ٦٣/٢ المفيد، الإرشاد، ص ٣١٨ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٤٥٩/١ البحار، ٣/٥٤ الأمين، أعيان الشيعة، ١٠٦/١ المرقم، مقتل الحسين، ص ١٦٥ الكامل في التاريخ، ٣٩/٤.

(٢) الأمين، في رحاب الأئمة، ٢٠٨/٣ الحسن، سيرة الأئمة، ١٢٨/٢ المفيد، الإرشاد، ص ٣٧١ الصحيفة السجادية، علي بن الحسين، البحار، ٩١/٤٦ بشارة المصطفوي، ص ١٧٩ الطبرسي، الاحتجاج، ٤٠/٢، الحراني، تحف العقول، ص ١٨٤.

ألم يكن الحكم العباسي كما يدعون أشد من الحكم الأموي، واشتهر قولهم:  
 تا الله ما فعلت أمية فيهم      معشار ما فعلت بنو العباس  
 فلماذا لم يثوروا على الظلم، بل أصلاً لم يقفوا مع الثورات العلوية آنذاك كثورة  
 فخ وثورة زيد وغيرها؟.

ماذا يعرفون عن الأئمة وحياتهم: كالتقي والنقي والعسكري؟؟

إنها انتقائية بامتياز في أخذ جزء بسيط من التاريخ وتحويره، لتأصيل ثقافة  
 الغلو والكراهية البعيدة عن حياتهم وسيرتهم.

أما التشيع العربي فإنه يأخذ الصورة الكاملة لحياة الأئمة الكاملة بشكل  
 موضوعي هادف بناء، وستجد فيه إجابة لعشرات الأسئلة التي لا يستطيع التشيع  
 الفارسي الإجابة عنها، كما أنه يعطي صورة منسجمة مع القرآن وسيرة رسول الله مع  
 دراسة الزمان والمكان والظروف الموضوعية المختلفة وإنشاء ثقافة المحبة والتعايش.



## الحسين وكربلاء في التشيع العربي

ورد عن الرسول «الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة»<sup>(١)</sup> وغيرها.

كان الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب، سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن، الذي كان أكبر منه، وصالح معاوية في وثيقة معهودة، فيها الشورى ومبادئ إسلامية عامة. بعد وفاة الحسن استمر الحسين بوثيقة الصلح مع معاوية برغم مناداة أهل العراق له للثورة على معاوية، لكنه رفض، وبقي عشر سنوات كاملة حتى وفاة معاوية. بعد وفاة معاوية تكون وثيقة الصلح قد انتهت بتعيين معاوية لولده يزيد خليفة للمسلمين، وهي أول مرة للتوريث لابن لم يسبق للخلفاء الراشدين أن عينوا أبناءهم للخلافة توريثاً، خصوصاً لم يكن يزيد يتمتع بالخصال التي تؤهله للخلافة، والأمة قريبة عهد بالرسول، وهناك الكثير من الصحابة وسيرة الخلفاء الراشدين أمامهم. لم يكن الحسين مقتنعاً بيزيد خليفة، حتى ورد عنه: (ويزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمرة، يلاعب كلبه وقردته، مثلي لا يبايع مثله). وقد راسل الحسين أهل العراق وأرادوه خليفة، حيث بعث لهم ابن عمه مسلم بن عقيل للتأكد من موقفهم بعد تجربة بائسة مع أخيه الحسن وأبيه علي، كما ورد أعلاه وذكره بها كثيرون: كابن عباس ومحمد ابن الحنفية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٥٦/٥ رقم ٣٧٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٢٩٥ رقم ٧٩٦).

(٢) الأمين، في رحاب الأئمة، ٨٢/٣ الحسيني، سيرة الأئمة، ٦٦/٢ المفيد، الإرشاد، ص ٣٢٢ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٤٦٢/١ البحار، ٣/٥٤ الأمين، أعيان الشيعة، ١/١٠٩ المقوم، مقتل الحسين، ص ١٧٢ الكامل في التاريخ، ٤/٤٣.



إذن كان الحسين قد صالح معاوية في زمان أخيه الحسن، بل وحتى بعد وفاة أخيه الحسن، ولمدة عشر سنوات استمر بالصلح، برغم دعوة أهل العراق له للثورة، محتملين تأثير الحسن الأخ الأكبر عليه في حياته. لكنه استمر ١٠ سنوات أخرى رافضاً دعواتهم فكان أيضاً رجل الصلح مع معاوية<sup>(١)</sup>.

قصة الإمام الحسين طويلة ومعقدة، وفيها لغط كثير خصوصاً مروياتها من مقتل أبي مخنف، وهو الضير غير الحاضر بكر بلاء والحكواتي المعروف والمبالغ في قصص المقاتل من الخرافات والقصص العجيبة الغريبة المختلفة.

ورد أن شيعة الحسين وجماعته قد دعوه للعراق، فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل لمعرفة حالهم، ومعه رسالته: (من حسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جللكم: إنه ليس علينا إمام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيئاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والأخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله، والسلام). فخذلوه كما خذلوا أباه عليّاً وأخاه الحسن، كما أوصاه الكثيرون: كوصية أخيه ابن الحنفية وابن عمه ابن العباس، كما ذكر أعلاه، وتم خذلان كذلك سفيره مسلم بن عقيل. وقد طلب الحسين من أصحابه الانصراف قائلاً: (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي وينصرف)...

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، ٦٦٩٢ تاريخ الطبري، خلافة معاوية، ص ١٠٢ الأمين، في رحاب الأئمة، ٢ / ٣٣ الحسيني، سيرة الأئمة، ٢ / ٥٢٤ آل راضي، صلح الحسن، ص ٤٦ أعلام الهدى، ٤ / ١٧٠، المفيد، الإرشاد، ص ٢٧٧.

وقد دعا الحسين عليهم، كما ينقل فقهاء الشيعة، حيث يقول المفيد في إرشاده: (وقال الإمام الحسين في دعائه على شيعته: اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترض الولاية عنهم أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا فقتلونا)<sup>(١)</sup>.

ودعا الحسين عليهم مرة أخرى بقول الطبرسي، فقال الحسين: (لكنكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدُّبَا، وتهاقتم كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، سفهاً وبعداً، وسحقاً لطواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا وتقتلوننا، ألا لعنة الله على الظالمين)<sup>(٢)</sup>.

وقال الفقيه العربي المحقق محسن الأمين: (بأيع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه)<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن الحسين زين العابدين، قوله لأهل الكوفة: (هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق، ثم قاتلتموه وخذلتُموه؟ بأي عين تنظرون إلى رسول الله، وهو يقول لكم: (قاتلتُم عِترتي، وانتَهكتُم حرمتي، فلستم من أمتي)<sup>(٤)</sup>.

وعن زين العابدين أيضًا: (إن هؤلاء سيكون علينا فمن قتلنا غيرهم؟!)<sup>(٥)</sup>.

وعن فاطمة الصغرى في خطبة لها في أهل الكوفة: (يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر والمكر والخيلاء، إنا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا، فجعل بلاءنا حسناً. فكفرتمونا وكذبتُمونا، ورأيتُم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً. كما قتلتم جدنا بالأمس،

(١) الأمين، سيرة الأئمة، ٨٠/٣، الحسيني، سيرة الأئمة، ٧٠/٢، أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين، ص ١٧.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٢٤.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٤ كذلك سيرة الأئمة.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٢.

(٥) المصدر السابق، ٢/ ٢٩.

وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت. تَبَّاً لكم! فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلَّ بكم... ألا لعنة الله على الظالمين. تَبَّاً لكم يا أهل الكوفة، كم قرأت لرسول الله قبلكم، ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب وجدي، وبنيه وعترته الطيبين). فَرَدَّ علينا أحد أهل الكوفة، فقال:

نحن قتلنا علياً وبنِي علي      بسيف هندية ورماح  
وسبينا نساءهم سبي تركٍ      ونطحناهم فأَيُّ نطاح<sup>(١)</sup>

وقالت زينب بنت أمير المؤمنين لأهل الكوفة: (أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل. إنما مثلكم كمثـل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، هل فيكم إلا الصلف والعجب والشنف والكذب؟ أتبكون أخي؟ أجل والله، فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً، فقد ابليتـم بعارها. وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة)<sup>(٢)</sup>.

وكل ذلك من مصادر الشيعة. وقد عانى الإمام علي في الكوفة معاناة مريرة، حتى ورد كثيراً في خطبه، مثل: (ما هي إلا الكوفة أقبضها وأسطها، إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك، فقبحك الله، اللهم إني مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، لا أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء). وقوله في أهل الكوفة (يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندماً، وأعقبت سدماً. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحتتم صدري غيظاً، وجرعتموني نعب التهام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان). وقد عانت الكوفة نزوح الفرس، الذين انتحلوا التشيع، ليصبغوه بصبغتهم..<sup>(٣)</sup>

قال علي بن أبي طالب: (ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا،

(١) المصدر السابق، ٢/ ٢٨.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٣٠.

(٣) النهج، الخطبتان: ٢٥ و ٢٦.



ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب، وعبيد كأرباب؟ أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي، فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين)، وقوله: (منيت بكم بثلاث واثنين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء. يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر....)<sup>(١)</sup>.

وجاء في النهج شدة تألمه من ادعائهم كذبه وبلاغة تمثيله لهم، قوله: (أما بعد: يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أقلصت، ومات قيمها، وطال تأيمها، وورثها أبعداها، أما والله ما أتيتم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني أنكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله، فعلى من أكذب...)<sup>(٢)</sup>.

وعشرات غيرها كما يوجد في المقابل بعض الروايات، لكنها أقل عدداً، وأضعف نوعاً، ويمكن الجمع على أساس اختلاف الظروف والأزمان والأشخاص ولطول البحث أتركه لمن يرغب التوسع إلى كتابي: كربلاء والمظلومية والطقوس، ودراسة في نهج البلاغة.

نصح الكثيرون الحسين بعدم الخروج للعراق، وقال له ابن عمر: (اتق الله، ولا تفرق جماعة المسلمين)، بينما انتقد ابن عربي الحسين قائلاً: (قتل بشرع جده)، ويقول ابن خلدون: (إن الحسين غلط في أمر خروجه على حكم يزيد). كذلك الخضرى بينما يعتقد آخرون أن الثورات العلوية اللاحقة كانت من نتائجها، بينما الإيجابية كثرة زيد بن علي بن الحسين وغيرها رفضاً للظلم.

وخذلان شيعة الحسين له، أدى إلى ثورات عديدة متلاحقة، دفعاً للتوبة كثرة التوايين وغيرها.

(١) النهج، الخطبة ٩٧.

(٢) النهج، الخطبة ٧١.



وقال العقاد: (انهزم الحسين في يوم كربلاء، وأصيب هو وذووه من بعده، ولكنه ترك الدعوة التي قام بها ملك العباسيين والفاطميين، وتعلل بها أناس من الأيوبيين والعثمانيين، واستظل بها الملوك والأمراء بين العرب والفرس والهنود، ومثل للناس في حلة من نور، تخشع لها الأبصار، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في التاريخ لبنى البشر، فليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء ما أنجبتهم أسرة الحسين عدة وقدرًا وذكراً، وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد في مئات السنين)<sup>(١)</sup>.

فليس إذن من قتل الإمام الحسين هم السنة، كما يزعم الفرس، ولا بد من الثأر منهم، ومن أمتهم جميعاً، (لعن الله أمة قتلتك). وتحملهم جرم ذلك زوراً وظلماً. فضلاً أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، لكنها السياسة الفارسية في ثقافة البغضاء وطغيانها ومصالحها.

ولابد من الإشارة أن الأئمة الآخرين وجّهوا نقدًا مشابهاً لشيعتهم وأصحابهم، واعتبروا الشيعة الحقيقيين منهم أنفاراً معدودة جداً عن الصادق، (إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لآخرته). واعتبروا بعض خواصهم من الغلاة الملعونين، كما مر في البحث (غلاة حول الأئمة) أعلاه.

اعتبرت كربلاء محوراً في التشيع الفارسي، خصوصاً في إثارتها لثقافة التكفير والأحقاد والانتقام في اختلاق القصص الخرافية والتطير الصفوي وقربة العباس وعرس القاسم وعشرات الأمثلة للخطباء المعهودين.

من أخطار التشيع الفارسي هو تحريف كربلاء تماماً، فهم يدعون أن القضية عشائرية والصراع بين بني هاشم وبني أمية، لأن الحسين من بني هاشم ويزيد من

(١) العقاد، أبو الشهداء، ص ٢٢٩ الخضرى، تاريخ الأمم الإسلامية، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٢١٣ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١٧ ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص ٢٢٩ الوردى، وعاز السلاطين، ص ٢٩٨.

بني أمية، والشجرة الأولى هي الطيبة منذ آدم، والشجرة الثانية هي الحبيثة، لذلك كرروا يومياً في الزيارة: (لعن الله بني أمية قاطبة)، واعتبروا جميع بني هاشم في الجنة وطاهرين، وغير ذلك من الأفكار العشائرية. لكن التشيع العربي يعتقد أن القضية ليست عشائرية أصلاً، فهناك من بني هاشم السيئون جداً، وما أكثر إخوة الأئمة وأبنائهم وأصهارهم، حيث فسقوا وقتلوا، وأسسوا الفرق المختلفة، مثل جعفر الكذاب وزيد النار وعمر الأطراف. راجع بحثي السابق (فرق الشيعة والفرقة الناجية)، وكذلك بنو العباس الذين اعتبروهم أسوأ من بني أمية. كما كان من بني أمية خيرة الرجال العظام، مثل خالد بن سعيد بن العاص، وكان من أوائل المسلمين، وولاه النبي على صنعاء، وأخوه أبان، وولاه النبي على الخط (القطيف حالياً)، وأخوه عمرو، وولاه النبي على وادي القرى، كما تزوج النبي أم حبيبة بنت أبي سفيان وأخت معاوية، وكانت من خيرة زوجاته، فضلاً عن ذى النورين الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وعشرات غيرهم يذكرونهم كمعاوية بن يزيد بن معاوية والخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وغيرهم أكثر من أن يحصى. وهل الدين عشائري يدخل جميع بني هاشم الجنة منذ كانوا نطفاً، كما يقولون بعكس بني أمية، لأن نطفهم حرام كما يزعمون زوراً، وهل قيم القرآن تتكلم عن العمل الصالح أم العشائرية، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال النبي: «تأتون يوم القيامة بأعمالكم لا أنسابكم وأحسابكم، ولا تقولوا يا بني عبدالمطلب: رسول الله منا. فليس بين الله وبين أحد قرابة»<sup>(١)</sup>، وصار من صحابته عمار الحبشي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري، بينما كان عمه أبو لهب كافراً مخلداً بصريح القرآن: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ [المسد: ١-٥]. وكم صالحاً رأينا أولاده غير صالحين، والعكس بالعكس، كما في قصة

(١) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ٩١): قال النبي ﷺ: «يا بني هاشم لا تأتيني الناس بأعمالهم، وتأتونني بأنسابكم». قلت: غريب جداً.

القرآن لابني آدم، إذ قتل قابيل هابيل، وكان ابن نوح غير صالح. ومن هنا يرفض التشيع العربي الثقافة العشائرية في تفسير التاريخ وعاشوراء والعقيدة والقرآن، بل يعود إلى القيم والمبادئ في روح الدين ومقاصد الشريعة، ومرجعها القرآن وسيرة الرسول والآل والأصحاب.



## الشورى وولاية الأمة في التشيع العربي

الشورى مبدأ قرآني حيث توجد سورة قرآنية باسم الشورى، وفيها: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. وأمر الله رسوله بمشاورتهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وبعد واقعة أحد حيث مُنِيَ المسلمون فيها بالهزيمة، ومقتل حمزة، التي كانت من آثار المشورة التي قبلها الرسول بالخروج من المدينة برغم أن رأيه كان البقاء، ليشارك الكثيرون حتى الكبار والنساء، وهم يعرفون أزقتها وطرقها. وعلى الرغم من اتصال النبي بالوحي والسما في الجانب التشريعي والعبادي، لكنه اعتاد على استشارة قومه خصوصاً في الأمور السياسية والاجتماعية حتى ورد استشارته لقومه في الحروب، مثل غزوة بدر، حيث استشارهم في الأسرى، وغزوة أحد عندما استشار قومه قبل الحرب، فأشاروا عليه بالخروج من المدينة، وكان رأي البقاء فيها، لكنه تنازل عن رأيه برغم أنه كان الأصوب، كما تبين لاحقاً ليتبع الأكثرية تطبيقاً للشورى، التي طلبت الخروج إليهم غروراً منهم كونهم أصحاب بدر فليخرجوا إليهم، وكذلك حرب الأحزاب الصعبة جداً التي وصفها الله تعالى في قرآنه الكريم ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]، وما أروع من وصف، فأشار سلمان بحفر الخندق، كما كان الفرس يعملون، وأخذها النبي وفعلاً كانت ناجعة، وموارد أخرى في المشورة معروفة في السيرة<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: كتب السيرة، لا سيما ابن هشام والحسني والأمين والكتب السابقة.



قال النبي: «أشيروا عليّ»<sup>(١)</sup>، وقول علي: (لهم الشورة عليه). والحقيقة بما أن (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم)، فلا يمكن حكمهم دون إذنه، ولا التصرف بأموالهم<sup>(٢)</sup>.

وقد تحدث الإمام علي عن الشورى مراراً، ومن أهمها قوله: (وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بأمر أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى)، وفيها يجعل الشورى هي المناط الحقيقي في اختيار الخليفة وإطاعته، وفقاً للشورى حيث يعد الخلفاء الراشدين الثلاثة شرعية من خلال ذلك، إذ يقرنها بقوله: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد) في نفس الخطبة والمكان رابطاً بينهما، حيث تكون الشورى معياراً عالياً متوافقاً مع القرآن الكريم وسيرة الرسول الأمين<sup>(٣)</sup>.

وقد طلب علي من الناس رأيهم في أروع صورة يضع نفسه متواضعاً صادقاً صريحاً: (لا تكفّوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي)<sup>(٤)</sup>.

وفي وثيقة الصلح بين الحسن ومعاوية: (وأن يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين)<sup>(٥)</sup>.

وقد وصل اهتمام النبي الكريم بالشورى والجماعة ورفض الفرقة، إلى درجة أن يروى الصدوق عن الرضا عن آبائه عن الرسول: «من جاءكم يريد أن يفرّق

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/٦ رقم ٤٧٥٦)، ومسلم (٢١٣٧/٤ رقم ٢٧٧٠).

(٢) البحار، ٢٤٧/١٩ و ٤٠٤/١٠.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب السادس.

(٤) النهج، الخطبة ٢١٦.

(٥) البحار، ٥٦/٤٤.

الجماعة، ويغصب الأمة أمرها، ويتولى من غير مشورة فاقتلوه، لأن الله قد أذن في ذلك»<sup>(١)</sup>.

وفي ولاية الأمة، قال الإمام علي: (الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل أن لا يعملوا عملاً، ولا يحدثوا حدثاً، ولا يقدموا يداً، ولا رجلاً، ولا يبدؤوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة)، فهو يشير إلى أهمية القيادة في الحكم لنظام الدولة وملاء الفراغ سريعاً، وهو يرجعه للناس والأمة لا الولاية والوصاية والتعيين الإلهي أبداً<sup>(٢)</sup>.

ولاية الأمة تتماشى مع الشورى، وقد نظر لذلك فقهاء عرب، منهم محمد مهدي شمس الدين، كما آمن مصلحون عاشوا في الغرب، وتأثروا به كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، اللذين تأثرا بأفكار جان جاك روسو بفرنسا، وحق الناس في الحكم، وربطه بالشورى كما هو واضح في العروة الوثقى، التي أصدرها (جمال الدين ومحمد عبده) في باريس. كما كان محمد باقر الصدر في بعض كتبه يؤمن بهذه النظرية، مثل كتابه: (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء)، فيقول: (إن الله سبحانه أناب الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون وإعمارها اجتماعياً وطبيعياً، وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله... وعلى الجماعة أن تتحمل مسؤولية الخلافة). معتمداً على آيات قرآنية، ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وأن تمارس الأمة دورها في الخلافة على أساس الآيتين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٠ رقم ١٨٥٢)، بلفظ عن عرفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه». وانظر: الصدوق القمي، عيون أخبار الرضا، ٢/ ٦٢.

(٢) البحار، ٨/ ٥٥.

أُولِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿التوبة: ٧١﴾، وغيرها حيث كتب رسالة كاملة في الشورى واعتبارها أساساً في الحكم واعتبار الأكثرية في الشورى، حيث الإجماع حالات نادرة كما هو الغالب، وهي تقترب إلى حد ما من الديمقراطية ورأى الأكثرية. لكن الديمقراطية لا علاقة لها بالفقيه ولا المؤمنين، بل الجميع متساوون وكل امرئ له صوت واحد، امرأة كانت أو رجلاً.

فيمارس الناس من خلال الانتخاب للسلطة التنفيذية والرئيس، وكذلك يمارس الناس السلطة التشريعية من خلال انتخابات مجلس الشعب، الذي يمارس بدوره الرقابة بوصفه برلماناً منتخباً مباشرة من الشعب، وكلها تنطلق من خلافة الأمة<sup>(١)</sup>.

إن نظرية الصدر تُعدُّ تطوراً في الفكر الشيعي الإمامي، لأن الفقهاء الفرس عادة لا يذكرون الشورى البتة، ويعدونها بدعة من أهل السنة المؤمنين بها، ويستهزئ الفقهاء الفرس بشورى السقيفة، باعتبارها تقابل نظريتهم في النص الإلهي على الخلافة للإمامة، لذلك لا نجد عنهم أي تنظير أو أهمية للشورى، لأنها تعارض ولاية أهل البيت المعصومين.



(١) راجع: العروة الوثقى لجمال الدين ومحمد عبده، والصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.

## الوحدة الإسلامية والخلفاء الراشدون في التشيع العربي

الوحدة الإسلامية مبدأ قرآني، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿تَنَزَّعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَّعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وأحاديث كثيرة جداً أمر بها النبي كقوله: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»<sup>(١)</sup>، وكذلك وصيته قبل وفاته: «لا ترجعوا من بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٢)</sup>.

ثقافة المحبة والتعايش والسلام تزرع الحياة والوحدة والتعاون من أجل البناء الهادف، وهي ثقافة تحتاجها الأمم والأفراد، بديلة عن ثقافة البغض والكراهية والأحقاد، فهي تهدم البناء كله ومن أساسه، كما تزرع الألغام والأحقاد، وحتى الدماء نتيجة هذه الثقافة والكراهية.

(١) أخرجه البخاري (١٢٨/٣) رقم ٢٤٤٢، ومسلم (١٩٩٦/٤) رقم ٢٥٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥/١) رقم ١٢١، ومسلم (٨١/١) رقم ٥٦.



وقال علي: (يد الله مع الجماعة)، (وخير الناس حالاً النمط الأوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة). وهي تأكيد على الوحدة والجماعة والسواد الأعظم، وتحذير من الفرقة. إن الوحدة دعوة العقل السليم، فالوحدة قوة، والتفرق ضعف ولكن بشرطها وشروطها، حتى يتسنى لها النجاح.

جاء عن علي الرضا عن آبائه عن رسول الله قوله: «من جاءكم يريد أن يفرّق الجماعة، ويغضب الأمة أمرها، ويتولّى من غير مشورة فاقتلوه، فإن الله عز وجل قد أذن في ذلك»<sup>(١)</sup>.

كان المرجعان الرئيسان للأمة الإسلامية هما القرآن وسنة النبي، كما قاله علي في أول خلافته، وقد كان رافضاً لقبول الخلافة، حيث قال علي: (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استسنّ النبي فاقتديته)<sup>(٢)</sup>.

ومن أخلاق علي، وهو يحاور مقاتليه الخوارج، قال: (فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمه محمد بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب، وقد علمتم أن رسول الله رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحوا المسلمات، فأخذهم رسول الله بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله)، هكذا تعامل مع أشد مناوئيه الخوارج، الذين كفروه، فلم يلعنهم ولم يسبهم، ولم يدخلهم جهنم. وأضاف في الخطبة نفسها: (وسيهلك فيّ صنفان: محب مفرط، يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط، يذهب به البغض إلى غير الحق. وخير

(١) الصدوق القمي، عيون أخبار الرضا، ٦٢/٢.

(٢) نهج البلاغة، ١٨٤.

الناس في حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه) والإمام هنا بوضوح يطالبهم بالخط الوسط والاعتدال وعدم الغلو والمبالغة، بل وإلزامهم بالجماعة وعدم التفرقة<sup>(١)</sup>.

كما سمى علي من حاربه من الخوارج وغيرهم بإخواننا في الإسلام، (ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام)<sup>(٢)</sup>.

ومن كتاب لعلي، كتبه إلى أهل الأمصار، يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: (وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء)<sup>(٣)</sup>.

ورفض السباب فهو ليس من أخلاق الإسلام، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال الرسول: «سباب المؤمن فسوق»<sup>(٤)</sup>، «سأب المؤمن كالمشرف على الهلكة»<sup>(٥)</sup>. ورفض علي السب تماماً ودعا للصلح، وقال: (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم)<sup>(٦)</sup>.

(١) النهج، ١٢٧.

(٢) النهج، ١٢٢.

(٣) النهج، ٥٩.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤٤١ رقم ٦٠٥٢)، وقال محققه: إسناده حسن. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٤ رقم ٢٨١٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف من قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما (٣/ ٣٦٧ رقم ١٢١١٣)، قال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦ رقم ٢٧٨٠).

(٦) سورة الأنعام، الآية ١٠٨، كنز العمال، ٨٠٩٣ البحار، ١٤٨/٧٥ النهج، ٢٠٦.

وفي ذكره أركان الإسلام يقول علي: (إن أفضل ما توصل به المتوصلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنها ينفيان الفقر، ويرحضان الذنب، وصلوة الرحم فإنها مثرة في المال، ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان. أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقين، فإن وعده أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن)، وهذه الخطبة توضح أركان الإسلام ومعالم دينه، فيما يشترك مع التسنن المحمدي<sup>(١)</sup>.

ولكونه رافضاً أن يتقلد الخلافة، ولكن الناس حملوه عليها، وليس الله ولا رسوله، يقول بوضوح في نهج البلاغة: (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها)، ولو كان يعتقد بولايته، لقال: حملني الله ورسوله في الغدير، ووجب عليكم طاعتي. كما يدعيه الفقهاء الفرس. ثم يذكر الإمام المصدرين الأساسيين، وهما القرآن وسنة رسول الله: (نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استن النبي فاقتديته)، من الخطبة نفسها، والمحور والهدف في المرجعين الأساسيين الوحيدين: القرآن الكريم وسنة النبي الكريم، ولم يضاف لا ولايته ولا عصمته ولا غيره<sup>(٢)</sup>.

وربما يسعى البعض وهو ينبش في التاريخ، لعله يجد هنا أو هناك من انتقاء وقائع معينة لها ظروفها لتأسيس ثقافة الكراهية وتعميقها ونتائجها المأساوية.

الخلفاء الراشدون أمثلة رائعة، لأنهم عاشوا ثقافة المحبة والتعاون والتعايش والتشاور من أجل البناء الهادف والمصلحة الإسلامية العليا متجاوزين المصالح

(١) النهج، ١١٠.

(٢) النهج، ٢٠٥.



الشخصية والاعتبارية وغيرها، حتى في اختلاف اجتهاداتهم، حيث كانت مصدر قوة وعطاء، ولم تتحول إلى خلاف وأحقاد وبغضاء، لأنها عندئذ تسحق الجميع، بل المبادئ والقيم والمقاصد كلها، برغم ادعاء البعض القليل خلاف ذلك، ونعرف أسبابه ودوافعه، فهي كقول الشاعر شنشنة أعرفها من أخزم. التي صارت مثلاً تضرب لمثل هذه المواقع.

تحدث الإمام علي بن أبي طالب عن الصحابة الأجلاء في خطب عديدة، من أهمها قوله: (لقد رأيت أصحاب محمد، فلم أر أحداً يشبهه منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سُجَّداً وقياماً، يراو حون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. إذا ذكر الله هملت عيونهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء في الثواب). كما تحدث الإمام بصراحة ووضوح عن الخلافة الشرعية للخلفاء الثلاثة السابقين له، معتبراً الملاك الشرعي من خلال الشورى القرآنية وفيها رضا الله تعالى كما مرّ سابقاً<sup>(١)</sup>.

كانت بيعة أبي بكر قد تمت من خلال الشورى في سقيفة بني ساعدة، وهي محل إجماع وقبول، كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (اتفق مشايخنا جميعاً، المتقدمون منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون، على أن بيعة أبي بكر الصديق هي بيعة شرعية صحيحة)، فلا مجال لما يطرحه البعض بعدم شرعيتها، خصوصاً بعد بيعة الإمام علي والصلاة خلفه، وهذا التراكم في السيرة العطرة. وقول علي: (لقد بايعت أبا بكر كما بايعتموني، ووفيت له بيعتي، وبايعت عمر كما بايعتموني، ووفيت له بيعتي، وبايعت عثمان كما بايعتموني، ووفيت له بيعتي)<sup>(٢)</sup>.

وقد أقر فقهاء الشيعة في القرن الثالث الهجري ببيعة علي للخليفين أبي بكر وعمر طائعاً غير مكره، حتى قالوا: (إنَّ علياً سلَّم الأمر لهما، الخليفين: أبي بكر وعمر،

(١) النهج، ٧ وأيضاً ٩٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٨/١.



ورضي بذلك، وبايعهما طائعا غير مكره، وترك الحق لهما، فنحن راضون كما رضي المسلمون له ولمن بايع، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحداً إلا ذلك، وإن ولاية أبي بكر صارت رشداً وهدى لتسليم علي ورضاه). كما ينقل أيضاً كاشف الغطاء: (وحيث رأى علي أن الخليفة الأول والخليفة الثاني قد بذلا أقصى جهديهما في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجيوش وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا، بايع وسالم)<sup>(١)</sup>.

إن المختار الثقفي الذي قاد ثورته المعروفة بعنوان الانتقام للحسين من قتلته، كان من الكيسانية المؤمنة بولاية محمد ابن الحنفية، كان يحترم الخلفاء الراشدين، ولم يكفر أحداً منهم أصلاً<sup>(٢)</sup>.

اشترك الإمام علي في حروب الردة أيام الخليفة الأول، كما ذكره المحققون: كالسيد محمد باقر الصدر، قائلاً: (إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون، الذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر، وكلنا نحارب تحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي. إن الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام، قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجود الجهاد من أجله، وخرج الآلاف من الشيعة، وبذلوا دماءهم رخيصة من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام)<sup>(٣)</sup>.

كما وقف الإمام علي على قبر أبي بكر قائلاً: (رحمك الله يا أبا بكر كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على رسول الله، وأنسبهم بالرسول خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً. صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين

(١) فرق الشيعة للنوبختي، ص ٢٢ سعد القمي، الفرق والمقالات، ص ١٨ كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص ٤٥.

(٢) المقالات والفرق، ص ٢١.

(٣) البيان الثالث لمحمد باقر الصدر في النجف في شعبان عام ١٣٩٩ هجرية، فراجع: موسوعة الصدر وحياته.

بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقاً، والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، يريد محمداً ويريدك. وكنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف. كنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، فلا حرمننا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك<sup>(١)</sup>.

واشتهر قول الإمام علي في فضل الشيخين: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. كما ينقله الطوسي والمرتضى. وقال في عمر: (ووليهم فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه). كما ذكر بعض المؤرخين مجيئ أبي سفيان يستنهض علياً للثورة على أبي بكر، قائلاً: (غلبكم على هذا الأمر، والله لأملأنها خيلاً ورجلاً، أعطني يدك أبايعها)، فرفض علي ذلك، وقال مادحاً الخليفة (إنا رأينا أبا بكر أهلاً لها فبايعناه، إنما تريد الفتنة)<sup>(٢)</sup>. وقف الإمام علي مدافعاً عن الخليفة الثالث، مانعاً الناس من الهجوم عليه، وأوقف على داره ولديه الحسنين سبطي الرسول وسيدي شباب أهل الجنة، دفاعاً عنه في سياسة واضحة للسلام والمحبة والتعايش والبناء، وهو ما يحتاجه المسلمون من محتته الطائفية والعصبية المذهبية الغربية.

ومن الظواهر الرائعة بين متعلقي الخلفاء هو كثرة الزيجات والمصاهرات، بل وتسمية الأبناء بأسمائهم، كما سمى الإمام علي أولاده بأبي بكر وعمر وعثمان، وكذا فعل الإمام جعفر الصادق وغيره.

وقد تزوج الإمام علي أسماء بنت عميس زوج أبي بكر بعد وفاته، ليربي محمد ابن أبي بكر في حضنه، كما زوج الإمام ابنته أم كلثوم للخليفة عمر بن الخطاب،

(١) عبدالرحمن الشرقاوي، الصديق أول الخلفاء، ص ٨٧.

(٢) الشرقاوي، علي إمام المتقين، ٦٦/١.

لتنجب له زيد بن عمر ورقية بنت عمر، كما سُمّي أولاده بأبي بكر وعمر وعثمان. تزوج الحسين بن علي عاتكة بنت زيد، وهي بنت عم عمر بن الخطاب وزوجته قبل شهادته، وسمى أولاده أبا بكر وعمر وعثمان، ومن أبناء الحسن بن علي أبو بكر وعمر وعثمان، وكذلك الباقر والصادق. أما السجاد فمن أبنائه عمر، وتزوجت سكينه بنت الحسين زيد بن عمر بن عثمان بن عفان، ثم من بعده مصعب بن الزبير ابن العوام المقتول بالكوفة، وتزوجت أختها فاطمة بنت الحسين عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بعد وفاة زوجها الحسن المثنى وغيرها كثير جداً. والحديث «اختاروا لنطفكم»<sup>(١)</sup> وقال الصادق: (أولدي أبو بكر مرتين)، مراراً. ليثبت أنه علوي بكري، مقابل عدم احترام البعض للخلفاء الراشدين. وقد عاصر الصادق أئمة المذاهب، لا سيما مالك وأبي حنيفة، فضلاً عن أخيه زيد (إمام الزيدية)، وكانت الأخوة بينهم أعظم مثال صارخ للوحدة الإسلامية، وتحتاج إلى دراسة خاصة، لأنه يصل نسبه بأبي بكر مرتين، مرة والدته فاطمة بنت القاسم بن أبي بكر، ومرة ثانية أم فاطمة وهي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.. وهكذا يكون أولاد الصادق من الأئمة من موسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والمهدي المنتظر، كلهم ينتسبون إلى أبي بكر مرتين، فكيف عند ذاك يطعن التشيع الفارسي في أبي بكر ويتهمه بشتى التهم، ومنها النسب وقولهم: (لا يبغيضك إلا ابن زنا...)، فستعود على الأئمة كلهم ونسبهم. حاشا لله في ادعاءاتهم الهزيلة الواهية<sup>(٢)</sup>.

البعض يتساءل: لماذا كانت مدة خلافة علي مليئة بالحروب والفتن، فقد سأل أحدهم علياً عن ذلك، وخلوها زمن الخليفين، فقال علي: (يا هذا لقد كانوا أمراء على مثلي، وأصبحت أميراً على مثلك). ليجعل القيمة للخلفاء الراشدين لو كانوا يعقلون.

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٨/٣ رقم ١٩٦)، ولفظه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة». وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٦١٣ رقم ١٠١٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣١٧٨): موضوع. بينما صححه في السلسلة الصحيحة (٣/١٤١ رقم ١٠٦٧)، بلفظ: «تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم».

(٢) كشف الغمة، ١/ ١٦١ النوبختي، الفرق، ص ٧٧ ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، ص ١٩٥ الأصفهاني، مقاتل الكالبيين.



وهل يعقل ارتداد الأمة إلا ثلاث أو أربع أو سبع أو نفر محدد باختلاف الروايات في ذلك، مثلاً عن الباقر: (ارتد الناس بعد النبي إلا ثلاثة أنفار: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي). وفي رواية بإضافة عمار بن ياسر... وكلها روايات يسهل مناقشتها وبيان ضعفها من جهتين: سنداً أولاً، وثانياً دلالة، فهذا غير معقول وغير مقبول، وهو يتعارض مع القرآن، ومع رواياتهم الصحيحة الكثيرة، بل وسيرة أهل البيت. عن زين العابدين، فقد جاءه جماعة، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان كلاماً سيئاً. فقال لهم: أتخبروني هل أنتم من أخبر الله تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا. فقال: فأنتم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: اللهم لا. وبدأ يعدد الآيات، وهم يقولون: لا. حتى قال: وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]. اغربوا عني...<sup>(١)</sup>.

ونقل فقهاء الشيعة عن الحسن بن علي عن الرسول قوله: (إنما أبو بكر مني بمنزلة السمع). وعن الحسن العسكري قول الرسول لأبي بكر في الغار: «إن الله قد اطلع على قلبك فوجده موافقاً لما جرى على لسانك، فجعلك مني بمنزلة السمع والبصر، والرأس من الجسد، والروح من البدن»<sup>(٢)</sup>، وعن الصادق في الخليفين أبي بكر وعمر قوله: (إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه، فعليهما رحمة الله إلى يوم القيامة). وورد أن الصادق كان يتولى الخليفين أبا بكر وعمر، ويأتي

(١) الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ٧٨.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.



قبريهما، فيسلم عليهما بعد سلامه على الرسول، كما جاء عن الصادق (ولدني أبو بكر مرتين)<sup>(١)</sup>.

عن الباقر: (ولست بمنكر فضل أبي بكر وعمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر). ويسمى الباقر أبا بكر بالصدّيق، ويقول الباقر: (من لم يقل الصدّيق، فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا ولا الآخرة). وعن حديث الصادق عن الغار سمّي أبا بكر بالصدّيق، ونقل عن الرسول قوله لأبي بكر: «أنت الصدّيق»<sup>(٢)</sup>.

دعاء علي بن الحسين لبني أمية في حفظ ثغور المسلمين: (و حصن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، وكثر عدتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألف جمعهم، ودبر أمرهم.. واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر..)<sup>(٣)</sup>.

وينقل لنا الصدوق عن فضل الصحابة، عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق قال: كان أصحاب رسول الله اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم ير فيهم قدر ي ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير. وجاء في تفسير أبي محمد العسكري تأويل حسن، وهو: قال الإمام: قال رسول الله: لما بعث الله تعالى موسى بن عمران واصطفاه نجياً، وفلق له البحر، ونجّى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربه عز وجل، فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي. فقال الله تعالى: (يا موسى، أما علمت أن محمداً أفضل

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١/ ٣١٣ الصدوق، معاني الأخبار، ص ١١٠ الشوشتری، إحقاق الحق، ١/ ١٦ الشافعي، ص ٢٣٨ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٤/ ١٤٠.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ص ٢٣٠، كشف الغمة، ٢/ ١٤٧ البحرائي، البرهان في تفسير القرآن، ٢/ ١٢٥.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاء أهل الثغور، ص ٢٤٥.

عندي من جميع ملائكتي وخلقتي؟ قال موسى: يا رب فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله عز وجل: (يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على آل جميع النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين)؟ فقال: يا رب فإن كان آل محمد عندك كذلك، فهل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله تبارك وتعالى: (أما علمت يا موسى، أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين، وفضل محمد على جميع المرسلين)؟ فقال موسى: يا رب فإن كان محمد وآله وأصحابه كما وصفت، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله تعالى: (يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضلي على جميع خلقي؟) فقال موسى، عند ذلك،: يا رب ليتني كنت أراهم. فأوحى الله إليه (يا موسى إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في جنات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتباحون، أفتحب أن أسمعك كلامهم)؟ قال: نعم يا إلهي. قال: قم بين يدي واشدد مئزرك [وقم] قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل. ففعل ذلك موسى. فنادى ربنا عز وجل: يا أمة محمد! فأجابوا كلهم، وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك (لا شريك لك لبيك) إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك قال: فجعل الله تلك الإجابة منهم شعار الحج. ثم نادى ربنا عز وجل: يا أمة محمد قضائي عليكم إن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي، وقد استجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيكم قبل أن تسألوني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله... انتهى كلامه ورفع مقامه.

ولقد نهى الإمام علي عن سب من حاربهم، قائلاً: (ولو قُلتُم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به. كان هذا أحب إليّ وخيراً لكم). فقيل له: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك، ونتأدب بأدبك. ونقلت أحاديث كثيرة عن أهل البيت، تعتبر نقل مثالب الخلفاء، هي موضوعة مكذوبة على الأئمة.

وقد قال الكميت الأسدي:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا أرضى بسب أبي بكر ولا عمر

وهي نظرية الزيدية أيضاً، وحتى يومنا هذا، وإعلان إمامهم آنذاك بكل صراحة ووضوح زيد بن علي بن الحسين في احترام الخلفاء الراشدين وشرعية خلافتهم. وقال جملة من الفقهاء حرمة سبهم ولعنهم:

فلا تسب عمرا ولا عثمان والذي تولّى أولا

ومن تعاطى سبهم ففاسق، حكم قضى به الإمام الصادق، وكان الأربلي وغيره، يترضى على الخلفاء، متى ذكرهم، كما ذكره محمد حسين فضل الله مراراً. وقال كاشف الغطاء: (وحين رأى أن المتخلفين أعني الخليفة الأول والثاني بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد، وتجهيز الجنود، وتوسيع الفتوح، ولم يستأثروا ولم يستبدوا، بايع وسالم، وأغضى عما يراه حقاً له، محافظة على الإسلام أن تتصدع وحدته، وتفرق كلمته، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى. وبقي شيعته منضوين تحت جناحه، ومستنيرين بمصباحه، ولم يكن للشيعية والتشيع يومئذ مجال للظهور، لأن الاسلام كان يجري على مناهجه القويمة، حتى إذا تميز الحق من الباطل، وتبين الرشد من الغي، وامتنع معاوية عن البيعة لعلي وحاربه في (صفين)، انضم بقية الصحابة إلى علي، حتى قتل أكثرهم تحت رايته، وكان معه من عظماء أصحاب النبي ثمانون رجلاً، كلهم بدري عقبي: كعمار بن ياسر، وخزيمة ذي الشهادتين، وأبي أيوب الأنصاري). ونظرائهم كما سيأتي<sup>(١)</sup>.

(١) الصدوق، الخصال، ص ٦٤٠، الحسيني، تأويل الآيات، ١/ ٤٢٠، ري شهري، موسوعة الإمام علي، ٤/ ٢٧٩ عباس القمي، الكنى والألقاب، ١/ ٣١٣ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٧٤ الوائلي، هوية التشيع، ص ٣٧، بحار الأنوار، ٣٢/ ٣٩٩ نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ١٠٣ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٢٣٢ الأميني، الغدير، ٢/ ٢٧٥ علي العلوي، المجدي في أنساب الطالبين، ص ٣٩٧ كميت الأسدي، الروضة المختارة، ص ٨٢ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/ ١٥٣ مجلة تراثنا، ٤٢/ ٣٧٧ الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٠٤-١٠٦ كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص ١٩٣



ولقد كانت هناك دعوات تاريخية للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قامت بها جامعة الأزهر مع طليعة من فقهاء وشيعة عرب، مثل (دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية) مطلع الستينيات بالقاهرة، وسكرتيرها محمد محمد المدني، وبمشاركة رواد كشيوخ الأزهر محمد عبده ومحمود شلتوت وعبدالمجيد سليم، وشيعة عرب أمثال محسن الأمين ومحمد جواد مغنية ومحمد حسين كاشف الغطاء، وغيرهم أمثال جمال الدين الأفغاني وغيره، ليصدروا مجلة (رسالة الإسلام)، حيث كان الجو أخوياً من مصلحين، عاشوا هم الأمة، وعرفوا أن قوتها في اتحادها، وضعفها في تفرقها، وقد جمعتهم القبلة والصلاة والتوحيد والنبوة والمعاد وأركان الإسلام.

كان شعارهم راية التوحيد، ثم توحيد الكلمة وفق مبادئ القرآن الكريم والسنة الصحيحة، رافضين التعصب الذميم والبدع والشرك وتحريم دم المسلم وماله وعرضه، وإزاحة ما علق في التراث من عصبية وجهل وتكفير.

وتأكيداً على ضرورة مشروع التقريب وأسبابه، جاء في بيان تأسيسها: (إن الشعوب الإسلامية تفوق بتعدادها المليار نسمة موزعة في كل أنحاء الأرض، ومنتشرة في مختلف القارات الخمس، والمسلمون يعيشون في أكثر من أربعين دولة، مشكلين ثلث العالم أرضاً وسكاناً تقريباً. تمتلك الشعوب الإسلامية القدرات والطاقات المادية والمعنوية، ومع هذا هم أضعف خلق الله وأكثرهم تخلفاً...). يقول محمود شلتوت في سيرة التقريب: (كنت أودّ لو أستطيع أن أصور فكرة الحرية المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الإسلام، التي كان عليها الأئمة الأعلام في تاريخنا الفقهي، أولئك الذين يترفعون عن العصبية الضيقة، ويربؤون بدين الله وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم أحدهم أنه أتى بالحق الذي لا مرية فيه... وقد تهيأ لي وعهد إليّ منصب مشيخة الأزهر أن أصدرت فتواي في جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر...). لا شك أن المسلمين اليوم دخلوا جميع قارات العالم، وتغيرت الظروف عن الستينيات، بل وازدادت الحاجة أكثر إلى التقريب والحوار الصادق بين المذاهب الإسلامية أمام المحن والمآسي التي تعانيها الأمة.



توقفت جماعة التقريب عن عملها في أوائل السبعينيات، كما توقفت مجلة (رسالة الإسلام) عن الصدور تمامًا، لعوامل كثيرة منها عدم تحقق الشرائط الموضوعية للحوار الصادق في رؤية سليمة وفق منهجية سليمة وآليات صحيحة<sup>(١)</sup>.

كذلك كانت هنالك مبادرات تاريخية أخرى، مثل مبادرة الملك نادر شاه لعقد مؤتمر عام، يجمع فيه أبرز العلماء الشيعة والسنة من أجل الوحدة الإسلامية وإقامة مؤتمر ضخّم حقيقي لهدف التقريب بين الطائفتين. وفي ١١ كانون الأول عام ١٧٤٣ م بعث الوالي أحمد باشا علامة العراق عبدالله السويدي للمشاركة وحضور ٧٠ عالمًا شيعيًا، وسبعة علماء سنة من تركستان وسبعة من أفغانستان، وحضور لأكبر فقهاء الشيعة العراق آنذاك: نصر الله الحائري من كربلاء، الذي دخل على نادر شاه. رحب الشاه بالحائري، وقال له: إنه يريد التقارب، وتحريم التكفير للخلفاء الراشدين، وإزالة بدع شاه الدولة الصفوية إسماعيل الصفوي. ثم خرج الحائري إلى خيمة فقيه الإيرانيين علي أكبر الملا باشي، وتجاوزا طويلاً، ثم حصل اجتماع كبير بين علماء الفريقين: السنة والشيعة، وكتبوا محضرًا موقعًا من الجميع، وفيه كبار علماء المسلمين من العراق وإيران وأفغانستان وتركستان، من العرب والترك والفرس والأفغان، وعلى رأسهم فقيه العراق الشيعي آنذاك نصر الله الحائري، ومفتي العراق السني عبدالله السويدي، ومفتي الأفغان حمزة القلنجاري، ومفتي إيران علي أكبر الملا باشي، ليوقعوا اتفاقًا وحدويًا عظيمًا، يعالج المشكلات الأصلية والأساسية في الخلاف في احترام الخلفاء الراشدين ومنزلتهم وعدم الطعن فيهم، وأيضًا اعتبار المذهب الجعفري مذهبًا إسلاميًا خامسًا، إضافة للمذاهب السنية الشرعية المعروفة الأربعة: المالكي والحنفي والحنبلي والشافعي ونقاط أخرى. طبعًا كان صوت التعصب في إيران أعلى من أصوات الوحدة والتقارب، مما جعل الفقهاء الفرس

(١) دعوة التقريب بين المذاهب، مقدمة قصة التقريب، محمود شلتوت، ١٧ / ٤ رسالة الإسلام، المقدمة، قدري قلعجي، جمال الدين، مصطفى عبدالرزاق، محمد عبده.

يفتون بقتل نادر شاه، وقام أحد حراسه الشخصيين بتنفيذ تلك الفتوى، وعاد التعصب أكثر مما كان<sup>(١)</sup>.

فلا بد إذن من الشرائط الموضوعية لنجاح الحوار، ومن أهمها اعتبار القرآن والسنة هما المحوران الأساسيان للوحدة، كما أوصى الإمام علي آخر حياته وقبيل شهادته بالقرآن والسنة قائلاً صريحاً: (وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد فلا تضيّعوا سنته. أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين). المصدران اللذان أوصى بهما الكتاب الكريم والسنة الشريفة، ولا شيء آخر.

وأفضل الطرق لا إفراط ولا تفريط، بل الطريقة الوسطى، وعامة الأمة، والسواد الأعظم للمسلمين، كما قال الإمام علي: (وخير الناس حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة)، وهي واضحة صريحة في الوحدة والجماعة والسواد الأعظم للمسلمين. وهي تناسب العقل السليم والمبادئ الكريمة في روح القرآن ومقاصده.

ولا بد أن يحسن اختيار رجال الحوار المناسبين والمؤهلين والواعين لذلك، وتلك مهمة كبيرة، وليست يسيرة، فإنما يراد بالحوار الصادق أهداف نبيلة سامية، لا مجرد شعارات يستغلها البعض هنا أو هناك دون ثمرات ملموسة، فلا بد أن يكونوا واعين وعلى بصيرة ووضوح الرؤى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، هذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة، حيث قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والاستجابة لما يحییهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ولا بد لدعوات الحوار أن توفر شرائطها الموضوعية ورجالاتها الواعية المخلصة.

(١) محب الدين الطبري، مؤتمر النجف، علي الوردي، لمحات اجتماعية، ١/ ٢ عبدالله السويدي، النفحة المسكية في الرحلة المكية، علي عطر جي، الصفويون والدولة العثمانية، ص ٩.



## مهدي الحيدري والتشيع العربي

كانت ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنكليزي، الذي حكم العراق تمثل مرحلة مهمة حاسمة ومؤثرة في تاريخ العراق وتحولاته. ومن الغريب أن الكثير ممن يكتب ويتحدث هذه الأيام يسلط الضوء على المرجعيات الفارسية، مثل محمد تقي الشيرازي المتأخر في تأييدها بينما بعض الفقهاء الفرس كانوا مع الاستعمار الإنكليزي رافضين الثورة وعلى رأسهم محمد كاظم اليزدي الداعم للسلطة المستبدة في إيران وشاهها أيضًا، حيث يخرج اليزدي في النجف مع المسلحين (كان خروج اليزدي للصلاة، يحفه المسلحون من أعوانه، وهم يهتفون بالصلاة على محمد وآله تحديًا للمشرودة)... كل ذلك غافلين تمامًا عن ذكر المرجعيات العربية التي بدأت الثورة، وصنعتها قبلهم بسنين، وأفتت بذلك قبل ١٩٢٠م بعدة سنوات أي عام ١٩١٤م وهي نفسها التي راسلت مراجع النجف وكربلاء وسامراء وحركتهم، ثم اقتنع هؤلاء، وأصدروا فتاواهم لاحقًا، استجابة للمرجعية الشيعية العربية، وربما أرسل بعضهم أولاده بإمرة المرجعية العربية، بعد أن خرجت المرجعية العربية بنفسها مضحية بالغالي والروح والنفيس. إن ترك ذكر أي دور للمرجعيات العربية وعدم ذكرهم أصلًا هو مجانب للحقيقة لمصلحة المرجعيات الفارسية، وأجندتها التي سيطرت وألغت المرجعيات العربية، ودورها دائمًا وعلى مر التاريخ العراقي والشيوعي لقرون طويلة، لا غين أهمية العرب ودورهم الفاعل والأساس والمتميز<sup>(١)</sup>.

---

(١) علي الوردي، المشروطة الإيرانية وأثرها في العراق، مجلة الموسم، ٢، ٥، ١٠٣ الوردي، لمحات اجتماعية، ٣/ ١١٧ الأمين، أعيان الشيعة، ١٠/ ٤٤ ذكرت المسز بيل: (إن الذين اشتركوا معنا لن ينسوا المعاونة والمؤازرة لخدمات النقيب ومحمد كاظم اليزدي)، الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٦ أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، ص ١٣١ علي بازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ص ١١٢.



وفي المقابل أطنب البعض في دور محسن الحكيم الطباطبائي الأصفهاني القيادي في الثورة خصوصًا الخطابات الرنانة لآل الحكيم وأتباعهم، وهو بجانب للحقيقة تمامًا، فقد كان الحكيم صغيرًا آنذاك ومقودًا وليس قائدًا، ولأن الموضوع واسع ومتشعب، فإني سأقتصر في هذا البحث الآن على مرجعية واحدة، كان لها دور قيادي ورئيسي في الثورة، وهو جدي من الأب السيد مهدي الحيدري من الكاظمية ببغداد، وقد عانت الكاظمية دومًا من التهميش على مر التاريخ والي يومنا هذا، لكونها عربية، ومن أهم الشواهد المعاصرة هو تهميش مرجعية الصدر الأول، ومحاربة الصدر الثاني، والمرجعيات المعروفة في الكاظمية من الحيدري والخالصي والصدر وآل ياسين والأعرجي وغيره، لدرجة قول أحد أبرز المرجعيات العربية عندما سئل عن الحرب الشعواء ضده من المرجعيات الفارسية والاتهامات اليومية الكاذبة لتسقطه، أجاب: (لو كنت فارسيًا مقيمًا في النجف، ومشيت في مخططهم الفارسي، لكنت المرجعية العليا صاحب الألقاب الكثيرة الرنانة، كما توضع لأصغرهم من المرجعيات الفارسية). فشتان بين مرجع عربي متواضع رغم علميته العالية، فإنه يكتب اسمه خاليًا من أى لقب، وآخر إيراني كان حريصًا على وضع ألقاب كثيرة، قبل اسمه حتى في رسالته العملية الكلاسيكية والتقليدية، التي هي تكرار لمن سبقه، وقد أشبعت بما لا ثمرة ولا فائدة فيه من الإماء والعبيد، وتطهير ماء البئر عند وقوع حشرة أو أمثالها كثير، وأسلوب قديم يعيش في قمة الجهل والدجل والقرون الوسطى في استغراق المرء في احتياطات كثيرة غير مقبولة، ولا معقولة لا تجدها في رسائل عربية، مثل الفتاوى الواضحة لمحمد باقر الصدر.

ولأهمية الدور القيادي لمهدي الحيدري فقد كتب عنه العديد من المؤرخين المنصفين، منهم المؤرخ المعروف والمختص أحمد الحسيني كتابًا خاصًا، أسماه (الإمام الثائر مهدي الحيدري) معتبرًا الحيدري هو القائد الحقيقي للثورة، ومنذ عدة سنوات أى عام ١٩١٤ م، بل خرج بنفسه للثورة وفي جبهات القتال الإمامية وعرض حياته للخطر مع أبنائه وأسرته ومريديه لمقاتلة الإنكليز وهو يناهز الثمانين من العمر آنذاك<sup>(١)</sup>.

(١) أحمد الحسيني، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري.

وقد ذكر مرجعية مهدي الحيدري ودوره وحياته، جملة كبيرة من المؤلفات، منها: أعيان الشيعة، معارف الرجال، الكرام البررة، نقباء البشر، جنة المأوى، أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة، معجم رجال الفكر والأدب، الثورة العراقية الكبرى، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الشيعة والدولة القومية، دور الشيعة في تطور العراق السياسى الحديث، النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية، حركة الجهاد ١٩١٤، البطولة في ثورة العشرين، كتاب في دوري الاحتلال والانتداب، لمحات اجتماعية وموسوعة العتبات المقدسة وغيرها. فضلاً عن الكثير من الجرائد والمجلات والصحف، مثل المرشد، الأقلام، صوت الكاظمين، آفاق عربية، وغيرها برغم أنه فات البعض الإعداد والتهيئة للثورة قبل قيامها من الوعظ والتوعية والإرشاد لمهدي الحيدري حتى نضجت الثورة واكتملت شرائطها الموضوعية<sup>(١)</sup>. قال محسن الأمين متحدثاً عن الحيدري في أعيانه (إنه عالم فقيه وله رئاسة علمية في عصره وقيادته للثورة العراقية). وقال محمد حرز الدين في معارفه: (إنه العالم الفقيه المجاهد الثقة الأمين، له مكانته السامية وزعامته العلمية والدينية وكان مقدماً وبارزاً، ونافذ الكلمة، ومطاعاً عند الأكابر والوجوه)، كما ذكره صاحب كتاب معجم رجال الفكر والأدب، وصاحب كتاب أحسن الوديعه في أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة كلاماً مشابهاً. قال الخليلي في موسوعته: (إنه المجتهد الكبير السيد مهدي الحيدري، كان يجمع إلى رئاسته الروحية ومقامه العلمي الرئاسة الدنيوية، حيث امتدت نفوذها إلى جهات بعيدة عن العراق، حتى توقف جانب كبير ومهم من الدعوة للجهاد في حرب الإنكليز في الحرب العالمية الأولى على فتواه، وحين أفتى بوجوب الدفاع عن العراق تقدّم بنفسه ورهط من أسرته، ليكون قدوة للمجاهدين، فاندفعت على إثر

(١) راجع: المصادر: أعيان الشيعة، معارف الرجال، الكرام البررة، نقباء البشر، جنة المأوى، أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة، معجم رجال الفكر والأدب، الثورة العراقية الكبرى، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الشيعة والدولة القومية، دور الشيعة في تطور العراق السياسى الحديث، النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية، حركة الجهاد ١٩١٤ البطولة في ثورة العشرين، كتاب في دوري الاحتلال والانتداب، لمحات اجتماعية، الفياض، تاريخ الإمامية، الياسري، البطولة في ثورة العشرين، الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الوثائق البريطانية.

Wilson, Clash of Loyalties Mesopotamians.

ذلك القبائل وسكان المدن، وتألفت تحت رايته حشود كبيرة من جهة العمارة من دجلة. ويعد السيد مهدي الحيدري من كبار المجتهدين، ومن العلماء الأفذاذ الذين عنوا بالمؤسسات الدينية ورعاية طلاب العلم في المدن البعيدة، وافتاواه شأن كبير في التطوير). ونظم الشعراء قصائدهم الكبيرة في مدحه مثل عيسى الأعرجي وأسد الله الخالصي وعبدالحسين الأزري ومحمد رضا أسد الله وسليم العاملي وكاظم آل نوح. ومنها قصيدة جابر الكاظم، قائلا:

كِرَامٌ لَقَدْ سَادُوا الْكِرَامَ بِمَحْتِدٍ	سَمَا رِفْعَةً فِي مَجْدِهِ كُلِّ مُحْتِدٍ
نَمَتَهُمْ إِلَى غُرِّ الْمَكَارِمِ سَادَةٌ	وَمَدَّتْ بِضُبُعِيهِمْ إِلَى كُلِّ سُودِدٍ
زَكَتْ فِي الْوَرَى أَعْرَاقُهُمْ فَزَكَتْ لَهُمْ	عُنَاصِرٌ قَدْ مَتَّتْ بِأَكْرَمِ مَوْلِدٍ
هُمْ وَرَثُوا الْعَلِيَاءَ فِي كُلِّ أَمَجِدٍ	تَوَارَثَهَا عَنْ سَيِّدٍ بَعْدَ سَيِّدٍ <sup>(١)</sup>

كان الحيدري مرجعاً كبيراً وأستاذاً فاضلاً درس على يديه، وتخرج عنده الكثير من المراجع والأعلام والفضلاء، مثل جواد التبريزي وأسد الله الخالصي والمرعشي النجفي وعبدالهادي الشيرازي ومهدي الميرآئي ومهدي الجرموقي وعبدالحسين البغدادي وإبراهيم السلماسي ومحمد أمين الحسيني ومحمد هادي القائيني وعبدالكريم الأعرجي وعيسى الأعرجي وراضي محمد ومصطفى أحمد وأسد الله مصطفى وأحمد مصطفى وغيرهم كثير. وألف عدداً كبيراً من الكتب، منها كتاب الطهارة في ٦ مجلدات، والصلاة في ٦ مجلدات، والصوم وتقريرات في الأصول، وكتاب في الرجال وتعليق على فرائد الأنصاري، وتعليق على استصحاب الأنصاري، وحاشية على قوانين القمي، وحاشية على تبصرة الحلي، وحاشية على

(١) الأمين، الأعيان، ١٤٣/١٠، الحسيني، الإمام الثائر، ص ٣٠، محمد مهدي الموسوي، أحسن الوديعه، ص ٩٨ الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره، الفياض، تاريخ الإمامية، ص ١١١ الحسيني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ٢٠/١، جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ٨٦، ٢، ١٠.



نجاة الجواهري، وحاشية على وجيزة آل ياسين، وكتاب في الهيئة ورسالة عملية باسم (زاد العباد ليوم المعاد)، حيث قلده الملايين برغم رفضه استلام الكثير من أموال الحقوق الشرعية والخمس لشخصه، كما ذكره هبة الدين الشهرستاني مضيفاً (لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد ملك قلوب الخاصة والعامة، بحسن سيرته، وطيب سيرته، وكرم أخلاقه ومحاسن خلاله، وكانت له المهمة العالية في الأمور الخيرية وإصلاح ذات البين، وإنجاز كل عمل يتولاه ومشروع خير يقوم به)<sup>(١)</sup>.

إبان الحرب العالمية الأولى في سنة ١٣٣٢ هجرية، دخلت القوات البريطانية غازية العراق من جهة البصرة، فراسل الناس مختلف المرجعيات الدينية والسياسية، مستغيثين حتى قرئت رسائلهم بالصحن الكاظمي في العشرين من ذي الحجة، حتى قام مهدي الحيدري خطيباً ومحرضاً لاستنهاض الناس وتوعيتهم وتجميعهم، ثم ما إن حل محرم الحرام، حتى أفتى بوجوب قتال الإنكليز، وبلغهم أنه ذاهب إلى البصرة مع سلاحه مدافعاً عنها مع أولاده، خصوصاً أسد الله وأحمد وراضي ومتعلقيه ومريديه. وأبرق رسائله مصحوبة بفتاواه إلى علماء كربلاء والنجف وسامراء ومختلف مناطق العراق، وأخبرهم بعزمه على الجهاد برغم تجاوزه سن الثمانين. وصارت الكاظمية مركز الحركة وبيت الحيدري مركز القيادة، وبدأت الوفود تأتي إلى الكاظمية من كل أنحاء العراق، بعضهم يفاوضه، وبعضهم يعارضه، وبعضهم يؤيده، فمثلاً جاء من النجف قبل سفره بيوم واحد وفد متميز، ضم شيخ الشريعة الأصفهاني ومصطفى الكاشاني وعلي الداماد وغيرهم كثير. وأما محمد تقي الشيرازي، فقد بعث ولده الأكبر محمد رضا تحت إمرة الحيدري وأبرق إلى العلماء بطاعة وقيادة الحيدري، كذلك فعل محمد كاظم اليزدي، حيث بعث ولده محمداً، وجاء من النجف محمد سعيد الحبوبي مع مجموعة متجهة إلى ساحة المعركة. تحرك الحيدري من الكاظمية يوم الثلاثاء ١٢ محرم عام ١٣٣٣ هجرية (١٩١٤م) متوجهاً نحو القرنة، وقد صحبه أبناءؤه ومتعلقوه ومريدوه، فضلاً عن

(١) الأمين، الأعيان، ١٥٦/١٠ الحسني، الإمام الثائر، ص ٣٥ الشهرستاني، مجلة المرشد، ٩/ ٢/ ٣٤٣ الثورة العراقية الكبرى، ص ١١٢.



مهدي الخالسي وعبد الحميد الكلدار في مجموعات كبيرة، تمتد امتداد البصر، وهي تردد هتافات (سيد مهدي ركن الدين نمشي للجهاد وياه واندوس العده بحذاه) (حجة الإسلام طالع للجهاد محسن بموسى والجواد). أعدت لهم السفن والمراكب وفي كل مكان ينزل يتجمع الناس ويخطب فيهم أو ولده أحمد، وتلتحق به الجموع، حتى وصل العمارة، فاجتمع الناس في جامعها الكبير، ليقوم الحيدري خطيباً مفوهاً شاعلاً الحماس في النفوس. فبكوا كثيراً، والتحقوا به زرافات زرافات، وصل إلى منطقة العزيز، واجتمع بالقائد العسكري العثماني جاويد باشا للتفاهم في القتال واتحاد السنة والشيعة ضد الاحتلال، ولكن سقوط القرنة ومحاولة تخلية العمارة للقائد العسكري، لكن الحيدري رفض الاستسلام والانسحاب، قائلاً: (أما أنا فلا أنسحب حتى أقتل أو أنتصر)، برغم إصرارهم عليه للتخلى، مما جعل القائد يؤيد الحيدري ويصمد. بدأ الحيدري يكتتب ويحرض ويجند ويبعث الرسل للعشائر والزعماء والوجهاء والعلماء للتحرك، حتى أبرق إلى عدد من الوفود والعلماء والشخصيات بضرورة المجيء إلى العمارة، وجاء بعضهم بعد اثني عشر يوماً، ثم عزل جاويد، وعين سليمان عسكري بيك قائداً أولاً مكانه، وجاء لزيارة الحيدري والتفاوض معه، فتحرك الحيدري إلى مقر القيادة العسكرية، وعرضوا عليه المؤن والأموال، فرفضها كما بعث له الإنكليز أموالاً عدة مرات، فرفضها ورد أصحابها رداً عنيفاً. عند استقرار الوضع له بعث برسائل إلى الكثيرين يشعرهم بسيطرته والأمان لمن يأتي، ففكر بعض العلماء بالمجيء عند الاطمئنان من الرسائل. الحيدري توجه إلى قلب المعركة، وهو القرنة مع مجموعة كبيرة، وأما الجناح الأيمن، وهو الشيعية، وفيه الحبوبي وباقر حيدر والحكيم، حيث كان للحبوبي دور متميز، أما الجناح الأيسر، وهو الحويزة وفيه مهدي الخالسي وجعفر راضي وعيسى كمال الدين ومحمد اليزدي. كان القتال في القرنة قريباً من الحيدري، وقرر النزول والمقاتلة المباشرة، برغم رفض الكثير كونه القائد والزعيم فركب السفينة، حتى رست عند حربية، وحصل قتال مباشر، وتقلد سيفه والقذائف والنيران حواليهم، وكان القتال عنيفاً، وتحطمت باخرة الإنكليز، وتكبدوا خسائر كبيرة، وغرق مركبهم

الكبير، وقتل منهم ما يربو على الألفين، بينما من العراقيين أقل بكثير لم يبلغوا المئة، برغم ثقب سفينة الحيدري وأوشكت على الغرق، واشتعلت فيها النيران، وتسمى بمحاربة الروطة يوم الأربعاء ٥ ربيع الأول ١٣٣٣ هجرية، وأصيب فيها القائد العثماني سليمان عسكري بيك نقل على إثرها إلى مستشفى في بغداد، ودخل عليه عبدالرحمن النقيب، نقيب الأشراف في بغداد ورئيس أول وزارة عراقية في العهد الملكي، فقال سليمان له: (أنت تدعى عالماً، وتقبض منا الأموال، بينما مهدي الحيدري على شيخوخته وعظمته، مرجع يقاتل في الجبهة، ويرفض منا مالا أو معونة). وبقي الحيدري شهوياً طويلاً في قلب الساحة والمركة، وحصلت معارك وجولات فيها مآسي، منها انسحاب العثمانيين من الشعيبة، حتى انتحر القائد العسكري سليمان بيك لذلك، حل محله نور الدين بيك، وأوشك الحيدري على الغرق حيناً، ثم أنقذه أولاده، كما أوشك شيخ الشريعة على الغرق والموت، وأنقذه نجل الحيدري راضي، لذلك سُمِّيَ راضي الحيدري بـ(محيي الشريعة) لإنقاذه. وقد قطع مهدي الحيدري طرقاً وحلة ووعدة وصحارى لمسافات طويلة، كما رابط في الكوت أربعة أشهر، ومعه مهدي الخالصي وعبدالرزاق الحلو، لأن مركز الجيش عند شرق الكوت ثم الحلة. أخيراً وبعد سنة من ذلك رجع الحيدري إلى الكاظمية في ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٣٣ وجلس الناس أياماً في استقباله والحفاوة به والوفود تأتيه من كل أنحاء العراق، حيث كانت رحلته سنة كاملة، وكان متواضعاً لا يحب التمايز على الآخرين، ولم يجمع مالا له أو لأرحامه، بل حياتهم بسيطة زاهدة، يشارك البسطاء مآكلهم وملبسهم ومعاشهم، وكان اجتماعياً غير منعزل عن الناس، يسهل الوصول إليه، والحديث المباشر بلا حواجز ولا تكلف، ولم يترك لأولاده من المال شيئاً مذكوراً. وكانت له مواقف مشهودة في جمع شمل الناس رافضاً الطائفية، فقد جمع الشيعة تحت مظلة العثمانيين السنة لعدم إيمانه بالفرقة بين الطائفتين، وهو الذي نظر له وكتب فيه وحاضر فيه بوصفه تشيعاً عربياً علوياً أصيلاً مبنياً على المحبة والسلام والوئام، لا البغضاء والحقد والعدوان للتشيع الصفوي الدخيل كما سماه. حاول الإنكليز الاتصال به، واستمالته وإغرائه بالأموال وغيرها، فرفض رفضاً قاطعاً، كما

رفض طلبهم بدعته ضد العثمانيين السنة، وهو يسميهم إخواننا وأحبابنا في الدنيا والآخرة، وهو ما أغضب بعض الفرس عليه عندما مدح الخلفاء الراشدين، معتقداً العلاقة الحسنة بينهم، وكون الإمام علي الوزير لهم مستدلاً بقول الخليفة الثاني: (لولا عليّ لهلك عمر)<sup>(١)</sup>، وغيره من الأدلة المحكمة الرصينة<sup>(٢)</sup>.

وكان له الدور الرئيس في وأد فتنة كربلاء بين الحكومة العثمانية ومشايخ كربلاء، فسافر إلى كربلاء ٢٧ رجب ١٣٣٤، واستقبله الناس استقبالاً لا مثيل له، وخرجت المدينة عن بكرة أبيها، وحل الأمان والاستقرار بعد الفتنة والقتل، وطلب عزل القائد العسكري، وإلقاء الناس السلاح، وكان له ما أراد بعد أن قضى شهراً ونصف الشهر فيها حالاً لمشكلاتها وأفرادها، حيث كان يستقبلهم يومياً، ويقضي حوائجهم بما استطاع لذلك سبيلاً، خصوصاً العشائر والأزواج والأرحام والأصدقاء، حتى قال الشهرستاني عنه: (قام بأعمال إصلاحية جمّة، تفوق حد الإحصاء، منها فتنة كربلاء عندما كتب له العلماء والأشراف، فجاء ملبياً برغم مرضه، فاستقبله الناس بجموعهم على اختلاف طبقاتهم، ولم يرحل حتى جمع الكلمة، وأصلح بين الفرقاء، وأفتى بصلاة الشيعة في مساجد السنة، وحصل التحام جماهيري كبير، وله أعمال إصلاحية كثيرة جداً غيرها)<sup>(٣)</sup>.

وعندما أذكر دور مهدي الحيدري زعيماً للثورة موحداً للعراقيين، بشتى مشاربهم بعيداً عن الطائفية البغيضة، فلا يعني إنكار دور غيره، سواء من العرب كمهدي الخالسي الذي كتب (الحسام البتار في جهاد الكفار)، وله مواقف عظيمة

(١) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٦٢، وأحمد بن عبد الكريم الغزي في الجدل الحثيث في بيان ما ليس بحديث (رقم ٤٠٢). وانظر: فتح القدير للمناوي (٤/ ٤٧٠).

(٢) الوردي، لمحات اجتماعية، ٤/ ١٣١، ٥٣، الأعيان، ١٠/ ٥٥، الحسيني، الإمام الثائر، ص ٦٥ حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ٢/ ٣٣٣، النفيسي، دور الشيعة، ص ٨٦، الدراجي، جعفر، ص ٤٤ طعمة، تراث كربلاء، ص ٣٩٠، الفيض، تاريخ الإمامية، ص ١٠٩ حسين علي محفوظ، الكاظمية في المراجع: العربية، ص ١٣٨ جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ١/ ٩، ١٤٠.

(٣) الوردي، لمحات اجتماعية، ٤/ ٥٣، أعيان الشيعة، ١٠/ ٥٥، الحسيني، الإمام الثائر، ص ٦٥ حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ٢/ ٣٣٣.



ومعاناة كبيرة أو بعض الفرس: كمحمد تقي الشيرازي مثلاً، وقد كتب عنه الكثير جداً في مقابله الفرس، الذين تواطؤوا ضد الثورة مع الإنكليز، وعلى رأسهم اليزدي، كما ذكرت أعلاه في أول هذا البحث. إن ذكر الدور المتميز لزعيم الثورة المرجع العربي ملء فراغ عربي أساسي تعمد الفرس وأتباعهم تجاهله لغاية في نفس يعقوب، فإنها شنشنة أعرفها من أخزم، وإن كنت أعتقد أيضاً للتاريخ أن ثورة العشرين مرت بمجموعة من الأخطاء، التي تحتاج إلى تحليل ونقد كتبت عنه مراراً، فهي ليست ثورة مثالية، فلها ظروفها وأوضاعها والفهم الخاص لأصحابها، وفق سياقاتها وشرائطها كبقية الثورات، فضلاً أن رجالها لم يعرفوا استثمارها جيداً، وتحقيق نتائج حقيقية ذات رؤى صائبة وإستراتيجيات محددة وآليات عملية واضحة، حتى خرجت فتاوى فقهاء فرس: كالأصفهاني والنائيني (تحريم الانتخابات، فمن انتخب حرم عليه زوجته وزيارته، ولا يجوز رد السلام عليه، ولا يدخل حمام المسلمين)، وبمثل هذه الفتاوى دفع الشعب ضريبة تسلط المرجعيات الفارسية وسيطرتها وإبعاد المرجعيات العربية...<sup>(١)</sup>.



(١) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٦ أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، ص ١٣١ عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ٦٣ / ١ بحثي عن ثورة العشرين ومهدي الحيدري.





## مؤتمر نادر شاه وشرعية الخلافة الراشدين ورفض التكفير

ظهر نادر شاه في خراسان بإيران، واستلم قيادة الجيش من الشاه طهماسب. تمكن نادر من طرد الأفغان، وقضى على أشرف خان، كما طرد العثمانيين من مناطق إيران الغربية. وحاصر بغداد والموصل، وحقق انتصارات جبارة، فعزل طهماسب، وصار مكانه واشترط لعرشه أن يترك الفرس والإيرانيون سب الخلافة الراشدين، ومواكب العزاء وطقوسها، وكل ما يفرق بين السنة والشيعة مما ابتدعه الصفويون. فاعترض فقيه صفوي معروف لكنه مات فجأة، فعُدّ ذلك كرامة لنادر، حيث أجمعوا على قبول شروطه التوحيدية، وهكذا توجّ بعرش عظيم واحتفال مهيب جدًّا، حيث حصل على لقب (نادر شاه)، وهو الذي أسس الدولة الأفشارية على أنقاض الدولة الصفوية، التي قضى عليها بقوة واقتدار، وأعلن بيانًا رسميًا بسقوط الدولة الصفوية وقيام الدولة الأفشارية. كذلك قضى على طقوس الدولة الصفوية، التكفيرية للخلفاء وزوجات النبي والسنة. لقد كان داهية عصره، وفارس يومه، وعملاق فكره، حتى سماه المستشرقون (نابليون الشرق)، ولا غرابة فمشروعه التقريبي كان كبيرًا وعظيمًا. كانت خطته أن يجعل المذهب الشيعي مذهبًا خامسًا، سماه (المذهب الجعفري) نسبة إلى الإمام جعفر الصادق، الذي عاصر نشوء المذاهب السنية بأخوة بناءة. إنه مشروع كبير خصوصًا وصاحبه يحمل روح التسامح ونفسًا كبيرة لأدائه.

فتح نادر شاه الهند عام ١٧٣٨ ثم بلخ وبخارى وغيرها، فوصل إلى قمة مجده ليلقب (شاهنشاه)، أي ملك الملوك. حاول إزالة عادات وطقوس الصفويين

وتحجيم فقهاءهم، كما أرسل الهدايا إلى السلطان العثماني ووالي بغداد، وتحفًا وهدايا ثمينة إلى مرقد أبي حنيفة والكيلاني، وكذلك أئمة آل البيت من الأئمة علي والحسين والكاظم، وتذهب المرقد العلوي بالنجف. وما أن وصل النجف حتى بادر لعقد مؤتمر عام، يجمع فيه أبرز العلماء الشيعة والسنة من أجل الوحدة الإسلامية. وهو أول مؤتمر ضخيم حقيقي لهدف التقريب بين الطائفتين. وفي ١١ كانون الأول عام ١٧٤٣م بعث الوالي أحمد باشا علامة العراق عبدالله السويدي للمشاركة، كما أن نادر شاه قد جلب من إيران ٧٠ عالمًا شيعيًا، وسبعة سنة من تركستان وسبعة من أفغانستان، وحضر كبير فقهاء الشيعة العراق نصر الله الحائري من كربلاء، الذي دخل على نادر شاه. رحب الشاه بالحائري وقال له: إنه يريد التقارب، وتحريم التكفير للخلفاء الراشدين، وإزالة بدع شاه الدولة الصفوية إسماعيل الصفوي، وقال نادر شاه: (توجد في مملكتي طائفتان: أفغان وتركمان من جهة، وإيرانيون من جهة ثانية، إحداهما تكفر الأخرى، مع أن التكفير شيء قبيح، فأردت أن أزيل ذلك من بينهم، وجعلتك وكيلاً عني وشاهدًا علي). ثم خرج الحائري إلى خيمة فقيه الإيرانيين على أكبر الملا باشي، وتجاوزا طويلاً، ثم حصل اجتماع كبير بين علماء الفريقين السنة والشيعة، قرب ضريح الإمام علي، وكتبوا محضرًا موقعًا من الجميع، وفيه كبار علماء المسلمين من العراق وإيران وأفغانستان وتركستان، من العرب والترك والفرس والأفغان، وعلى رأسهم فقيه العراق الشيعي آنذاك نصر الله الحائري ومفتي العراق السني عبدالله السويدي ومفتي الأفغان حمزة القلنجاري ومفتي إيران على أكبر الملا باشي، ليوقعوا اتفاقًا وحدويًا عظيمًا، يعالج المشكلات الأصلية والأساسية في الخلاف في احترام الخلفاء الراشدين، ومنزلتهم، وعدم الطعن فيهم، واعتبار المذهب الجعفري مذهبًا إسلاميًا خامسًا، إضافة للمذاهب السنية الشرعية المعروفة الأربعة: المالكي والحنفي والحنبلي والشافعي ونقاط أخرى.

فحرر الشاه نفسه: (إننا قررنا وجوب رفع السب وعدم تفضيل الصحابة بعضهم على البعض الآخر، وكل من يخالف في هذه الوثيقة ويعيد السب، فإنه

يستحق غضب الشاه). وحصل احتفال عظيم، ثم ذهبوا جميعاً إلى جامع الكوفة لإلقاء خطبة فيها فضائل الخلفاء الراشدين إضافة للحسن والحسين، وكذلك الدعاء للسلطان العثماني، ثم الصلاة جماعة سنة وشيعة، وقد تجاوز عددهم الخمسة آلاف مصلياً في مصداق رائع للوحدة الإسلامية وفرح عظيم.

اختلف المؤرخون حول نادر شاه، فبعضهم اعتبره شيعياً مثل لوكهارت، وقد أطلق عليه لقب (حامي حمى الشيعة)، والمحافظ على عقيدتهم ومقدساتهم وأبنائهم، وقد ناشد الباب العالي في احترام الشيعة في الأماكن المختلفة من الإمبراطورية العثمانية، وإيقاف بعض فتاوى (الأستانة) آنذاك، لكن فقهاء الفرس في إيران وبعض الكتاب مثل حميد الغار، الذين شككوا في تشييعه تماماً، حيث قال فقهاؤهم كيف يكون المذهب الحق هو المذهب الخامس رتبة، وهي باطلة، أي المذاهب السنية الأربعة بزعمهم، وأصدروا الفتاوى ضده.

هكذا كان مؤتمر النجف مؤتمراً صادقاً للوحدة الإسلامية، لكنه لم يدم طويلاً، وكانت ضريته كبيرة هي دم الشاه نادر، حيث صوت التكفير وفقهاء الفرس هو الصوت العالي. أرغم نادر شاه كبير الملالي الإيرانيين علي أكبر ملا باشي على توقيع وثيقة عدم سب الصحابة وأمّهات المؤمنين لتوضع في الكعبة المشرفة، وبالفعل فإن خطباء الشيعة امتنعوا عن سب الصحابة لعدة أشهر، ولكن ما إن رجع نادر شاه من النجف إلى إيران بدء الملالي بتحريض الناس وخاصة حراس نادر شاه على نادر شاه نفسه، لأن الملالي فقدوا سطوتهم وسلطتهم خصوصاً موسم الرزق والبكاء والنواح والخمس واستغلال بسطاء الشيعة، وهكذا قام حراس نادر شاه باغتياله، وتولى من بعده حفيده (شاهرخ)، والذي لم يدم طويلاً، إذ حكم عاماً واحداً، ثم عودة بشكل أشد وأكبر للفقهاء الفرس بسب الخلفاء الراشدين وأمّهات المؤمنين



ومراسيم الثارات واللعن والسباب وفرحة الزهراء والأفراح بقتل الخلفاء الراشدين  
الثلاث وزوجات النبي خصوصاً عائشة مرة أخرى وانتهى نادر شاه ومؤتمر النجف  
إلى الأبد(\*)).

#### (\*) لمزيد من البحث راجع :

- محب الدين الطبري، مؤتمر النجف.
- علي الوردي، لمحات اجتماعية، ١، ٢.
- عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، ٦٩.
- عبدالله السويدي، الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية.
- عبدالله السويدي، النفحة الملكية في الرحلة المكية.
- علي عطر جي، الصفويون والدولة العثمانية، ٩.
- علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي.
- رسول بن يعقوب الكركوكلي، دوحة الزوراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء.
- سعد الأنصاري، الفقهاء حكام على الملوك.
- شاهين مكاربوس، تاريخ إيران.

- Lockhart L, Nadirshah, 2128 .
- Watson R, A history of Persia
- Elder S, The Kajar dynasty.
- Algar H, Religion and the state.



## مقارنة بين المرجعية العربية

### والمرجعية الفارسية

من أجل فهم المرجعية من الداخل بحثت سابقاً مقارنات عدة بين بعض المراجع من مختلف الزوايا والمجالات. والآن بصدد طرح مرجعتين معاصرتين: إحداهما فارسية والأخرى عربية، وعندها يمكن رؤية بعض المقارنات، والفروق كبيرة: فإحداهما هزيلة بكل المعايير والقيم: كالسيستاني المطروح في الساحة، وأخرى إصلاحية كالمراجع العربي الشهيد محمد باقر الصدر. والفوارق بينهما فروق جوهرية واضحة طرحتها في عدة محاضرات وندوات وكتابات، حيث محمد باقر الصدر عاش فاعلاً مصلحاً مؤثراً ومات شهيداً، ولم يخلف لأرحامه فلساً واحداً، رافضاً الأخماس والعطايا والبيوت والسيارات الفارهة، وكل الامتيازات لنفسه وعائلته، بعكس السيستاني في أدنى المرجعيات. وهذا ما كتبه محمد باقر الصدر في أواخر حياته (المرجعية الرشيدة والصالحة) بعد يأسه من إصلاح المرجعية من الداخل، (كان يقصد الخوئي الفارسي) كما يقول في مذكراته أيضاً. بحث الصدر مقارنة بين قيم ومبادئ مرجعتين متباينتين، حيث قد تنطبق الرشيدة الصالحة على مرجعيته فكراً وسلوكاً وهدفاً، بينما الفاسدة الفردية المتخلفة تنطبق تماماً على السيستاني والخوئي، (وقامت القيامة عند أولاد الخوئي وحاشيته ضد الصدر)، وأضرابهما من المرجعيات الفاسدة وفق نظريته في تقسيم المرجعية.

أول تلك الفروق هو التاريخ المشرق قبل المرجعية في النشاط والفكر والممارسة والعمل، فقد كان باقر الصدر معروفاً بنشاطه الفكري والسياسي

والاجتماعي، وتصديه لأهم الأمور الحساسة في مختلف الميادين قبل سنوات طوال من تصديه للمرجعية، بل من ريعان شبابه وحتى تصديه للمرجعية بعد رؤية انحرافها، كما ذكر وكتب نظرية المرجعية الرشيدة والصالحة، وعندها اهتمته المرجعية الفارسية الخوئية بأنه وهابي وعميل ومنحرف عن العقيدة، ولقبوه في النجف بالسلطان بدلاً من الصدر، وتواطؤوا مع النظام ضده، ووزعوا الحلوى بشهادته، لأنه نافسها بشرف حتى طرح الوحدة الإسلامية بصدق، رافضاً تكفير الخلفاء والسنة، بل رؤية حقيقية وسلوك عملي في رفض التكفير والغلو.<sup>(١)</sup> كتب الشهيد باقر الصدر في التاريخ والعقيدة والسياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع فيما لم يعهد للمرجعية الفارسية التصدي لكل ذلك بوصفه خارجاً عن منهج الحوزات ودروسها في الفقه والأصول، وربما الرجال وأضرابها، وهي دروس كلاسيكية، أشبعت بحثاً في الطهارة والنجاسة والحيض والنفاس، حتى صارت ترفاً استغراقياً لبعدها عن حاجات الأمة وواقعها وتحدياتها. يقول المؤرخ البرت حوراني: (باقر الصدر عالم كبير وذو أهمية عظيمة، ليس في العراق أو العالم الشيعي فقط، بل يشمل العالم الإسلامي كله). ويقول حسن حنفي: (نجاح الصدر في التحري عن العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية، وآخر ما وصلت إليه العلوم مستعملاً لغة العصر). وقال فيه موسى الصدر: (على الزعيم السياسي أن يرى لليوم وللغد ولما بعد الغد، وهذا متوفر في السيد محمد باقر الصدر، وحسبه أنه استطاع أن يضع حلولاً لأمر بقيت عالقة مئة وخمسين عاماً تهيب الفقهاء من الدنو منها). كما قال محمد جواد مغنية: (إن السيد محمد باقر الصدر أعلم العلماء على الإطلاق وبلا منازع. هذا الرجل هو الذي أخرج النجف من الكتب الصفراء إلى الكتب البيضاء)<sup>(٢)</sup>.

(١) الصدر، المرجعية الرشيدة والصالحة، ما كتبه من مذكرات محمد باقر الصدر، فضل الله، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، ص ١٥٩ مختلف كتب الصدر الثقافية والاجتماعية والسياسية والعقائدية والفكرية.

(٢) بحثي عن المرجعية الشيعية العربية.

كتب الصدر كتباً مهمة وهو في ريعان شبابه، كما تصدى لجامعة العلماء وكتب مقالاتها في مجلة أضواء وتصدى للحركة الإسلامية وتحدياتها، لذلك كتب (فلسفتنا) و(اقتصادنا) وأضرابها. وكان يعيش الساحة ويخالط الناس ويتابع الشباب وهمومهم ويختلط بهم دون حواجز الحواشي المحيطة بالمراجع والحاجة للحقائق عنهم، وكان من السهولة حضور مجلس الصدر ومحاضراته واللقاء به والحديث معه، أخذاً ورداً، وكان متواضعاً يحسن الاستماع والإصغاء، كما كان يقبل النقد والملاحظات والاقتراحات، ويتفاعل معها ولم يكن منزوياً بعيداً عن الناس وهمومهم: كالمرجعية الفارسية السيستانية التي تعيش في الظلام وتخاف من النور، فلا لون ولا طعم ولا رائحة لها، ولم نسمع بها قديماً إلا في الفتاوى الجاهزة لكل ما يطلبه النظام، كما صرح الصدر الثاني مراراً. وقد أشاد بها الحاكم المدني الأمريكي بول بريمر في كتابه ومقابلاته، وكذلك رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق والمسؤولون الأمريكيون ثم ويكيلكس<sup>(١)</sup>.

هذا وقد طلب الأمريكيون من مراجع النجف الخروج منها لقصف النجف، فأسرع للاستجابة، وقد طاروا فرحاً للتخلص من تيار عراقي فيه الفقراء والمحرومون المقلدون لمرجعيتي الصدر الأول والصدر الثاني مرجعتين عربيتين منافستين لها، لتخلو له الساحة وفعلاً لو وجدت المرجعيات الصالحة لفقدت الفاسدة سطوتها وخمسها ونفوذها. بعد طلب الأمريكيين من المراجع الكبار الأربعة مغادرة النجف لقصفها، سارع إسحاق فياض الأفغاني وبشير الباكستاني ومحمد سعيد الطباطبائي الأصفهاني لجوءاً إلى أمهم إيران، لكن السيستاني سافر إلى لندن ماراً ببلبنان بحجة الفحص وقد كان بكامل صحته وقوته، كما شاهدناه، وكما أوضحته الوثائق وكشفته ويكيلكس، وقد صرف المليارات من أموال الفقراء والمساكين، وقد جاء أصهرته وأرحامه بطائرات خاصة ومصاريف الملوك ولقاءات

(١) بحثي عن المرجعية الشيعية العربية، الصدر، فلسفتنا، الصدر، اقتصادنا، مقالات الصدر في مجلة الأضواء (رسالتنا)، بريمر، سنتي في العراق، مقابلات رامسفيلد، وثائق ويكيلكس، بحثي قصف النجف، بحثي صراع المرجعيات.



مشبوهة نشرت بعضها في لندن، علماً أن محمد رضا السيستاني كان يتصل يومياً مع حازم الشعلان وزير الدفاع العراقي لمعرفة التقدم في قصف الأمريكان للنجف (حيث الاتفاق معاً)، حتى بقي ثلاثة أسابيع كاملة... ويزور المرجع الفارسي جواد التبريزي الذي وفد لندن للعلاج قادماً من قم، وغيره مما كتبه بالتفصيل سابقاً<sup>(١)</sup>.

أما في المجال الحوزوي والديني فلم يكن محمد باقر الصدر كلاسيكياً تقليدياً كغيره من الفقهاء الفرس التقليديين، بل كان مجدداً على بعض الأصعدة فقد نقد في الفقه والأصول العديد من الأطروحات الكلاسيكية القائمة كما كتبت عنه بالتفصيل سابقاً، كما أنه غير المناهج الحوزوية فقد وضع في علم الأصول سلسلة حلقات جديدة على مراحل ثلاث بديلة عن الكتب الأصولية المعتمدة، كذلك رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) بأسلوب سهل واضح مبين بعيداً عن التعقيد في اللغة والاصطلاح والاحتياطات المعقدة الكثيرة وما لا ثمرة فيه وقد عفي عنه الزمن مثل العبيد والإماء وما ملكت أيمانكم... بينما لا تجد شيئاً من ذلك عند مرجعية السيستاني وأضرابه حيث صنعتهم الطبخة الفارسية كما عبر المرجع العربي محمد حسين فضل الله. ولفهم أبعاد ذلك يمكن الرجوع إلى الرسائل المتبادلة بين فضل الله والسيستاني عندما شنت الحملة لتسقيط مرجعية فضل الله من الفقهاء الفرس حتى عبر الفرس عنه (ضال مضل) وصدرت الفتاوى والكتب والبيانات ضد مرجعية عربية متميزة لمحمد حسين فضل الله وهو من تلاميذ محمد باقر الصدر وزملائه في أضواء والعمل الإسلامي عامة ومؤسساته وأنشطته وعمله الاجتماعي والسياسي واختلاطه بالناس ومشكلاتهم وواقعهم<sup>(٢)</sup>.

(١) بحثي عن المرجعية الشيعية العربية، برimmer، سنتي في العراق، مقابلات رامسفيلد، وثائق ويكيلكس، بحثي قصف النجف، بحثي صراع المرجعيات.

(٢) الصدر، غاية الفكر في علم الأصول، الصدر، بحوث في شرح العروة الوثقى، الصدر، دروس في علم الأصول، المعالم الجديدة للأصول، الصدر، الفتاوى الواضحة، ولمراجعة الفتاوى الفارسية ضد فضل الله راجع: محمد علي المشهدي، الحوزة العلمية تدين الانحراف، عبدالكريم العقيلي، ظلمات فاطمة الزهراء.

حصل باقر الصدر في سن مبكرة على الاجتهاد من عدة مراجع منهم الخوئي الذي لم يعط حتى وفاته إلا عدداً بسيطاً جداً من رتبة الاجتهاد حيث لم يكن السيستاني منها، لذلك لم يطرح السيستاني كمرجع بعد وفاة الخوئي بل طرحت مراجع كثيرة ولسنوات عديدة ولم يكن منها السيستاني أبداً، وتمت الصفقة مع المرجعية السابقة ومؤسستها بلندن والمعروفة بسيطرتها على الواقع الشيعي في مختلف الدول من خلال وكلائها ونفوذهم وأخماسهم وارتباطاتهم، خصوصاً مجيد الخوئي صاحب الصفقات وهو يبحث عن مرجع فارسي يأذن له بمليارات الأخماس لمؤسسة المرجعية العليا<sup>(١)</sup>. وبرغم أن المراجع الفرس لهم مشاريع عديدة كبيرة في إيران كالخوئي والسيستاني الذين عاشا وتنعما بخيرات العراق ومليارات أخماسه دون خدمات في العراق المنكوب. إن السيستاني قام بمشاريع كبيرة وكثيرة في إيران كما في موقعه الرسمي مثل (مجمع السيستاني) في قم على أرض تبلغ مساحتها حوالي ٤٠ ألف متر مربع في وسط المدينة، ويحتوي هذا المجمع على حوالي ٣٢٠ وحدة سكنية، بمساحات مختلفة، وتضم كل وحدة سكنية منها كامل المرفقات الضرورية ووسائل التدفئة والتبريد وما شاكل ذلك وأهم ما يلحق بهذا المجمع السكني الكبير: سوق عصري تتوفر فيه مختلف الاحتياجات والمتطلبات اليومية الضرورية وقاعات مختلفة وصالات لإقامة المجالس والاحتفالات للرجال والنساء كل على انفراد ونادٍ رياضي ترفيهي كبير، كما في موقعه الرسمي. كلها من أخماس الفقراء ومخصصة لرجال الدين التابعين له والمبشرين به، وعشرات المشاريع الأخرى التي تناطح مشاريع الدولة والمراجع الآخرين بينما العراق الذي ينعم به السيستاني فهو يخلو من أي مستشفى له أو مجمع أو مشروع كبير رغم حاجة العراق وشعبه المظلوم والمحروم، وكلنا يعلم لو لم يكن السيستاني في العراق ولو كان في إيران فحاله كعشرات المراجع المهمشين في قم وطهران ومشهد وتبريز ويزد وكاشان وغيرها<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: أبحاثي عن المرجعية الشيعية العربية، حوار مع فضل الله.

(٢) المصادر السابقة، موقع السيستاني الرسمي.

بينما يطرح باقر الصدر الوحدة الإسلامية وهو يرفض تكفير الخلفاء الراشدين . من أسوأ ما تطرحه المرجعية السيستانية هي التكفير للمسلمين، واعتبار السنة فقط مسلمين ظاهراً، لكنهم كفار واقعاً وحقيقة، مخلصين في النار لإنكارهم ولاية الأئمة الإثنى عشر، فيجب التبري من الخلفاء الثلاث الأوائل ولعنهم، ووظيفة المهدي المنتظر أن يعيدهم، ثم يصلبهم، ثم يحرقهم، ثم يذريهم، كما يلحق بهم جميع المسلمين الذين في قلبهم مثقال ذرة من الحب للخلفاء، كما هو واضح جداً وصريح للعيان في أجوبته وموقعه واستفتاءاته وإقامته فرحة الزهراء مبهتجاً بقتل الخليفة الثاني، مرتكباً المعاصي بحجة رفع القلم، بناء على حديث في البحار وغيره، ودعم الخطباء التكفيريين والمدعين تحولهم المذهبي، أمثال التيجاني ونشر الكتب التكفيرية وطبعها وتوزيعها، لتكريس التفريق بين الأمة وتكفير الأكثرية الساحقة منها زوراً وظلماً<sup>(١)</sup>.

ولا يقوم السيستاني بدور مباشر، لأنه لا ينطق مباشرة ولا يصلي الجمعة ولا الجماعة، ولا يخطب في الناس، ولا يمارس عملاً معهوداً، ويعيش في الظلام مستوراً محجوباً على عكس محمد باقر الصدر، الذي عمل صباح مساء وفي النور وأمام الملأ، وهكذا عهدنا في القرآن سيرة الأنبياء والأولياء والصالحين. باقر الصدر كان رافضاً لتكفير الخلفاء وردتهم ولعنهم، بل هو القائل: (إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون، والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل على السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر، وكلنا نحارب تحت راية الإسلام، مهما كان لونها المذهبي. إن الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج الآلاف من الشيعة، وبذلوا دمهم رخيصة من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام). وشتان بين من يزرع المحبة والأخوة والانسجام كالصدر، الذي قدم دمه، وهو يدعو للوحدة، وبين السيستاني في الاتجاه المقابل، وهو الذي تخلو رسالته من

(١) بحثي الصدر والوحدة الإسلامية، مركز الأبحاث العقائدية التي يشرف عليها السيستاني. ومؤسسة السيستاني ضخمة في دعم خطباء وكتب للتكفير ونشر ثقافة اللعن والبراء.



وظائف المجتهد والمرجع، بل وظيفة الناس والمكلفين وكأنه معصوم لا تكليف له في مهزلة من مهازل العصر الحديث. قال المرجع العربي محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه: (الفردوس الأعلى) متحدّثاً عن بعض المراجع ومقلديهم: (وما أكثر المدعين لهذا المنصب، ولا سيما في هذه العصور التعيسة وما أكثر المخدوعين بهم جهلاً أو لغرض، والغرض يعمي ويصم). علماً أنه كان كاشف الغطاء من أروع الفقهاء نتاجاً ونشاطاً واتصلاً بالمجتمع وهمومه السياسية والاجتماعية، لكن المراجع الفرس منعوا مرجعيته، واتهموه بشتى التهم الباطلة، وهكذا سيطرت المرجعيات الفارسية لقرون طويلة على الأمة وأخماسها ومصيرها، وكأن العرب لا يمتلكون مرجعيات أصلاً، وهو باطل تماماً، فكاشف الغطاء كان متميزاً بالعلم والفقه والأصول والأدب والحوار والفكر<sup>(١)</sup>.

ومن مسؤولية المجتهد هي عمله الدؤوب لمصلحة الأمة واللقاء بها والتواصل معها مباشرة وعلنا في عصر الفضائيات، وتزويد الأمة بكل ما تحتاج إليه فكراً وواقعاً، كما عليه صرف الأموال على الناس، وهي مسؤولية شرعية وأخلاقية، كما هو حال الخمس والأوقاف والهبات ومليارات الأموال، تحت تصرف المرجعية وحاشيته، لا سيما الأرحام، كما وصل الفاسدون في العراق إلى الحكم بدعم من المرجعية، وتحت قائمة الائتلاف ٥٥٥ التي اعتبروها تمثل ولاية أمير المؤمنين (بادعاء أنها تمثل آية الولاية)، وبدعم السيستاني والفتاوى بحرمة زواج وأولاد من لا يصوت للولاية والقائمة<sup>(٢)</sup>.

برغم أن السيد محمد باقر الصدر استشهد في نيسان ١٩٨٠ وهو في الأربعينيات من عمره، أي بداية العطاء الفكري لكثير من المفكرين والمثقفين وهو نصف ما عمّرت المرجعيات السيستانية وهي ترى الشأن في باب الخمس التي بررت للكثير من حاشيته استغلال الخمس لهم بالمليارات والعمارات والشقق والتجارات على

(١) الصدر في البيان الثالث في النجف في شعبان عام ١٣٩٩ هجرية، محمد حسين كاشف الغطاء، الفردوس الأعلى، حاشية كاشف الغطاء على سفينة النجاة، ٢٨/١.

(٢) راجع: أبحاثي عن المرجعية الشيعية العربية، بحث في الخمس.



أساس أن من شأنهم كل ذلك التبذير والإسراف وتبرير ذلك في جعل أنفسهم طبقة عالية فوق البشر تسوغ لهم أخذ المال العام وحتى الحقوق الشرعية والأخماس خلافاً لسيرة الرسول والأولياء والصالحين. ويقول بعض الفقهاء: (مما يدعو للأسف أن الناس يرون بأم أعينهم ما يقوم به أمناء بعض المراجع الكبار وأحفادهم والمقربين إليهم من حياة بذخ وفوضى وتبذير لأموال المسلمين...)، علماً أنه لم يعهد للخمس في المكاسب والمتاجر أصل في الدين ولا كل حياة الرسول والإمام علي أبداً، ولم يعهد وكيلاً عن الخمس، ولا محاسبة لتاجر في أخماسه أبداً، فهي دخيلة على الدين وعلى القرآن ولم يعرفها الرسول أبداً. وهنالك آية واحدة في القرآن كله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْأَجْمَعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقد نزلت هذه الآية في واقعة بدر التي سماها الفرقان كما ذكر المفسرون، وليس لها علاقة بالمتاجر والأرباح وأخماس أموال الناس، بل قسمها النبي على المقاتلين آنذاك، ولا يوجد سهم سادة وسهم إمام، وإلا كانت طبقية، ويكون بيت النبي أغنياء بالخمس، كما ذكر بعض الفقهاء، بينما الحقيقة فقرهم وزهدهم، ولم يعيش النبي وأهل بيته وأصحابه على أموال الآخرين وقوتهم، بل عملوا من كد يمينهم وعرق جبينهم، كما عمل جميع الأنبياء والصالحين<sup>(١)</sup>.

قام الصدر بتقسيم المرجعيات الدينية إلى قسمين: الأول الرشيدة والصالحة. والثاني هي غير الرشيدة وغير الصالحة المكرسة للجهل والتخلف. وهذا ما يعتقد به المصلحون والواعون حتى من المرجعيات نفسها ويكشفه الواقع والعقل والتجربة. فقد كان محمد باقر الصدر يمثل المرجعية الواعية والنقلة النوعية في الحوزة العلمية، حيث إنه كان مجدداً في مختلف أبعاد الحوزة لمواكبة العصر وتحدياته، بدأ بكتابة موسوعة من الكتب، التي لم يعتد كتاباتها في الحوزة مثلاً في الفلسفة،

(١) بحثي في الخمس، العروة الوثقى وأبحاث محمد باقر الصدر، الخمس.

التي حرمها البعض لكنه كتب (فلسفتنا)، وفي الاقتصاد ألف (اقتصادنا)، والبنوك (البنك اللاربوي في الإسلام)، ونقله نوعية في الاستقراء كتب (الأسس المنطقية للاستقراء)، كما ألف في التاريخ مثل (فدك في التاريخ)، وفي التفسير (التفسير الموضوعي للقرآن)، كما جدد كتب الحوزة وتطویرها حتى في كتبها الدراسية، مثل تأليفه سلسلة حلقاته الثلاث في علم الأصول ورسائله العملية، إذن شخص عدم مواكبة الكتب القديمة للحاجات المعاصرة، وبدأ بملئها بما يعتقده من فكر وأسلوب معاصر يحقق الغرض لاستيعابه المعرفي وحضوره الاجتماعي ومواكبته للتأج البشري، بينما المرجعيات غير الرشيدة بعيدة كل البعد عن كل تلك الحاجات، فلم نجد لها نتائجاً فكرياً لا في الفكر أو الفلسفة أو الاقتصاد أو البنوك، أو حتى تجديد الفكر الأصولي أو الفقهي أو العقائدي أو التاريخي، بل أشبه بالتكرار الكلاسيكي للفقه القديم في أسلوبه ومواضيعه وطرحه وهمومه، فيقول الصدر: (الأمة اليوم غير الأمة بالأمس في مستواها الفكري، في مستواها الأخلاقي، في علائقها الاجتماعية، في أوضاعها الاقتصادية، في كل ظروفها. الأمة اليوم غير الأمة بالأمس. وحيث إن الأمة اليوم غير الأمة بالأمس، لا يجوز لك أن تتعامل مع الأمة اليوم كما تتعامل مع الأمة بالأمس، لهذا يجب أن تأخذ في الحسبان الظروف والتغيرات والتصورات التي توجد في الأمة. هذه التصورات والتغيرات التي توجد في الأمة تحدد لنا أساليب العمل، وليس بالإمكان أن يكون هناك أسلوب واحد يصدق على الأمة اليوم وعلى الأمة بالأمس وعلى الأمة غداً. فحينئذ من الطبيعي أن لا نُوفق في العمل لأننا نتعامل مع أمة ماتت، والأمة الحية لا نتعامل معها، فمهما يكن لنا من تأثير سوف يكون هذا التأثير سلبياً، لأن موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميت، وما هو الموجود في الخارج لا نتعامل معه). ومن السهولة المقارنة حتى البسيطة بين الرسالة العملية (الفتاوى الواضحة) للصدر مع رسائل غيره كمنهاج الصالحين أو العروة الوثقى أو وسيلة النجاة للمراجع الفرس المعروفين كالخوئي والأصفهاني والسيستاني، وهي تكرر ممل لبعضها البعض، وانشغالها بأبحاث العبيد والإماء والبئر والرطل... فضلاً عما هو أكبر فيما يحتاجه الناس، وتحتاجه الأمة.

حاول الصدر أن يصلح المرجعية الدينية من الداخل، فعانى وجاهد وصبر، فلما يئس كما يقول في مذكراته، قرر أن يطرح في أواخر حياته أطروحة رائعة وجريئة وشجاعة في اجتياز الممنوع، وكتب (المرجعية الرشيدة والصالحة)، ليطرحها على الناس جميعاً وبصوت عال علناً، حيث يحاسب الناس المرجع، ويحول المرجعية من الفردية والذاتية والأنانية والمصلحية إلى مؤسسة مسؤولة تهتم بالأمة ومشكلاتها وهمومها واحتياجاتها، وهو يضع الخطوط الهادفة في حركتها، قائلاً: (إن أهم ما يميز المرجعية الصالحة تبنيتها للأهداف الحقيقية، التي يجب أن تسير المرجعية في سبيل تحقيقها لخدمة الإسلام، وامتلاكها صورة واضحة محددة لهذه الأهداف، فهي مرجعية هادفة بوضوح ووعي، تتصرف دائماً على أساس تلك الأهداف)، ناقداً المرجعيات غير الرشيدة وغير الصالحة المطروحة في الساحة، التي لا تملك رؤية واسعة، بل تتصرف عشوائياً وبنفسية فردية جزئية، إذ يقول: (تمارس تصرفات عشوائية وبروح تجزئية، وبدافع من ضغط الحاجات الجزئية المتجددة)، ثم يقول: (وعلى هذا الأساس كان المرجع الصالح قادراً على عطاء جديد في خدمة الإسلام، وإيجاد تغيير أفضل لصالح الإسلام في كل الأوضاع، التي يمتد إليها تأثيره ونفوذه)<sup>(١)</sup>.

فعلاً قام الصدر بمشاريع عديدة منها مؤلفاته المختلفة وأنشطته، مثل كلية أصول الدين، وبعض الكتب كعلوم القرآن، والاقتصاد وفي مجلة (رسالة الإسلام)، ومجلة الأضواء ونشاطاته الاجتماعية والسياسية، ولقاءاته اليومية بالناس ومشكلاتهم خصوصاً مجلسه اليومي العام والمفتوح، لمختلف طبقات المجتمع خاصة الشباب الجامعي، وهو يحاضر في (المحنة) (الحكم) (النبوة) (دور أهل البيت الرسالي)... وهو يعالج الأزمات المعاصرة بعكس انزواء المرجعيات الفارسية التي عانى منها وحاربته وانزوائها عن المجتمع ومعاناته. ومن هنا يعتقد الصدر وجود مشكلة النظرة الفردية للفقيه، والبعد عن الرؤية والنظرة الاجتماعية كما سماها، ثم يتحدث عن الإفلاس في حوزة النجف، فيقول: (لماذا تعيش الحوزة العلمية

(١) محمد باقر الصدر، المرجعية الرشيدة الصالحة، فضل الله، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، أبحاثي عن المرجعية الشيعية العربية.



في هذا البلد، أي العراق، مئات السنين، ثم بعد هذا يظهر إفلاسها في البلد نفسه الذي تعيش فيه، وإذا بأبناء البلد أو بعض أبناء هذا البلد يظهر ون بمظهر الأعداء والحاquدين والمتربصين بهذه الحوزة...<sup>(١)</sup>.

ويضع الصدر كثيرًا من الأهداف المختلفة، حيث يشترط في المرجعية الرشيدة الإيمان بها بداية ووضوح هذه الأهداف للمرجعية وتبنيها، وإن كان هو الذي يحدد صلاح المرجعية، ويحدث تغييرًا كبيرًا على سياستها العامة ونظراتها إلى الأمور وطبيعة تعاملها مع الأمة، وممارسة كثير من الأمور قبل تصديها للمرجعية، بل ومعرفة الأمة لها بشكل كبير وواضح. ولقد كان الصدر معروفًا قبل تصديده للمرجعية في كتابات كثيرة وأعمال سياسية وإجتماعية كبيرة، بينما الكثير من المرجعيات غير الرشيدة لا تمتلك فكرًا ولا حركة اجتماعية أو سياسية ومعزولة عن الأمة وآلامها ومعاناتها، وليست معروفة أصلاً بأي نتاج فكري أو عملي، ثم تظهر صدفه وفجأة للساحة بعد موت المرجعيات السابقة، عندما يكون البحث عن مرجع حي، ليجيز وكالاتهم واستلامهم الحقوق الشرعية، فالميت قد تموت حتى فتاواه معه، إلا إذا أجازها الحي بعده.

كما ميز الصدر بين العقلية الرياضية والعقلية الاجتماعية، ليقول: (العقلية الاجتماعية تقوم على أساس الحدس والتجربة، ومن الاطلاع على ظروف العالم وملابساته، فيجب أن نفتح أعيننا على العالم)، أي فيما يحتاجه العالم من أفكار ووعي ومعرفة.

ومن أهم ما طرحه الصدر هو اعتماد الكفاءة والتخصص بوصفه أساسًا للمرجعية الرشيدة، حيث يقول: (إيجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذي للمرجعية يقوم على أساس الكفاءة والتخصص، وتقسيم العمل، واستيعاب كل مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحددة). في مقابل المرجعيات غير الرشيدة التي تعيش العفوية والصدفة وتحكمها الحاشية من غير الأكفاء والاختصاصيين، بل الصدفة والرحم والحاجات المؤقتة الآنية، وب عقلية تجزئية ليس لها أهداف واضحة أو محددة، بل ذهنية فردية آنية تجزئية، حيث يقول مثلاً: (ويقوم هذا الجهاز بالعمل بدلاً عن الحاشية التي

(١) المصادر السابقة، محاضرة مسجلة للصدر في النجف أيام مناسبات أهل البيت.



تعبّر عن جهاز عفوي مرتجل، يتكون من أشخاص جمعتهم الصدفة والظروف الطبيعية، لتغطية الحاجات الآنية بذهنية تجزئية ودون أهداف محددة واضحة). وفعلاً الحواشي والابن والصهر يتحكمون في مصير الأمة، ولا يمتلكون كفاءة ولا تخصصاً ولا نزاهة ولا ورعاً، فقد يشترك في أكبر فساد وسرقة للخمس بالملايين، لتبقى ذخراً له بعد وفاة المرجع (المقدس)، كما هو حاصل اليوم فيما يسمى المرجعية العليا، وهو اصطلاح جديد نشأ في عوامل سياسية لدعم مرجعية محسن الحكيم الطباطبائي الأصفهاني، ذي الأصل الفارسي والمرتبط بشاه إيران، كما هو معروف<sup>(١)</sup>.

وقد كان الصدر يرى ولاية الأمة معتمداً على آيتين من القرآن الكريم، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وآية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فيقول الصدر: (فإن النص الأول يعطي للأمة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورى والنص الثاني يتحدث عن الولاية وأن كل مؤمن ولي الآخرين، والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية...) (٢).

لذلك يقترح الصدر في المرجعية الرشيدة لجان عديدة خصوصاً اللجنة المالية، حيث تحتاج إلى تنظيم وضبط في الصادرة والواردة، فيقول: (اللجنة المالية التي تعنى بتسجيل المال وضبط موارده)، وهي من أهم الإشكالات في الخمس، وما سُمّيَ بالحقوق الشرعية، وأين تذهب هذه الأموال الطائلة جداً؟؟!!

والعجيب الغريب في المرجعيات غير الرشيدة عدم وجود صادرة ولا واردة فيما يحصل عليه حاشية المرجع وأرحامه بالملايين، برغم طردها للفقراء والمساكين، وهرولتها وراء التجار لتكديس الأخماس وجمعها. ولا دليل على ضرورة إجازة الفقيه، كما قال محمد جواد مغنية: (استحسان إذن الحاكم الشرعي لا دليل عليه شرعاً) وصرح بها بعض المرجعيات العربية.

(١) الصدر، المرجعية الرشيدة الصالحة.

(٢) الصدر، الإسلام يقود الحياة، خلافة الإنسان، وشهادة الأنبياء، ص ١٥٠.

ومن أغرب فتاوى المرجعيات الفارسية غير الرشيدة هي الشأنية في باب الخمس، التي بررت للكثير من حاشيته استغلال الخمس لهم على أساس أن من شأنهم كل ذلك التبذير والإسراف، وتبرير ذلك في جعل أنفسهم طبقة عالية فوق البشر، تسوغ لهم سرقة المال العام، وحتى الحقوق الشرعية والأخماس في حاشية المرجع وأرحامه ووكلائه الخاصين، خلافاً لسيرة الرسول والأولياء والصالحين.

كما يذكر محمد حسين كاشف الغطاء من تحول أولاد المرجع إلى الشيوعية والتيارات الأخرى، ودخولها في عمق النجف وقم، وعبر عنها البعض بإفلاس الحوزات، وأرجعها البعض الآخر إلى تهافت المرجع بين القول والعمل، وهو يرى سلوكه في البيت يناقض نصائحه للناس، وعندما يعترض عليه ابنه يقول: (تلك الموعظة لعوام الناس، ولا تشملنا، فمن شأننا الترف). وقد نجد امبراطورية الأرحام في الخليج العربي وأوروبا وأمريكا كأملاك فردية باسمه شخصياً، نعم ربما بعض المشاريع في إيران كالمستشفيات والمدارس والبيوت والمؤسسات، لكنها لا تقوم بشيء من ذلك في العراق الذي تعيش فيه ومن خيراته، برغم حاجته الماسة وفقر معظم شعبه، مما يثير تساؤلاً في تحول أموال المسلمين إلى أملاك خاصة لأرحام المرجعية ووكيلها، حتى بعد وفاته مما يطرحه البعض بالأرقام الكثيرة<sup>(١)</sup>.

لقد أثار طرح الصدر (المرجعية الرشيدة والصالحة) زلزالاً في النجف وحملة واسعة ضده من حاشية المرجعيات الفارسية غير الرشيدة خصوصاً الأرحام، وهي بوابة المرجعية وممثلتها وعينها ولسانها إلى درجة اتهام الصدر بالعمالة والدجل والوهابية، وُسِّمَ بالسطل. وإذا دخل المجلس حاولوا إهانته حتى يجلس عند الأحذية شماتة وحسدًا، وقد كتب في ذكرياته ومحتته ما يكشف القناع عن وجههم الذي تظاهر بالتقديس والزهد والورع، وهم أحرص الناس على الدنيا، وأشدّهم محاربة للحق ورجاله.

(١) بحثي في الخمس، مغنية، الشيعة في الميزان، فتاوى الفقهاء الفرس في رسائلهم العلمية باب الخمس وما كتبه عن الشأنية.

لذلك كان بعض رجال الحوزة يكتبون التقارير للنظام العراقي، ويحرضونه ضد الصدر، حتى قال بعض المراجع: (قتلته المرجعيات الفارسية غير الرشيدة). وقد بعث النظام آنذاك رجل الدين المقدس، ليقول للصدر: (إننا نعلم أن الحجز مسرحية دبرها لك البعثيون، لتمثل دور البطل فيها لإعطائك حجماً كبيراً في الأمة، ونحن نعلم عمالتك لأمریکا، ولن تنفعك هذه المسرحية). وكذلك غيرهم من رجال الدين (المقدسین)، فبکی الصدر كثيراً، وهو يردد:

وظلم ذوی القربی أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ثم قبض على لحيته، وهو يبكي قائلاً: (ويتهمني المقدسون بالعمالة لأمریکا!!) كما كان لدور بعضهم في العراق معروفاً حتى قال له فاضل البراك مدير الأمن بعد اعتقاله في مديرية أمن الكاظمية: (يمكنني إتلاف التقارير التي تصلني، ولكن لا يمكنني فيما يصل للقيادة مباشرة من قبل رجال دين في النجف...)، ثم قدم له نماذج من رسائلهم، لذلك يقول الصدر في إحدى رسائله: (لقد كان بعدك أبناء وهنبة وكلام وضجيج وحملات متعددة جندت كلها ضد صاحبك بغية تحطيمه... كثيراً من التهم والأمور العجيبة...)، (حتى كان جملة ممن يسميهم المجتمع الآخوندي مقدسين أو وجهاء لا يتورعون عن إلصاق التهم...).

فضلاً عن إيران وأجهزتها المختلفة، وهي لا تعترف به فقيهاً مجتهداً، فقد أعلنت بالإذاعة رسائل الصدر لإيران آنذاك، نتيجة مراسلات حساسة مما كان عاملاً مهماً في قتله، فضلاً عن حسد البعض للصدر، وتمني موته لتخلو الساحة لهم، وهو الذي دعاهم لتوزيع الحلوى فرحاً بموته. وهنا يطرح الدور السياسي والاجتماعي للمرجعية وتعاملها مع الواقع والأزمات برغم المطبلين من السياسيين المنتفعين والحاشية المنتفخة بأموال الشعب المحروم والحقوق الشرعية<sup>(١)</sup>.

(١) المصادر السابقة.



من أهم ميزات الصدر الأول هي زهده وتقواه وتطليقه الدنيا، ورفضه المغريات التي عرضت عليه، فلم يقبل أن يشتري بيتاً، أو يركب سيارة راقية له أو لأرحامه، وقد ترك الدنيا دون أن يخلف لأولاده أو أصهاره شيئاً من حطام الدنيا.

وهنا نستذكر تلميذه الصدر الثاني محمد محمد صادق الصدر القائل: (المهم في المرجع هو الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية وإنصاف الناس من نفسه، ولكن الأنانية في المرجعية هي الغالبة جيلاً بعد جيل.. اتبعوا شخصاً يبذل النفس والنفيس في سبيل الدين.. هنالك اتجاهان في المرجعية الناطقة والساكنة، ولا عذر للساكنة سوى الخوف، إنه صمت القبور.. لقد عرف الناس أن الإسلوب القديم قائم على القصور والتقصير، وإذا كثر الفساد في المجتمع فعلى العالم أن يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولكن الواقع أن أهم الأمور عندهم قبض الحقوق التي يجب أن تصرف لقضاء حاجات المحتاجين، ولكنهم لا يصرفونها كذلك).<sup>(١)</sup>

إن الصدر الأول بدأ خطوات أولى بمشروعه، لكنه قتل في مقتبل عمره في الأربعينيات، وهي بداية العطاء عادة، حيث تكتمل شخصية المرء، والملاحظ تطور نظرياته وتغير آرائه من فلسفتنا إلى اقتصادنا إلى كتابه الأميز (الأسس المنطقية للاستقراء)، والذي يمثل تطوراً في الفكر الديني خصوصاً لعالم الحوزة البعيد عن بعض العلوم الحديثة، فإن العديد من المراجع لم يكمل المراحل الابتدائية التعليمية، وجاء للحوزة حتى قال الخوئي: إنه لم يفهم منه شيئاً... ولم يكمل مشروع باقر الصدر، مما يجعله في أوائل الطريق، حيث كان الصدر عاطفياً جداً، وتفاعل مع أحداث الخميني وإيران من خلال بعض تلاميذه الفرس، الذين راسلوه وأعطوه معلومات خاطئة، حتى إنه أيد إيران والخميني، بينما كانت علاقة الصدر بالخميني في النجف فيها هنات وهنات، وكان الصدر يعد الخميني مريباً، وقد نقد أفكاره العرفانية بأنها منحرفة شاذة من العقائد الباطنية المنحرفة عن الدين والبعيدة عن الإسلام وروحه. إن تأييده للخميني الذي لم يحترمه وسماه (حجة الإسلام) أي

(١) محمد محمد صادق الصدر (الصدر الثاني)، المرجعية الصامتة والمرجعية الناطقة.



طالب صغير في أوائل الدراسات الدينية الحوزوية، وطلب منه البقاء في العراق، وأذاعها في وسائل الإعلام الرسمية الإيرانية وغيرها، التي أدت إلى مقتله وشهادته. والغريب هو سيطرة المرجعيات الفارسية غير الرشيدة على حوزات العراق برغم مؤهلات المرجعيات العراقية كالصدرين الأول والثاني، وهما من الكاظمية ببغداد، حيث عرفت بغداد بعروبتها عكس ما عرف عن النجف وكرلاء من سيطرة المرجعيات الفارسية، وهو ما يحتم قراءة أطروحة المراجع الإصلاحيين العرب بعمق والمقارنة مع المرجعيات الفارسية ودراسة نشوئها، ثم السؤال: هل يعقل تقليد المرجعية غير الرشيدة وغير الصالحة، والتي لا تملك أي حيثيات تؤهلها لا من الناحية العلمية ولا العملية.



## خطوات من التشيع العربي في التجديد والإصلاح والوحدة

ذكرت في ثنايا البحث أمثلة لمراجع عرب، ومواقفهم من التجديد والإصلاح والوحدة الإسلامية الحقيقية وكثير من البدع والطقوس، مثل محمد حسين فضل الله ومهدي الحيدري وهاشم معروف الحسني ومحمد باقر الصدر ومحمد حسين كاشف الغطاء ومحسن الأمين وغيرهم.

محمد حسين فضل الله من المراجع العرب حيث نقد التكفير في التشيع الفارسي ورفض الغلو في علي، واعتباره فاطمة الزهراء امرأة عادية، يمكنه أن يخرج الكثير ممن يماثلها من البنات اللواتي حضرن في جلسته النسائية، واعتبر الروايات مكذوبة في إسقاط محسن وضرب الزهراء، وقيادة علي بالحبل إذلاً لليبائع الخليفة، قائلاً: (إني لا أفعال مع الكثير مما يرد عن كسر ضلع الزهراء وإسقاط جنيها...). واعتبر مصحف فاطمة هو ما أملاه الرسول لها، وليس إلهاماً مباشراً من الله والملائكة، ثم ذكر أن قبر الزهراء صار معلوماً، وليس مجهولاً كما ادعى، ورفض طقوس كربلاء في القصص الخرافية والتطير الصفوي وقربة العباس وعرس القاسم. وانتقد الفرس واعتبره اتجاهًا فارسيًا في السيطرة على التشيع وتشويهه. قال فضل الله: (إن الشيعة هم الذين قتلوا الحسين بعد أن دعوه إلى كربلاء، فقد كان شمر من قادة جيش علي في صفين ممن راسلوه وقتلوه من شيعته). وقد ترضى مراراً على الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان صراحة، ورفض الطقوس الحسينية والممارسات المنحرفة، قائلاً: (إن الثورة الحسينية قد تحولت بفعل العواطف إلى تعذيب الذات بالصراخ

والعويل ولطم الصدور وضرب الظهر وجرح الرؤوس.. وشرب الخمر للإجماع.. وترك الصلاة). كما رفض شفاعة الأئمة والنذر لهم والتوسل بهم مستدلاً على سيرة أهل البيت أنفسهم في الدعاء إلى الله مباشرة والتوسل به وبلا واسطة.

كما دعى فضل الله إلى الوحدة الإسلامية رافضاً الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة، كونها بدعة ليست من الدين، قائلاً: (إني لا أرى إضافتها للصلاة أو مقدماتها، فإن ذلك يؤدي إلى مفاسد كثيرة). ورفض الكثير من الطقوس الفارسية خصوصاً التطبير وإدماء الرؤوس وثقافة التكفير واللعن. قال فضل الله: (إن الإمام علي كان يحضر الصلاة جماعة خلفهم، وأن الإمام علي بايع أبا بكر وعمر وعثمان)، وأن الإمام علي قبل أن يكون مكان عمر عند ذهابه إلى القدس، وأن الحسن والحسين قد رضيا بأن يكونا في جيوش الخلفاء).

رفض فضل الله تأويل آيات واختصاصها في علي وأهل بيته كسؤال السائل ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١] ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] قصة إطعام الطعام ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾ [الأنسان: ٨] ﴿النَّبِيَّ الْعَظِيمَ﴾ [النبا: ٢] ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ٦] ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥]، كما أنكر نزول الملائكة على الأئمة واتصالهم بالغيب وولايتهم التكوينية والتشريعية، وقال: (أنا من الناس الذين لا يرون الولاية التكوينية، لأن القرآن كله ينفي ذلك، ويؤكد أن النبي لا يملك من أمره شيئاً، إلا ما أمره الله بشكل طارئ، فليس للأنبياء تقديم وتأخير ما شاؤوا، والاستجابة لاقتراحات الناس، فليس لهم ولاية تكوينية ولا تشريعية)، (أما الولاية على الكون فهي ليست من شأنهم ولا دورهم، لأن الله وحده الذي يملك الولاية الخالقية والفعلية على إدارة نظام الكون كله، وليس لأحد آخر غيره، كما لم يمارس الأنبياء أي دور في ذلك في أي موقع من مواقعهم، حتى في الإعجاز إلا في موارد الإذن الإلهي الخاص، فلا يدفعون عن أنفسهم ضرراً ولا نفعاً). ولم يعد الإمامة والعصمة والولاية والخلافة من الأمور

الثابتة ولا القطعية، بل قال: (هي محل نقاش وجدل ومن الأمور المتحولة التي تخضع للاجتهاد والدراسة في التوثيق، وليست من العقائد الثابتة سنداً ولا دلالة، لذلك يعيش المسلمون الخلاف حوله). ورفض التقية واعتبرها حجباً للحقيقة، وشكك في القصص التاريخية، ومنها سم الإمام الكاظم من هارون الرشيد، وكذلك قتل المأمون للإمام الرضا، واعتبر للزهراء ثلاث أخوات منها زوجتا الخليفة الثالث عثمان بن عفان، واعتبر كثيراً من الزيارات موضوعة، مثل زيارة الناحية عن المهدي المنتظر. هذا وقد رفض اللعن والسب والشتم للخلفاء الراشدين وزوجات النبي عائشة وحفصة، فهما عرض النبي الكريم، وتحدث عن أخطاء الإمام علي في شرحه لدعاء كميل. لذلك كله تعرض فضل الله لحملة ظالمة من الفقهاء الفرس، حتى افتوا بأنه (ضال مضل)، وشككوا في أصله ونسبه، ونظمت القصائد، وألفت الكتب، وتصدرت حسينيات الثأر وخطباء وعاظ السلاطين لاتهمه وإسقاطه<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت في البحث أعلاه السيد محسن الأمين العاملي بوصفه مرجعاً عربياً دعا للوحدة الإسلامية وآمن ببيعة علي للخلفاء الثلاثة، وأقر بأن حديث أبي بكر عن النبي: «نحن معاشر الأنبياء لانورث»<sup>(٢)</sup> هو حديث صحيح. وقد كان يلتقي الأمين بفقهاء السنة، وينسق معهم ويفتي بمذاهبهم، ورفض أن يحصل على

(١) راجع: كتب فضل الله مثل: الندوة، في رحاب أهل البيت، تحدي الممنوع، من وحي القرآن، في رحاب دعاء كميل، فقه الحياة، للإنسان والحياة، قضايا إسلامية معاصرة، دنيا الشباب، تأملات في آفاق الإمام الكاظم، حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، تأملات إسلامية حول المرأة، من وحي عاشوراء، المسائل الفقهية.

وقام جملة كبيرة من الفقهاء الفرس بحملة واسعة ضد فضل الله، منهم علي السيستاني وجواد تبريزي ووحيد خراساني وعباس كاشاني وناصر الشيرازي وتقي القمي وفاضل لنكراني وكاظم المرعشي وأبو الفضل الخونساري وأحمد باياني ومحسن حرم بناهي ومحمد الأشكوري ومحمد الشاهرودي ومصطفى الاعتمادي ويوسف التبريزي ومحمد الكركاني وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠ / ٨) رقم (٦٧٣٠)، ومسلم (١٣٧٩ / ٣) رقم (١٧٥٨)، ولفظه: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر، يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة».



مناصب رسمية للطائفة الشيعية على حساب السنة، وأرسل مذكرة احتجاجية للمندوب السامي الفرنسي، يرفض فيها القانون قائلاً: (إنني بصفتي المرجع الروحي للمسلمين الشيعة في سوريا وفي لبنان، أحتج على هذا القانون، وأحتج على هذه التفرقة بين المسلمين، لأننا أمة واحدة وعلى دين واحد، فلا نسمح لكم أن تفرقوا بين السنة والشيعة، لأننا في القضايا الإسلامية نمثل فريقاً واحداً). كما جاء للعراق ليشارك في ثورة العشرين تحت لواء السنة ضد الاستعمار الإنكليزي. إن شخصاً جاء إلى الأمين، وقال له: (أريد أن أكون شيعياً)، فقال له: (لا فرق بين السنة والشيعة، فكلنا مسلمون)، وأصرَّ الرجل، فقال له: (إن كنت مصرّاً فاجلس أمامي، وقل: أشهد أن لا إله إلا الله)، وقالها الرجل، ثم طلب منه الأمين أن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله)، فقالها الرجل، فقال له الأمين ساعته: (لقد أصبحت شيعياً)، ورفض أن يضيف عليها شيئاً قائلاً: (كلنا نؤمن بالله وكتابه وبالنبي وسنته). هذا وقد رفض الأمين الكثير من المصادر الفارسية المتداولة، وطعن فيها واعتبارها مليئة بالغلو. كما رفض الزيارات الموجودة للأئمة، والكثير من طقوسها، واعتبار الكثير منها موضوعاً، وذات أضرار بالغة.

كان الأمين رجلاً وحدوياً، وعالج نقاطاً في التراث الشيعي، حتى نقل حوارات بين أهل البيت أنفسهم، مثل قول فاطمة لعل: (يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت قعدة الضنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل...)، وهذا قمة في تأنيب علي وتوبيخه، كما نقل قول علي: (لا تزوجوا الحسن، فإنه مزواج مطلق)، والسؤال أين يقع هذا فيما ادعى فيهم العصمة، فثبوتها يشكك في العصمة؟! كما نقل سهو الأئمة وضعفهم، ودعا لعدم الغلو فيهم.

وحرَّم الأمين الطقوس: كالتطبير والإدماة للرؤوس في طقوس عاشوراء، وألف كتاباً مفصلاً في نقضها وردّها، أسماه (رسالة التنزيه). وقال فيه: (إن الكثير من القراء قد اختلقوا أحاديث في المصائب، لم يذكرها مؤرخ ولا مؤلف، لما يروونه من تأثير عاطفي، وهي من الأكاذيب الموضوعة، كما أن ما يفعله البعض من جرح

أنفسهم بالسيوف من تسويلات الشيطان، وينهي عنها الدين، وإنّ ما يفعله البعض من جرح أنفسهم بالسيف أو اللطم المؤدي إلى إيذاء البدن، فإنه من تسويلات الشياطين وتزيينه، ومما يغضب الحسين ويبعد عنه، لا مما يقرب إليه، فهو قد قتل في سبيل إحياء دين جده، وهذه الأعمال مما ينهي عنها دين جده، فكيف يرضى بها، وكيف تكون مقربة إلى الله تعالى؟! والله لا يعبد من حيث يعصى). وقام بتأليف كتب خاصة عن الإمام الحسين وأهل البيت وسيرتهم وخصوصًا عاشوراء وطقوسها، بعد تجريدها من الخرافات والدجل كما سماها. وأيضًا (قام بفرض رقابة عسيرة على الخطباء تولاها بنفسه منعته من أن يسترسلوا في التهويل والتهويل، وكان إذا سمع من أحدهم وهو على المنبر كلمة لم ترضه، فإنّه لا يتوانى عن أن ينبّهه في الحال، وأن يقطع عليه خطابه، ليصحّحها في أذهان الجمهور المستمع، ثم يأمر الخطيب بمعاودة الكلام، ولم يكن يستطع مع الجيل القديم بأكثر من ذلك، لذلك عمد إلى اختيار جيل جديد من الخطباء، ربّاه بيده فكان أفرادهم من أحسن الناس ثقافة وتعمّقًا في البحث، بل اختار فيهم من يحسن لغة أجنبية، ليكون أكثر إحاطة بشؤون العصر وتطوراتها). ولكن مجموعة من فقهاء الفرس كانوا ضده وأصدروا الفتوى لتأييد تلك الطقوس خصوصًا النائيين، وشنت حملة واسعة ضده، يقول عنها محمد حسين فضل الله: (ثارت عليه الدنيا وكُفّر وزُنْدَق، وقيل: إنه عدوّ الحسين، وقيل عنه زورًا وبهتانًا: إنه يريد أن يصادر مجالس العزاء، ويريد أن يصادر كل كربلاء وعاشوراء، ذلك لأنهم اختزلوا كل عاشوراء مجتمعة في سيف يضرب الرأس أو سوط يضرب الظهر، هذا هو الفهم لعاشوراء؟).

كما كان الفرس يمارسونها في إيران والنجف، فلهم السطوة بينما كان العراقيون يرفضون ممارستها كطقوس غريبة بعيدة عن تقاليدهم، ولم تدخل العراق إلا في القرن التاسع عشر من خلال الفرس وفقهائهم، خصوصًا اليزيدي، وأول من مارسه في العراق هي قافلة قادمة من إيران، كما يقول الوردي والنقاش وغيرهم:

جاء الأمين إلى دمشق عام ١٨٩٨ بدعوة من زعماء لها، ليكون إمامًا ومرشدًا ومفتيًا في مجتمع، نسبتها العظمى من السنة، ليحمل مشروعًا إصلاحيًا دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا كبيرًا، لينشر مشروعه لبنان وسوريا والآفاق الإسلامية. الأمين قد دَوّن سيرته الذاتية في كتابه (أعيان الشيعة)، حيث يقول: (لما وصلت دمشق وجدت فيها أمورًا هي علة العلل ولا بد للإصلاح العلل من إصلاحها) ثم يذكر أقسامها من الأمية والجهل ثم الحزبية، التي تقسم المجتمع وتفرقه، ثم مجالس العزاء والمرويات غير الصحيحة وطقوس ضرب الرؤوس بالسيوف، وهي تتأصل بالدين وتلبس لباسه... فقام بالتدريس والخطب حتى يعلم الدروس الخاصة، لأهل العلم المتخصصين والتعاليم العامة وخطابات الجمعة والجماعة في مسجده لعموم المسلمين. وفي المقابل لم يستنكف أن يدرس أبسط الدروس كعلم النحو لمجموعة من الطلاب. وأدخل العلوم الحديثة وأسس (المدرسة النظامية) ومدرسة لتعليم البنات (المدرسة اليوسفية) بدمشق أيضًا، وكانت نقلة نوعية في وقت يرى الكثير أن مكان المرأة البيت وفتاوى تحريم تعلمها وخروجها. لقد زار الملك فيصل بن الحسين عند تعيينه ملكًا على سوريا المدرسة النظامية، وأظهر غاية إعجابه وانبهاره بها: كسابقة متميزة في بلاد الشام ولبنان، وقد سميت لاحقًا بالمحسنية تقديرًا لمؤسسها محسن الأمين. كانت المدرسة تجمع المتخصصين في كل باب، وأضاف لها دروس التربية الدينية. وكانت له مواقف من قضية فلسطين، ورفض الاحتلال الفرنسي، كما رفض عروضهم للمناصب، وكان بيته مقرًا للكتلة الوطنية السورية في الإضراب الكبير والثورة على فرنسا<sup>(١)</sup>.

محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان قد دعا للوحدة الإسلامية، وشكك في الكثير من العقائد الدخيلة ورفض التقليد:

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ١٠/ ٣٦١ الأمين، المجالس السنية، ٩/ ٣٦٢ هبة الدين، مجلة العلم، ص ٢٦٦ الأمين، رسالة التنزيه، ص ١٠١ الحسيني، ثورة التنزيه، ص ٢٠٣ جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ٣/ ٢٠٧ الوردي، مهزلة العقل البشري، ص ٣٠٠، النقاش، شيعة العراق، ص ٢٨٠، الوردي، لمحات اجتماعية.



(ليس عندنا اتباع لأشخاص في الفكر الإسلامي، والفقيه لا يتمتع بأيّ قداسة على الإطلاق، وليس مؤهلاً لأن يكون متبوعاً على الإطلاق، ولذلك مفهوم التقليد هو مفهوم دخيل). وفي حديثه عن المرجعية العليا (لا يوجد مرجع أعلى ونحن اخترعنا مع مجموعة هذا المصطلح لمواجهة نظام عبدالكريم قاسم والمدعوم شيوعياً. اخترعنا الاصطلاح واستعملناه وآسف أنه أصبح مصطلحاً رائجاً). ورفض ولاية الفقيه، واعتبرها دجلاً وآمن بولاية الأمة والشورى. ودعا إلى الاطلاع على المذاهب الإسلامية المختلفة، ودعا إلى مجلس إفتاء لمراجع مختلفين ومذاهب متنوعة. وكان يؤمن بالشورى، وينظر لها كثيراً ويعدها مبدءاً إسلامياً أساسياً، برغم بعد الشيعة عنها، حتى قال (ينبغي أن يكون مبدأ الشورى في الشؤون العامة، أهم المبادئ الدستورية السياسية على الإطلاق عند جميع المسلمين. لأن مقتضى أدلة هذا المبدأ من الكتاب والسنة: أنه لا تستقيم شرعية أي حكم سياسي لحاكم غير معصوم ولا تستقيم شرعية أي تصرف في الشؤون العامة للمجتمع، من دون أن يكون قائماً على مبدأ الشورى... فيجب على الأمة أن تدير أمورها العامة عن طريق الشورى، ويجب على الحاكم أن يحكم عن طريق الشورى، وهو ملزم شرعاً باتباع ما تنتهي إليه عملية الشورى). ومن آرائه أن تكون المرأة مرجعاً وقاضياً وحاكمة وجميع المناصب الدينية والسياسية والاجتماعية. كما أنه لم يعد الإمامة أصلاً من أصول الدين<sup>(١)</sup>.

محمد جواد مغنية في لبنان حاول تصحيح العديد من العقائد الشيعية والتقارب مع السنة في محاولات جادة فكرية وعملية، وكان لا يعد الإمامة أصلاً من أصول الدين والإيمان، فهو يقول: (فالإمامة ليست أصلاً من أصول دين الإسلام، وإنما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد، ولكنه ليس شيعياً. إن علياً نفسه كان مثلاً للتضحية والمرونة مع الأصدقاء والخصوم،

(١) شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، ص ١٠٨ شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٢٠، شمس الدين، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، ص ٤٤ عبدالحادي الفضلي، ريادة شمس الدين، ص ٦٧ محاضرة شمس الدين في ذكرى شهادة محمد باقر الصدر، شمس الدين، دراسات ومواقف في الدين والسياسة والمجتمع، ص ٣٤١ حيدر، العمامة والصولجان، ص ٩٨.



وكان قدوة لنهج التقريب والوحدة، وإن مسألتَي الإمامة والخلافة هما منفصلتان عن بعضهما، ويمكن التوفيق بينهما وجميع الفرق الإسلامية تنتمي إلى ملة واحدة، وإن الاختلافات الفقهية بينها هي نتيجة للاجتهاد). فإذن مغنية لا يجعل الإمامة أصلاً في الإسلام والإيمان، ولا يعد منكرها كافراً مستحقاً للدخول في النار، كما ادعاه الفقهاء الفرس. كما ذكر مغنية، الإمام علي وسيرته مع الخلفاء الراشدين كأروع صورة للوحدة الإسلامية. كما يعد مغنية، أول وأبرز مفكر شيعي يؤسس للمنهج الاجتماعي في فهم النص الديني، وما يسمى بمناسبات الحكم والموضوع في المجال الاجتماعي، حتى قال عنه محمد باقر الصدر: (أكبر الظن أنها أول مرة أقرأ فيها لفقيه إسلامي من مدرسة الإمام الصادق، أوسع نظرية لعنصر الفهم الاجتماعي للنص، يعالج فيها بدقة وعمق الفرق بين المدلول اللغوي، اللفظي، للنص، والمدلول الاجتماعي، ويحدد المدلول الاجتماعي حدوده المشروعة. وبالرغم من أن الفقهاء في ممارستهم للعمل الفقهي ومجالات الاستنباط من النص يدخلون عنصر الفهم الاجتماعي، ويعتمدون عليه في فهم الدليل، إلى جانب العنصر الآخر، الذي يمثل الجانب اللفظي من الدلالة، غير أنهم لا يبرزون في الغالب الجانب اللفظي من عملية فهم الدليل والجانب الاجتماعي بوصفهما جانبين متميزين، لكل منهما ملاكه وحدوده، بل يبرز الجانبان في مجالات التطبيق مزدوجين وتحت اسم واحد وهو الظهور. كانت هذه المرة الأولى التي قرأت فيها ذلك عن عنصر الفهم الاجتماعي للنص، هي حين قرأت بعض أجزاء (فقه الإمام الصادق)، الذي وضعه شيخنا الحجة الكبير الشيخ محمد جواد مغنية، الذي حصل الفقه الجعفري على يده في هذا الكتاب المبدع على صورة رائعة في الأسلوب والتعبير والبيان). كما كانت تفاسير مغنية للقرآن مليئة في البعد الاجتماعي وآثاره الكبيرة، حيث كانت له موسوعتان لتفسير القرآن الكريم (التفسير المبين) و (التفسير الكاشف)<sup>(١)</sup>.

(١) مغنية، التفسير المبين، مغنية، التفسير الكاشف، فقه الإمام جعفر الصادق، ١٦/١ محمد باقر الصدر، الفهم الاجتماعي للنص، فقه الإمام الصادق، مغنية، الشيعة في الميزان، ص ٢٦٨.

كان محمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين ومحمد جواد مغنية المذكورين أعلاه، كلهم وغيرهم آخرون تلاميذ المرجع العربي محمد باقر الصدر، وقد درسوا على يديه عدة سنوات، واقتبسوا منه، وتأثروا به كثيرًا. الصدر هو ابن الكاظمية ببغداد مركز الانفتاح العربي، الإسلامي والوحدة والانفتاح والتعايش. بغداد التي كانت قوية شامخة عصية على الفرس وثقافتهم في الغلو والتكفير.

قال البرت حوراني (الشهيد باقر الصدر عالم مهم ليس في العراق فحسب، بل في العالم الشيعي كله، وأكثر من ذلك في العالم الإسلامي). وقام حسن حنفي بدراسة بعض أفكار الصدر ووجده مجددًا ورائدًا للتحديث العصري. ويقول حنفي: (نجح الصدر في التحري عن العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية وآخر ما وصلت إليه العلوم الاجتماعية والطبيعية، ليستعمل ثقافة العصر مع الإسلام...). ثم كتب حنفي بحثًا كاملاً عن تجديد الصدر لعلم أصول الفقه. وقام الأستاذ الجامعي شبلي ملاط بتحليل كتب الصدر واعتبارها محورًا للنهضة الإسلامية خصوصًا فلسفتنا واقتصادنا والأسس المنطقية للاستقراء، وقد كتب ملاط أبحاثه في الأصل باللغة الإنكليزية، ونال عليها جائزة «جمعية الدراسات الشرق الأوسطية» في الولايات المتحدة الأمريكية كأفضل مؤلف أكاديمي لعامي ١٩٩٣ و١٩٩٤ م. كما قام ملاط بدراسة مقارنة بين أكبر مستشرق في جامعة لندن (ونسبرو) مع الصدر في النجف في دراسة القرآن وقدمها ملاط بجامعة لندن، ليجعل الصدر فائقًا عليه في موارد عديدة.

ولا يفوتنا ما ذكره محمد جواد مغنية وزكي نجيب محمود وسليمان دنيا والعديد من المستشرقين في الثناء الكبير على فكر وكتب الصدر التجديدية المتميزة، كما بحثته موسعًا في كتابي (المستشرقون والتشيع). كان الصدر قد حاول بداية مشروع إصلاح في جوانب متعددة كالوحدة الإسلامية ومراجعة العقائد والفقه والأصول والمفاهيم الإسلامية، وهو يرجع للقرآن بوصفه معيارًا حتى ألف فيه ثلاثة كتب: (علوم القرآن)، و(المدرسة القرآنية)، و(التفسير الموضوعي للقرآن)، بل كان يستشهد ويعتمد في جملة

أفكاره أساساً على القرآن، لذلك كان توحيدياً. كان الصدر يعد الإمامة غير واضحة بالأدلة، وهو يدعو إلى الوحدة الإسلامية، ورفض الغلو في الأئمة، واعتبرها من العقائد الباطنية للفرق المغالية الضالة، كما رفض تكفير الخلفاء والسنة، وهو يمدح الخلفاء مراراً كقوله: (وكان الخليفتان أبو بكر وعمر قد كتبا يوم السقيفة سطور التاريخ الماجد كله)، ويقول في الصحابة: (الصحابة أعظم جيل عرفته البشرية، حيث أنشأه رسول الله نفسه). ويعتقد أن علياً بايعهما، وكان خير سندٍ لهما، وهو يشرح زهد الخليفة عمر بن الخطاب واشتراك علي في حروب الردة بإمرة الخليفة الثاني الراشد، كما درس قصة فدك، واعتبر الخليفة أبا بكر هو أجل وأعظم من أن يسلبها حقها، كما يتصورها البعض خطأ ثم يخرجها من الجانب الديني والعقدي تماماً. وهو يرفض الشهادة الثالثة لعلي في الأذان والإقامة، كما في رسالته العملية. كما يؤمن الصدر بالأمة وولايتها وبالشورى ويعدها محوراً أساسياً في العمل الاجتماعي برغم أن التشيع بالإمامة الإلهية ألغى الشورى بنظر الفقهاء الفرس. قام الصدر بمحاولة إصلاح الحوزة خصوصاً رسالته العلمية (الفتاوى الواضحة) بأسلوب سهل واضح بعيداً عن التعقيد وما لا ثمرة له، وباسمه خالياً من الألقاب والتمجيد والتفخيم، الذي اعتاده المراجع الفرس، حيث تبلغ صفاتهم وألقابهم نصف صفحة كاملة، ولا يمتلكون كتاباً واحداً، ولا دراسة علمية واحدة. يقول الصدر: (فاللغة المستعملة تاريخياً في الرسائل العلمية كانت تتفق مع ظروف الأمة السابقة، وبسبب تطور اللغة والحياة والوقائع المتجددة باستمرار، أصبحنا بحاجة إلى تعيين الحكم الشرعي المتغير تبعاً للظروف من عصر إلى آخر.. وإن هذه الرسائل تخلو غالباً من المنهجية، وقد انطمست المعالم العامة للأحكام من خلال نشرها بصورة غير منتظمة، وضاعت على المكلف فرصة استخلاص المبادئ العامة منها). وكانت للصدر القدرة على المزاوجة والمصالحة بين مدارس عاشت متخالفة متحاربة كالإخبارية والأصولية المدرستين الشيعيتين للإمامية الإثنا عشرية، واختلافهما في الاعتماد على الدليل العقلي وصحته، حيث يقول الصدر في مقدمة فتاواه الواضحة: (وأما الدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدثون في أنه هل يسوغ العمل به، ولكننا لم نجد حكماً واحداً يتوقف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى، بل



كل ما ثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في الوقت نفسه بكتاب أو سنة). وفي اعتماده العقل ورفضه للدين المعارض للعقل، كما حصل لحكم الكنيسة في الغرب، يقول الصدر: (إن سبب سقوط حاكمية الكنيسة في الغرب هو ضربها للعلم والعلماء أمثال غاليليو). وفي تنقيح الأحاديث يقول الصدر: (مهما حاولنا أن ندقق في الراوي ووثاقته وأمانته في النقل، فإننا لن نتأكد بشكل قاطع من صحة النص ما دمنا لا نعرف مدى أمانة الرواة إلا تاريخياً، لا بشكل مباشر، وما دام الراوي الأمين قد يخطئ ويقدم إلينا النص محرّفاً، خصوصاً في الحالات التي لا يصل إلينا النص، إلا بعد أن يطوف بعدة رواة، ينقله كل واحد منهم إلى الآخر، حتى يصل إلينا في نهاية الشوط. وحتى لو تأكدنا أحياناً من صحة النص، وصدوره من النبي أو الإمام، فإننا لن نفهمه إلا كما نعيشه الآن، ولن نستطيع استيعاب جوه وشروطه، واستبطان بيئته، التي كان من الممكن أن تلقي عليه ضوءاً. ولدى عرض النص على سائر النصوص التشريعية للتوفيق بينه وبينها، قد نخطئ أيضاً في طريقة التوفيق، فنقدم هذا النص على ذاك، مع أن الآخر أصح في الواقع، بل قد يكون للنص استثناء في نص آخر، ولم يصل إلينا الاستثناء، أو لم نلتفت إليه خلال ممارستنا للنصوص، فنأخذ بالنص الأول، مغفلين استثناءه الذي يفسره ويخصه. فالاجتهاد، إذا، عملية معقدة، تواجه الشكوك من كل جانب. ومهما كانت نتيجته راجحة في رأي المجتهد، فهو لا يجزم بصحتها في الواقع، ما دام يحتمل خطأه في استنتاجها، إما لعدم صحة النص في الواقع وإن بدا له صحيحاً، أو لخطأ في فهمه، أو في طريقة التوفيق بينه وبين سائر النصوص، أو لعدم استيعابه نصوصاً أخرى ذات دلالة في الموضوع ذهل الممارس أو عاثت بها القرون). وفي نظرتة التغييرية لما تعيشه الحوزات من استغراق في القديم الميت، الذي لا حاجة له، بينما الجديد والمحتاج إليه مفقود بحته ودرسه، يقول: (لا بد لنا أن نتحرر من النزعة الاستصحابية، من نزعة التمسك بما كان حرفياً بالنسبة إلى كل أساليب العمل، هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا، ولأضرب أبسط الأمثلة: حتى إن كتاباً دراسياً مثلاً إذا أريد تغييره إلى كتاب دراسي آخر أفضل منه، حينئذ تقف هذه النزعة الاستصحابية في مقابل ذلك، إذا أريد تغيير كتاب بكتاب آخر في مجال التدريس، وهذا أقل مظاهر التغيير، إذا أريد ذلك



حينئذ يقال: لا، ليس الأمر هكذا، لا بد من الوقوف، لا بد من الثبات والاستمرار على الكتاب نفسه، الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري، أو المحقق القمي، على هذه النزعة الاستصحابية، التي تجعلنا دائماً نعيش مع أمة قد مضى وقتها، مع أمة قد ماتت وانتهت بطروفيها وملابساتها، لأننا نعيش بأساليب منسجمة مع أمة، تلك الأمة لم يبق منها أحد، تلك انتهت وحدثت أمة أخرى ذات أفكار أخرى، ذات اتجاهات أخرى، ذات ظروف وملابسات أخرى... فحينئذ من الطبيعي ألا نوفق في العمل، لأننا نتعامل مع أمة ماتت، والأمة الحية لا نتعامل معها، فمهما يكن من تأثيرنا فسيكون تأثيراً سلبياً، لأن موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميت، وما هو الموجود في الخارج لا نتعامل معه...). ثم طرح إصلاح المرجعية من الداخل، ففشل كما يقول في مذكراته مما ألجأه إلى طرح (المرجعية الرشيدة والصالحة) على الأمة لتأخذ مسؤوليتها، وفيها يقسم المرجعيات إلى قسمين واضحين، ويشرح الشروط والكفاءة والتخصص والتنظيم والمؤسسات والخمس، ويطالب الأمة أن تأخذ زمام المبادرة لتحاسب مرجعيتها، وتحاول إصلاحها، وعندها قامت قيامة المرجعيات الفارسية وحواشيها عليه<sup>(١)</sup>.

(١) الصدر، اقتصادنا، ص ١٧٤ راجع: بحثي المرجعية الشيعية العربية، الصدر، المحنة، المحاضرة الثانية، الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، الصدر، الفتاوى الواضحة، المقدمة، الصدر، بحوث إسلامية، حنفي، تجديد علم الأصول عند الإمام محمد باقر الصدر، حنفي، التجديد والتراث، حنفي، الدين والثورة، مغنية، مع علماء النجف، ص ١٣٨ مجلة الأضواء، ١٣٧٩، ١٥، ١٠، صحيفة الحياة، ١٩٦٠، ٤٢٩٤، مع رجالات الفكر، ص ١٥٨ الملا أصغر، الحياة السياسية للإمام الصدر.

Aziz, Baqir al.Sadr.

Donaldson D, The Shi'ate Religion.

Fayzee A, A Shi'a Creed.

Roberson, Shaping the current Islamic reformation.

Mallat, 'Readings of the Qur'an in London and Najaf: John Wansbrough and Muhammad Baqir al.Sadr.

Mallat, The Renewal of Islamic law, Muhammed Baqir as.sadr.

Mallat, Religios Militancy in contemporary Iraq:muhammed Baqir as.Sadr and the Sunni,Shi'a paradigm.

Muhammed Baqir al.Sadr; EMIW.

Nasr, The traditional Islam in the modern world.

Rahmino, Sadr in; Pioneers of islamic revival.

Walbridge, Muhammed Baqir al.Sadr.

Wilson, The contribution of Muhammed Baqir al.Sadr.

كان محمد الحسين كاشف الغطاء مستحقاً للمرجعية، ومتميزاً في الفقه والأصول والأدب والفلسفة والكلام والتفسير والخطابة وسرعة البدهة والاحتجاج، وله الشجاعة في التحدي والتجديد حتى قال: (إن هنالك أحكام في الإسلام ينبغي أن تتبدل وتتغير عندما يستدعي العقل والمنطق ذلك، ولكن الكثير من المجتهدين تنقصهم السليقة، ليجروا مثل هذا التغيير، فتظل الأحكام جامدة بعيدة عن الهدف الذي يريده الشارع). فقد أفتى بحلية الغناء وصحة الزواج الدائم من الكتابية المسيحية واليهودية بلا حرج. وكان يؤمن بالمشروع العروبي واشترائه مع حركة النهضة العربية والتعاون البناء مع السنة في الوحدة الإسلامية، وتأليفه (الميثاق العربي الوطني). وقد حاور الكثيرين منهم أمين الريحاني في بيروت، حيث جمعها في كتابه (المراجعات الريحانية). سافر إلى العراق ليحارب ضد الاستعمار الإنكليزي تحت قيادة السنة العثمانيين: كحال مهدي الحيدري المذكور أعلاه. وفي عام ١٩٣١ دُعِيَ إلى المؤتمر الإسلامي في القدس، وفيهم أعظم الشخصيات في العالم الإسلامي، حيث قدّمه مفتي فلسطين أمين الحسيني ليؤم الجماعة، ثم يخطب خطبة وحدوية رائعة متميزة خالدة، تبين الألفة بين الشيعة والسنة وضرورة التقارب. قال الثعالبي عن المؤتمر: (أن يؤم المسلمين في صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى سماحة المجتهد الكبير الحجة العلامة محمد حسين كاشف الغطاء إمام الشيعة، وذلك تمكيناً للرباطة الإسلامية بين مذاهب الأمة. وقد تنفذ هذا القرار في يوم الجمعة الواقع في غرة شعبان سنة ١٣٥٠، واثم بسماحته نحو عشرة آلاف من المسلمين، بينهم السُّنِّي والشَّيعي والإباضي، ومندوبو مذاهب أخرى في المؤتمر، وقد قابل المسلمون تنفيذه بعظيم الابتهاج). ومن قرارات المؤتمر طبع الخطبة التي ألقاها كاشف الغطاء بشأن الوحدة الإسلامية ونموها، وبشأن الدسائس الخاطئة، كان من بين حضور المصلين بإمامته، علماء كبار من مذاهب السُّنَّة: مثل محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥)، صاحب مجلة «المنار»، ونعمان الأعظمي (ت ١٩٣٦) واعظ العراق، ومفتي القدس محمد أمين الحسيني، والشاعر الهندي محمد إقبال (ت ١٩٣٨)... كما ألف كاشف الغطاء كتباً كثيرة، مثل (تحرير المجلة) كحاشية على الفقه الحنفي، لتصير مرجعاً في الفقه

المقارن يدرّس في الكليات الدينية التخصصية عند الأتراك. وقد كتب له شكيب أرسلان عن مشروعه الوحدوي بين السنة والشيعة قائلاً له: (إنكم باجتهاداتكم تقرّبون بين الفريقين، وتضيّقون فرجة الخلاف ما أمكن، وإذا حاججتم فعن باع طويل وبرهان ودليل). وهو صاحب الشعار المعروف: (بني الإسلام على دعامتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، توحيد الخالق وتوحيد بين الخلائق). ودعّمه لمشروع جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة. وفي احترامه للخلفاء الراشدين، قال: (وحيث رأى الإمام أن الخليفتين أعني الخليفة الأول والثاني بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد، وتجهيز الجنود، وتوسيع الفتوح، ولم يستأثروا ولم يستبدوا، بايع وسالم، وأغضى عما يراه حقاً له، محافظة على الإسلام أن تتصدع وحدته، وتتفرق كلمته، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى. وبقي شيعته منضوين تحت جناحه، ومستنيرين بمصباحه، ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور، لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة، حتى إذا تميز الحق من الباطل، وتبين الرشد من الغي، وامتنع معاوية عن البيعة لعلي وحاربه في (صفين) انضم بقية الصحابة إلى علي، حتى قتل أكثرهم تحت رايته، وكان معه من عظماء أصحاب النبي ثمانون رجلاً، كلهم بدري عقبي: كعمار بن ياسر، وخزيمة ذي الشهادتين، وأبي أيوب الأنصاري، ونظرائهم). وفي سعيه للتقريب بين المذاهب قال: (إن هدف التقريب هو جعل المسلمين قريبين بعضهم من بعض، كي لا تكون الاختلافات الفقهية سبباً في تباعدهم وإثارة العداوة بينهم. ولو كان المسلمون يداً واحدة لما خسروا بلدانهم وأراضيهم، لذلك فمن الواجب على جميع الفرق الإسلامية أن تضع خلافاتها جانباً. إن هذه الاختلافات إن لم تكن حراماً بذاتها فهي حرام في هذا الوقت، حيث يحاصرنا الأعداء من كل جانب). وقد رفض بشكل قاطع تكفير الخلفاء الراشدين الثلاثة وزوجات النبي، كما قد تصدى لمراسيم فرحة الزهراء بقتل عمر وما يقام بها من استهزاء وظلم وإيذاء في النجف لمنعها وبيان أضرارها، برغم أنه كان وحيداً لم يوافقه الفقهاء الفرس على ذلك، واستهزؤوا به. كما دُعِيَ إلى مؤتمر ضد الشيوعية في (بحمدون) ببلبنان، فرفض عرض الأمريكان برسالة شديدة، طبعت لاحقاً باسم



(المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)، معتبراً الأمريكيان ليسوا أقل خطراً من الشيوعيين، وهو يرفض استغلالهم ضد خصومهم. وله محاوره شهيرة مع السفيرين الأمريكي والبريطاني، طبعت في كتاب مستقل تبيين وعيه السياسي وبعد نظره ومتابعته لأدق التفاصيل. وكانت المرجعية الفارسية لأبي الحسن الأصفهاني ذات السطوة تحاربه بشكل كبير، وتمنع مرجعيته وتتهمها زوراً وبهتاناً بشتى التهم. ولا زالت النجف تسيطر عليها المرجعية الفارسية وكذلك كربلاء، لذلك تجد فيها ثقافة التكفير والغلو والعداء للعرب ومرجعياتهم، بينما ظلت الكاظمية وبغداد عصية على الفرس إلى حد كبير برغم الحملات الجبارة من الترغيب والترهيب<sup>(١)</sup>.

هاشم معروف الحسني من الفقهاء العرب المصلحين، وقام بالتحقيق في المصادر الأصلية خصوصاً الكافي ورواياته، حتى إنه ألف كتاباً كاملاً في نقد الكافي (دراسات في الكافي)، وبيان تناقض وضعف وتدليس الروايات والرواة الوضاعين، حيث لم يصحح سوى ١٠٠ حديث فقط، كذلك ألف كتاباً آخر في نقد الأحاديث أسماه: (الموضوعات في الآثار والأخبار)، وأحدث ضجة كبيرة، لأنه أظهر أن أكثر أحاديث الشيعة موضوعة ومكذوبة على الأئمة، وهي تناقض بعضها بعضاً، كما تناقض القرآن الكريم والسنة النبوية، وبذلك تسقط الكثير من المعتقدات الأساسية وأركانها، وما ترتب عليها في أمور العقائد والفكر والثقافة والفقه والعلاقة مع السنة والآخرين وغيرها. وقال الحسني: إنَّ الفرس الذين دخلوا الإسلام مرغمين، بعد أن عجزوا عن مقاومته خلال القرون الأولى من تاريخه، فقد تستروا ببدع وطقوس لضرب الدين من الداخل، مما توارثوه عن عقائدهم الباطلة في ملوكهم وتقديسهم.

(١) كاشف الغطاء، الفردوس الأعلى، ص ٣٥ جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ١/ ١٤٧ كاشف الغطاء، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، كاشف الغطاء، الدين والإسلام، كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص ١٩٣ كاشف الغطاء، كيف يتحد المسلمون، محمد علي الحوماني، وحي الرافدين، ١/ ٦٤ عبدالحليم كاشف الغطاء، في السياسة والحكم، ص ١٣ كاشف الغطاء، تحرير المجلة، ١/ ٢٠، علي الخاقاني، شعراء الغري، ٨/ ١١٥ كاشف الغطاء، الميثاق العربي الوطني، كاشف الغطاء، جنة المأوى.



ورفض الغيب للأئمة والنبي بشكل قاطع، واعتبره انحرافاً كبيراً، وقال: (فنسبة علم الغيب لغير الله تكذيب لنصوص القرآن ومخالفة لصريح آياته). وألف كتباً في سيرة الرسول وأئمة أهل البيت، لنقل الوقائع الصحيحة بعد حذف الموضوعات الكثيرة في سيرهم وكونهم بشرًا عاديين في قصص كثيرة، منها مثلاً حوار الزهراء مع علي، وحوار الحسين وعشرات القصص، مما يرفض علمهم بالغيب والمستقبل المتداول في الثقافة الفارسية. وفي قصة الحسين يقول: (فوجئ الحسين بغدر أهل الكوفة وخيانتهم مسلماً، فحاول أن يرجع إلى مدينة الرسول أو أي جهة أخرى من بلاد الله الواسعة فلم يتم له ذلك). كذلك يرفض الغلو فيهم، ويعد الوحي مختصاً بالنبي، ومن الغلو نسبته للأئمة، وهو يناقض صريح القرآن. كما رفض التكفير والسباب للخلفاء الراشدين وزوجات النبي. ولا يعد الإمامة أصلاً للدين ولا الإيمان ولا الإسلام، حيث يقول (أصول الدين والإسلام هي التوحيد والعدل والنبوة والمعاد)، ولم يجعل الإمامة منها، ولا كون الإمامة أساساً لدخول الجنة، كما يقول الفقهاء الفرس. كما رفض الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة. ويدعو إلى تشيع المبادئ لا الطقوس، وهو ينقل قول علي بن الحسين: (أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً، وبغضتمونا إلى الناس). ويذكر وصية الكاظم لخمسة، واحد منهم ابنه موسى، كما أنه يستفيد من كتاب فرق الشيعة ليدرس الفرق، التي أسسها أبناء الأئمة ومتعلقينهم واختلافهم في الإمام والإمامة لأكثر من سبعين فرقة شيعية في القرن الثالث الهجري، وتفرعات ذلك وتفصيلاته<sup>(١)</sup>.

هذه خطوات متواضعة لفقهاء ومرجعيات عربية مصلحة أمام ضخامة انحراف التشيع الفارسي، التي حاربت تلك المحاولات وقمعتها بسبب سيطرة وسطوة التشيع الفارسي وجبروته، لدرجة اتهام أصحابها العرب بشتى التهم، حتى

(١) الحسيني، الموضوعات في الآثار والأخبار، الحسيني، دراسات في الحديث والمحدثين، سيرة المصطفى من المهدي إلى اللحد، الحسيني، سيرة الأئمة الإثني عشر، الحسيني، أصول التشيع، ص ٤٥ الحسيني، بين التصوف والتشيع، ص ١١ الثعالبي، المؤتمر الإسلامي بالقدس عام ١٩٣١.

اللا أخلاقية والعمالة الأجنبية لتسقطهم. مع ذلك كله تبقى أيضًا متواضعة ومحدودة وبسيطة فيما تحتاجه الأمة من تحديات فكرية وعملية، تحتاج إلى ما يناسبها حجمًا وفكرًا وثقافة وتحديًا برغم أن ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة.





## الخاتمة

شخصية الإمام علي بن أبي طالب متميزة ومثيرة للجدل في التراث المنقول عنه. وفي إحدى خطب الإمام الملحمية في مسجد الكوفة عندما كان خليفة، وقد طالت خطابته البلاغية، إذ قام إليه رجل يجلس شمال المنبر متحمسًا، وهو ينادي بصوت عال: (أشهد يا علي، أنك الله لا إله إلا أنت)، بينما قام رجل آخر من يمين المنبر مناديا: (لله أملك يا علي، ما أفصحك من كافر كاذب). يبدو أن الرجل الأول من الغلاة، حيث جعل عليًا إلهًا، بينما كان الثاني من الخوارج وأصحاب النهروان، الذين حاربوا عليًا وكفروه. وهكذا عاش الإمام بين التقديس لدرجة الغلو، وبين التكفير لدرجة القتل، إذ هو يرفض الأمرين معًا، لكنه شديد في المغالين لدرجة إحراقهم بالنار. فقالوا: (لا يحرق بالنار إلا رب النار) مصرّين على غلوهم. بينما الإمام حاور الخوارج، وبعث ابن عباس وغيره لحوارهم، ويوصي بحقوقهم حتى آخر وصيته قبيل وفاته: (لا تقتلوا الخوارج بعدي، لقد طلبوا الحق فأخطؤوه). إنّه يقرّ بأنهم طالبي حق، والمشكلة التي نعاصرها اليوم هي التراث الهائل المتراكم، وفيه الغث والسمين، وفيه تراث الإمام من إخلاصه لله تعالى وتطبيق الدنيا ومساعدة المحتاجين وسعيه لتحقيق العدالة الاجتماعية وإيثاره المصلحة العامة ... لكنه في جانب آخر ينسب له الغيب ومعرفة السموات والإطراء في مديح نفسه وذم النساء...

روي عن علي: (إلهي ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)، (أما والله لو كشف لي الغطاء ما زدت يقينًا)، (يا دنيا قد طَلَّقْتَكَ ثلاثًا لا رجعة فيها)، (أقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين. ولا



أشاركهم في مكاره الحياة أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، ولعلّ في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشيع أو لا طمع له بالقرص)، (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرًا ولا ادّخرت من غنائمها وفرًا).

وفي التراث قصص غريبة يصعب الإيذان بها أو تصديقها، مثل قصة ولادته في الكعبة بانشقاق الجدار، وهو يقرأ القرآن وسورة المؤمنين قبل أن ينزل القرآن، قوله: (سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض)، (والله لو شئت لأخبرتكم بمخرجكم وملجئكم إلى يوم القيامة)، (نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا)، (لا تسألوني عن فئة تهدي مئة، وتضل مئة، لأخبرتكم بناعقها وسائقها ومحط رحاله حتى يوم القيامة)، وغيرها كثير. كما يظهر أن بعضها يناقض بعضًا، ويسقطه كما ذكرت سابقًا، وتظهر الأحاديث الموضوعة والاصطلاحات الغريبة والتعارض والتناقض.

غالى البعض فيه كإله مثل عبدالله بن سبأ والعلويين وعلى اللهية والنصيرية والإسماعيلية وغيرهم. وبعض يكفره كالخوارج الذين كانوا من جيشه وشيعته، وعرفوا في التاريخ بأصحاب الجباه السود لكثرة سجودهم وعباداتهم، واشتهروا بسب الإمام علي ولعنه والبراءة منه، والتقرب إلى الله بقتله، حتى قتله رجل من الخوارج، وهو عبدالرحمن بن ملجم في محراب الكوفة في ليلة القدر تقريبًا لله تعالى. كانت علامة السجود ظاهرة في وجهه، وكان كثير العبادة والسجود والصيام. لقد أرسله عمر بن الخطاب إلى مصر تلبية لطلب عمرو بن العاص، حيث قال: (يا أمير المؤمنين أرسل لي رجلاً قارئاً للقرآن، يقرئ أهل مصر القرآن). فقال عمر بن الخطاب: (أرسلت إليك رجلاً، هو عبدالرحمن بن ملجم من أهل القرآن، أثرتك به على نفسي، فإذا أتاك فاجعل له داراً يقرئ الناس فيها القرآن، وأكرمه). ليس كما يتصور البعض عنه.

ثم مدح ابن ملجم وفعلته الخوارج، حتى قال أحدهم عمران بن حطان:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا      إِلَّا لِيُلْغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا  
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ      أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا  
أَكْرِمَ بِقَوْمٍ بَطُونُ الطَّيْرِ أَقْبَرُهُمْ      لَمْ يَخْلُطُوا دِينَهُمْ بَغِيًّا وَعُدْوَانَا

ولقد نقل في التراث أن الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، قد نزلت في مدح ابن ملجم لقتله علياً، كما نزلت في علي الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿[البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦]، هذا كله في التراث والتاريخ.

ومن الجدير ذكره أن حقبة حكم علي القصيرة، كانت مليئة بالحروب بين المسلمين أنفسهم، حتى قال بعض الصحابة لعلي: (أعطنا يا علي سيفاً نفرّق به بين المسلمين والكافرين)، لأن القتلى كانوا بين المسلمين الصائمين القانتين حروباً واحدة بعد أخرى.

وفي الجانب الآخر رأى البعض خصالاً لعلي، تميز بها كزواجه بالزهراء وولده الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وصاياه الرائعة: (لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن سببن أمراءكم، وشتمن أعراضكم). ووصيته عن قاتله: (رفقاً بأسيركم، ماذا صنعتكم به؟ إسقوه مما تشربون، وأطعموه مما تأكلون، وإذا مت فضربة بضربة، فإذا بقيت نظرت فيه أمري، وإياكم بالمثلثة ولو بالكلب العقور). وفي شجاعته ضربت الأمثال، حتى قال ابن أبي الحديد: (أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده). مما يجعله يرتفع بنفسه الكبيرة على الذات والأننا إلى القيم الكبرى. وأحاديث كثيرة منسوبة للنبي في مواقع متعددة وأحاديث منسوبة للأئمة، ففسرها البعض بالغلو فيه وكأنه الإله، وقال الحافظ رجب البرسي:

العقل نور وأنت مبداه      والكون سرّ، وأنت مبداه  
والخلق في جميعهم إذا جمعوا      الكل عبد وأنت مولاه  
يا آية الله في العباد ويا      سرّ الذي لا إله إلا هو  
يا صاحب الحشر والمعاد ومن      مولاه حكم العباد ولاه  
أنت الولي الذي جلّت مناقبه      ما لعلاها في الخلق أشباه  
يا قاسم النار والجنان غداً      أنت ملاذ الراجي ومنجاء  
كيف يخاف (البرسي) حر لظى      وأنت عند الحساب غوثاه  
لا يخشى النار عبد لحيدرة      إذ ليس في النار من تولاه

لا شك أن البرسي من الغلاة

يحدثنا صفي الدين الحلي عن جمع الإمام للصفات المتضادة، فيقول:

جمعت في صفاتك الأضداد      فلهذا عزّت لك الأنداد  
زاهد حاكم حليم شجاع      ناسك فاتك فقير جواد  
شيم ما جمعن في بشر قط      ولا حاز مثلهن العباد  
خلق يخجل النسيم من اللطف      وبأس يذوب منه الجهاد  
ظهرت منك للورى مكرمات      فأقرت بفضلك الحساد  
إن يكذب بها عداك فقد كذب      من قبل قوم لوط وعاد  
جلّ معنأك أن يحيط به الشعر      ويحصي صفاتك النقاد

يقول صبحي الصالح: (التأليه والتقديس رجع إلى علي دون رسول الله ﷺ، فقد كان علي أفضل الصحابة عند الشيعة وأغلب الصوفية وفريق كبير من المعتزلة)<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: المصادر السابقة، البرسي، مشارق أنوار اليقين، ص ٣٧٧ صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، ١٨ نهج البلاغة.



هنالك إشكاليات كبيرة في بحث الأمور التاريخية، منها أولاً: التحقق من الكتب ونسبتها إلى صاحبها خصوصاً مع تعدد الروايات والنسخ. مثلاً من الصعب جداً ثبوت الكتب المنتسبة للأئمة: كنهج البلاغة، وغرر الحكم، ونهج الكفاح، المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب، وفيه إشكالات وتناقضات قد بحثتها في موضعها، كذلك مثل كتاب رجال الكشي، واسمه الحقيقي عمر بن عمر، والكتاب (معرفة أخبار الرجال) والموجود كتاب آخر هو: (القاموس) تحت العنوان نفسه، وهو يجمع أسماء سنية وشيعية وبعيدة عنه، وفيه أخطاء جمة، لذلك أخذه الطوسي وغيره فيه كثيراً، وبدل وحذف وأضاف واختار منه، ثم سمّاه (اختيار رجال الكشي) فالموجود حالياً ليس للكشي بل للطوسي، وللتأكد من ذلك يمكن مراجعة كتب الرجال. كما أن العديد من المصادر التي اعتمد عليها الفقهاء الفرس غير سليمة، مثل التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري، وهو مليء جداً بالغلو والتكفير والخرافات والتناقضات، فقد رواه محمد بن القاسم الأسترابادي وحده وهو المعروف بالكذب والوضع وعدم الوثوق به في شيء، كما قال محمد طه في إتيان المقال وأحوال الرجال، وقد نقل عن المناكير وعن المجاهيل مثل يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن يسار، كما أكد ذلك صاحب منهج المقال والبهباني في الرجال، وقال مضيفاً: (إن مثل هذا التفسير لا يليق بأن ينسب للإمام). ولكنه معتمد عند الفرس وفقهائهم.

وأما تفسير القمي الذي اعتمده الخوئي، فقد امتلأ بالغلو والخرافة، كما نقل عن أمثال سرحوب صاحب الفرقة السرحوبية، الذي لعنه الصادق مراراً، ونعته بالكذب والكفر، وروى عن أحمد بن هلال العبرتائي الذي حذر منه الهادي لغلوّه، وكذا أمية بن علي القيسي المشهور بالكذب والغلو، وأمثالهم المغالين الملعونين من الأئمة أنفسهم، مثل: سليمان بن عبدالله الديلمي وابنه والحسن بن راشد القائل في هذا التفسير القمي عن الصادق: (إن الله إذا أراد أن يخلق الإمام أخذ شربة من تحت العرش من ماء المزن وأعطاه ملكاً، فسقاه إياها، ومن ذلك يخلق الإمام، فإذا ولد



بعث الله ذلك الملك إلى الإمام، وكتب بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فإذا مضى ذلك الإمام رفع له منارًا يبصر به أعمال العباد) وأمثاله كثير، وأنت كما ترى والحق أن الغالب المعظم من رواة التفسير هم من الغلاة الوضاعين، هذا من جهة السند، وأما الدلالة فحدث ولا حرج.

وهناك خلط في الرجال لتشابه الأسماء والألقاب، فقد نسب كتاب تبصرة العوام للشريف المرتضى علي بن الحسين علم الهدى، بينما الصحيح أنه للمرتضى بن الداعي الحسيني، ويمكن مراجعة مؤلفين عاشا بعده خصوصًا الشهرستاني والغزالي كذلك روضات الجنات وغيرها<sup>(١)</sup>.

إما كتاب نهج البلاغة فهناك إشكال كبير في نسبة كل ما موجود فيه للإمام علي: فأولا شهادة علي في ٤٠ هجرية، بينما ولد الشريف الرضي الذي جمعه ٣٥٩ هجرية، وجمعه دون سند أصلاً ولم يذكر مورداً واحداً بمصدر إطلاقاً. فضلاً عن المتناقضات والتهافتات الكثيرة والكبيرة في نفسها، والمتعارضة مع القرآن الكريم والسنة النبوية أيضاً، بل وسيرة علي نفسه، مما يحتاج إلى تحقيق خاص قمت به، حيث ثبت بعض الأخبار، ويصح الاعتماد عليها في أثناء البحث وفي موارد، لأنها تتسق مع نهج القرآن والنبي وسيرة الأئمة والعقل والحكمة والتحقيق، بينما بعضها تورد اصطلاحات لم تكن معهودة أيام علي، وهي متأخرة، وهناك ألفاظ لا تناسب المؤمن بالتلفظ بها، فكيف بعلي يقولها وعشرات الأمور تجدها في تحقيقي في النهج. فبينما يقول بعدم معرفته الغيب والمستقبل تارة، إذا هو يثبت ذلك بأعلى صورة، فيقول: (سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض)، (والله لو شئت لأخبرتكم بمخرجكم وملجئكم إلى يوم القيامة)، (لا تسألوني عن فئة تهدي مئة وتضل مئة لأخبرتكم بناعقها وسائقها ومحط رحاله حتى يوم القيامة). بينما يعزف

(١) بحثي: دراسة في الحديث والمحدثين، منتهى المقال، ص ٢٧٩ تفسير القمي، ٢١٥/٥ شتروتمان، مصادر الشيعة، ص ١٠ الأحاديث الموضوعة.

عن رغبته للخلافة أصلاً: (دعوني والتمسوا غيري)، ويمدح الصحابة وبأسمائهم وبأجل الصفات وأرقاها، إذا به على العكس ما ينسب له في الطعن للخلفاء وبألفاظ لا يقولها المؤمن العادي، فكيف بالإمام، ثم يظهر شوقه للخلافة شوقاً كبيراً لدرجة: (وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم). وذمه العجيب الغريب على النساء واعتبارهن شراً مطلقاً، (المرأة شر كلها)، وعدم اتباعهن حتى في الحق والمعروف<sup>(١)</sup>.

الأخبار المروية لكثرتها تحوي من التناقضات والتهافتات الكثير جداً، فلا يعقل الشيء ونقيضه. ويقول الطوسي في تهذيبه: (إن أحاديث أصحابنا فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا، إلى أن قال: إنه بسبب ذلك رجع جماعة عن اعتقاد الحق). علماً أن رواة الأحاديث عن الصادق قد جاوزوا أربعة آلاف، وهو كما ترى<sup>(٢)</sup>.

والعجيب أن الأئمة يرفضون أكثر شيعتهم، ويذمونهم بمختلف العبارات. عن الإمام علي: (فيا عجباً! عجباً، والله يميم القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمى يُغار عليكم ولا تغيرون وتُغزَوْنَ ولا تُغزَوْنَ، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حَمَارَةُ الْقَيْظِ، أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَبَارَةُ الْقُرِّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد. كل هذا فراراً

(١) تحقيقي في نهج البلاغة، الخطيب، مصادر نهج البلاغة، كاشف الغطاء، مدارك نهج البلاغة، العريشي، إسناد نهج البلاغة، دشتي، إسناد ومدارك نهج البلاغة، آل ياسين، نهج البلاغة لمن، ابن أبي الحديد، مقدمة شرحه للنهج، محمد عبده، مقدمة شرحه للنهج، الصالح، مقدمة شرحه للنهج.

(٢) الطوسي، التهذيب، ١/ ٢ معجم رجال الحديث، ١/ ٥٥ الحدائق الناضرة، ١/ ٩٠، وسائل الشيعة، الفائدة السادسة، ص ٢٠٨، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ١٩٧ كشف الغمة، ٢/ ٥١٢.

من الحر والقر، تفرون فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال عقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندماً وأعقت سقماً فأذلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحتهم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التَّهَم أنفاساً، وأفسدتهم عليّ رأياي بالعصيان والخذلان). وقال علي أيضاً يخاطب جماعته وشيعته: (تبّاً لكم! لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الدهول في سكرة، يرتج عليكم حوارى فتعمهون، فكأن قلوبكم مهووسة، فأنتم لا تعقلون..... ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس لعمر الله سعر نار الحرب، أنتم تكادون ولا تكيدون، وتنتفض أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون)، وتمنى مبادلتهم بجماعة معاوية قائلاً: (لوددت والله أن معاوية صار في بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم). وعن الحسن: (أرى والله معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وأخذوا مالي). وقال الحسين لشيعته الذين دعوه: (تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم، حين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، شحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتهم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلّاباً على أوليائكم، ويداً لأعدائكم من غير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الوليات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن). وقال علي بن الحسين: (يا أهل الكوفة! إنكم تبكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟؟) وعن الباقر: (لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحق). وعن الكاظم: (لو ميّزت شيعتي لما وجدتهم واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو محصتهم لما خلص من الألف واحد)<sup>(١)</sup>.

(١) النهج، ١٤١ الكافي، الروضة، ص ١٠٧ البحار، ٦٧/ ١٥٩ الطبرسي، الاحتجاج، ص ١٤٩.



وعن الصادق قال: (أما والله لو أني أجِد منكم ثلاثة مؤمنين يكتُمون حديثي ما استحللت أن أكتُمهم حديثًا). وعنه أيضًا: (والله لو وددت أن يكون لي بالكوفة خمسة وعشرون رجلًا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقول علينا إلا الحق)<sup>(١)</sup>.

وعن همران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك ما أقلنا؟ لو اجتمعنا على شاة ما أفينناها، قال: (ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ثلاثة)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الحسن قال: (لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصله، ولو امتحتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي أنهم طالما اتكوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنما شيعة علي من صدق قوله وفعله)<sup>(٣)</sup>.

وعن سدير الصيرفي أن الصادق نظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: (والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود)، قال سدير: فعددتها فإذا هي سبعة عشر<sup>(٤)</sup>.

وأما الرواة للأحاديث فقد كثر الكذبة والوضاعون، وثبت بالتحقيق والدليل الوضع والدس من أصحاب الصادق، فعن الرضا: (إن أصحاب أبي الخطاب يدسون إلى اليوم في كتب الصادق، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن)، وهنا يأتي المعيار الأساس، وهو القرآن الكريم في تمييز الحديث، ورفض ما يناقضه، ولكن هذا المعيار لم يأخذ موقعه بسبب المدرسة الإخبارية السائدة والإيمان بتحريف القرآن وهجره، ولم نجد فقيهاً شيعياً فارسياً يحفظ القرآن أو يحافظ عليه إطلاقاً، فضلاً عن ترك الجانب العقلي في نقل أحاديث خرافية لا يصدقها العقل السليم.

(١) الكافي، ٢/٢٤٢ البحار، ٦٧/١٦٤.

(٢) الكافي، ٢/٢٤٤ البحار، ٦٧/١٦٤.

(٣) روضة الكافي، ص ١٩١.

(٤) الكافي، ٢/٢٤٢ البحار، ٦٧/١٦١.



وقد أحصى بعضهم أكثر مرويات الكافي من النوع الساقط عن الحجية، ولا يجوز الاعتماد عليه إذا لم يكن مدعوماً ببعض القرائن، التي ترجح صدروه عن الأئمة بعد التحقيق، الذي أجراه في أسانيدھا حتى وصل إلى الصحيح ما يقارب ١٠٠ حديث فقط، من أكثر من ستة عشر ألف حديث، مع العلم أن الكافي هو أوثق الكتب الحديثية على الإطلاق. فأحاديث الإثنى عشر إماماً هي عشرون، لم يصح منها واحد بقول محمد باقر البهبودي، واثنان فقط عند الخوئي، فهل يقبل التسليم بعقيدة أساسية كبيرة من مجرد حديثين فقط وهكذا<sup>(١)</sup>.

المحاولات الأولى عند الشيعة لتطهير أصولهم من الروايات الموضوعة وانقسام الشيعة إلى أصوليين وإخباريين بسبب هذه المحاولات. وكان من نتائج ذلك أن سقطت ثلثي روايات الكافي من قبل بعض الأصوليين، فتعرض الأصوليون لهجوم عنيف من طائفته ومن فقهاء الإخبارية بسبب ما قام به.

بعض الرواة فسقة فجرة كذابون وضاعون، والقرآن يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وما رواه الوضاعون من آلاف الأحاديث الموضوعة، التي لا زلنا نحمل آثارها، بل مضاعفاتها في ثقافات تراكمية متزايدة بمرور الأيام والأزمان.

التحدي الأساس والأول هو تنقيح الأحاديث والروايات وإخراج الموضوعات، وهذا يحتاج إلى شجاعة، لأنه يؤدي إلى رفض أكثر التراث، وما يتفرع عن ذلك في الفقه والعقائد والثقافة والمفاهيم. ولا بد من تأليف جوامع للصحيح الموافق لكتاب الله والسيرة الصحيحة للرسول، عن الصادق: (قال النبي: «ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»)<sup>(٢)</sup>. كذلك (إذا وردكم حديث

(١) الحسني، الموضوعات، ص ٤٧ بحثي دراسات في الحديث والمحدثين.

(٢) لم أجده مرفوعاً إلى الرسول ﷺ، بينما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١١١/٦ رقم ١٠١٦٢)، (٣١٢/١٠ رقم ١٩٢١٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٠/٢)، وعزاه إلى عبدالرزاق. عن حريث بن ظهير، قال: قال عبدالله: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبون بحق، وتصدقون بباطل. قال: وزاد معن، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن عبدالله في هذا الحديث أنه قال: إن كنتم سائلهم لا محالة، فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه.

فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ، كذلك عن الصادق: (كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف).

الأئمة بشر يخطؤون ويصيبون، كما قالوا عن أنفسهم وكانت سيرتهم. وعن السجاد: (ما برح حبكم لنا حتى أصبح علينا عاراً، لقد بغضتمونا إلى الناس بما قلموه فينا، حبيبونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم، ولا تقولوا فينا ما ليس بنا، فنحن عبيد الله، لا نقدر أن نجلب لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً). عن الصادق: (لعن الله من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا... لعن الله المفضل بن عمر وسالم وأبا الجارود... كذابون مكذبون كفار لعنة الله عليهم)، وقد عدد كثيراً من أصحابه المشهورين؛ سهل بن زياد من الغلاة الكذابين، وقد أخرجه الأشعري من قم ومحمد النميري، وهو محلل المحرمات، وقوله: إن اللواط أحد الطيبات. ومعمر بن قيثم أحل جميع المحرمات، وكذلك حمزة الزبيبي وبيشار الشعيري وبيان التميمي من الغلاة الملعونين على لسان الأئمة مدعي النبوة. وهكذا كان العراق محلاً للمذاهب والأديان والفرق. وقال عبدالله نعمة في كتابه «مصادر نهج البلاغة» إلى أن (الإمام علي قد سكن العراق وبخاصة الكوفة، وهي يومذاك مهبط الأفكار الفارسية والسريانية والكلدانية، وبخاصة البصرة التي كانت موئل الديصانية والأفكار الهندية والنسطورية، التي عاشت فيها بتأثير مدرسة جند يشابور)<sup>(١)</sup>.

وفي أحاديث علي وهو في مقام البيان لأركان الإسلام ومبادئه الأساسية، يقول علي بن أبي طالب: (أفضل ما توصل به المتوسلون بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وكلمة الإخلاص.. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)<sup>(٢)</sup>.

وهي كلمة جامعة لا يختلف فيها المسلمون، لكن الفقهاء الفرس كالمجلسي ينقلون عكس ذلك كثيراً جداً، وأذكر أمثلة بسيطة، ففي الدعاء عند قبر الحسين: (لم

(١) عبدالله نعمة، مصادر نهج البلاغة، ص ٨٦ الكافي، الأصول، ١/ ٦٩ سورة الحجرات، الآية السادسة، الطوسي، الفهرست، ص ٢٨ المامقاني، مقباس الهداية ١/ ١٣٧ الحدائق الناضرة، ١/ ١٧٠، مرآة العقول، ٥/ ٤٤ الحسيني، الموضوعات، ص ١٥٠.

(٢) النهج، ١٦٣.

يتوسل المتوسلون بوسيلة أعظم حقًا، وأوجب حرمة منكم أهل البيت). وكذلك قولهم عند حضور قبر الحسين: (وبك يتوسل المتوسلون في جميع حوائجهم)<sup>(١)</sup>.

وقضية إثبات الإمامة اعتمدت مرارًا على غيبات مخلوطة بالخرافات والأساطير، كمثال ما نقله الكليني وغيره للحوار بين محمد ابن الحنفية وعلي بن الحسين، حول من الأحق بالإمامة، حتى دعا أحدهما الآخر إلى المباهلة عند الحجر الأسود، فأنطق الله الحجر الأسود فتكلم بلسان فصيح: أن الإمامة من بعد الحسين تكون لابنه علي، وقصص الملكين فطرس ودردييل السابقة الذكر، وكلها من الضعف كما ترى<sup>(٢)</sup>.

وروي عن تميم بن حاتم قوله: كنا مع أمير المؤمنين فاضطربت الأرض، فوحاها بيده، ثم قال لها: اسكني ما لك؟ ثم التفت إلينا، وقال: أما إنها لو كانت التي قال الله عز وجل لأجابتنني، ولكن ليست بتلك<sup>(٣)</sup>.

وروي عن الإمام الصادق: أن أبا ذر أسلم من خلال نبوءة ذئب، جاءه وأبلغه بأن الله بعث نبيًا إلى أهل مكة، فكذبوه وشتموه، فاستعلم أبو ذر ما قاله الذئب، فوجده صحيحًا<sup>(٤)</sup>.

وروى الكليني: أنه كانت هناك امرأة اسمها حبابة، جاءت الأئمة واحدًا بعد آخر تسألهم عن دلالة الإمامة، وعندما أدركت علي بن الحسين كان عمرها مئة وثلاث عشرة سنة، وأرادت أن تسأله السؤال نفسه، لكن الإمام كان مشغولاً بالعبادة، فأومأ إليها بالسبابة، فأعاد إليها شبابها، وظلت هذه المرأة حية ترزق وأدركت كلاً من الأئمة الباقر والصادق والكاظم والرضا، ثم ماتت<sup>(٥)</sup>.

(١) البحار، ٨٤/٩٨، كامل الزيارات، ص ٢٣٧.

(٢) الكافي، ٣٤٨/١ البحار، ٧٧/٤٦، ١١١/٤٦ الاحتجاج، ٣١٦/٢ إعلام الوري، ص ٢٥٨ بصائر الدرجات، ص ٥٠٢ دلائل الإمامة، ص ٨٩.

(٣) روضة الكافي، ص ٣٦٦.

(٤) روضة الكافي، ص ٤٥٧.

(٥) أصول الكافي، ٣/١ باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة من كتاب الحجّة.



ومن الصعب قبولها لا عقلاً ولا شرعاً، بينما يوجد في قبالتها أدلة كثيرة جداً، منها أدعيتهم وسيرتهم وأقوالهم، وما ذكرته أعلاه في الكتاب موافقة للقرآن الكريم وروح الدين، فلم يكن الأئمة إلا بشرًا، لا يعلمون الغيب، ولا يملكون من أمرهم نفعًا ولا ضرًا. وقال الصادق: (فيا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بخادمتي، فذهبت، فلا أعرف والله في أي البيوت هي)، (والله ما نحن إلا عبيد لله، ما نقدر على نفع ولا ضرر، ولا نعلم عاقبتنا، فإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا). كذلك سيرتهم وأدعيتهم مما ذكر أعلاه.

وهذا الفهم للتشيع لم يجد فيه المسلمون إلا محبة للنبي ومودة له في القربى، وفيه قال الإمام الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد      فأشهد الله أنني رافضي

أما البعد الفقهي لهذا التشيع، فهو فقه الإمام جعفر الصادق، إذا هذب من انحرافات المنحرفين ووضع الوضع الوضاعين، الذين أحاطوا بالإمام، ومن بعدهم من الفرق الشيعية المختلفة، باعتباره مدرسة أصيلة من مدارس الفقه الإسلامي، قضت به المحاكم الشرعية في بعض الدول الإسلامية، وأفتى المفتون بجواز التعبد به ومنهم شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت. لكن فقهاء الفرس لا يجوزون العمل بالمذاهب السنية إطلاقاً، بل العكس تماماً، فهم بنظرهم كفار مرتدون، يجب التبري منهم بوصفهم جزءاً من الدين والعقيدة، والتولي والتبري فهي شرط قبول الإيمان، وجوهر الدين وحقيقته، كما يفتون في رسائلهم العملية ومواقعهم الرسمية.

الشيعي الحقيقي هو الذي يؤمن بالمحبة لا الكراهية والقيم والمبادئ، كما عن الصادق: (كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وكانوا يعرفون بالصدق والأمانة) وعن الباقر: (لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل)، (شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة)، وعن الصادق يقول لجابر: (يا جابر أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى



الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخضع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكن والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟ فلو قال: إني أحب رسول الله. فرسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع)، (إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعئهم، قد قرحت العبادة منهم الأناف، ودثرت الجباه والمساجد، خمض البطون، ذبل الشفاه، قد هبجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم، المسبحون إذا سكوت الناس، والمصلون إذا نام الناس، والمحزونون إذا فرح الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة، وتشاغلهم بالجنة)<sup>(١)</sup>.

وأمر الأئمة شيعتهم وأتباعهم بالورع وصلاة الجماعة مع عامة المسلمين السنة، فعن الصادق: (شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة). وعن العسكري قوله: (صلوا في عشائريهم، واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس. قيل: هذا شيعي، فيسرنى ذلك. اتقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك).

(١) الكافي، ٢/ ٧٣ محمد بن بابويه، صفات الشيعة، ص ٢٨.

(عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلوا معهم في مساجدهم)<sup>(١)</sup>.

ولقد بايع الإمام علي بن أبي طالب الخلفاء الراشدين الثلاثة، وصلى وراءهم ومدحهم، وكان مستشاراً وعيناً في مواقف كثيرة مشهودة ومعلومة، ولا يعني ذلك اتفاق الآراء، فاختلاف الآراء شيء، والتكفير واللعن شيء آخر، وهو غير صحيح. لذلك كان الإمام علي مرجعاً دينياً ومستشاراً رئيسياً في كل معضلة أو مشكلة، تحتاج إلى حكمته ورأيه السديد زمن الخلفاء الثلاثة السابقون له، كما ثبت أعلاه، حيث الظواهر الرائعة في كثرة الزيجات والمصاهرات، بل وتسمية الأبناء بأسمائهم.

لكن وللأسف هذا التشيع قد طمست معالمه الأساسية، وغيب مسلكه وأفكاره عن الوجدان والعقيدة والفقه والسياسة، ليحل محله تشيع آخر، دخله الغرض والسياسة، وصاغه الحقد والهوى والغلو والعصبية، في مراحل عديدة تراكمية بعضها فوق بعض، لتكوين عقيدة جديدة ودين جديد، حتى في التوحيد والنبوة والإيمان والمعاد والولاية، وهو التشيع الفارسي.

كان من الصعب جداً على الحضارة الفارسية والكبرياء الكسروي وثقافتهم الخضوع للعرب وزعيمهم الخليفة في معركة القادسية، وتنكسر عندها شوكتهم وخطرستهم وتاريخهم وثقافتهم ودينهم، لمن يعدونهم أعراب الصحراء متخلفين عن الحضارة والعلم، فانعكس ذلك عليهم برغم خضوعهم للإسلام ظاهراً، لكن الانتقام من الدين والعرب والثقافة ظهر في هذه الثلاثة بالتغلغل الفارسي والانتقام من جميع الرموز العربية، ومصادر قوتها، وتكفير الخلفاء، ومراسيم الفرع بقتلهم، والحج للقاتل الكافر، ومن العنصرية الكبيرة ضد العرب.

حيث كان بعض الفرس يؤمنون أن المجد والعظمة والجلال تفاض على الملوك والأكاسرة من لدن السماء، في عقيدتهم التي أجبروا أن يتخلوا عنها، فأدخلوا هذا

(١) البحار، ٣٧٢/٧٥ البرقي، المحاسن، ١٨/١ الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ١٣٤ محمد بن بابويه، صفات الشيعة، ص ٢٩.

التقديس في أئمة أهل البيت، وخلطوا دماء الفرس بدماء العصمة، ليكتمل الغلو في الأئمة من جانب، والتكفير لمخالفهم من جانب آخر.

ومن الظواهر المهمة جداً في التقديس وإعلان الدم الفارسي، ليدخل إلى المقدس المعصوم من أهل البيت اختراعهم قصة شهربانو الفارسية، وادعاء زوجها بالإمام الحسين، وتصير أماً لتسع أئمة من الإثني عشر إماماً... تلاقح الدم الفارسي بدماء الأئمة، وهذا له ثمرات كثيرة، إذ اختاروا الحسين وذريته، دون الحسن الإمام الأكبر، لأنهم نفذوا من خلال المذهب الشيعي الذي حولوه فارسياً، أي الإمامة تنتقل في ولد الإمام الحسين كعقيدة، لكي يكون كسرى مصاهراً له.

وهناك أيضاً اختيار الحسن العسكري وتزويجه من امرأة من نسل كسرى أيضاً، برواية أشبه بالخيال في اختيار زوجته نرجس الفارسية، حيث تخطبها مريم العذراء وفاطمة الزهراء من خلال منام في قصة مليئة بالخرافات، لأنهم لا يريدون انقراض جيل الأسرة الساسانية، ويضعون له شجرة ترجع بنسبه إلى بهرام، وإلى ذلك يشير الشاعر الفردوسي في (شاه نامه) نقلاً عن رستم: أنه كتب رسالة إلى أخيه، تطرق فيها إلى انقراض السلالة الساسانية، وهيمنة العرب على إيران يقول: من هذا العام إلى أربع مئة سنة لاحقة لن يرى العالم مثل هذه النطفة.

وهكذا أرادوا استمرار النطفة عبر ترقيع سلسلة الارتباط النسبي بحلقة ارتباط سببي، وذلك بمصاهرة رسول الله. وعندها يتحقق الغرض من الوصل بين السلسلة السلطانية الساسانية والسلسلة الإمامية الشيعية. والجلال اليزدي بالنور المحمدي:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم<sup>(١)</sup>

هذا هو التشيع الفارسي، وهو تركيب يلاقح بين السلطة الإسلامية والوراثة الدينية مع السلطة الفارسية بين كسرى وهاشم. ومن خلال السرد نجد أن هذه

(١) الكافي، الأصول، ٤٦٧/١ ناسخ التواريخ، ٤/١٠ مناقب الخوارزمي، ٤/١٧٦ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص ١٩٩.



الرواية باطلة من كل النواحي، وإنما أريد بها امتداد كسرى مع أهل البيت واندماجه بها، فيتلاقح الدم، وتتماهى الوراثة، وتحلق بسماء الغيب، أضف إلى ذلك البغضاء لأهل البيت مع الخليفة والانتقام من القادسية برغم أنه يجافي الحقيقة، بل توجه أهل البيت وسيرتهم تمامًا.

وكلها قصص خرافية برغم فسادها وعدم ثبوتها تاريخياً وتناقضاتها وتهافتاتها، كما بحثت أعلاه. وظهور الموالي الفرس زمن العباسيين للانتقام من العرب والشعبوية ضدهم، فعن رسالة للخراساني: (إن استطعت أن لا تدع بخراسان أحداً يتكلم بالعربية فافعل، وأيا غلام بلغ خمسة أشبار تتهمة فاقتله، وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار، فابد خضراءهم، ولا تدع في الأرض منهم دياراً)، وفعلاً طبّقها أبو مسلم الخراساني بألّعن صورها، حتى قتل في بضع سنين ست مئة ألف رجل عربي غيلة بغير قتال، وطالبهم قحطبة أحد أعوان الخراساني بالانتقام من العرب، لتاريخهم في القادسية، وطالبهم بالقضاء عليهم، (لأنكم طلبتم بالثأر)، والمنصور قد استعمل الموالي الفرس من خراسان، وبدا نفوذهم يطغى على العرب، وهنا يظهر التشيع الفارسي مقروناً بالحق على العرب.<sup>(١)</sup>

وكان دور الغلاة حول الأئمة والفرق الشيعية الأخرى وصراعاتها على الإمامة والولاية والعصمة والأموال: كالأخماس والحقوق الشرعية، حيث لا يخفى دور قم والقميين والفقهاء الفرس في الكثير من ثقافة الغلو والتكفير والأساطير والتحريف، كما بحث أعلاه.

جاء القرآن الكريم باللغة العربية مؤكداً على ذلك في آيات متعددة ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وشرح القرآن: لماذا لم يكن أعجمياً، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩]، وورد في قصة نزولها سؤال العرب للنبي: لماذا نزل القرآن على العرب

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٣٣/١ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٢٧/٥ تاريخ الطبري، ٣١٦/٩ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٠٥ المسعودي، مروج الذهب، ٤٠١/٥.



دون العجم؟ فكان الجواب: لأنهم لن يؤمنوا به، بسبب عنجهية الفرس المعهودة منذ كسرى وعلى مر التاريخ، وهو جواب وافٍ شافٍ. وكان النبي عربياً، وهو يفخر «أحب العربية لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وهي لغة أهل الجنة»<sup>(١)</sup>. وكان للعرب دور الريادة التي سطرها التاريخ، وفيه أخلاق عبر عنها النبي: لأتم مكارم الأخلاق. أي يتم ما يمتلكه العرب، بل يبشرنا القرآن بانتصار الروم على الفرس، ويعدّها فرحة للمؤمنين في آية قرآنية خالدة، ذات مدلولات عظيمة لفرح المؤمنين بالانتصار على الفرس، وعنجهيتهم وكبريائهم برغم أن المتصرين ليسوا المسلمين، بل الرومان المسيحيون آنذاك ﴿الْمَ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم: ١ - ٥].

كان جزءاً من حملة الفرس ضد الخلفاء هو كراهية الإسلام والتراكم المليء بالحق على العرب وكبريائهم في علم الأثروبولوجي والتفوق الذاتي، وممارسة ذلك في الشتم والاحتقار، هو بعيدة تماماً عن روح الدين وأخلاقه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣]. انعكس التسامي الخلقي في تراثهم وثقافتهم وكتبهم، وفي تراثهم والشعر والأدب والنكتة والأمثال الشعبية، يكون العربي هو الحافي، القذر، الموبوء، البشع، صاحب المجلد الأسود، المتعطش للدماء، القاسي، المتوحش، الكريه، الشيطان، اللص، آكل النمر والسحالي، المغتصب، راكب الجمل، وائد البنات، الخادع، الجشع، الوحش، البغيض، الكاره للآخرين، البدائي، الهمجي، المثير للقرف والاشمئزاز، كما قال شاعرهم فردوسي في ذم المسلمين العرب آنفاً.

(١) أخرجه الطبراني في أوسط معاجمه (٣٦٩/٥ رقم ٥٥٨٣)، وفي أكبر معاجمه (١١/١٨٥ رقم ١١٤٤١)، والبيهقي في الشعب (٣/٣٤ رقم ١٣٦٤)، وأبو نعيم في صفة الجنة (رقم ٢٧٩)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (رقم ١٧٣): موضوع.

إن هذه العنصرية والنظرة العدائية قد اختلجت بنفوسهم، وتحكمت في أذهانهم، وانصهرت في عقيدتهم. وفي إعلام إيران الرسمي اليوم صار العربي هو السني، الناصبي، الأموي، العباسي، الأعرابي، المنافق، عدو آل البيت، الوهابي، الإرهابي، القاعدي، البعثي، الصدامي، المجرم... هذا في قنواتهم الرسمية وجرائدهم الحكومية، وكأنهم ينتقمون من حرب القادسية بطريقتهم العنصرية برغم ادعائهم محبة أهل البيت، الذين هم عرب وأساس العرب من صلب بني هاشم، ولم يكونوا فرساً أصلاً. هذه العنصرية عانى منها العرب الذين عاشوا في إيران: كعرب الأحواز أو جاؤوها زيارة مثل كاشف الغطاء، ورأى من أحسن إليهم في النجف واستضافهم يعاملونه بالعنصرية والاحتقار، حتى نظم قصيدة طويلة مطلعها: (أراح الله قلبي من بلاد)، يقصد بلاد فارس، وهي قصيدة طويلة، مليئة بالشواهد على ثقافتهم وممارساتهم العنصرية، والتربية الشائعة في ذلك. اعترف الكثير من الفرس بعنصرية الفرس ضد العرب، مثل ابن المقفع الذي يحترم العرب ومنزلتهم، فيقول: (إذا فاتني حظي من النسب، فلا يفوتني حظي من المعرفة، إن العرب قد أدبّتهم أنفسهم، ورفعتهم همومهم، وأعلتهم قلوبهم وألستهم وعقولهم، وافتتح الله دينه وخلافته بهم إلى الحشر، فمن وضع حقهم فقد خسر، ومن أنكر فضلهم خصم). كذلك المفكر الإيراني شريعتي، الذي سماها بالشعبوية الفارسية وإعطائها الغطاء الديني للتخدير والخداع ومصالحهم الشخصية. وكان من الصعب عليهم دخولهم بالقوة بعد حرب القادسية، ولا يمكنهم عندئذ الطعن بالنبي، فلجؤوا للطعن في صحابته، حتى يقال: إنه رجل سوء فأصحابه سيئون، قال مالك عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحون)<sup>(١)</sup>.

(١) الرازي، رسالة في سب الصحابة، ص ٥٨٠، الصارم المسلول، ص ٥٧٤ سورة الشعراء، الآية ١٩٨ البختكان، انتصاف العجم من العرب، الهيثم بن عدي، المثالب الكبرى، وكذلك المثالب الصغرى، معمر، لصوص العرب، أشعار فردوسي، شريعتي، التشيع، ص ١٤٧ عبدالله بن المقفع، رسالة الصحابة، عبدالرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام.

وصلت الدرجة في نكران التزويجات بالاتهامات أنه فرج غصبه الخلفاء، فعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وحما، عن زرارة، عن أبي عبدالله الصادق في تزويج أم كلثوم لعمر بن الخطاب، فقال: (إن ذلك فرج غصبناه)<sup>(١)</sup>.

وفي التشيع الفارسي كفر الخلفاء الراشدين المرصين الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان (الجبب والطاغوت والنعل)، ويقرر خلودهم في النار، لأنهم غصبوا حق آل محمد، والحكم بكفر الأمة، بعد وفاة النبي، ولم يستثن من هذا الحكم إلا نفر قليل من الصحابة، يسمون بالمنتجين: (أبو ذر وعمار وسلمان والمقداد)، وأهمهم سلمان الذي لم يدخله الشك والريب، وعقيدتهم أن كل من لا يعتقد الإمامة والولاية، لأي واحد من الإثنى عشر إمامًا، فهو كافر مستحق للخلود في النار، حلال دمه وعرضه وماله، يستحل البهت والكذب والتدليس والتلبيس والتزوير، وكل ما يحقق النيل من المخالف فوق كل اعتبار أخلاقي أو عقدي، ومن هنا كانت براكماتية التشيع الفارسي، وكان التدثر بعقيدة المظلومية والهولكوست الكربلائي، لتفعيل مسلك عدواني تأري انتقامي، تجاه أجيال الغير الذي لا يشارك الصفوية قراءتها للتاريخ، وقد برع الفرس في توظيف كل وسائل الإعلام، سيما الشعبية منها، (الشاعر الحسيني، والرادود الحسيني، والمواكب الحسينية، ولاحقًا القنوات الحسينية الفضائية). لتسويق وتحريك الرأي العام وتشكيله طائفياً، ولتجهيل الجمهور، واستغفاله، واستحماره، وتخديره، وربطه بقيادات فارسية متعصبة.

وفي هذا السياق تأتي الرموز المنتحلة للتاريخ، لتوفر مزيداً من الاستقطاب المذهبي العدواني؛ فضلع فاطمة المكسور وسقوط المحسن المزعوم، وخيام الحسين المحروقة، وقربة العباس في ثقافة الحسينيات، والمآتم للشار من أمة محمد وما تبعها (لعن الله أمة قتلتك). وفي زيارة الحسين نفسه لعن الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان. ويأتي دور المهدي المزعوم في إعادة الخليفتين: أبي بكر وعمر من قبريهما

(١) الكافي، ٣٤٦/٥.



وإحراقهما وذرهما، ثم إلحاق كل من في قلبه ذرة حب لهما يلحقه بهما، (أما لو قام قائمنا وردت إليه الحميراء، عائشة، حتى يجلدوها الحدّ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة)، (إذا قام قائمنا عرضوا كل ناصب عليه، فإن أقر بالإسلام، وهي الولاية، وإلا ضربت عنقه أو أقر بالجزية، فأداها كما يؤدي أهل الجزية)، ويقتل كل ذراري قتلة الحسين واحداً واحداً، برغم أن القرآن يقول: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقتل العرب، وتهديم المسجد الحرام، وتهديم مساجد الكوفة، (ليس للمهدي مع العرب إلا السيف) من أجل الفرس ودولتها المزعومة.

ثم تأتي الفتاوى الجاهزة من فقهاء الفرس: تحريم تزويج الناصبي روى عن عبدالله بن مسكان قال: (سألت أبا عبدالله عن الناصب، الذي عرف نصبه وعداوته هل يزوجه المؤمن وهو قادر على رده ولا يعلم برده؟ قال: لا يتزوج المؤمن الناصبة، ولا يتزوج الناصب مؤمنة ولا يتزوج المستضعف مؤمنة)<sup>(١)</sup>.

علماً بثبوت أن عمر بن الخطاب تزوج من أم كلثوم، فلذلك قال بعضهم: تمت تقية. وبعضهم روى أحاديث موضوعية مكذوبة للرد على هذا الزواج، فقالوا: (إنه فرج غصبناه)، كما ذكر. وفي تأويلهم للناصب كونه ينصب للشيعة، لا لأهل البيت أنفسهم، روى عن الصادق: (ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولونا، وأنكم من شيعتنا). وعن الصادق {من خالفكم وإن عبد واجتهد فهو منسوب إلى هذه الآية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خِشْعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢ - ٤]، وعنه قوله: (لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان، فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه، فإن شاركه حب عدونا فليس منا، ولسنا منه، والله عدوهم وجبريل وميكائيل، والله عدو الكافرين)، وعشرات أمثالها، وحاشا الصادق أن يقولها<sup>(٢)</sup>.

(١) الطوسي، الاستبصار، ٣/ ١٨٣ باب تحريم نكاح الناصبية.

(٢) البحار، ٥١، ٢٧، تفسير القمي، ٢/ ١٧١ - ١٧٢ علل الشرائع، ص ٢٠٠، ثواب الأعمال، ص ٢٠٠، معاني الأخبار، ص ١٠٤، البحار، ٢٧/ ٢٣٢ - ٢٣٣ تفسير العسكري، ١٦/ ١٧ روضة الكافي، ص ١٦٠.



لا شك في الأثر الأكبر بالثقافة الفارسية خصوصاً، وقد تزعموا قيادته وانحرافه على مر التاريخ، وكان فقهاؤهم بارعين في تحريف الشريعة، والحيل الشرعية، وتغيير القيم. بل لا زالت الاحتفالات الكبيرة في ذكرى قتل الخليفة عمر بن الخطاب، وما يمارس فيها من استهزاء بالخلفاء وزوجات النبي والمعاصي والمحرمات، ثم الحج لقاتله أبي لؤلؤة المجوسي، وأسموه (بابا شجاع الدين)، وتعميره والحج لزيارته في كاشان زيارة ومراسيم وطقوس كثيرة، حيث اعتبروه عيداً، بل أعظم الأعياد والزيارات والطقوس، كما عظموا وقّدسوا يوم النوروز<sup>(١)</sup>.

يعتقد الكثير من المستشرقين أن التشيع نشأ أولاً عربياً، لكنه انحرف عن طريق الفرس الداخلين على الإسلام، حيث انحرفوا به عن اتجاهات ومبادئ علي نفسه، ووضح انحياز العرب لعلي، بل علي نفسه من العرب كما مرّ في البحث<sup>(٢)</sup>.

برغم احترامي الكامل لجميع الشعوب الإيرانية وغيرها، فللشعوب الإيرانية تراثها وحضارتها ومفكروها ومصلحوها، وليس النقد إلا لرموز من السلطتين الدينية والسياسية، في نشر ثقافة الكراهية والشعوبية والعنصرية، التي يعاني منها الإيرانيون قبل غيرهم، وكتب عنها إيرانيون، منهم المصلح الاجتماعي علي شريعتي خصوصاً في (التشيع العلوي والتشيع الصفوي)، (النباهة والاستحمار)، وجلال آل

(١) عباس القمي، الكنى والألقاب، ٢/ ٥٥ وسائل الشيعة، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب، ٧/ ٣٤٦ المجلسي، بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز، ٩٨/ ٤١٩ الأنوار النعمانية، ١/ ١٠٨ الجندقي، مقتبس الأثر، ٢٩/ ٢٠٢-٢٠٣ المجلسي، بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز، ٩٨/ ٤١٩.

(٢) رسول، هكذا تكلم شريعتي، غروب آل أحمد، حيدر، العمامة، رضايي حسين، نقد وتحليل وكريده داستانهای جلال آل أحمد، مطهري، الملحمة الحسينية، دسوقي، علي شريعتي حياة وفكر.

Race & Class, XX1, I, 1979.  
Mansur Farhang, Shariti, 205.

علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، شريعتي، النباهة والاستحمار، مرتضى مطهري، الملحمة الحسينية، عبدالكريم سروش، قبض وبسط تئوريك شريعت، محسن كديور، حكومت ولائي، كديور، إسلام وحقوق بشر.

أحمدي ومرتضى مطهري وعبدالكريم سروش ومحسن كديور وغيرهم المذكورين في البحث أعلاه<sup>(١)</sup>.

إن البحث حاول أن يدرس عمق المسألة ومن المصادر الشيعية الأصلية، وحتى المخطوطة منها، ولكنه لم يترك أيضًا مصادر الفرق الأخرى: كالمعتزلة والأشعرية والزيدية والإسماعيلية والسنية المختلفة وغيرهم، وحتى المستشرقين المتنوعين، الذين تناولوا جوانب من تلك الأبحاث، برغم أن البعض ينظر نظرة خارجية أحيانًا، لذلك قد يقع في العديد من الأخطاء الفادحة والبعيدة عن الحقيقة تمامًا مثلاً يقول المستشرق بوكرك: (عند الشيعة الإثنى عشرية، فإنهم يزعمون أن الثاني عشر المهدي الغائب هو علي بن محمد السمرى الذي ولد في سامراء عام ٢٥٥ هجرية)، ويقول ابن خلدون وابن خلكان والزركلي ومحمد حمزة وغيرهم: (عند الشيعة الإثنى عشرية فإنهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة، وتغيّب حين اعتقال مع أمه، وغاب هناك)، وفي كلا القولين ما ترى، حيث كلاهما يتكلمان عن عقيدة الإثنى عشرية في المهدي، ولكنهم الإثنى عشرية لا يقولون اسمه علي بن محمد السمرى، بل محمد بن الحسن العسكري، وكذلك لم يكن عمره تسع بل خمس سنوات، وغاب في سامراء وليست الحلة، إذ لم تكن الحلة موجودة آنذاك، ولم يعتقل مع أمه،... هذا مثال بسيط من عشرات الأمثلة الأخرى. لكن من الجانب الآخر، هما متحرران من الكثير من القيود العقيدية المتركمة عند التشيع، فقد يكونان قادرين على النقد بشكل أكبر وأوسع، لذلك تمت الاستفادة منهما. كما لا يخلو أحيانًا الجانب العاطفي والطائفي من دراسة البعض. إن دراسة المستشرقين قد بحثتها بكتاب خاص (التشيع والمستشرقون) لذلك كان هذا البحث يذكرهم بمجرد الإشارات والتلميحات، دون دراسة عميقة، لأنها متروكة إلى كتابها الخاص<sup>(٢)</sup>.

(١) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ١/ ١٢٠، راجع: كذلك: فلهاوزن وغولدزير ونيكلسون والموسوعة وغيرها، وبحثي: (المستشرقون والتشيع)، وغيرها.

(٢) راجع: كتابي (التشيع والمستشرقون)، ابن خلدون، التاريخ، ١/ ٣٥٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٣١٦، الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣٠٩.

Bowker, The Oxford Dictionary, P:49.

الملاحظ أن النبي الكريم وتلميذه الإمام علي وأهل البيت يؤكدون على القيم الحقيقية، التي توافق القرآن الكريم، مثل العمل الصالح، ومحبة الإنسان، وخدمته، وليست العشائرية والنسب والبغضاء. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال الرسول لبنته فاطمة: «يا فاطمة اعملي ما شئت، فإنني لا أغني والله عنك شيئاً»<sup>(١)</sup>، «لو سرت فاطمة لقطعت يمينها»<sup>(٢)</sup>، «يا بني عبدالمطلب لا تأتوني يوم القيامة بأنسابكم وأحسابكم، ولكن بأعمالكم فليس بين الله وبين أحد قرابة»<sup>(٣)</sup>، ولم يكن عليّ راغباً في الخلافة والحكم، حتى قال (لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولو كانت عليّ خاصّة)، (أنا لكم وزير خير مني أمير). وقد عاتب بشدّة واليه على البصرة عثمان بن حنيف، لأنّه حضر مأدبة للأغنياء دون الفقراء، قائلاً: (وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعو)، كما عاتب الخليفة آنذاك، لأنّه فضّله على يهودي عندما وقفا للقضاء، لأنّ عليّاً أراد القضاء عادلاً نزيهاً في قيم عادلة كريمة. كذلك أوصى آخر حياته، وقبيل شهادته بالقرآن والسنة، قائلاً صريحاً: (وصيتي لكم أن لا تشرکوا بالله شيئاً، ومحمد فلا تضيّعوا سنته. أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين). وما أوضحها وأصرحها، فالمصدران اللذان أوصى بهما، هما الكتاب الكريم والسنة الشريفة.

والقرآن والنبي والأئمة يدعون للوسطية والاعتدال، لا التطرف والغلو، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفيها الاعتدال لا غلو ولا تكفير، فالوسط بين الإفراط والتفريط. فرفض فرق الغلو: كالسبئية، ورفض التكفير كالخوارج. قال عليّ في النهج: (وسيهلك فيّ صنفان: محب مفرط، يذهب به الحب إلى غير الحق. ومبغض مفرط، يذهب به البغض إلى غير الحق. وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه، والزمو السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة)،

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥ رقم ٣٤٧٥)، ومسلم (٣/ ١٣١٥ رقم ١٦٨٨).

(٣) قال المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (١/ ١٨٥ رقم ٨٣): قال الولي العراقي: لم أقف عليه.



وقوله أيضًا في النهج: (والطريقة الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة، ومنها منفذ السنة، وإليها مصير العاقبة، هلك من ادعى، وخاب من افترى). وكذلك الموازنة الوسط بين الدنيا والآخرة، فقد ورد عن الحسن بن علي: ليس منا من ترك دينه لآخرته، وليس منا من ترك آخرته لدينه، وخيرهما الوسطى فيجمع الدارين.

في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو للوحدة الإسلامية، ورفض التفرقة والنزاع، منها قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، وكلها آيات صريحة واضحة من خمسين آية، تدعو إلى الوحدة والاتحاد، وتنهي عن التفرق والخلاف، فضلاً عن العدد الكبير من الأحاديث. وعن الصادق: (لا تخاصموا بدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب)، لأنه أراد الوحدة والاتفاق، فلا بد من الوحدة بعد إزالة عوامل الكراهية والبغضاء، كما مرّ.

إنّ ثقافة المحبة والسلام والتسامح والإخاء والألفة خير من ثقافة الكراهية والبغضاء والتكفير والسباب، فالأولى تؤدي إلى الحياة والخير والنمو، بينما الثانية تؤدي إلى الموت والمجازر والحروب والدماء. ونعم ما قاله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، هذه هي سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تغييراً.

هذا مختصر ما أردت ذكره، لأن الإطالة خلاف القصد المتوخى في موضوع كبير وشائك ومعقد في العقيدة والقرآن وتفسيره والأحاديث والسنة والفقه والتاريخ... أردت تسهيله وتبسيطه، ليكون في متناول الكثيرين، وسيأتي الكثير لاحقاً في كتب أخرى، فلا زال الباب مفتوحاً لتلاقح الأفكار، ولمن يبغي المزيد، والله تعالى من واء القصد.





## المراجع والمصادر

- أحمد أمين، يوم الإسلام  
\_\_\_\_\_ ضحى الإسلام.  
\_\_\_\_\_ ظهر الإسلام.  
\_\_\_\_\_ يوم الإسلام.  
\_\_\_\_\_ فجر الإسلام.  
\_\_\_\_\_ زعماء الإصلاح في العصر الحديث.
- أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ يعقوبي.  
• أحمد بن حنبل، المسند.  
• أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي.  
• أحمد الوائلي، هوية التشيع.  
• أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية.  
• الأبطحي حسن، ملاقات الإمام المهدي.  
\_\_\_\_\_ أنوار صاحب الزمان.
- ابن الأثير علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ.  
\_\_\_\_\_ أسد الغابة في معرفة الصحابة.  
\_\_\_\_\_ النهاية في غريب الحديث والأثر.
- ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة.  
• ابن إدريس محمد بن منصور الحلي، السرائر.  
• ابن بزاز، صفوة الصفا.  
• ابن تيمية: أحمد عبد الحلیم، منهاج السنة.  
\_\_\_\_\_ الصارم المسلول لشاتم الرسول.  
\_\_\_\_\_ بيان الفرقة الناجية.



- \_\_\_\_\_ مجموع الفتاوى.
- ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي التيمي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. \_\_\_\_\_ تبليس إبليس.
- \_\_\_\_\_ مختصر صفوة الصفوة.
- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة. \_\_\_\_\_ لسان الميزان.
- \_\_\_\_\_ تهذيب التهذيب.
- \_\_\_\_\_ الصواعق المحرقة.
- \_\_\_\_\_ ابن حزم: علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل. \_\_\_\_\_ المحلى.
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة. \_\_\_\_\_ تاريخ.
- ابن خلكان: أحمد البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
- ابن داود: الحسن بن علي الحلي، الرجال.
- ابن سعد: محمد الزهري، الطبقات الكبرى.
- ابن سينا: الحسين بن عبدالله، الشفاء.
- ابن شهر آشوب: محمد بن علي المازندراني، مناقب آل أبي طالب. \_\_\_\_\_ معالم العلماء.
- \_\_\_\_\_ مثالب النواصب.
- ابن طاوس: أحمد بن موسى، حل الإشكال في معرفة الرجال.
- ابن طاوس: علي بن موسى بن طاوس الطوسي، كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر. \_\_\_\_\_ الملاحم والفتن.
- \_\_\_\_\_ اليقين في إمرة أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ مهج الدعوات.
- \_\_\_\_\_ فلاح السائل ونجاح المسائل.
- \_\_\_\_\_ مصباح الزائر وجناح المسافر.
- \_\_\_\_\_ إقبال الأعمال.
- \_\_\_\_\_ جمال الأسبوع.

- ابن طواون: محمد الدمشقي، الشذرات الذهبية في الأئمة الإثني عشرية.
- ابن طيفور: أحمد، بلاغات النساء.
- ابن عبد البر: يوسف القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد.
- ابن عربي: محمد بن علي الأندلسي، فصوص الحكم.
- \_\_\_\_\_ الفتوحات المكية.
- ابن العربي: محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي.
- \_\_\_\_\_ العواصم من القواصم.
- ابن عساكر: علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق.
- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار.
- \_\_\_\_\_ الإمامة والسياسة.
- \_\_\_\_\_ تأويل مختلف الحديث.
- ابن قدامة: عبد الله بن أحمد، المغني.
- ابن قولويه: جعفر بن محمد القمي، كامل الزيارات.
- ابن القيم: محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين.
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية.
- ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم.
- ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب.
- ابن النديم: محمد بن إسحاق، الفهرست.
- ابن هشام: عبد الملك، السيرة النبوية.
- أبو حنيفة النعمان، دعائم الإسلام.
- أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري، الإبانة.
- \_\_\_\_\_ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
- أبو زهرة محمد، الإمام الصادق.
- \_\_\_\_\_ الإمام زيد.
- \_\_\_\_\_ تاريخ المذاهب الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ الحديث والمحدثون.
- أبو محمد اليميني، عقائد الثلاث والسبعين فرقة.
- أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، مقتل الحسين.

- \_\_\_\_\_ مقتل أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ كتاب السقيفة.
- \_\_\_\_\_ كتاب المغازي.
- \_\_\_\_\_ مقتل الحسن بن علي.
- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، كتاب الخراج.
- الإحصائي أحمد بن زين الدين بن إبراهيم، معنى الإيمان والكفر
- \_\_\_\_\_ جوامع الكلم.
- \_\_\_\_\_ الفوائد.
- الأربلي: علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة.
- الأربيلي: أحمد بن محمد، حديقة الشيعة.
- الأربيلي: محمد بن علي، جامع الرواة.
- الأردستاني: علي أكبر حسين، محفل الأوصياء
- الإسترابادي: محمد أمين بن محمد شريف، شرح أصول الكافي.
- الإسترابادي: محمد بن حسين بن محمد، استوانامه.
- الإسترابادي: محمد بن علي بن إبراهيم، منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال.
- الإسفرايني: طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين.
- أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.
- الأشعري: علي أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
- \_\_\_\_\_ الإبانة في أصول الديانة.
- \_\_\_\_\_ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.
- الأشكوري: محمد بن علي بن عبد الوهاب، حياة القلوب.
- الألوسي: محمود، تفسير روح المعاني.
- الأصفهاني: أبو الحسن بن محمد طاهر، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن.
- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني.
- \_\_\_\_\_ مقاتل الطالبين.
- الأصفهاني: عبدالله، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن.
- \_\_\_\_\_ عوالم العلوم والمعارف والأحوال.
- الأصفهاني: أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد، وسيلة النجاة.
- \_\_\_\_\_ حاشية على العروة الوثقى.

- الأصفهاني: محمد بن مهدي، أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة.
- الأصفهاني: محمد تقى، مكيال المكارم في فوائد الدعاء للإمام القائم.
- الأصفهاني: محمود بن أبى القاسم، تشييد القواعد في تجريد العقائد.
- الآصفى: محمد مهدي، الإمامة في التشريع الإسلامى.
- الأعظمى: على ظريف، تاريخ الدولة الفارسية في العراق.
- الأعلى: على، جاودان كبير.
- الإمام على بن أبى طالب، نهج البلاغة، بجمع الشريف الرضا.
- \_\_\_\_\_ غرر الحكم.
- \_\_\_\_\_ نهج الكفاح.
- \_\_\_\_\_ ديوانه.
- \_\_\_\_\_ دعاء كميل.
- الإمام على بن الحسين، الصحيفة السجادية.
- \_\_\_\_\_ رسالة الحقوق.
- الإمام جعفر الصادق، الأمالى.
- \_\_\_\_\_ طب الإمام الصادق.
- الإمام على الرضا، رسالة في أصول الدين وفروعه.
- \_\_\_\_\_ فقه الرضا.
- \_\_\_\_\_ طب الرضا.
- \_\_\_\_\_ صحيفة الإمام الرضا.
- الأمين محسن العاملى، أعيان الشيعة.
- \_\_\_\_\_ المجالس السنية في مناقب ومناصب العترة النبوية.
- \_\_\_\_\_ رسالة التنزيه في أعمال التشبيه.
- \_\_\_\_\_ في رحاب أئمة أهل البيت.
- \_\_\_\_\_ عجائب أحكام أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ الأمين حسن العاملى، سيرة السيد محسن الأمين
- \_\_\_\_\_ مستدركات لأعيان الشيعة.
- \_\_\_\_\_ الموسوعة الإسلامية الشيعية.
- الأنصارى سعد، الفقهاء حكام على الملوك.
- الأنصارى فاضل، قصة الطوائف.



- الأنصاري مرتضى بن محمد أمين التستري، المكاسب. \_\_\_\_\_ الرسائل.
- آل ياسين راضي، صلح الإمام الحسن.
- آل ياسين محمد حسين، نهج البلاغة لمن. \_\_\_\_\_ المهدي الموعود بين التصور والتصديق.
- آدم متز، الحضارة الإسلامية.
- أودري ألتاديت، السلطة والهوية.
- أوليفر روي وكارل فولك، فشل الإسلام السياسي.
- إيلتون دانيال، العادات والثقافات في إيران.
- الباقلاني: أبو بكر بن الطيب، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة.
- بحر العلوم حيين، مقدمة تلخيص الشافي.
- بحر العلوم محمد مهدي بن مرتضى البروجردي، الرجال.
- البحريني جعفر الشاخوري، حركة العقل الاجتهادي لدى فقهاء الشيعة الإمامية.
- البحريني عدنان، مشارق الشمس.
- البحراني ميثم، شرح نهج البلاغة.
- البحراني هاشم، ينابيع المعجزات.
- البحريني يوسف، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث. \_\_\_\_\_ الحقائق الناضرة.
- \_\_\_\_\_ الكشكول.
- \_\_\_\_\_ الدرر النجفية.
- بختكان سعيد بن حميد، انتصاف العجم من العرب.
- بدوي جمال، الفاطمية دولة التفاريح والتباريح.
- بدوي عبدالرحمن، شخصيات قلقة في الإسلام. \_\_\_\_\_ شطحات الصوفية.
- \_\_\_\_\_ تاريخ التصوف الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ موسوعة المستشرقين.
- \_\_\_\_\_ المستشرقون والقرآن. .
- البغدادي: عبدالقاهر الأشعري، الفرق بين الفرق.

- البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تاريخ بغداد.
- براقى حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة.
- برانق محمد أحمد، البرامكة في ظل الخلافة.
- براون إدوار، تاريخ الأدب في إيران.
- \_\_\_\_\_ تاريخ الشاه إسماعيل.
- برجسون هنري، منبع الأخلاق والدين.
- بردي يوسف بن تردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة.
- البرقي أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن.
- \_\_\_\_\_ رجال البرقى.
- البرسي رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين.
- برنارد لويس، أصول الإسماعيلية.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف.
- البلاغي: محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن.
- البروجردى: حسين بن علي الطباطبائي، حاشية النهاية.
- بنت الشاطى عائشة عبدالرحمن، بطله كربلاء.
- البهائي محمد بن الحسين العاملي الجبعي، الوجيزة في الدراية.
- \_\_\_\_\_ الكشكول.
- \_\_\_\_\_ الحاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه.
- \_\_\_\_\_ الجامع العباسي.
- البهبهاني محمد بن باقر بن محمد الوحيد، رسالة الاجتهاد والأخبار.
- \_\_\_\_\_ شرح المفاتيح.
- بادى باديوزامانى، إيران وأمريكا.
- بول بريمر، عامي في العراق.
- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية.
- البياتي: حيدر عبد مناف، المشهد الصوفي والفلسفي في العهد الصفوي.
- تامر عارف، الإمامة في الإسلام.
- التبريزي جواد، صراط النجاة.
- \_\_\_\_\_ عبقات ولائية.
- \_\_\_\_\_ ظلامات فاطمة الزهراء.

- \_\_\_\_\_ مظلومية أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ زيارة عاشوراء فوق الشبهات.
- \_\_\_\_\_ الشعائر الفاطمية.
- \_\_\_\_\_ الشعائر الحسينية.
- التستري: جعفر، الخصائص الحسينية.
- \_\_\_\_\_ المقابس.
- التستري: عبدالله بن حسين، شرح القواعد.
- التستري: محمد تقي، رسالة في سهو النبي.
- \_\_\_\_\_ الأخبار الدخيلة.
- \_\_\_\_\_ قاموس الرجال.
- \_\_\_\_\_ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.
- التستري: نور الدين بن محمد، مجالس المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ إحقاق الحق وإزهاق الباطل.
- \_\_\_\_\_ مصائب النواصب.
- \_\_\_\_\_ إلزام النواصب.
- \_\_\_\_\_ إلقام الحجر في الرد على ابن حجر.
- \_\_\_\_\_ تحفة العقول.
- التفريشي: داود، نقد الرجال.
- التليدي: عبدالله عبدالقادر، فضائل الصحابة.
- الثعالبي: أبو منصور النيسابوري، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم.
- الجابري: علي حسين، الفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية.
- الجاحظ: عمرو بن بحر البصري، البيان والتبيين.
- \_\_\_\_\_ رسائل الجاحظ.
- جار الله موسى، الوشيعة في نقض عقائد الشيعة.
- جلال إيزدي، المجد الإلهي.
- الجزائري: نعمة الله بن محمد بن عبدالله، الأنوار النعمانية.
- \_\_\_\_\_ رياض الإبرار في مناقب العترة الأطهار.
- \_\_\_\_\_ شرح عقائد الصدوق.
- \_\_\_\_\_ زهر الربيع.

- جمعة بديع محمد، الشاه عباس الكبير.
- الجندقي: محمد حسن، مقتبس الأثر ومجدد ما دثر.
- الجندي: عبدالحكيم، الإمام جعفر الصادق.
- الجواهري: محمد حسن بن باقر، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية.
- جورج جرداق، علي صوت العدالة الإنسانية.
- جولدتسيهر إجناز، العقيدة والشريعة في الإسلام.
- \_\_\_\_\_ مذاهب التفسير الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ الدراسات المحمدية.
- \_\_\_\_\_ تطور الحديث.
- جوزيف شاخت، إعادة تقييم الأحاديث الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ أصول الفقه المحمدي.
- \_\_\_\_\_ أصول الحديث.
- الجوهري: محمد صالح، ضياء الصالحين.
- الجويني: عبد الملك، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في صحيح الاعتقاد.
- الحائري: كاظم، أساس الحكومة الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف.
- \_\_\_\_\_ ولاية الأمر في عصر الغيبة.
- \_\_\_\_\_ الإمامة وقيادة المجتمع.
- الحائري: محمد مهدي، شجرة طوبى.
- الحاكم الحسكاني: عبدالله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل.
- الحاكم النيسابوري: محمد بن عبدالله، المستدرک علی الصحیحین.
- \_\_\_\_\_ معرفة علوم الحديث.
- الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول.
- الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة.
- \_\_\_\_\_ أمل الآمل.
- \_\_\_\_\_ الجواهر السنية في الأحاديث القدسية.
- \_\_\_\_\_ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات.
- \_\_\_\_\_ الفصول المهمة في معرفة الأئمة.



- \_\_\_\_\_ مقتل الحسين.
- حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر.
- الحسيني: هاشم معروف، الموضوعات في الآثار والأخبار.
- \_\_\_\_\_ سيرة المصطفى.
- \_\_\_\_\_ سيرة الأئمة الإثني عشر.
- \_\_\_\_\_ دراسات في الحديث والمحدثين.
- \_\_\_\_\_ بين التصوف والتشيع.
- \_\_\_\_\_ أصول الشيعة.
- الحسيني: عبدالرزاق، تاريخ الوزارات العراقية.
- الحسيني: محمد القاسم، ثورة التنزيه.
- حسين بن علي، مقدمة الكافي.
- حسين عبدالصمد، الدراية.
- الحسيني: أحمد، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري.
- الحكيم: محسن بن مهدي الأصفهاني الطباطبائي، مستمسك العروة الوثقى.
- \_\_\_\_\_ منهاج الصالحين.
- \_\_\_\_\_ نهج الفقاهة.
- الحكيمي: محمد رضا، سلوني قبل أن تفقدوني.
- تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة.
- الحلي جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام.
- \_\_\_\_\_ المعبر.
- الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، خلاصة المقال في علم الرجال.
- \_\_\_\_\_ الألفين.
- \_\_\_\_\_ منهاج الكرامة في إثبات الإمامة.
- \_\_\_\_\_ رجال العلامة الحلي.
- \_\_\_\_\_ كشف المراد في تجريد الاعتقاد.
- \_\_\_\_\_ تذكرة الفقهاء.
- \_\_\_\_\_ نهج الحق وكشف الصدق.
- \_\_\_\_\_ إثبات الوصية للإمام علي.
- الحلي عبدالحسين، الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي.

- الحلي: محمد الحسين، النقد التنزيه لرسالة التنزيه.
- الحلي: مقداد بن عبدالله، كنز العرفان.
- حمزة محمد، التآلف بين الفرق الإسلامية.
- الحموي: ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء.
- حميد الدين: عبدالله، الإمام زيد بن علي.
- الحنفي: حسن، التراث والتجديد.
- \_\_\_\_\_ تجديد علم الأصول عند الإمام محمد باقر الصدر.
- \_\_\_\_\_ الدين والثورة.
- الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين.
- حيدر خليل علي، العمامة والصولجان.
- الحيدري: إبراهيم، تراجيديا كربلاء.
- \_\_\_\_\_ وعاظ السلاطين نقد الدين أم نقد وعاظه.
- \_\_\_\_\_ الحيدري: نبيل، دراسات في الحديث والمحدثين.
- \_\_\_\_\_ مع الدروز في عقائدهم.
- التشيع العربي والتشيع الفارسي/ هذا الكتاب بين يديك .
- القرآن بين التنزيل والتفسير والتأويل .
- \_\_\_\_\_ بحث في الخمس .
- \_\_\_\_\_ تحقيق في نهج البلاغة.
- \_\_\_\_\_ ثورة العشرين ومهدي الحيدري.
- \_\_\_\_\_ المهدي الموعود المنتظر.
- \_\_\_\_\_ المرجعية الشيعية العربية.
- \_\_\_\_\_ صراع المرجعيات الشيعية.
- \_\_\_\_\_ الصدر والوحدة الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ العلاقات بين الأصحاب والآل.
- \_\_\_\_\_ حوار مع فضل الله.
- \_\_\_\_\_ مذكراتي مع الإسلاميين .
- \_\_\_\_\_ قصف النجف وهروب المرجعيات.
- \_\_\_\_\_ مذكرات محمد باقر الصدر.
- \_\_\_\_\_ إبطال أدلة التقليد وأدلة الخمس.

- \_\_\_\_\_المستشرقون والتشيع.
- الحيدري: مصطفى، بشارة الإسلام.
- الحيدري: مهدي، زاد العباد إلى يوم المعاد.
- \_\_\_\_\_أحسن الودعة.
- \_\_\_\_\_تعليق على فرائد الأصول.
- الحيدري: علي نقى، مذهب أهل البيت.
- \_\_\_\_\_أصول الاستنباط.
- الحميدي: عبدالله بن الزبير، المسند.
- الحويزي: عبد علي، تفسير نور الثقلين.
- خالد محمد خالد، من هنا نبدأ.
- \_\_\_\_\_الدين في خدمة الشعب.
- الخراساني: محمد، بيان السعادة.
- الخراساني: محمد حسين وحيد، مقتطفات ولائية.
- \_\_\_\_\_نخبة الكلام في معرفة الإمام.
- \_\_\_\_\_على أعتاب المصيبة العظمى.
- \_\_\_\_\_في ذكرى آخر الخلفاء والحجج الإلهية.
- \_\_\_\_\_الخضري: محمد، الدولة العباسية.
- \_\_\_\_\_تاريخ الأمم الإسلامية.
- الخطيب عبد الزهرة، مصادر نهج البلاغة وأسانيده.
- الخليلي: جعفر، هكذا عرفتهم.
- الخراساني: محمد كاظم بن حسين، كفاية الأصول.
- الخزار القمي: علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثنى عشر.
- \_\_\_\_\_الإيضاح في أصول الدين.
- الخميني: روح الله بن مصطفى الهندي، كشف الأسرار.
- \_\_\_\_\_صحيفة الثورة الإسلامية، وصيته.
- \_\_\_\_\_تحرير الوسيلة.
- \_\_\_\_\_شرح فصوص الحكم.
- \_\_\_\_\_حديث رأس الجالوت.
- \_\_\_\_\_طلب وإرادة.

- \_\_\_\_\_ شرح دعاء السحر.
- \_\_\_\_\_ الأربعون حديثاً.
- \_\_\_\_\_ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية.
- \_\_\_\_\_ الحكومة الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ المكاسب المحرمة.
- \_\_\_\_\_ تعليقات على المصباح.
- \_\_\_\_\_ تعليقة على العروة الوثقى.
- \_\_\_\_\_ صحيفة نور.
- \_\_\_\_\_ تفسير سورة الحمد.
- \_\_\_\_\_ المنعطف.
- \_\_\_\_\_ خطباته وبياناته.
- الخوئي: أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الآذريجاني، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة.
- \_\_\_\_\_ منهاج الإصالحين.
- \_\_\_\_\_ مصباح الفقاهة.
- \_\_\_\_\_ نفحات الإعجاز.
- \_\_\_\_\_ البيان في تفسير القرآن.
- الخوئي: حبيب الله الهاشمي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة.
- الخوارزمي الموفق بن أحمد المكي، مناقب أمير المؤمنين.
- الخونساري حسين، حاشية الشفاء.
- الخونساري محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات.
- الداماد محمد باقر الحسني، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية.
- دريافت رايكان آثار جلال آل أحمد.
- دسوقي إبراهيم، علي شريعتي حياة وفكر.
- دشتي محمد، إسناد ومدارك نهج البلاغة.
- الدوري عبدالعزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام.
- دونالدسن دوايت، عقيدة الشيعة.
- دانيال وبراون، مقدمة جديدة في الإسلام.
- دهخدا علي أكبر بن خان باباخان، لغت نامه.



- ديورانت ويل، قصة الحضارة.
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام.
- \_\_\_\_\_ ميزان الاعتدال.
- \_\_\_\_\_ العبر في أخبار من غبر.
- \_\_\_\_\_ سير أعلام النبلاء.
- \_\_\_\_\_ الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.
- الرازي: أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية.
- الرازي: محمد بن عمر الفخر، مفاتيح الغيب.
- \_\_\_\_\_ اعتقادات فرق المسلمين والمشركون.
- \_\_\_\_\_ الأربعين في أصول الدين.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين، ، ،
- الراوندي: سعيد بن عبدالله، الخرائج والجرائح.
- \_\_\_\_\_ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة.
- \_\_\_\_\_ قصص الأنبياء.
- رسائل الحكمة في عقائد الدروز.
- رشيد علي أحمد، أسباب وبواعث قيام الدولة الصفوية.
- رضا محمد رشيد، تفسير المنار.
- الرضى محمد بن الحسين الشريف، جامع نهج البلاغة.
- \_\_\_\_\_ خصائص أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ الديوان.
- رحلة ابن بطوطة.
- رضا محمد رشيد، الخلافة أو الإمامة العظمى
- رضايي حسين، نقد وتحليل و كزيده داستانهاى جلال آل أحمد.
- الرضوى مرتضى، مع رجالات الفكر في القاهرة.
- ري شهري محمد، ميزان الحكمة.
- \_\_\_\_\_ موسوعة الإمام علي.
- زاهدي حسين أبدال، سلسلة نسب صفوي.
- زبيدة سامي، الإسلام والدولة والمجتمع.
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، كتاب الأعلام.

- الزمخشري: محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل.
- زيدان جورجي، التمدن الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ تاريخ آداب اللغة العربية.
- الزين محمد حسين، الشيعة في التاريخ.
- زين الدين عبدالرسول، الخطب النادرة لأمر المؤمنين.
- زين العابدين محمد مهدي، بيان الأئمة.
- السبحاني جعفر، بحوث في الملل والنحل.
- \_\_\_\_\_ أصول الحديث.
- \_\_\_\_\_ سيرة الأئمة.
- \_\_\_\_\_ مع الشيعة الإمامية في عقائدهم.
- \_\_\_\_\_ تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره.
- سبط ابن الجوزي يوسف بن عبدالله، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة.
- \_\_\_\_\_ الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح.
- السبزواري: عبدالأعلى بن علي رضا، مواهب الرحمن في تفسير القرآن.
- \_\_\_\_\_ التقية.
- السبزواري: محمد بن محمد، جامع الأخبار.
- السخاوي: محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع.
- سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام.
- سليم بن قيس كتاب سليم بن قيس.
- سروش عبدالكريم، قبض وبسط تئوريك شريعت.
- سعيد أمين، ثورات العرب في القرن العشرين.
- السمعاني: عبدالكريم بن أبي بكر، الأنساب.
- سيوري راجر، إيران في العصر الصفوي.
- السويدي: عبدالله، النفحة المسكية في الرحلة المكية.
- \_\_\_\_\_ الحجج القطعية لاتفاق الفرق، مؤتمر النجف.
- السويدي: عبدالرحمن، تاريخ حوادث بغداد والبصرة.
- \_\_\_\_\_ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء.
- السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء.
- \_\_\_\_\_ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.

- \_\_\_\_\_ تفسير الدر المنثور.
- \_\_\_\_\_ الجامع الصغير.
- \_\_\_\_\_ الجامع الكبير.
- سيد الأهل عبدالعزيز، زينب.
- \_\_\_\_\_ الخليفة الزاهد.
- سبنسر وليام، العراق.
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه.
- سنن الدارمي.
- سنن النسائي.
- سنن الترمذي.
- ستيفن وارد، التاريخ العسكري الإيراني.
- سينغ ن، موسوعة التاريخ والجغرافية في العالم الإسلامي.
- سيوري راجر، إيران في العصر الصفوي.
- الشابي علي، الشيعة في إيران.
- \_\_\_\_\_ مباحث في علم الكلام الإسلامي.
- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي للدولة العباسية.
- شبر جاسم حسين، تاريخ المشعشين.
- شبر عبدالله بن محمد رضا، مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار.
- \_\_\_\_\_ حق اليقين في أصول الدين.
- \_\_\_\_\_ شرح الزيارة الجامعة.
- الشبلنجي مؤمن بن حسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار.
- الشبيبي: كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع.
- \_\_\_\_\_ الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر.
- شرف الدين عبدالحسين، المجالس الفاخرة.
- \_\_\_\_\_ المراجعات.
- \_\_\_\_\_ الفصول المهمة في تأليف الأمة.
- \_\_\_\_\_ النص والاجتهاد.
- \_\_\_\_\_ فلسفة الميثاق والولاية.

- الشرقاوي: عبدالرحمن، الصديق أول الخلفاء.  
\_\_\_\_\_ علي إمام المتقين.
- شريعت مداري كاظم بن حسن التبريزي، توضيح مسائل.
- شريعتي علي محمد تقى، التشيع العلوي والتشيع الصفوي  
\_\_\_\_\_ النباهة والاستحمار.
- \_\_\_\_\_ مذهب ضد مذهب.
- \_\_\_\_\_ دين ضد دين.
- \_\_\_\_\_ إسلام شناسي.
- شفق رضا زاده، تاريخ الأدب الفارسي.
- شلبي أحمد، التاريخ الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ الحضارة الإسلامية.
- شمس الدين محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام.  
\_\_\_\_\_ الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ في الاجتماع السياسي الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ دراسات ومواقف في الدين والسياسة والاجتماع.
- \_\_\_\_\_ محاضرة في ذكرى شهادة محمد باقر الصدر.
- الشهرستاني: محمد بن علي بن حسين، كشف الأستار.  
\_\_\_\_\_ مجلة العلم.
- \_\_\_\_\_ مجلة المرشد.
- الشهرستاني: محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل  
\_\_\_\_\_ نهاية الإقدام.
- الشيبى: كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع.  
\_\_\_\_\_ النزعات الصوفية والفكر الشيعي..
- الشيرازي: إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء.
- الشيرازي: حسن، الشعائر الحسينية.  
\_\_\_\_\_ كلمة الإسلام.
- الشيرازي: صادق بن مهدي، المهدي في القرآن.  
\_\_\_\_\_ نفحات الهداية.
- الشيرازي: علي خان مدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة.



- الشيرازي: محمد بن إبراهيم، الأسفار. \_\_\_\_\_  
سه أصل. \_\_\_\_\_  
تفسير القرآن. \_\_\_\_\_
- الشيرازي: محمد بن مهدي، حقائق من تاريخ العلماء. \_\_\_\_\_  
الفقه السياسية. \_\_\_\_\_  
المرجعية الإسلامية رؤى في الأساليب والأهداف. \_\_\_\_\_  
كتاب الدولة الإسلامية. \_\_\_\_\_
- شتروتمان رودلف، مصادر الشيعة. \_\_\_\_\_
- صاحب بن عباد، نصره مذاهب الزيدية. \_\_\_\_\_
- الصالح صبحي، شرح نهج البلاغة. \_\_\_\_\_
- صانعي يوسف، ولايت. \_\_\_\_\_
- صبحي أحمد محمود، في علم الكلام. \_\_\_\_\_  
نظرية الإمامة. \_\_\_\_\_
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل. \_\_\_\_\_
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج. \_\_\_\_\_
- صحيح ابن حبان. \_\_\_\_\_
- الصدر حسن، نهاية الدراية. \_\_\_\_\_
- الشيعة وفنون الإسلام. \_\_\_\_\_
- الصدر محمد باقر، اقتصادنا. \_\_\_\_\_  
فلسفتنا. \_\_\_\_\_  
رسالتنا. \_\_\_\_\_  
الأسس المنطقية للاستقراء. \_\_\_\_\_  
المعالم الجديدة لعلم الأصول. \_\_\_\_\_  
المرجعية الرشيدة والصالحية. \_\_\_\_\_  
غاية الفكر في علم الأصول. \_\_\_\_\_  
خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء. \_\_\_\_\_  
دروس في علم الأصول. \_\_\_\_\_  
بحوث في شرح العروة الوثقى. \_\_\_\_\_  
الفتاوى الواضحة. \_\_\_\_\_

- \_\_\_\_\_ الفهم الاجتماعي للنص في فقه الإمام الصادق.
- \_\_\_\_\_ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف.
- \_\_\_\_\_ فذك في التاريخ.
- \_\_\_\_\_ الإسلام يقود الحياة.
- \_\_\_\_\_ المدرسة الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ دراسات قرآنية.
- \_\_\_\_\_ علوم القرآن.
- \_\_\_\_\_ المدرسة القرآنية.
- \_\_\_\_\_ الرسول والمرسل والرسالة.
- \_\_\_\_\_ مقدمة إلى الصحيفة السجادية.
- الصدر محمد محمد صادق، الشيعة
- \_\_\_\_\_ موسوعة الإمام المهدي.
- \_\_\_\_\_ ما وراء الفقه.
- الصدوق القمي محمد بن علي بن الحسن بن بابويه، من لا يحضره الفقيه.
- \_\_\_\_\_ كمال الدين وتمام النعمة.
- \_\_\_\_\_ ثواب الأعمال.
- \_\_\_\_\_ علل الشرائع.
- \_\_\_\_\_ الخصال.
- \_\_\_\_\_ التوحيد.
- \_\_\_\_\_ معاني الأخبار.
- \_\_\_\_\_ الهداية.
- \_\_\_\_\_ تصحيح الاعتقاد.
- \_\_\_\_\_ الأمالي.
- \_\_\_\_\_ صفات الشيعة.
- \_\_\_\_\_ تاريخ الغيبة.
- \_\_\_\_\_ الزيارات.
- \_\_\_\_\_ فضائل الشيعة.
- \_\_\_\_\_ الدلائل والمعجزات.
- الصدوق القمي: علي بن الحسين بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة

- الصفار القمي: محمد بن الحسن، بصائر الدرجات
- الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن
- \_\_\_\_\_ رسالة في الولاية.
- \_\_\_\_\_ الشيعة في الإسلام.
- \_\_\_\_\_ الشيعة وحوار مع كوربان.
- الطبرسي: أحمد بن علي، الاحتجاج.
- الطبرسي: حسين نوري، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب.
- \_\_\_\_\_ نفس الرحمن في فضائل سلمان.
- \_\_\_\_\_ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل.
- \_\_\_\_\_ تحية الزائر.
- \_\_\_\_\_ دار السلام.
- \_\_\_\_\_ جنة المأوى.
- \_\_\_\_\_ النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب.
- الطبرسي: الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى.
- \_\_\_\_\_ مجمع البيان في تفسير القرآن.
- \_\_\_\_\_ الوافي.
- \_\_\_\_\_ النور المبين.
- الطبرسي: علي بن الحسين، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار.
- الطبراني: سليمان بن أحمد، المعجم الكبير.
- الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك.
- \_\_\_\_\_ تهذيب الآثار.
- \_\_\_\_\_ دلائل الإمامة.
- الطبري: محمد بن علي الآملي، بشارة المصطفى.
- الطريحي: فخر الدين، مجمع البحرين.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام.
- طه حسين، الفتنة الكبرى.
- \_\_\_\_\_ علي وبنوه.
- \_\_\_\_\_ الشيخان.
- الطهراني: محمد حسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

- \_\_\_\_\_ نقباء البشر في القرن الرابع عشر.
- \_\_\_\_\_ طبقات أعلام .
- طه نجف محمد، إتقان المقال في علم الرجال.
- الطوسي: محمد بن الحسن، الغيبة.
- \_\_\_\_\_ تهذيب الأحكام.
- \_\_\_\_\_ الاستبصار.
- \_\_\_\_\_ الأمالي.
- \_\_\_\_\_ الرجال.
- \_\_\_\_\_ الفهرسة.
- \_\_\_\_\_ المفصح في الإمامة.
- \_\_\_\_\_ مقتل الإمام الحسين.
- \_\_\_\_\_ تلخيص الشافي.
- \_\_\_\_\_ مصباح المتجد.
- \_\_\_\_\_ عدة الأصول.
- عادل العلوي، قبسات من حياة المرعشي.
- عارف تامر، موسوعة تاريخ الإسماعيلية.
- \_\_\_\_\_ موسوعة الخلفاء الفاطميين.
- العاملي: جعفر مرتضى، خلفيات كتاب مأساة الزهراء.
- \_\_\_\_\_ مأساة الزهراء.
- \_\_\_\_\_ الشهادة الثالثة.
- \_\_\_\_\_ سلمان الفارسي.
- \_\_\_\_\_ الولاية التشريعية.
- العاملي: زين الدين بن علي، شرح اللمعة الدمشقية.
- \_\_\_\_\_ شرح الدراية.
- العاملي: عبدالحسين، سيماء الصالحين.
- العاملي: محمد بن مكي، اللمعة الدمشقية
- \_\_\_\_\_ الذكرى .
- عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي.
- \_\_\_\_\_ أبو الشهداء.



- \_\_\_\_\_ الصديقة بنت الصديق.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين.
  - عبدالحسين الأميني، الغدير.
  - عبدالرحمن عمر، كلمة حق.
  - عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ العرب الحديث.
  - عبدالرزاق مصطفى، محمد عبده.
  - عبدالفتاح عبدالمقصود، الإمام علي بن أبي طالب.
  - عبده محمد، شرح نهج البلاغة.
  - \_\_\_\_\_ العروة الوثقى.
  - عبدالكريم العقيلي، ظلمات فاطمة الزهراء.
  - العراق في الوثائق البريطانية منذ ١٩٠٥ لغاية ١٩٣٠ ميلادية.
  - العريشي: إمتياز علي خان، إسناد نهج البلاغة.
  - العسكري: جعفر، المهدي المنتظر.
  - العسكري مرتضى، عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى.
  - \_\_\_\_\_ خمسون مئة صحابي مختلق.
  - \_\_\_\_\_ أحاديث أم المؤمنين عائشة.
  - \_\_\_\_\_ معالم المدرستين.
  - \_\_\_\_\_ عقائد الإسلام من القرآن.
  - العش يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية.
  - العقاد عباس محمود، عبقرية الصديق.
  - \_\_\_\_\_ عبقرية عمر.
  - \_\_\_\_\_ عبقرية الإمام.
  - \_\_\_\_\_ أبو الشهداء الحسين بن علي.
  - العلوي حسن، الشيعة والدولة القومية في العراق.
  - العلوي علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبين.
  - علي العلوي، الرافد.
  - علي عطر جي، الصفويون والدولة العثمانية.
  - علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي.
  - علي الشيخ، الدولة الصفوية وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى.

- علي محمد علي، الشعائر الحسينية.
- عمر فاروق، العراق والتحدي الفارسي.
- عويس عبدالحليم، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية.
- العياشي محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي، تفسير العياشي.
- الغريفي عبدالله، التشيع.
- الغزالي أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.
- \_\_\_\_\_ المنقذ من الضلال.
- \_\_\_\_\_ معارج التقديس.
- \_\_\_\_\_ فضائح الباطنية.
- \_\_\_\_\_ إحياء علوم الدين.
- الغزالي محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.
- الغفاري علي بن أكبر، مقدمة الكافي.
- فاضل رسولي، هكذا تكلم شريعتي.
- الفتوني أبو الحسن النباطي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار.
- فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تفسير فرات.
- فردوسي، شاهنامه.
- فضل الله محمد حسين، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية.
- \_\_\_\_\_ الندوة.
- \_\_\_\_\_ من وحي القرآن.
- \_\_\_\_\_ في رحاب أهل البيت.
- \_\_\_\_\_ فقه الحياة.
- \_\_\_\_\_ الإنسان والحياة.
- \_\_\_\_\_ تأملات في آفاق الإمام الكاظم.
- \_\_\_\_\_ في رحاب دعاء كميل.
- \_\_\_\_\_ قضايا إسلامية معاصرة.
- \_\_\_\_\_ حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع.
- \_\_\_\_\_ من وحي عاشوراء.
- \_\_\_\_\_ المسائل الفقهية.
- \_\_\_\_\_ تأملات إسلامية.

- \_\_\_\_\_ دنيا الشباب.
- \_\_\_\_\_ تحدي الممنوع.
- \_\_\_\_\_ بينات.
- \_\_\_\_\_ أسئلة وأجوبة من القلب.
- \_\_\_\_\_ الإمام الصادق.
- \_\_\_\_\_ الإصلاح والتجديد.
- فضل الله محمد جواد، الإمام الصادق.
- الفضلي: عبدالهادي، ريادة محمد مهدي شمس الدين في تطوير الحوزة.
- \_\_\_\_\_ تاريخ التشريع الإسلامي.
- \_\_\_\_\_ في انتظار الإمام.
- \_\_\_\_\_ علم الكلام.
- \_\_\_\_\_ أصول الحديث.
- فكري علي، المحاضرات الفكرية.
- الفياض عبدالله، تاريخ الإمامية.
- \_\_\_\_\_ الثورة العراقية الكبرى.
- الفياض نبيل، أم المؤمنين تأكل أولادها.
- الفيض محسن الكاشاني، كتاب الوافي.
- \_\_\_\_\_ الوافي في شرح الكافي.
- \_\_\_\_\_ تفسير الصافي.
- \_\_\_\_\_ علم اليقين في أصول الدين.
- \_\_\_\_\_ سفينة النجاة.
- \_\_\_\_\_ الشهاب الثاقب.
- \_\_\_\_\_ أبواب الجنان.
- \_\_\_\_\_ الصحيفة المهدوية.
- \_\_\_\_\_ المفاتيح.
- فلهوزن يوليوس، الشيعة والخوارج.
- \_\_\_\_\_ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام.
- فلوتن فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات.
- الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب، القاموس المحيط.

- فيروزآبادي مرتضى، فضائل الخمس.
- القاضي: أبو يعلى، طبقات الحنابلة.
- قدرى قلعجي، جمال الدين الأفغاني.
- القرطبي: محمد بن أحمد، التفسير.
- القرماني: أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول.
- القزويني: أمير محمد كاظم، نقض الصواعق المحرقة.
- القزويني: الحسن بن إبراهيم، فوائد صفوية.
- القزويني: عبدالكريم، الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين.
- القزويني: محمد كاظم، الإمام المنتظر.
- \_\_\_\_\_ فاجعة الطف.
- \_\_\_\_\_ فاطمة من المهد إلى اللحد.
- \_\_\_\_\_ علي من المهد إلى اللحد.
- القصيمي عبدالله، الصراع بين الإسلام والوثنية.
- القطيفي إبراهيم بن سلمان السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج.
- القمي سعد، المقالات والفرق.
- القمي عباس، الكنى والألقاب.
- \_\_\_\_\_ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار.
- \_\_\_\_\_ منتهى الآمال في تاريخ النبي وآل.
- \_\_\_\_\_ الهداية.
- \_\_\_\_\_ مفاتيح الجنان.
- \_\_\_\_\_ بيت الأحرار في مصائب سيدة النسوان.
- القهبائي: عناية الله بن علي بن محمود، رجال القهبائي.
- كاشف الغطاء: جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء.
- كاشف الغطاء: محمد الحسين بن علي بن رضا، أصل الشيعة وأصولها.
- \_\_\_\_\_ تحرير المجلة.
- \_\_\_\_\_ الفردوس الأعلى.
- \_\_\_\_\_ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.
- \_\_\_\_\_ الدين والإسلام.
- \_\_\_\_\_ الميثاق العربي الوطني.



- \_\_\_\_\_ حاشية على سفينة النجاة.
- \_\_\_\_\_ مذكراته.
- \_\_\_\_\_ جنة المأوى.
- حوارات كاشف الغطاء مع السفيرين الأمريكي والبريطاني.
  - كاشف الغطاء: عبدالحليم، في السياسة والحكم.
  - كاشف الغطاء: هادي، مدارك نهج البلاغة.
  - الكيت بن زيد الأسدي، الروضة المختارة في القصائد الهاشميات.
  - كاندهلوي: محمد يوسف، حياة الصحابة.
  - كتاني: سليمان، الإمام الحسن الكوثر المهدور.
  - كحالة عمر رضا، أعلام النساء.
  - كديور محسن، حكومت ولائي.
  - \_\_\_\_\_ اسلام وحقوق بشر.
  - الكراجكي: محمد بن علي، كنز الفوائد.
  - \_\_\_\_\_ البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان.
  - \_\_\_\_\_ الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار.
  - الكركي: حسين، هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار.
  - الكركوكلي: رسول بن يعقوب، دوحة الزوراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء.
  - كرمانى عبدالرزاق، زندكانى شاه نعمة الله.
  - كريستنسن أرتتر، تاريخ إيران في عهد الساسانيين.
  - الكشي عمر بن عمر، معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين أو معرفة أخبار الرجال.
  - الكفعي: إبراهيم بن علي بن الحسن، المصباح.
  - الكلبياسي: أبو الهدى بن محمد بن إبراهيم الخراساني، سماء المقال في علم الرجال.
  - الكلبيكاني: لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.
  - الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي.
  - الكنجي محمد، كشف التمويه عن رسالة التنزيه.
  - كوربان هنري، الشيعة الإثنا عشرية.
  - \_\_\_\_\_ في الإسلام الإيراني.
  - \_\_\_\_\_ الإمام الثاني عشر.
  - \_\_\_\_\_ تاريخ الفلسفة الإسلامية.

- الكوراني: حسين، الكرامات الغيبية للإمام الخميني.
- الكوراني: علي، قدوة الفقهاء، عن الشيخ المنتظري عندما كان نائباً للخميني.
- \_\_\_\_\_الحق المبين.
- كورتني هانت، تاريخ العراق.
- كيدي ونيكي، إيران الحديثة.
- \_\_\_\_\_إيران الدين والسياسة والاجتماع.
- لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث.
- الماخوري سليمان، بلغة المحدثين.
- \_\_\_\_\_فهرسة آل بويه وعلماء البحرين..
- المالطي: أبو الحسن، الرد على أهل الأهواء والبدع.
- مالكون جون، تاريخ إيران.
- المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال.
- \_\_\_\_\_مقتبس الأثر.
- \_\_\_\_\_مقباس الهداية في علم الدراية.
- المتنبي: أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي.
- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.
- \_\_\_\_\_مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول.
- \_\_\_\_\_حلية المتقين.
- \_\_\_\_\_تذكرة الأئمة.
- \_\_\_\_\_حياة القلوب.
- \_\_\_\_\_معرفة الإمام.
- \_\_\_\_\_مقدمة الكافي.
- \_\_\_\_\_زاد المعاد.
- \_\_\_\_\_ترجمة توحيد المفضل.
- المجلسي محمد تقي الأصفهاني، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه.
- المسبار، الصفوية.
- المسعودي: علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- \_\_\_\_\_إثبات الوصية للإمام علي.

- \_\_\_\_\_ التنبيه والأشراف.
- محفوظ حسين علي، مقدمة الكافي.
- \_\_\_\_\_ سيرة الشيخ أحمد الإحسائي . .
- محفوظ علي، الإبداع في مضار الابتداء.
- محمد بن طلحة، مطالب المسؤول في مناقب آل الرسول.
- محمد بن عبدالرؤوف المناوي، فيض القدير.
- \_\_\_\_\_ الصفوة في مناقب آل البيت.
- محمد المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس.
- محمد خليفة، التحفة النبهانية في الجزيرة العربية.
- محمد بن يحيى بن أبي بكر، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان.
- محمد بن خاوند، روضة الصفا.
- محمود أمير، تاريخ الصفويين.
- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي.
- مخدوم محمد بن عبد الباقي، النواقض.
- المرتضى بن الداعي الحسني، تبصرة العوام في مقالات الأنام.
- المرتضى علي بن الحسين الشريف، كتاب الشافي في الإمامة.
- \_\_\_\_\_ المسائل الطرابلسية.
- \_\_\_\_\_ إبطال العمل بأخبار الآحاد.
- \_\_\_\_\_ مقدمة في الأصول الاعتقادية.
- \_\_\_\_\_ نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر.
- \_\_\_\_\_ الذريعة في أصول الشيعة.
- \_\_\_\_\_ الديوان.
- المرعشي محمد حسين بن محمود شهاب الدين، شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل.
- \_\_\_\_\_ الغاية القصوى.
- مروة علي، التشيع بين جبل عامل وإيران.
- مسند أبي يعلى الموصلي.
- مسند إسحاق بن راهويه.
- مصنف ابن أبي شيبة.
- مسند أحمد بن حنبل.

- المشهداني محمد علي، الحوزة العلمية تدين الانحراف.
- المشهدي الحائري: محمد بن جعفر، المزار الكبير.
- المصحف المنفرد بذاته.
- مطهري مرتضى، الملحمة الحسينية.
- \_\_\_\_\_ معرفة القرآن.
- \_\_\_\_\_ في رحاب نهج البلاغة.
- \_\_\_\_\_ الاجتهاد في الإسلام.
- \_\_\_\_\_ الإمامة والزعامة.
- \_\_\_\_\_ الإسلام وإيران.
- المظفر محمد رضا، عقائد الإمامية.
- \_\_\_\_\_ السقيفة.
- المظفر محمد حسين، تاريخ الشيعة.
- معمر بن المثنى، لصوص العرب.
- مغنية حسن، آداب المنابر.
- مغنية محمد جواد، الشيعة في الميزان.
- \_\_\_\_\_ تفسير الكاشف.
- \_\_\_\_\_ التفسير المبين.
- \_\_\_\_\_ الوحدة الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ فقه الإمام جعفر الصادق.
- \_\_\_\_\_ في ظلال نهج البلاغة.
- \_\_\_\_\_ مع الشيعة الإمامية.
- \_\_\_\_\_ الإسلام بنظرة عصرية.
- \_\_\_\_\_ الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة.
- \_\_\_\_\_ مع علماء النجف.
- \_\_\_\_\_ الشيعة والحاكمون.
- المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم، أوائل المقالات.
- \_\_\_\_\_ الاختصاص.
- \_\_\_\_\_ المسائل السرورية.
- \_\_\_\_\_ الفصول المختارة.



- \_\_\_\_\_ الأُمالي.
- \_\_\_\_\_ الجمل.
- \_\_\_\_\_ الإرشاد.
- \_\_\_\_\_ الإفصاح.
- \_\_\_\_\_ تفضيل أمير المؤمنين.
- \_\_\_\_\_ المقنعة.
- \_\_\_\_\_ شرح عقائد الصدوق.
- \_\_\_\_\_ المزار.
- المقرم عبدالرزاق، مقتل الحسين
- \_\_\_\_\_ وفاة الصديقة الزهراء.
- \_\_\_\_\_ عاشوراء في الإسلام.
- \_\_\_\_\_ زيد الشهيد.
- \_\_\_\_\_ سر الإيمان في الشهادة الثالثة بالولاية.
- المقريري: أحمد بن علي العبيدي، المواعظ والاعتبار في ذكر
- الخطط والآثار.
- \_\_\_\_\_ خطط مصر.
- المقفع: عبدالله، رسالة الصحابة.
- مكاريوس شاهين، تاريخ إيران.
- مناف مشتاق عبد، الصفوية والعثمانية في ظل تطاحن
- الأيديولوجيات الطائفية.
- المناوي محمد عبدالرؤوف، فيض القدير.
- منظور حسين، تحفة العوام.
- المنقري: نصر بن مزاحم، وقعة صفين.
- المهاجر جعفر، الهجرة العاملة إلى إيران.
- المهاجر عبدالحميد، الأيديولوجية الإسلامية.
- \_\_\_\_\_ اعلموا أني فاطمة.
- \_\_\_\_\_ المنبر الحر.
- \_\_\_\_\_ العباس بن علي.
- الموسوي نور الدين، حاشية على كتاب النوايه.

- مير علي إسماعيل سليمان، خلفاء محمد.
- ماسينيون، الحلاج.
- مارتن مكدورت، نظريات علم الكلام عند المفيد.
- متز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.
- النائيني محمد حسين بن عبد الرحيم، تنبيه الأمة وتنزيه الملة.
- \_\_\_\_\_ حاشية على العروة الوثقى.
- الناشء الأكبر عبدالله، مسائل الإمامة.
- النجاشي أحمد بن علي، كتاب الرجال.
- \_\_\_\_\_ الفهرسة.
- النجار عبدالوهاب، الخلفاء الراشدون.
- النجار ناجي، الجزيرة الخضراء.
- النراقي أحمد بن محمد الكاشاني، معراج السعادة.
- \_\_\_\_\_ سيف الأمة.
- النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.
- نصر حسين، مقدمه سه أصل.
- \_\_\_\_\_ الصفوية بين الأمس واليوم.
- النعماني محمد بن أبي زينب، كتاب الغيبة.
- نعمة عبدالله، مصادر نهج البلاغة.
- النفيس سعيد، تاريخ إيران الاجتماعي.
- النفيسي عبدالله، دور الشيعة في تطور العراق الحديث.
- نقاش إسحاق، شيعة العراق.
- النمازي علي، مستدرك سفينة البحار.
- النوبختي الحسن بن موسى، فرق الشيعة.
- النيسابوري محمد الحاكم، المستدرك على الصحيحين.
- \_\_\_\_\_ التفسير.
- النيسابوري محمد بن الفتال، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين.
- الهاشمي: أحمد، مختار الأحاديث النبوية.
- العاشمي: فاطمة، العلوم والفنون والآداب في العهد الصفوي.
- هانت كورتنى، تاريخ العراق.

- الهلالي: سليم بن قيس، كتاب سليم.
- الهمداني: رضا، مصباح الفقيه.
- الهندي علي بن حسام الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
- هويني فهمي، إيران من الداخل.
- ولداد علي، أساس الأصول.
- الورد علي، وعاظ السلاطين.
- \_\_\_\_\_ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث.
- \_\_\_\_\_ شخصية الفرد العراقي.
- الوثائق البريطانية
- وثائق ويكليكس
- هيثم بن عدي، المثالب الكبرى.
- \_\_\_\_\_ المثالب الصغرى.
- هيكل محمد حسين، حياة محمد.
- هيكل محمد حسنين، مدافع آية الله.
- اليافعي: عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء.
- اليزدي عبدالكريم بن محمد بن محمد جعفر الحائري، درر الفوائد.
- اليزدي: علي الحائري، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب.
- اليزدي: محمد كاظم بن عبدالعظيم الحائري، العروة الوثقى.
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي.
- يموت بشير، الفاروق.
- يوسف عيد، أثر الحركات الباطنية.
- يونس رمضان، بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب.
- دائرة المعارف الإسلامية.
- أعلام الزركلي.
- موسوعتا التاريخ والجغرافية في العالم الإسلامي.
- القاموس المحيط.
- تاج العروس من جواهر القاموس.
- دائرة معارف القرن العشرين.

- سلسلة الينايع الفقهية.
- إسلامية المعرفة.
- شؤون إسلامية.
- مجلة النور.
- مجلة رسالة الإسلام.
- مجلة الأقلام.
- مجلة المرشد.
- مجلة العلم.
- مجلة التوحيد.
- مجلة الهادي.
- مجلة الإخاء.
- مجلة آفاق عربية.
- مجلة الأضواء.
- صحيفة كيهان.
- صحيفة اطلاعات.
- صحيفة نور.
- صحيفة الحياة.
- صحيفة الشرق الأوسط.
- مجلة شؤون إسلامية.
- مجلة المنهاج.
- مجلة تراثنا.
- قضايا إسلامية.
- قضايا إسلامية معاصرة.
- مجلة الفكر الإسلامي.
- حوزة ودانشگاه.
- الدراسات القرآنية.
- مكتب إسلام.







## Bibliography

1. Abisaab R, Converting Persia: Religion and Power in the Safavid Empire.
1. Akhtar W, Introduction to Imammiyyah scholars.
2. Algar H, Religion and The State in Iran.
3. Arjomand S, Religion, political action and legitimation in Shi'ate Iran.
4. Arjomand S, The Shadow of God and the hidden Imam.
5. Arnold W, The Caliphate.
6. Aziz T, Baqir al .Sadr Quest for Marji'ya.
7. Aziz T, 1992, The Meaning of History: An Islamic Perspective, in: Islamic Studies, Vol. 31, No. 2.
8. Babaie S, Slaves of the Shah new elites of Safavid Iran.
9. Bagley F, Religion and the State in modern Iran.
10. Bakhash, Reign of the Ayatollahs.
11. Bar .Asher M, Shi'aism and the Qur'an in: Encyclopaedia of the Qur'an,4.
12. Bar .Asher M, Scripture and Exegesis in Early Imāmī .Shi'ism.
13. Batatu H, Shi'a organizations in Iraq.
14. Batatu H, The old social classes and revolutionary movement of Iraq.
15. Bernard L, The Arabs in the History.
16. Birge G, The Bektashi order of Dervishes.
17. Brockelmann K, Geschichte der arabischen.
18. Brockelmann K, History of the Islamic people.
19. Brudges H, The Dynesty of the Kajars.
20. Browne E. G, A Literatory of Persia.
21. Browne E. G, History of Persian literature.
22. Browne E. G, The Persian Revolution.
23. Borton J, Hadith studies.
24. Burton J, An Introduction to the Hadith.
25. Calder N, Accommodation and Revolution in Imami Shi'i Jurisprudence.

26. Charles A, A Reader's Guide to the Great religions.
27. Cole J, Shi'a clerics in Iraq and Iran.
28. Corbin H, Histoire de la philosophie Islamique.
29. Corbin H, En Islam Iranien: Aspects spirituels et philosophiques.
30. Dockendorf M, The Mahdi.
31. Donaldson D, The Shi'ate Religion.
32. Elder S, The Kajar Dynasty.
33. Fahd T, Imamism and Mu'atazilite Theology.
34. Fayzee A, A Shi'a Creed.
35. Fayzee A, Shia legal theories.
36. Fazlur Rahman M, Islam.
37. Fazlur Rahman M, Major Themes of the Qur'an.
38. Fazlur Rahman M, Revival and Reform in Islam.
39. Fisher M, Iran from religious dispute to revolution.
40. Gibb, Mohammedanism.
41. Gilman, The Saracens.
42. Gleave R, Akhbari Shi'i usul al fiqh and the juristic theory of Yusuf al Bahrani.
43. Goldziher I, Islam.
44. Goldziher I, The Review of the The early.
45. Goldziher I, Muhammedanisch Studien.
46. Goldziher I, On the Development of the Hadith.
47. Gowen, A history of religion.
48. Guillaume A, The Traditions of Islam.
49. Haidari Ibrahim, The Rituals of A'shura.
50. Haidari Nabil, The Promised Awaited Savior, A critical examination of the theological phenomena of al Mahdi.
51. Haidari Nabil, Development of the concept of God in the Imami theology.
52. Haidari Nabil, Arabic Shi'ism and Persian Shi'ism. (This book)
53. Haidari Nabil, Qur'anic Hermeneutics.
54. Haidari Nabil, The contest of takfir and tafsir.
55. Haidari Nabil, Between the Quranic text and interpretations of commentators.
56. Haidari Nabil, Early Shi'ism.
57. Haidari Nabil, The Authenticity of peak of eloquence.
58. Haidari Nabil, Orientalism and Shi'ism.
59. Haidari Nabil, The authenticity of Hadith.
60. Halm H, The empire of the Mahdi.
61. Halm H, Shia Islam.

62. Hitti F, History of the Arabs.
63. Hodgson M, How did the early Shi'a become Sectarian?: Journal of the American Oriental Society, Vol. 75, No.1.
64. Hodgson M, The order of Assassins.
65. Hourani A, A History of the Arab Peoples.
66. Hourani A, Islamic history.
67. Howards I, Great works of Shia Islam.
68. Hunt C, The History of Iraq.
69. Huart C, Shaikhi.
70. Hussain J, The Occultation of the twelfth Imam.
71. Ivanow W, The Early Shiite Movements.
72. Jabbar F, The Shi'ite movement in Iraq.
73. Jafri S, The Origins and Early development of Shia Islam.
74. Juynboll, The Authenticity of the Tradition.
75. Khoda B, Politics in Islam.
76. Kohlberg E, From Imamiyya to 'Ithna 'Ashariyya.
77. Kohlberg E, Shia Hadith.
78. Kohlberg E, An unusual Shia Isnad.
79. Lalani A, Early Shi'i Thought: The Teachings of Imam Muhammad Al Baqir.
80. Lapidus I, A History of Islamic Societies.
81. Lecomte G, Shiism Imamate.
82. Lewis B, The Arabs in History.
83. Lockhart L, The fall of the Royal Safavi dynasty.
84. Lockhart L, Nadirshah a critical study.
85. Macdonald, The development of Muslim theology.
86. Madelung, W, The Succession to Muhammed.
87. Madelung, Religious Trends in Early Islamic Iran.
88. Madelung, Authority in Twelver Shi'ism in the absence of the Imam.
89. Madelung, (ed) Religious schools and sects in medieval Islam.
90. Madelung, The Succession of Muhammed.
91. Mallat C, Readings of the Qur'an in London and Najaf: John Wansbrough and Muhammad Baqir al Sadr.
92. Mallat C, Sharia.
93. Mallat C, The Renewal of Islamic Law: Muhammad Baqer As Sadr, Najaf and the Shi'a International.



94. Margoliouth D, Muhammed and the rise of Islam.
95. Massignion L, Passion d'Hallag.
96. Massignion L, Shushtari.
97. Matti M, Extremist Shi'ites.
98. Mehmet Aga .Oglo, Safavid Rugs and Textiles in the collection of the shrine of Imam Ali.
99. Melville C, Safavid Persia.
100. McDermott M, The Theology of al .shaykh al .Mufid.
101. Mitz Adam, Islamic Civilization in the fourth hijri.
102. Modarressi H, Tradition and Survival: A Bibliographic Survey of Early Shi'ite Literature.
103. Modarressi H, An Introduction to Shi'i Law: A Bibliographical Study.
104. Moezzi A, The divine guide in early Shi'ism.
105. Momen M, An Introduction to Shi'a Islam.
106. Mortimer E, Faith and power.
107. Mubarak A, The nature of Imamate.
108. Nakash Y, The Shi'as of Iraq.
109. Nasr S, The traditional Islam in the modern World.
110. Nasr S, An Introduction to Islamic cosmological doctrines.
111. Nasr H, (Ed), Sayyid Muhammad Baqir Sadr in Expectation of the Millennium: Shi'ism in History.
112. Nasr H, Shi'ism and Sufism.
113. Nasr H, Ideals and realities of Islam.
114. Newman A, The Nature of the Akhbari / Usuli dispute in late Safavid Iran.
115. Newman A, Society and Culture in the early modern Middle east.
116. Nicholson R, Literary history of the Arabs.
117. Nicholson R, Myths of classical migration to Safavid Iran.
118. Petersen E, Ali and Muawiya in early arab tradition.
119. Purchas S, His Pilgrimage.
120. Rahimi B, Muharram rituals and the emergence of the early modern Iranian public sphere in the Safavi period.
121. Raphael F. & Monk R, The Great Philosophers, Weidenfield & Nicholson.
122. Ramyar M, Shaykh Tusi.
123. Richard Y, Shi'ate Islam.
124. Roberson B, Shaping of the Current Islamic Reformation.
125. Robson J, The Island in Muslim Traditions.
126. Robson J, A Shia collection of divine traditions.
127. Roberson, Shaping the current Islamic reformation.

128. Ronaldson Michael, Shi'a Doctrine.
129. Sachedina A, Islamic messianism, the idea of Mahdi in twelver Shi'ism.
130. Sachedina A, A Treatise on the occultation of the twelfth imamate Imam.
131. Sachedina A, The just ruler.
132. Schacht, Joseph, The Origins of Muhammadan Jurisprudence.
133. Sezgin U, Abu Makhnaf.
134. Sirdar I, Eastward to Persia.
135. Snir R, A Study of al Hallag.
136. Soroush A, Reason freedom and democracy in Islam.
137. Soroush A, The Theoretical Contraction and Expansion of Religion.
138. Soroush A, Wisdom and Livelihood: A Commentary on Imam Ali's Letter to Imam Hasan.
139. Sourdel D, Imamate and Mufid views.
140. Spencer Robert, Iraq.
141. Strothmann R, Saiya.
142. Turner C, Islam without Allah: the rise of religious externalism in Safavid Iran.
143. Vaglieri L, Ghadir Khumm.
144. Von G, Classical Islam.
145. Walbridge J, Muhammed Baqir al Sadr the search for new foundation.
146. Walbridge J, The most learned of the Shi'a. The institution of the marja' taqlid.
147. Walbridge J, Without forgetting the Imam.
148. Wansbrough J, The Sectarian Milieu.
149. Wansbrough J, Qur'anic Studies.
150. Warner E, The Flagellation of Muharram and the Shi'a Ulama.
151. Watt M, Islam and the Integration of society.
152. Watt M, The significance of the early stages of Imami Shi'ism.
153. Watt M, The muslim yearning for a saviour.
154. Watt M, Shi'ism under the Umayyads.
155. Wensinck A, The muslim creed.
156. Wessels A, A modern arabic biography of Muhammed.
157. Wilhausen, Arab Kingdom.
158. Wiley J, The Islamic movement of the Iraqi Shi'as.
159. Wilson R, The contribution of Muhammed Baqir al Sadr to contemporary Islamic economic thought.
160. Zettersteen K, Djafar.
161. A Dictionary of Islam.

- 162.A Popular Dictionary of Islam.
- 163.BSOAS
- 164.Encyclopaedia of Islam. EI1.
- 165.Encyclopaedia of Islam. EI2.
- 166.Encyclopaedia of the Modern Islamic world.
- 167.Encyclopaedia of the Orient.
- 168.Encyclopaedia of Religion.
- 169.Encyclopaedia of Religion and ethics.
- 170.Encyclopaedia of the Qur'an.
- 171.Encyclopedia of the Modern Islamic World.
- 172.Encyclopaedia Iranica.
- 173.International Journal of Middle East Studies
- 174.Journal of Arabic Literature.
- 175.Journal of the American Oriental Society.
- 176.British Journal of Middle Eastern Studies.
- 177.Middle Eastern Studies.
- 178.Middle East Critique.
- 179.Muslim World.
- 180.The Oxford Dictionary of world's Dictionary.
- 181.The Concise Encyclopaedia of Western Philosophy & Philosophers.
- 182.Islamic Studies.
- 183.Middle East and Islamic Studies.
- 184.Encyclopaedia Islamica.
- 185.Journal of Qur'anic studies.
- 186.Middle East journal of Culture and Communication.
- 187.Foreign Affairs.
- 188.The Middle East.
- 189.Iranian Studies.
- 190.Religious studies.
- 191.The International Institute of Islamic thought.

